ذيل مرآة الزمان

المجلد الاول

من وقائع سنة ٦٥٤ﻫ الى اثناء سنة ٦٦٢ ﻫ

✡ ✡ ✡ ✡ ✡

للشيخ قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد بن احمد بن قطب الدين

اليونيني البعلبكي الحنبلي

المتوفى سنة ٧٢٦ ﻫ = ١٣٢٦ م

عن نسختين قديمتين محفوظتين فى مكتبة ايا صوفيا باستنبول

رقم [٣١٤٦] و [٣١٩٩]

الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند

١٣٧٤ ﻫ = ١٩٥٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله (١)

﴿٣ الف﴾ الحمدلله مصّرف الدهور، و خالق الازمنة عبارة عن مرّ الايام و اللّيالى و الشّهور، احمده على نعمه التّى شملت الامم جيلًا بعد جيلٍ، و عرفت اخبار من سلف فى القرآن و التوراة و الانجيل، و اشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادةً تبصر بعواقب الطائعين و العاصين و تقضى بنجاة من اقرّبها من الدانين و القاصين، و أشهد انّ محمداً عبده و رسوله الذى هدى الامّة الى مناهج سبلهم، و ندبوا على لسانه كيف يسيرون فى الارض فينظرون كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، صلّى الله عليه و على آله و صحبه صلاةً دائمةً ما بقيت الأيام و اللّيالى، و عرفت اخبار الامم السالفين فى العصور الخوالى.

---

(١) اصل هذا المطبوع نسخة ايا صوفيا رقم [٣١٤٦] و رمزها (ص١) وادرجنا ارقام اوراق هذه النسخة القديمة بين هلالين وعارضناها على النسخة الأخرى فى ايا صوفيا رقم [٣١٩٩] ورمزها (ص٢) وكملنا سقطات كل منهما من الاخرى.

Marfat.com

أما بعد فانه لما كانت الاذهان مصروفة الى معرفة اخبار من مضى، و الاطلاع على احوال من قضى الله له بما قضى، ليستفاد بذلك سيرة الطراز الاوّل و الوقوف عند نصّ احاديثهم الّتى بها يعتبر و عليها يعوّل، صنّف الناس فى ذلك كتبا، وساروا با فكارهم فجلبوا من اخبار الامم حطبا و ذهبا، و لمّا وقفت على بعض ما نصّوه، و تأمّلت ما انبأوا به عن السالفين و قصّوه، رأيت اجمعها مقصدًا و اعذبها موردًا و احسنها بيانًا و اصحها روايةً يكاد خبرها

(٣ب) يكون عيانًا الكتاب المعروف بمرآة الزمان تأليف الشيخ الامام العالم شمس الدّين ابى المظفّر يوسف سبط الامام الحافظ جمال الدّين عبدالرّحمن ابن الجوزى رحمه الله الذى ضمنه ما علا به قدره على كل نبيه، و فاق به على من يناويه، فشرعت فى اختصاره و أخذت فى اقتصاره فلمّا انهيته مطالعة و حررته اختصارًا و مراجعة وجدته انقطع الى سنة اربع و خمسين و ستمائة - و هى السنة التى توفى المصنّف رحمه الله فى اثنائها فآثرت ان اذيّله بما يتّصل به سببه الى حيث يقدره الله تعالى من الزمان، مع انى لست من فرسان هذا الميدان، و ربّما ذكرت وقائع متقدمة على سنة اربع و خمسين او من تقدّمت وفاته على سبيل الاستطراد او لمعنى اقتضى ذلك و لعل بعض من يقف عليه ينتقد الاطالة فى بعض الاماكن و الاختصار فى بعضها، و انّما جمعت هذا الذيل لنفسى و ذكرت ما اتّصل بعلمى و سمعته من افواه الرجال ونقلته من خطوط الفضلاء و العمدة فى ذلك عليهم لا علىّ و اسأل من الله تعالى التوفيق و الهداية الى سواء الطريق بمنّه و كرمه و خلق لطفهم

Marfat.com

سنة اربع وخمسين وستمائة

٦٥٤

استهلّت هذه السنة وخليفة المسلمين ببغداد دار ملكه (٤ الف) وهو الامام المستعصم بالله ابو احمد عبد الله امير المؤمنين ابن الامام المستنصر بالله ابى جعفر المنصور بن الامام الظّاهر بأمر الله ابى نصر محمّد بن الامام النّاصر لدين الله ابى العبّاس احمد رحمه الله تعالى وملك الشام والبلاد الفراتية الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن محمّد وملك الديار المصريّة الملك المعزّ عزّ الدين ايبك التركمانى وصاحب الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدّين عمر بن الملك العادل سيف الدّين ابى بكر ابن الملك الكامل وصاحب الموصل وبلادها (١) الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الاتابكى وصاحب ميافارقين وديار بكر وتلك الاعمال الملك الكامل ناصر الدّين محمّد بن الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل والمستولى على اربل واعمالها وما اضيف اليها الصاحب تاج الدّين محمّد ابن صلايا العلوى من جهة الخليفة والنائب فى حصون الاسماعيليّة الثمانيّة بالشام رضى الدّين ابو المعالى وصاحب صهيون وبُرزيه وبَلاطُنُس الامير مظفر الدّين عثمان بن الامير ناصر الدّين منكورس [بن] (٢) ..... وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدّين محمّد بن محمود بن محمّد بن عمر بن شاهنشاه بن ايّوب وصاحب تلّ باشر والرحبة وتدمُر وزلوبيا (٣)

(١) فى النجوم الزاهرة مطبوعة مصر ورمزها ـ نز ـ « واعمالها » (٢) من ص ٢٠

(٣) ليس فى نز هنا وفى ٨٥ « دلويا » وحكى ماهنا وغيره وقال لم نوفق للصواب

Marfat.com

الملك الاشرف مظفر الدّين موسى بن ابراهيم بن شيركوه [ابن محمد بن شيركوه] (١) ﴿٤ب﴾ بن شاذى (٢) و صاحب المدينة الشريفة صلوات الله على ساكنها و سلامه الامير عزّ (٣) الدين ابو (٤) مالك منيف بن شيحة بن القاسم الحسينى و صاحب مكة شرفها الله تعالى الشّريف قتادة الحسنى (٥) و صاحب ماردين الملك السعيد إيلغازى الارتقى و صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدّين يوسف بن عمر و خراسان وما وراء النهر و خوارزم و خلاط و بلد فارس و معظم الشرق باسره بيد التتار وصاحب الرّوم السلطان ركن الدّين و اخوه عزّ الدين و البلاد بينهما مناصفة وهما فى طاعة هولاكو ملك التتار .

وفى هـذه السنة ورد الى دمشق كتب من المدينة صلوات الله على ساكنها و سلامه تاريخها خامس شهر رجب و وصلت فى عاشر شعبان ونحوه تتضمن خروج نار بالمدينة و فيما تضمنته الكتب لما كانت ليلة الاربعاء ثالث جمادى الأخرى سنة اربع و خمسين ظهر بالمدينة دوى عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت منها المدينة و الحيطان و السقوف و الاخشاب ساعة بعد ساعة الى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ظهرت نار عظيمة فى الحرة قريباً من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنّها عندنا وهى نار عظيم اشعالها ولقد سالت اودية منها

(١) من ص ٢ (٢) نز «شادى» (٣) بهامش نز «فى الاصل شهاب الدين» كما هنا «والتصويب عن تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» (٤) هكذا فى نز ووقع فى ص ١ «ابى» (٥) كذا فى النسختين وفى نز «الحسنى»

Marfat.com

بالنار الى وادى شطا (١) مسيل الماء و قد ﴿٥ الف﴾ سدّت مسيل شطا (١) و ما عاد يسيل و الله لقد طلعنا جماعة نبصرها فاذا الجبال تسيل نيراناً و قد سدّت الحرّة طريق الحاج العراقى و سارت الى ان وصلت الى الحرّة فوقفت بعدما اشفقنا ان تجىء الينا و رجعت تسيح فى الشرق تخرج من وسطها مهود و جبال نيران تأكل الحجارة منها انموذج عما اخبر الله فى كتابه العزيز فقال عزّ من قائل (انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر) و قد أكلت الارض وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة اربع و خمسين و النار فى زيادة ما تغيرت و قد عادت الى الحرار فى قريظة طريق الحاج العراقى كلها نيران تشتعل نبصرها فى الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج ، واما أم النار الكبيرة فهى جبال نيران حمر و الأم الكبيرة النار التى سالت النيران منها من عند قريظة و قد زادت و ما عاد الناس يدرون اى شىء يتم بعد ذلك و الله يجعل العاقبة الى خير وما اقدر صفة هذه النار .

ومن كتاب آخر لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الأخرى وقع بالمدينة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة و تارة واقام على هذه الحالة يومين فلما كان يوم الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلازل فتقيم على هذه الحالة ثلاثة ايام يقع فى اليوم و الليلة ﴿٥ ب﴾ اربع عشر زلزلة فلما كان يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انتجت (٢) الارض من الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل

(١) كذا فى النسختين و فى ز «شظا» (٢) كذا فى النسختين غير منقوط و لعله انتجت

Marfat.com

مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مرأى العين من المدينة نشاهدها وهى ترمى بشرر كالقصر كما قال الله تعالى وهى بموضع يقال له أجلين (١) وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره اربعة فراسخ وعرضه اربعة اميال وعمقه قامة ونصفا وهى تجرى على وجه الارض وتخرج منه امهاد وجبال صغار تسير على الارض وهو صخر يذوب حتى تبقى مثل الآنك فاذا جمد صار اسود وقبل الجمود لونه احمر وقد حصل بطريق هـذه النار اقلاع عن المعاصى والتقرب الى الله تعالى بالطاعات وخرج امير المدينة عن مظالم كثيرة الى اهلها.

ومن كتاب شمس الدين سنان (٢) بن عبد الوهاب بن نميلة الحسينى قاضى المدينة الى بعض اصحابه لما كان ليلة الاربعاء ثالث شهر جمادى الآخرة حدث بالمدينة فى الثلث الاخير من الليل زلزلة عظيمة اشفقنا منها وباتت باقى تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة قدر عشر نوبات والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة النبى صلى الله عليه وسلم اضطرب لها المنبر الى أن سمعنا منه صوتا للحديد الذى فيه واضطربت قناديل الحرم الشريف وتمت الزلزلة الى يوم الجمعة ضحى ﴿٦ الف﴾ ولها دوى مثل دوى الرعد القاصف ثم طلع يوم الجمعة فى طريق العقبة فى رأس اجلين (١) نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وما باتت لنا الا ليلة السبت واشفقنا منها وخفنا خوفا عظيما وطلعت الى الامير وكلمته وقلت له قد احاط

(١) كذا فى النسختين وفى ز «أُحَيْلين» (٢) كذا فى ز وقع فى النسختين زيادة «بن».

Marfat.com

بنا العذاب ارجع الى الله فاعتق كل مما ليكه و رد على جماعة اموالهم فلما فعل هذا قلت له اهبط الساعة معنا الى النبيّ صلى الله عليه وسلم فهبط و بتنا ليلة السبت الناس جميعهم و النسوان و اولادهم و ما بقى احد لا فى النخيل و لا فى المدينة الا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم و اشهقنا منها فظهر ضوءها الى ان ابصرت من مكّة و من الفلاة جميعها ثم سال منها نهر من نار و اخذ فى وادى اجلين (١) و سدّت الطريق ثم طلع الى بحرة الحاج و هو بحر نار يجرى و فوقه حرة (٢) تسير الى ان قطعت الوادى وادى الشطاة (٣) و ما عاد يجرى سيل قط لانها حرة تجيء (٤) قامتين و ثلث علوها (٥) و بالله يا اخى ان عيشنا اليوم مكروه و المدينة قد تاب جميع اهلها و لا بقى يسمع فيها رباب و لا دف و لا شرب و قمت تسير الى أن سدّت بعض طريق الحاج و بعض البحيرة بحرة الحاج و جاء فى الوادى الينا منها قتير و خفنا انها تجئنا و اجتمع الناس و دخلوا على النبيّ صلى الله عليه وسلم و بات عنده جميعهم ليلة (٦ بب) الجمعة و أما قتيرها الذى يلينا فقد طفىء بقدرة الله تعالى وانها الى الساعة ما نقصت الا ترمى مثل الجبال حجارة من نارها دوى ما يدعنا نرقد و لا نأكل و لا نشرب و ما اقدر اصف لك عظمها و لا ما فيها من الاهوال و ابصرها اهل ينبع و ندبوا قاضيهم ابن سعد و جاء وغدا اليها و ما اصبح يقدر يصفها من عظمها و كتب الكتاب يوم خامس رجب و هى على حالها و الناس منها

(١) تقدم ما فيه قريبا (٢) كذا فى النسختين وفى نز « جمريسير » (٣) كذا و راجع ما تقدم (٤) كذا فى النسختين وفى نز « حفرت نحو » (٥) كذا وليس فى نز .

Marfat.com

خائفون و الشمس و القمر من يوم طلعت ما يطلعان الا كاسفين فسأل الله العافية ، و من كتاب بعض بنى القاشانى بالمدينة يقول فيه وصل اليانا فى جمادى الآخرة نجّابة من العراق اخبروا عن بغداد انه اصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من اسوار بغداد الى البلد و غرق كثير من البلد و دخل الماء دار الخليفة وسط البلد و انهدمت دار الوزير و ثلاثمائة و ثمانون دارا و انهدم مخزن الخليفة و هلك من السلاح شىء كثير تلف كله و اشرف الناس على الهلاك و عادت السفن تدخل الى وسط البلد و تتخرق ازقة بغداد قال و اما نحن فانّه جرى عندنا امر عظيم لما كان تاريخ ليلة الاربعاء الثالث من جمادى الآخرة و من قبلها [يومين] (١) عاد الناس يسمعون صوتا مثل صوت الرعد ساعة بعد ساعة و ما فى السماء غيم حتى انه منذ يومين الى ليلة الاربعاء ثم ظهر الصوت حتى سمعه الناس ﴿٧ الف﴾ و تزلزلت الارض و رجفت بنا رجفة لها صوت كدوى الرعد فانزعج لها الناس كلّهم و انتبهوا من مراقدهم و ضجّ الناس بالاستغفار الى الله تعالى و ذكر بمعنى ما تقدم ثم قال و الحجارة معها تتحرك و تسير حتى كادت تقارب حدة العريض ثم سكنت و وقفت ايّاما ثم عاد تخرج من النار ترمى بحجار خلفها و أمامها حتى بنت لها جبلين خلفها ما بقى يخرج منها من بين الجبلين لسان لها اياما ثم انها عظمت الآن و شبّاها الى الآن و هى تخرج كاعظم ما يكون و لها كل يوم صوت عظيم آخر الليل الى ضحوة و لها عجائب ما اقدر

(١) سقط من ص ٢ .

Marfat.com

اصفها لك على الكمال و انما هذا منها طرف كبير يكفى و الشمس و القمر كأنهما منكسفان الى الآن و كتبت هذا الكتاب و لها شهر (١) و هى فى مكانها حتى قال فيها بعضهم .

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا لقد احاطت بنا يارب بأساء(٢)
نشكو اليك خطوبا لا نطيق لها حملا ونحن بها حقّا احقّاء
زلازلا تخشع الشم الصلاب لها وكيف يقوى على الزلزال شماء
اقام سبعا يرج الارض فانصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء
ترمى لها (٣) شرر كالقصر طائشة كأنها ديمة تنصبّ هطلاء
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت رعبا وترعد مثل السعف (٤) اضواء (٥)
منها تكاثف فى الجو الدخان الى ان عادت الشمس منه وهى دهماء
قد أثرت سعفة فى البدر لفحتها فليلة (٦) السّم بعد النور ليلاء
تحدث (٧) النيران السبع السنها بما يلاقى بها تحت الثرى الماء
وقد احاط لظاها بالبروج الى ان كاد يلحقها بالارض اهواء
فيالها آية من معجزات رسول الله يعقلها القوم الالبّاء
فباسمك الاعظم المكنون إن عظمت منا الذنوب وساء القلب اسواء
فاسمح وهب وتفضل وانج واعف وجد واصفح فكل لفرط الحلم (٨) خطّاء

(١) فى نز « واقامت هذه النار اكثر من شهرين » (٢) فى ص ٢ « بلواء »
(٣) ص ٢ « لنا » (٤) هكذا فى ص ١ وفى ص ٢ « السّم » (٥) وقع فى النسختين « اضواء » (٦) وقع فى النسختين « قليلة » خطأ (٧) وقع فى النسختين « تحدث » خطأ (٨) كذا فى ص ٢ و فى ص ١ « الحكم » خطأ .

Marfat.com

فقوم يونس لما آمنوا كشف ال عذاب عنهم وعم القوم نعماء
ونحن امة هذا المصطفى ولنا منه الى عفوك المرجو دعاء(١)
هذا الرسول الذى لولاه ما سلكت محجة فى سبيل الله بيضاء
فارحم و صل على المختار ماخطبت على علا منبر الاوراق ورقاء
و نظم بعضهم فى هذه النار و غرق بغداد .

سبحان من اصبحت مشيئته جارية فى الورى بمقدار
فى سنة أُغرق العراق وقد أُحرق ارض الحجاز بالنار

و فيها ليلة الجمعة اول ليلة من رمضان احترق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان ابتداء حريقه من زوايته ﴿٨ الف﴾ [الغربية من الشمال] (٢) فعلقت فى الابواب (٣) ثم اتصلت بالسقف بسرعة ثم دبت فى السقوف آخذة قبلة فاعجلت الناس عن قطعها فما كان الا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد اجمع و وقع بعض اساطينه و ذاب رصاصها و كل ذلك قبل ان ينام الناس و احترق سقف الحجرة النبوية على ساكنها افضل الصلاة و السلام و وقع ما وقع منه فى الحجرة و بقى على حاله لما شرع فى عمارة سقفه و سقف المسجد واصبح الناس يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة و نظم فى حريق المسجد .

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه ولا دهاه (٤) العار
لكنما ايدى الروافض لامست ذاك الجناب فطهرته النار

---

(١) كذا فى النسختين ولعله إرعاء (٢) فى نز «من عيون التواريخ و عقد الجمان و الذيل على الروضتين» (٣) ص ٢ ونز «الآلات» (٤) كذا فى نز وهو الصواب ووقع فى النسختين «دها» خطأ .

Marfat.com

و قال معين الدين بن تُولُوا المعزى (١) .

قل للروافض بالمدينة مالكم يقتادكم للذم كل سفيه
ما اصبح الحرم الشريف محرقا الالسبكم الصحابة فيه
و على (*) ما وقع من تلك النار الخارجة و حريق المسجد من جملة
الآيات فقال شهاب الدين ابو شامة فى ذلك و فيما تقدم .

بعدست من المئين و خمسين لدى (٣) اربع جرى فى العام
نار ارض الحجاز مع حرق المسجد معه تغريق دار السلام .
ثم [أخذ](٤) التتار بغداد فى اوّ ل عام من بعد ذاك بعام
لم يعن اهلها و الكفر اعوا ن عليهم يا ضيعة الاسلام
(٨ ب) و انقضت دولة الخلافة منها صار مستعصم بغير اعتصام
رب سلم و صن و عاف بقايا ال مدن ياذا الجلال و الا كرام
فحنانا على الحجاز (٥) و مصر و سلام على بلاد الشآم

قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة و فى ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر اول الليل و كان شديد الحمرة ثم انجلى و كسفت الشمس فى غده و احمرت وقت طلوعها و [قريب] (٦) غروبها و اتضح بذلك ما صوره الشافعى رحمة الله عليه من اجتماع السكوف و الخسوف و استبعده اهل النجامة .

(١) كذا فى ص ١ و فى ص ٢ و نز « المغربى » (٢) كذا فى ص ١ و فى ص ٢ « وعد » و كذا فى نز و هو الصواب (٣) كذا فى ص ٢ و وقع فى ص ١ « لذى »
(٤) قد سقط من ص ٢ (٥) كذا فى ص ٢ و وقع فى ص ١ « الشام » خطأ .
(٦) نز « التكملة عن الذيل على الروضتين » .

Marfat.com

وفيها تواترت الاخبار بوصول عساكر هولاكو الى أذربيجان قاصدة بلاد الشام فوردت قصاد الديوان العزيز على الشيخ نجم الدين البادرائى (١) وهو اذ ذاك بدمشق تأمره أن يتقدم الى الملك الناصر بمصالحة الملك المعز صاحب مصر وان يثنى عزمه عن قصده ويتفق معه على قتال التتار واجاب الى ذلك واعاد العسكر الى دمشق بعد ان كان قد وصل الى غزة واقام بها صحبة الملك المعظم توران شاه ابن صلاح الدين يوسف بن ايوب فدخل العسكر دمشق فى العشر الاول من شوال وفى جملتهم الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى فاقطعه الملك الناصر مثل ما كان له بمصر من الاقطاع .

وفى شوال توجه كمال الدين عمر بن العديم رسولاً من الملك الناصر [صلاح الدين يوسف] (٢) رحمه الله الى الخليفة المستعصم بالله ﴿٩ الف﴾ على البريّة بتقدمة كبيرة فوصل بغداد فى الثانى والعشرين من ذى القعدة وطلب من الخليفة : خلعة لمخدومه وكان قد قدم بغداد الامير شمس الدين سنقر الاقرع وهو فى الاصل من غلمان الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن العادل رسولا من الملك المعز صاحب مصر الى الخليفة بسبب تعطيل الخلعة فتحير الخليفة فيما يفعل فاحضر الوزير مؤيد الدين [بن] العلقمى جمال الدين بن كمال الدين بن العديم وكان سافر مع ابيه (٣) وناوله سكينة كبيرة من نشم وقال له خذ هذه علامة على انه

(١) كذا فى ص ٢ ونز ووقع فى ص ١ « الباذرائى » خطأ (٢) من ص ٢
(٣) ص ٢ « ابنه » .

Marfat.com

لابد من الخلعة للملك النّاصر فى وقت آخر .

وفيها عزل القاضى بدر الدين السنجارى عن قضاء الديار المصرية وولّيها القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الاعز.

ذكر ما تجدّد للملك النّاصر داود بن الملك المعظّم فى السنة

كان له وديعة سنية عند الخليفة من جواهر وغيرها فتوقف فى ردها عليه. وشرهت نفسه اليها واحتج بحجج لا معنى لها وجرى فى ذلك خطوب يطول شوحها وكان الملك الناصر حج فى السنة الخالية وعاد الى العراق بسببها فانزل بالحلة واجرى عليه راتب لايليق به ولايناسب محله وكان الخليفة قد عمر ببغداد قصرا فلما تم هنته الشعراء وهناه الملك الناصر بقصيدة تلطف فيها وعدد خدمه وخدم اسلافه فلم (٩ ب) يجد مايكافيه أنسير (١) اليه من حاسبه على جميع ماوصل اليه طول المدة من النفقات وما اوصلوه اليه مفرقا وما ضيفوه به فى تردده واقامته وظعنه من خبز ولحم وعليق [واصلوا بسائر ...] (٢) وقالوا قد وصل اليك قيمة وديعتك فاكتب خطك بوصوله وانه لم يبق لك عند الديوان حق ولا مطالبة فلم يمكنه الا الاجابة والمسارعة فكتب ولم يصله من ثمنها الادون العشر فانصرف ساخطا واجتمع عليه جماعة من العرب وارادوا التوصل به الى النهب والفساد فامتنع واقام عند العرب وبلغ الملك النّاصر صلاح الدين يوسف فاهمه مقامه عندهم فاحضر الملك الظاهر شادى (٣) اكبر اولاد الملك النّاصر داود وحلف له اليمين

(١) كذا فى ص ١ وفى ص ٢ «فلم يحل سال بل سيروا» كذا (٢) من ص ٢ كذا.
(٣) كذا فى ص ٢ ونن وقع فى ص ١ « شاذى ».

Marfat.com

المغلظة انه لايتعرض له باذى فوصل شادى (١) الى والده و عرفه ذلك فقدم دمشق و وجد الملك الناصر يوسف قد اوغر صدره عليه فنزل بتربة والده الملك المعظم بسفح قاسيون و شرط عليه ان لايركب فرسا ثم أذن له فى الركوب بشرط انه لايدخل البلد ولايركب فى موكب فاستمر الحال على ذلك الى آخر السنة .

[فصل] (٢)

و فيها توفى ابراهيم بن أونبا بن عبد الله الصوابى الامير مجاهد الدين والى دمشق وليها بعد الامير حسام الدين بن ابى علــى فى سنة اربع واربعين وستمائة وكان فى بداية سعادته امير جاندار (٣) الملك الصالح نجم الدين وكان اميرا جليلا فاضلا (١٠ الف) عاقلا رئيسا كثير الصمت مقتصدا فى انفاقه وكان بينه و بين الامير حسام الدين بن ابى على مصافاة كثيرة و مودة اكيدة ولما مرض مرض موته اسند نظر الخانقاه التى عمرها على شرف الميدان القبلى ظاهر دمشق الى الامير حسام الدين المذكور فتوقف فى قبول ذلك ثم قبله على كره منه وتوفى مجاهد الدين رحمه الله تعالى فى اوائل هذه السنة وقيل فى اواخر سنة ثلاث وخمسين ودفن بالخانقاه المذكورة رحمه الله وله نظم فمنه .

اشبهك الغصن فى خصال القــدّ واللّين والثنى
لكن تجنّيك ما حكاه الغُصن يُجْنى وانت تَجْنى

(١) تقدم قريبا (٢) من ص ٢ (٣) فى ز « هو لقب الذى يستأذن السلطان للامراء وغيرهم فى ايام المواكب عند الجلوس بدار العدل » .

Marfat.com

و له فى صبي اسمه مالك .

ومليـــحٍ قلت ما الاســـــم حبيبى قال مالك

قلتُ صف لى قدّك الزا هى وصف حسن اعتدالك

قال كالغصن وكالبد ر وما اشبـــه ذلك

ابراهيم بن ايبك بن عبد الله مظفر الدين كان و الده الامير عزالدين ايبك المعظمى صاحب صرخد قد اشتراه الملك المعظم عيسى بن العادل سنة سبع.و ستمائة و ترقى عنده حتى جعله استاذ داره فكان عنده فى المنزلة العلياء ميؤثره على اولاده و اهله و لم يكن له نظير فى حشمته و رياسته وكرمه و شجاعته ﴿ ١٠ ب ﴾ وسداد رأيه و علوهمته بحيث كان يضاهى الملوك الكبار و اقطعه الملك المعظم صرخد و قلعتها و اعمالها و قرى كثيرة امهات غيرها و لما توفى الملك المعظم بقى فى خدمة و لده الملك الناصر صلاح الدين داود فلما حضر الملك الكامل كان الامير عز الدين المذكور هو المدبر للحرب و امور الحصار فلما حصل الاتفاق على تسليم دمشق كان هو المتحدث فى ذلك فاشترط للملك (١) الناصر من البلاد و الاموال والحواصل فوق ما ارضاه ثم اشترط لنفسه صرخدْ و اعمالها و سائر املاكه بدمشق وغيرها و أن يسامح بما يؤخذ من المكوس على سائر ما يباع و يبتاع له من سائر الاصناف و يفسح له فى الممنوعات و ان يكون له حبس فى دمشق يحبس فيه نوابه من لهم عليه (٢) حق فاجيب الى ذلك جميعه بعد توقف و بقى على ذلك سائر الايام الاشرفية و الكاملية و الصالحية

(١) وقع فى النسختين« الملك »(٢) كذا فى النسختين و لعله له عليهم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

و العماديـة مو الى اوائل الدولة الصالحية النجمية فحصل له وحشة من الملك الصالح نجم الدين وكان مع الخوارزمية لما كسروا على القصب فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة اربع واربعين وستمائة فمضى الى صرخد و امتنع بها ثم أخذت منه صرخد فى اواخر السنة المذكورة و أخذ الى الديار المصرية فاعتقل بها بدار صواب فكان ابراهيم هذا قدمضى الى الملك الصالح نجم الدين ووشى به و قال اموال ابى قدبعث بها ﴿١١الف﴾ الى الحبلين (١) و اول ما نزل بها صرخد كانت ثمانين خرجا فاودعها عند الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزى و بلغ الامير عز الدين اجتماعة بالملك الصالح فمرض و وقع الى الارض وقال هذا آخر عهدى بالدنيا ولم يتكلم بعدها حتى مات و دفن ظاهر القاهرة بباب النصر سنة خمس واربعين وستمائة و قيل سنة سبع واربعين ثم نقل بعد ذلك الى القبة التى بناها برسم دفنه فى المدرسة التى انشأها على شرف الميدان ظاهر دمشق من جهة الشمال و وقفها على اصحاب ابى حنيفة رحمة الله عليه و هى من احسن المدارس و انضرها و له مدرسة اخرى بالكشك داخل مدينة دمشق .

و بالجملة فكان من سادات الامراء كثير البر و المعروف و انعامه يشمل الامراء والاكابر و الفقرا. والصلحاء و العوام رحمه الله و رضى عنه فلقد كان من محاسن الدهر ثم ان ولده هذا المعنى بحاشيته مثل البرهان كاتبه وابن الموصلى صاحب ديوانه والبدر الخادم و مسرور

(١) كذا فى ص١ وفى ص ٢ «ابلحين» .

(٢) وغيرهم

وغيرهم فامر الملك الصالح نجم الدين بحملهم الى مصر فاما البرهان فانه من خوفه يوم اخرج ليتوجه الى مصرمات بمسجد النارنج و الباقون حملوا الى مصر و لم يظهر عليهم مما قيل درهم و احد فرجعوا الى دمشق بعد وفاة الملك الصالح و قد لاقوا شدائد و اهوالا ﴿ ١١ ب ﴾ و ختم للامير عز الدين بالشهادة رحمه الله تعالى .

و ذكر الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزى رحمه الله ما يدل على ان ابراهيم هذا ولد جاريته و انه تبناه و ليس بولده و هو اخبر بذلك و يدل عليه ما فعله به و بحاشيته و الله اعلم بذلك .

بشارة بن عبد الله ابو البدر الارمنى [الكاتب] (١) مولى شبل الدولة المعظمى سمع من الشيخ تاج الدين ابى اليمن زيد بن الحسن الكندى و غيره وكان يكتب خطا حسنا و توفى ليلة النصف من شهر رمضان بدمشق و دفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله و ذريته يدعون النظر على المدرسة و الخانقاه و التربة المنسوب ذلك الى شبل الدولة رحمه الله تعالى .

طغريل بن عبد الله الامير سيف الدين استاذ دار الملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماة كان من اعيان الامراء شجاعا حسن التدبير و السياسة للامور ولما توفى الملك المظفر قام بتدبير امور ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد بمراجعة و الدته غازية خاتون بنت الملك الكامل ناصر الدين ابن ابى المعالى محمد بن الملك العادل و مشاورتها فى الامور

(١) من «ص ٢ ».

Marfat.com

وأخذ رأى الصاحب شرف الدين عبد العزيز محمد بن شيخ الشيوخ ولم يزل على ذلك وهو اتا بكه الى ان توفى فى ثالث شوال رحمه الله تعالى.

﴿١٢ الف﴾ عبد الرحمن بن احمد بن الحسن بن كاتب بن عبد الرحمن ابو المعالى شرف الدين القرشى البعلبكى العدل المعروف بابن الفارقى (١) توفى ببعلك فى سادس شهر رمضان هذه السنة ومولده بدمشق فى شوال سنة تسعين وخمسمائة سمع من ابى طاهر الخشوعى وغيره وحدث بدمشق وكان فيه شرف وكان كاتب الحكم ببعلبك وحصل بينه وبين قاضيها صدر الدين عبد الرحيم رحمه الله منافرة فوقع فى حقه واشتط عليه ورماه بما برأه الله منه وكان الشرف المذكور يمت بمعرفته(٢) قاضى القضاة صدر الدين احمد بن سنى الدولة رحمه الله تعالى فاستطال بذلك ولم يجد من القاضى صدر الدين عبد الرحيم مع ماصدر منه فى حقه الا الاحسان المتواتر الى حيث توفى الشرف المذكور وكان القاضى صدر الدين عبد الرحيم من حسنات الزمان وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى.

عبد الرحمن (٣) بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حفاظ ابو محمد [زكى الدين] (٤) السلمى المعروف بابن الفويرة كان من اعيان عدول دمشق وتوفى بهاليلة نصف ربيع الآخر ودفن من الغد بجبل قاسيون ومولده بحوسنة احدى وتسعين وخمسمائة تقديرا سمع من الشيخ تاج الدين ابى اليمن زيد بن الحسن الكندى [وغيره](٥) وحدث رحمه الله تعالى.

---

(١) «ص ٢» «القبارى» (٢) كذا فى «ص ١» ولعله بمعرفة (٣) كذا وفى نز «بدر الدين ابو محمد بن عبد الرحمن» (٤) ليس فى نز (٥) سقط من «ص ٢».

Marfat.com

عبد الرحمن بن نوح بن محمد ابو محمد شمس الدين (١) ﴿ ص ٢ ورقة ٦ الف ﴾ المقدسى الشافعى تفقه وبرع ودرس وكان احدا الفقهاء المشهورين بدمشق سمع من ابى عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدى وغيره وحدث وتوفى بدمشق ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخر ودفن من الغد بمقابر الصوفية وكانت له جنازة حافلة رحمه الله.

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن احمد بن هبة الله بن احمد بن على ابوبكر شرف الدين الحموى الشافعى المعروف بابن قرناص وقد كان قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان رحمه الله نسبه فقد هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن احمد بن عبد الله بن احمد بن على بن الحسين ابن محمد بن جعفر بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولده فى تاسع عشر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كان من اعيان العلماء الفضلاء النبلاء الرؤساء المشهورين وله نظم حسن وتوفى فى الثامن والعشرين من ذى القعدة بحماة وبيته (ص ٢ ورقة ٦ ب) مشهور بالفضل والتقدم قال القاضى جمال الدين بن واصل انه توفى فى ذى الحجة وكان فاضلا فى الفقه والادب مجيدا فى النظم والنثر تزهد فى صباه وامتنع من قبول الشعر الاما يتعلق بالزهد ومدح النبى صلى الله عليه وسلم صنف ديوان رسائل مبتكرة بديعة فاعرض عنها وكان يامر باعدامها.

ومن شعره

بامن غدا وجهه روض العيون لما اعاره الحسن من انواع ازهار

(١) من هنا ابتداء السقطة الكبيرة من «ص ١» فاثبتنا ها من «ص ٢».

Marfat.com

نعمت طرفى واودعت الحشى حرقا فالطرف فى جنة والقلب فى نار (١)

وله

اذا لم يربا لجد ليل شبيبتى سيظلم بالتقصير صبح مشيبى

وله من ابيات (٢) فى اوقات لطلوع منازل القمر ينتفع بها جدا وهو

اذا ما نلت بعد عشرين وقت لنيسان بالنطح ارتقبه مع الفجر

وسادس ايار البطين ومحتل حنين الثريا تسع عشر من الشهر

وللدبران من حريزان اوّل وهقعته تتلوه فى رابع العشر

وسابع عشريه لهنع ودونه الـ ذراع يوافى عشر تموزذى الحر

وفى ثالث العشرين تطلع ثرة وخامس ان لاتنظر الطرف ذاشزر

وثامن عشر منه مطلع جبهة وأول ايلول به مطلع الزبر

ورابع عشر صرفة الحر والعوى من السبع والعشرين يأوى الى الوكر

وتشرنينا الاوّل سماك لعاشر وثالث عشريه به مطلع الغفر

وتشرنينا الثانى زبانى لخامس وثامن عشر منه ذلك بالزهر

ويوم ترى كانونا الاوّل مقبلا بأوّل يوم يحقق القلب القر

ورابع عشر شولة ونعائم من السبع والعشرين مجرتها تجرى

وكانونا الثانى يوافيك بلدة لعشر تراها وهى كالبلدة القفر

---

(١) اخذه من قول التهامى

نظروا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار

(٢) هذه الابيات لم نظفر بها فى كتاب آخر وقت الطبع مع انها ساقطة من ص ١٥ وفيها تحريف ونقص فلتحرر.

وثالث

وثالث عشريه كرخ ورابع اتى من شباط بلعه انزه نسرى
وثامن عشر منه سعد سعوده وثانى آذار لاخيبة السفر
وخامس عشر منه فرغ مقدم وثامن عشريه المؤخر بالاثر
وعاشر بيسان لحوت بذا انقضت منازل لاينفك به آب فى الكر

فسبحان من فى طى حكمته لمن حباه بتوفيق دليل على الحشر

عبد العظيم بن عبد الواحد بن مظافر بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن حسن ابو محمد (ص ٢ وبرقة ٧ الف) العدوانى المصرى المعروف بابن ابى الاصبع كان احد الشعراء المجيدين وله تصانيف فى الادب حسنه مفيدة ومولده سنة خمس وقيل سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمصر وتوفى بها فى الثالث والعشرين من شوال ودفن من يومه .

ومن شعره

ليُطف لهيب القلب وليذهب السُقم فقد انعمت بالوصل بعد الجفا نعم
شكى ظلمها قلبى فجادت بنظمها (١) على ظمأ فاستعذب الظُلم والظَلم
وقالت لرسلى حين بثّوا صبابتى اليكم فعندى من صبابته علم
ايانعم ان شئت انعمى او فعذّبى فعرم (٢) الهوى عند المحب هو النعم

وله

وساق اذا ماضاحك الكأس قابلت فواقعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا
خشيت وقد امسى نديمى (٣) على الدجى فاسدلت دون الصبح من شعره حجبا
وقسمت ثمر (٤) الطاس فى الكأس انجما ويا طول ليل قسمت شمسه شهبا

(١) كذا والصواب بظلمها (٢) كذا ولعله غرام (٣) كذا وفى فوات الوفيات «ضجيعى» (٤) كذا وفى فوات الوفيات «ثمس» وهو الصواب.

Marfat.com

وله

تبسّم لما ان بكيت من الهجر فقلت ترى دمعى فقال بدمعى ثغرى
فديتك لما ان بكيت تنظمت بفيك لآلى الدمع عقد (١) من الدر
فلا تدعى يا شاعر الثغر صنعة ٥ فكاتب دمعى قال ذا النظم من نثرى

وله يمدح الملك الاشرف رحمه الله تعالى .

ايا عبلة الا لحاظك (٢) عنتر وما لى على غاراته فى الحشا صبر
نعم انت يا خَنساءُ خَنساءُ عصرنا وشاهد قولى أن قلبك لى صخر
اغاية قصدى بطن يمناك غاية . بها ابدا المجدى ينبت التبر (٣)
اغضت الحيا والبحر جودا فقد بكى الـ ـحياء حياء منك والنظم والبحر
عيون معانيها صحاح واعين الـ ـملاح مراض فى لواحظها كسر
اضاعت عقولا حين ضاعت (٤) فمادرى ابابل اهـدتها اليك ام السحر

وله

اذا الوهم ابدى لى لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
وتذكرنى من ادمعى وقوامها تجرّ عوالينا وتجرى السواق (٥)

وله يهجو

ولما رأيتك عند المديح جهم المحيا لنا تنطو
تيقنت نحلك لى بالندا لان الجهامة لا تمطر

---

(١) كذا وفى الفوات « عقدا » و هو الصواب (٢) كذا وفى فوات الوفيات « ايا عبلة الارداف لحظك » وهو الصواب (٣) كذا (٤) كذا ولعله ضاءت
(٥) كذا بلانقط للتاء وفى الفوات و الشذرات «مجر عوالينا ومجرى السوابق».

131663

وله فى قيّم حمّام

وقيمٍ كلمت جسمى انامله

بغير السنة تكليم خُرصان(١)

﴿ص٢ورقة ٧ب﴾ انامسك اليدمنى كاديخلعها

او سرّح الشَّعر عنـــد الغسـل ادمانى

فليس يمسك امساكا بمعرفـــة

ولا يسرّح تسريحا باحسـانِ

وله

تصدق بوصل إن دمعى سائل وزوّد فؤادى نظرة فهورا حل

فخدك موجود به التبر و الغنى وحسنك معـــدوم لديه الشمائل

ايا قمرا من شمس وجنته لنا وظل عذاريه الضحى و الاصائل

تنقلت من طرف لقلب مع النوى وهـاتيك للبدر التمام منـازل

اذا ذكرت عيناك للصبّ درونها(٢) من السحر قامت بالدليل الدلائل

جعلتك بالتمييز نصبا لنـاظرى فهلا رفعت الهجر و الهجر فاعل

ولما اضفت السحر للجفن حسنت(٣) به الكسر من غنج الجفون العوامل

اعاذل قد ابطرت حبى وحسنه فان لمتنى فيه فمـا انت عاقل

محياه قنديل لديجور شَعره تعلقه بالصدغ منها السلاسل

غدا القدّ غصنا منه تعطفه الصَّبا ولاغروإن هاجت عليه البلابل

(١) من الفوات ووقع فى «ص ٢» «خرسان» (٢) كذا بلا نقط (٣) كذا بلا نقط

Marfat.com

عبد الله بن حسن بن الحسن(١) بن على بن عبد الباقى بن محاسن ابو بكر الانصارى المعروف بالشيخ عماد الدين [بن](٢) النحاس الدمشقى كان من الفضلاء الصلحاء وله من المكانة العظيمة والحرمة الوافرة والكلمة المسموعة والقبول التام من الخاص والعام كان قد حصل له صمم فكان يحدث من لفظه بسبب ذلك ومولده فى الثانى والعشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بمصر سمع من الشيخ شرف الدين ابى سعد عبد الله ابن محمد بن ابى عصرون بدمشق وسمع من غيره بحلب واصبهان ونيسابور وكانت وفاته بدمشق فى الثانى والعشرين من صفر ودفن من يومه رحمه الله تعالى .

قال سعد الدين مسعود بن حمويه انشدنى عماد الدين عبد الله بن النحاس سنة احدى وثلاثين وستمائة .

أحبة قلبى إن عندى رسالة احب والهوى أن تؤدى إليكم
متى ينقضى هذا القطوع وينتهى واحظى شفاها بالسلام عليكم

عيسى بن احمد بن الياس بن احمد بن خليل بن محمود بن محمد بن سالم ابن سليم بن الشيخ الصالح عيسى اليونينى يوسف بن خالد بن بركة بن مبارك بن داود بن شريف بن رميح بن رباح بن كرز (٣) بن {ص ٢ و رقة ٨ الف} وبرة اليونينى الشيخ الصالح الزاهد العابد العارف المشهور صحب الشيخ الكبير عبد الله اليونينى رحمه الله وانتفع به وكان من اخص

(١) كذا فى «ص ٢» وفى ز «عبد الله بن ابى المجد الحسن بن الحسين »(٢) من ز

(٣) له ترجمة حافلة فى تاريخ جرجان ص ٢٩٥

اصحابه و اعيانهم و انقطع بزوايته شمال قرية يونين من اعمال بعلبك متوفراً على العبادة معرضا عن الدنيا و اهلها يقوم الليل و يسرد الصوم و بقى على ذلك سنين كثيرة الى ان توفى رحمه الله تعالى فى زاويته بقرية يونين فى رابع ذى القعدة و دفن بها و هو فى عشر الثمانين تقويبا

وكان من الاولياء الافراد لم يشتغل فى عمره بغير العبادة و التوجه الى الله تعالى على الوجه المشهور الذى يشهد به الكتاب و السنة و مطالعة كتب الرقائق و ما يجرى مجراها و لم يتزوج فى عمره لاستغراق اوقاته بذلك لمكنه عقد عقدة على امرأة عجوز تدعى امّ يوسف كانت تخدمه لاحتمال انه يتناول منها شيئا فتمسّ يده يدها .

و قال بعض الصلحاء قد قيل ان على قلب كلّ ولىّ نبىّ (١) من اولى العزم رجلا (١) كلما مات جعل مكانه غيره فان صحّ هذا الامر فالشيخ عيسى على قلب عيسى ابن مريم عليهما السلام لسلوكه ما يناسب طريقه من الزّهد و التحلّى فكان لا يتردد الى احد البتة و اذا حضر الى زيارته احد من ارباب الدنيا و المراتب الجليلة فى الدول كالامراء و الوزراء و غيرهم عاملهم بما يعامل به آحاد الناس، و بلغنى ان الشيخ نجم الدين البادرائى قصد زيارته فوصل الى زاويته عند صلاة المغرب فصلى الشيخ المغرب و قام ليدخل الى خلوته على عادته فعارضه بعض اصحابه فقال ياسيدى هذا الرجل مجتاز و قد قصد زيارتك وانفرد عن اصحابه وجاء الشيخ نجم الدين فسلم عليه و سأله الدعاء و شرع فى محادثته فقال الشيخ عيسى رحمه الله

(١) كذا .

Marfat.com

من زار وخفّف وتركه ودخل إلى خلوته وكان كثير المطالعة لكتب الاحاديث النبويّة وكتب الرقائق كقوت القلوب وصفة الصفوة ومناقب الابرار وغير ذلك وكان يستحضر من ذلك وغيره شيئا كثيرا فانه كان اذا طالع شيئا علق بخاطره معناه وكانت عبارته حلوة لكن كان لفظه يناسب حديث اهل قريته فربّما لحن فى بعض كلامه وكان اذا كتب الى احد من ارباب الدول وغيرهم ورقة فى حاجة سئلها اما اغاثة ملهوف اواعانة مظلوم اوتنفيس كربة احد من المسلمين كتب من أول الورقة الى حيث ينتهى الكلام ويقطعها بحيث لا يكون فيها من البياض ما يكتب فيه كلمة واحده اتباعا لما امر به من عدم الاسراف فيما لا فائدة فيه فاذا وصلت ورقته سورع الى امتثالها وحصل بها المقصود وكانت له الحرمة العظيمة عند ﴿ص ٢ ورقة ٨ ب﴾ سائر الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم والمهابة الشديدة فى صدورهم مع لطف اخلاقه ولين كلمته وله الكرامات الظاهرة واذا حضر احد من المشايخ وارباب القلوب الى يونين قصد زيارته وتأدّب معه غاية الادب اماهو فلا يمشى الى احد البتة ومن ورد من ارباب القلوب وسلك غير ذلك سلبه حاله ولقد سلب جماعة من الفقراء احوالهم فيما بلغنى وادركت بعضهم وكان والدى رحمه الله اذا خرج الى يونين طلع الى زاويته من بكرة النهار ويدخلان الى الخلوة بمفردهما ولا يدخل احد عليهما ولا يزالان كذلك الى قريب الظهر وكان بينهما وداد عظيم واتحاد زائد ومحابة فى الله تعالى جمع الله بينهما فى دار كرامته وكنت ايام مقام والدى رحمه الله

Marfat.com

تعالى بقرية يونين اغشاه و ازوره كثيرا فيقبل علىّ و يتلطف خلاف ما عادته ان يعامل به غيرى واما اذا كنت ببعلبك فاتردد الى زيارته فى الاحيان فلما كانت هذه السنة كان و الدى رحمه الله يأمرنى كل وقت بقصد زيارته كأنه استشعر قرب اجله و احس به فكنت بعد كل يوم اتردده اليه فقصدته مرة فى اول شوال من هذه السنة و معى ناصرالدين على بن فرقين والشمس محمد بن داود رحمهما الله فد خلنا عليه و ليس عنده غيرنا و شرع يحدثنا واسترسل فى الحديث وغاب و استغرق و هو يحدثنا عن غير قصد منه لذلك ثم افاق من غيبته فقطع الحديث فسألناه اتمامه و الححنا عليه فى السؤال فانشد .

من ساررروه فابدى السر مشتهرا لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا
وابعـــدوه فـــلم يحظ بقربهم و بدّلوه مكان الانس ايحاشا

وكان مضمون الحديث انه جاءه من رجال الغيب من اخبره بدنو اجله او ما هذا معناه و ان كنت الآن لا احقق جميع الحديث على وجهه فاتفق مرضه فى اواخر الشهر المذكور و بقى على ذلك اياما و اهل البلد من الرجال و النساء يترددون الى زيارته و اعادته و يغتنمون بركته الى ان توفى الى رحمة الله و رضوانه فى التاريخ المذكور فلما وصل خبر وفاته الى بعلبك لم يبق فى البلد الا القليل و خرج الناس لشهود جنازته و الصلاة عليه فكان الناس منتشرين من المدينة الى يونين و المسافة فرق فرسخين اما و الدى رحمه الله فانه حصل له من الحزن و الكآبة الوجوم لموته مالا مزيد عليه و امرنى بالمبادرة لحضور دفنه فبادرت

Marfat.com

الى ذلك و لما اجتمع ﴿ص ٢ و رقة ٩ الف﴾ غسل و كفن و صلى عليه و دفن الى جانب عمه الشيخ عبد الخالق رحمه الله و كان الشيخ عبد الخالق المذكور من الصلحاء الاوليا الزهاد العباد و هو من اعيان اصحاب الشيخ عبدالله الكبير رحمه الله تعالى و قد ذكرنا نسب الشيخ عيسى و سقناه الى كرز بن و برة رحمة الله عليه حسب ما كتبه لى محمد بن اسماعيل بن احمد بن الياس بن اخى الشيخ عيسى رحمه الله و كان كرز بن و برة الكوفى من الطبقة الرابعة من اهلها و كان زاهدا عابدا خائفا مجتهدا يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر فيضربونه حتى يغشى عليه و سأل الله تعالى ان يعطيه الاسم الاعظم على أن لايسأل به من الدنيا شيئا فاعطاه الله ذلك فسأل الله ان يقويه على ختم القرآن فكان يختمه فى اليوم و الليلة ثلاث مرات و لم يرفع رأسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله تعالى و قال ابو سلمان(١) المكتب صحبت كرزا الى مكة فكان ينزل فيصلى فرأيت يوما سحابة تظلله و كان يوما شديد الحر فقال اكتم علىّ فخلفت له و ما حدثت به احدا حتى مات، و روى ابو نعيم عنه انه دخل عليه و هو يبكى فقيل له ما يبكيك فقال بابى مغلق و سترى مسبل و منعت حزبى ان اقرأه البارحة و ما ذاك الامن ذنب احدثته و كانت و فاته فى سنة تسع و اربعين و مائة و لما رأى رجل فيما يرى النائم كأن اهل القبور جلوس على قبورهم و عليهم ثياب جدد فقيل لهم ما هذا قالوا ان اهل القبور كسوا ثيابا جددا لقدوم كرز عليهم، اسند كرز عن طاوس و عطاء و الربيع بن خثيم

(١) كذا وفى تاريخ جرجان « سليمان » .

و القرظى

Marfat.com

و القرظى و غيرهم وكان سكن جرجان رحمة الله عليه قلت و الشيخ عيسى عريق فى الصلاح نفع الله تعالى به و بالصالحين من سلفه، حدثنى ابو طالب بن احمد بن ابى طالب اليونينى غير مرة ما معناه ان الشيخ عيسى رحمه الله اخبره ان ملك بنى ايوب يزول و تنقطع دولتهم قال فقلت له من يملك بعدهم قال الترك المماليك و يفتحون الساحل بحيث لا يبقى للفرنج فى ساحل الشام شيء اصلا و ذكر كلاما آخر و هذا سمعته من المذكور قبل فتوح صفد و غيرها و حكى لى المذكور ما معناه ان عبدالله ابن إلياس النصرانى من اهل قرية الرأس قال له رحت الى طرابلس فقال لى بعض الجبالة عندى اسير من بلادكم تشتريه فرحت معه الى منزله فوجدت الاسير سهل من قرية رعبان (١)، فحين رآنى تشبث بى و قال لا تخلى عنى اشترنى وانا اعطيك ثمنى حال وصولى الى رعبان (١) فاشتريته بستين دينارا صورية وجبته الى رعبان (١) فلم يكن له و لاولاده ما ﴿ص ٢ و رقة ٩ ب﴾ يأكلون تلك الليلة فندمت و حرت فى امرى فقال لى اهل القرية نحن فى البيادر نجمع لك ثمنه فضاق صدرى و اتفق أنى جئت الى يونين فرأيت الشيخ عيسى و هو خارج من الطهارة و لم اكن رأيته قبل ذلك فحين رآنى قال انت الذى اشتريت سهل قلت نعم فشرع يحدثنى و يسألنى عن الصورة و هو متوجه الى زاويته و انا معه

(١) من نز ووقع فى « ص ٣ » « رعيان » وبهامش نز « فى الاصلين رعيان » بالياء آخر الحروف والتصحيح عن السلوك وعيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان .

Marfat.com

فلما وصل الى السياج الذى على ظاهر الزاوية طلب فقيرًا من داخل السياج وقال له ابصر فى الزاوية ورقة تحت اللباد الذى لى احضرها قال النصرانى فتوهمت انها كتاب كتبه الى من يعطينى شيئا من وقف الأسرى او غيره فاحضر ذلك الفقير ورقة ناولها الشيخ فناولنى اياها فوجدتها ثقيلة فقال خذ هذا فابعدت عنه وفتحت الورقة فوجدت فيها الستين دينارا التى وجدتها (١) فى الاسير بعينها فتحيرت واخذتها وانصرفت قال ابوطالب فقلت له لم لا اسلمت فقال، ما اراد الله وحكى لى الشيخ عمران حمل رحمه الله بقرية بقرصونا من جبل الطينين فى شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وست مائة بعد منصرفى من ظاهر طرابلس بعد فتحها وقد بت عنده وجرى حديث التفاح وقد أكلته الدودة ويبست معظم اشجاره عندهم فقال ما معناه كانت الدودة قد ركبت اشجار التفاح عندنا بحيث اعطبتها فشكونا ذلك الى الشيخ عيسى رحمه الله وسألناه أن يكتب لنا حرزا فاعطانا ورقة مطوية صورة حرز فشمعناها وعلقناها على بعض الاشجار فزالت الدودة عن الوادى باسره واخصبت اشجار التفاح بعد يبسها وحملت حملا مفرطا وبقينا على ذلك سنين فى حياة الشيخ وبعد وفاته ثم خشينا ضياع الحرز وقلنا ننسخه فازلنا عنه الشمع وفتحناه فاذا هو قطعة من كتاب ورد على الشيخ من بعض اهل حماة فقدمنا على فتحه ثم شمعناه واعدناه الى مكانه فجاءت الدودة وركبت الاشجار واعطبتها واستمر الحال على ذلك وحكى لى الحاج على بن ابى بكر بن دلفة

(١) كذا ولعله نقدتها.

اليونيني ما معناه قال كان و الدى و ابن عمك نور الدولة على بن عمر بن نيار(١) رحمه الله قد اتفقنا على عمارة حمام بقرية يونين و حصلوا بعض الآته و هيأوا المكان الذى يعمر فيه و اهتموا بذلك و اتفق انهما طلعا الى عند الشيخ عيسى و انا معهما فقال لهما للشيخ رحمه الله بلغنى انكم تريدون تعمروف حماما فى هذه القرية و هذا لا تفعلوه و اتركوا ﴿ص ٢ ورقة ١٠ الف﴾ عمارته فما و سعهم الا ان قالوا السمع و الطاعة و قاموا من عنده فلما ابعدوا عنه قال احدهما للآخر كيف نعمل بهذه الآلات فقال له صاحبه الشيخ عيسى رجل كبير ما يخلد نصبر فمتى مات عمر ناه فطلبها الشيخ اليه و قال كأنى بكم قد قلتم كذا و كذا و انكم تعمرون الحمام بعد موتى و هذا ما يصير و لا يعمر فى هذه القرية حمام لا فى حياتى و لا بعد موتى فاعتذروا اليه مما قالوا و فارقوه على ذلك قلت فانا و الله رأيت الامير جمال الدين التجيبى(١) رحمه الله نائب السلطنة بالشام فى اوائل الدولة الظاهرية وكان معهم مقطع معظم يونين قد اهتم بعمارة حمام فى القرية و اشترى القدور و سائر الآلات و لم يبق الا عمارته ثم اتفق ما صرفه عن ذلك ثم انتقل الخبر الى الامير عز الدين ايدمر الظاهرى متولى نيابة السلطنة بالشام بعده فشرع فى ذلك و اهتم به كهمة الامير جمال الدين و اكثر و حفر الاساس ثم بطل ذلك بموانع سماوية و اظن اميرا آخر غيرهما اقطع فى القرية فعزم على مثل ذلك فلم يتم و صح قول الشيخ رحمه الله تعالى و حدثنى المغربى(١) عامر بن يحيى بن ريان بمنزلى بقرية يونين فى ثانى

(١) بلا نقط فى «ص ٢» .

وعشرين ذى القعدة سنة اثنتين و تسعين وستمائة ما معناه قال قدم الشيخ عثمان رحمه الله من ديرناعر الى بعلبك و والدك رحمه الله فى يونين و قصده وخرجت فى خدمته فطرقت باب هذه الدار و استأذنت على و الدك رحمه الله و دخلت اليه و قلت يا سيدى الشيخ عثمان قد حضر الى خدمتك قال يدخل فلما دخل تلقاه و الدك و رحب به و جلسا يتحدثان و حضر شيء للأكل فأكلا و من عندهما فلما شيل السماط قال و الدك للشيخ عثمان ما تطلع تزور اخاك الشيخ عيسى قال اطلع فى خفارتك قال نعم فى خفارتى قال و طلع و انا معه فلما و صل الى زاوية الشيخ عيسى تلقاه و اعتنقه و بالغ فى الترحيب به و جلسا يتحدثان زمنا طويلا و ودعه الشيخ عثمان و نزل الى عند و الدك الى هذه الدار فلما دخل عليه قال له و الدك كيف رأيت قال له يا سيدى كل خير قال عامر فسألت الشيخ عثمان بعد ذلك عن توقفه عن الطلوع الى الشيخ عيسى حتى اجاره و الدك فقال يا ولدى قدمت هذه القرية من سنين بعد و فاة الشيخ عبد الله الكبير رحمه الله بسنيات و نمت فى المرح الذى فى الزوايا فلما مضى بعض الليل قمت لأجدد الوضو فى الطهارة فحين خرجت الى الطريق و جدت ثعبانا عظيما فتح فاه و كاد يبتلعنى فصرخت (ص ٢ ورقة ١٠ب) و قلت ياسيدى الشيخ عبد الله انا فى جيرتك و فى حسبك فلم استتم كلامى الا والشيخ عبدالله و اقف بينى و بين الثعبان و بيده حربة و ضرب الثعبان بين كتفيه بيده و قال مالك يانحيس ضيف و ارد عليك تفعل معه هذ اذا بذلك الثعبان هو الشيخ عيسى فطلع الى

Marfat.com

زاويته فهذا سبب قولى الذى سمعت ولو لم يجرنى سيدى الشيخ الفقيه منه لما طلعت اليه وكرامات الشيخ عيسى كثيرة رحمه الله ورضى عنه .

عيسى بن ظاهر بن نصر الله بن جميل ابو محمد الحلبى الحاجب (١) ﴿ ١٢ ب ﴾ واظن لقبه القطب كان قيما بالفرائض والحساب والاوقاف وله مشاركة فى غير ذلك من العلوم ولد بحلب فى سادس محرم سنة اربع وثمانين وخمسمائة وانتقل الى القدس الشريف مع ابيه واقام به مدةً ثم عاد الى مدينة دمشق واقام بها الى سنة اربع واربعين وستمائة ثم انتقل الى مدينة حلب واقام بها الى ان توفى بها فى ليلة الخميس مستهل شهر رمضان هذه السنة رحمه الله تعالى .

المبارك بن ابى بكر بن احمد بن حمدان (٢) بن غلبوك بن ماجد بن الحسين بن على بن حامد ابو البركات جمال الدين المعروف بابن الشعار المؤرخ الموصلى مولده بالموصل فى مستهل صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وتوفى بحلب يوم الاحد سابع جمادى الآخرة هذه السنة وهو مؤلف عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان رحمه الله تعالى .

محمد بن الحسن بن عبد السلام بن عتيق بن محمد بن محمد ابو بكر التميمى السفاقى الاسكندرى المولد والدار المالكى العدل المعروف بابن المقدسية ولد فى نصف المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وحضر

---

(١) الى هنا انتهت السقطة الكبيرة من نسخة « ص ١ » واثبتنا ها من نسخة « ص ٢ » على ما فيها من اغلاط وصححنا ما ظهر لنا (٢) فى « ص ٢ » « بن حمد ان بن احمد » .

Marfat.com

الحافظ ابا طاهر احمد بن محمد السلفى وسمع من ابى القاسم هبة الله ابن البوصيرى وغيره وهو آخر من بقى من اصحاب السلفى وناب فى الحكم ﴿١٣ الف﴾ بالاسكندرية مدة وتوفى بها فى ثالث جمادى الاولى ودفن بمقبرة دعلة رحمه الله تعالى .

محمد بن خزرج بن ضحاك بن خزرج ابو السرايا الانصارى الخزرجى الدمشقى الكاتب سمع من ابى اليمن الكندى وابى القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستانى وحدث وتوفى بتل باشر فى الثانى والعشرين من جمادى الاولى ويسمى سرايا ايضا رحمه الله تعالى .

محمد بن الفضل بن عقيل بن عثمان بن عبد القاهر بن الربيع بن سليمان بن حمزة بن طاهر بن محمد بن الحسن بن جعفر بن ابراهيم بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابو طالب الهاشمى العباسى سمع من ابى طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى وحدث ولد فى احدى الجمادين سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق وتوفى بها فى سادس عشر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى .

محمد بن يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد بن غالى بن محمد بن على ابو حامد بن ابى الوليد القرشى العيدى السبتى (١) المصرى ابوه الدمشقى سمع من ابى على الحسن بن عبد الله المكبر وحدث وحكم بدمشق نيابة عن ابيه ودرس بالمدرسة الشامية وكان والده قاضى القضاة ﴿١٣ ب﴾ جمال الدين ابو الفضائل المصرى رحمه الله من اعيان الحكام واماثلهم

(١) كذا فى « ص ١ » وفى « ص ٢ » « الشيبى » .

مشكور

Marfat.com

مشكور السيرة محمود الطريقة لين الجانب كثير التقوى و الديانة وكان يباشر وكالة بيت المال بدمشق اولا ثم ولى الحكم بها بعد ذلك توفى ابو حامد في نصف شهر رجب بدمشق و دفن بجبل قاسيون و مولده فى العشرين من صفر سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة قال شرف الدين عمر بن خواجا امام الفارسى انشدنى تاج الدين ابوحامد [محمد -](١) ابن يونس لنفسه دو بيت .

لما هجروا واصل جفنى سهرى، قوم غدروا و اورثونى فكرى
عما نبتهم قالوا تعشق بدلا و اختر عوضا فقلت ردوا عمرى

وله ايضا

يا عيسهم ان جزت وادى العلمى بالله قفى عساك ترى سقمى
و رقى لصب ما كان يرضى ابدا بالوصل غدا يرقب طيف الحلم

وله ايضا

سحت (٢) بدموعها وسحت (٢) بدمعى اجفان ظنن(٣) الليس ثوب السقم
راض بغرامه ينادى ابدا فى محنته يا نعمة الحب دمى

وله

ماتم على المجنون ماتم على لما بعث الحبيب بالعتب على(٤)
يا من عتبوا على كئيب دنف هل ينفع عتبكم اذا لم اك حى

---

(١) من «ص ٢» (٢) كذا فى «ص ١» وفى «ص ٢» «سجب» ولعله شحت .. وسخت (٣) كذا فى «ص ١» وفى «ص ١» «صنن» كذا (٤) كذا ولعله الى .

Marfat.com

﴿١٤ الف﴾ و قال

اروى خبرا يعرفه كل فقيـــه الخمر حلال من ثناياه و فيـــه
قد ارشدنى الحاكم فى عشقـــه ان اتركه يقال لى انت سفيـــه

و قال

بابى و بى طيف طرق عـــذب اللمى و المعتنق
ما إن مددت (١) يدى اليـــه معانقا حتى ابق
ثم انتبهت فما وجـــد ت سوى الصبابة و الحرق
فلأى عقـــل ما سبـا ولأى قلب ما سرق
و طفقت انشد بعـــده ولواء قلبى قد خفق
اوحشت جفنى يا كرا و حرمت انسك يا ارق
يا شمس قلبى فى هواك عطـارد و قـــد احترق
فى نون صدغك حرف اى الـــكاتبين لها مشق
اخجلت خـــد الورد منـــك بوجنة (٢) مثـل الشفق
حتى تقطر دائبـا و علامة الخجل العرق
يا قوم من لمتيم رفتكت به سود الحدق
و بقلبه من لم يدع رمقا له لما رمق
شتان ما اشتملت لوا حظـــه عليه وما امتشق
ملك الملاح ترى العيو ن عليـــه دائرة نطق
و مخيم بـــين الجفو ن و فى الفؤاد له سبق

(١) فى «ص ٢» «مديت» كذا (٢) كذ فى «ص ٢» و وقع فى «ص ١» بوجه.

Marfat.com

﴿١٤ب﴾ فاز الوشاح بضمه وخليت انا فى القلق
قيدتْ قلبى فى هواه فخاف دمعى فانطلق

يعقوب بن ابى بكر محمد بن ايوب بن شاذى(١) ابو اسحاق الملك المعز محى الدين بن الملك العادل سيف الدين كان شقيق الملك المظفر شهاب الدين غازى وله الحرمة العظيمة فى الدول وكان بخلاط لما اخذها خوارزم شاه من الملك الاشرف رحمه الله تعالى فاخذه اسيرا ثم اطلقه بعد ذلك واجاز له جماعة من الحفاظ منهم ابو الحسن المؤيد بن محمد الطوسى وغيره وحدث وتوفى بدمشق فى سادس عشر ذى القعدة ودفن من يومه بقبر والده الملك العادل بمدينة دمشق رحمه الله تعالى قال سيف الدين مسعود بن حمويه انشدنى الملك المظفر نجم الدين يعقوب المذكور سنة تسع وعشرين وستمائة .

اذا ماجرى من جفن غيرى إدمع . جرت من جفونى ابحر وسيول
ووالله ما ضاعت دموعى فيكم ولوان روحى فى الدموعِ تسيل

اتفق اهل التاريخ على ان نجم الدين ايوب رحمه الله من دوين وهى فى آخر عمل اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج (٢) وانهم اكراد رواديه والروادية بطن من الهذبانية وهى قبيله كبيرة وقيل ان على باب دَوين قرية يقال لها اجدايقال (٣) ﴿١٥ الف﴾ وجميع اهلها اكراد رواديه ومولد نجم الدين بها وكان شادى اخذ ولديه نجم الدين ايوب

(١) تقدم شادى (٢) كذا فى «ص ١» وفى «ص ٢» «الكرخ» (٣) «ص ٢» يعان بلا نقط

واسد الدين شيركوه وخرج بهما الى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شادى بتكريت وعلى قبره قبة داخل البلد وقال قاضى القضاه شمس الدين احمد بن خلكان رحمه الله لقد تتبعت نسبهم كثيرا فلم اجد احدا ذكر بعد شادى ابا آخره حتى انى وقفت على كتب كثيرة باوقاف واملاك باسم شيركوه وايوب فلم ار فيها سوى شيركوه بن شادى وايوب بن شادى لاغير ورأيت مدرجا رتبه الحسن بن غريب بن عمران الحوشى وقد سمعه عليه الملك المعظم عيسى وولده الملك الناصر داود رحمهما الله تعالى وهو يتضمن ان ايوب بن شادى بن مرون (١) ابن ابى على بن عنترة بن الحسن بن على بن احمد بن [ابى] (٢) على بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن اسامة بن [بيهس - ٣] بن الحارث صاحب الحمالة بن عوف بن ابى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم رفع فى النسب الى آدم عليه السلام ثم ذكر ان على بن احمد بن [ابى] (٢) على بن عبد العزيز يقال انه ممدوح المتنبى ﴿١٥ ب﴾ ويعرف بالخراسانى وفيه يقول من قصيدة .

شرق الجو بالغبار اذا سا ر على بن احمد القمقام

واما حارثة (٤) بن عوف بن ابى حارثة صاحب الحمالة فهو الذى حمل

---

(١) كذا فى «ص ١» وفى «ص ٢» «مروان» ومثله فى ابن خلكان (٢) ليس فى ابن خلكان (٣) من «ص ٢» (٤) تقدم «الحارث» خطأ .

Marfat.com

الدماء بين عيسى.....(١) و شاركه فى الحمالة خارجة بن سنان اخو هرم بن سنان و فيهما يقول زهير بن ابى سلمى المدنى قصائدمنها قوله.

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة و البذل
وهل ينبت الخطى الاوشيجه وتغرس الافى منابتها النخل (٢) .

قلت و قدكان المعز فتح الدين اسماعيل بن سيف الاسلام طغتكين ابن ايوب بن شادى ملك اليمن ادعى نسبا فى بنى امية و ادعى الخلافة و بلغ ذلك عمه الملك العادل رحمه الله فانكر ذلك و قال ليس لهذا اصل و سمعت الملك الامجد تقى الدين عباس بن العادل رحمه الله و قد جرى ذكر نسبهم و قول بعض الناس انهم من بنى اميّة ينكر ان يكون لهم نسب فى بنى اميّة و قال ما معناه لو كان عمى صلاح الدين رحمه الله قرشيّا لولى الخلافة فان شروطها اجتمعت فيه ما عدى النسب و كان نجم الدين ايوب رحمه الله قد جعله عماد الدين زنكى دوادار بيعلبك لما فتحها و فى قلعة بعلبك ولد له الملك العادل سيف الدين ابو بكر رحمه الله ﴿١٦ الف﴾ والد صاحب هذه الترجمة و الله اعلم .

يوسف بن قزأوغلى بن عبد الله ابو المظفر شمس الدين البغدادى الواعظ المشهور سبط ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله كان والده حسام الدين قزعلى من مماليك الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة رحمه الله وكان عندهم بمنزلة الولد فاعتقه و خطب له ابنة الحافظ

(١) بياض فى النسختين و لعله « عبس و ذبيان » كما فى وفيات الاعيان (٢) كذا فى « ص ١» و هو المعروف و وقع و« ص ٢ » النجل .

Marfat.com

جمال الدين وكانت قد تأيمت بوفاة زوجها [لبي عددها] (١) فلم يمكن الشيخ جمال الدين الا اجابة الوزير الى ذلك فزوجها منه فاولدها شمس الدين المذكور فلما ترعرع اجتذبه جده اليه و اشغله و تفقه و اسمعه الكثير عليه و على غيره وكان اوحد زمانه فى الوعظ حسن الايراد ترق لرؤيته القلوب و تذرف لسماع كلامه العيون و تفرّد بهذا الفنّ و حصل له فيه لقبول التام و فاق فيه من عاصره و كثيرا ممن تقدمه حتى انه كان يتكلم فى المجلس الكلمات اليسيرة المعدودة او ينشد البيت الواحد من الشعر فيحصل لاهل المجلس من الخشوع و الاضطراب و البكاء مالا مزيد عليه فيقتصر على ذلك القدر اليسير و ينزل فكانت مجالسه نزهة القلوب و الابصار يحضرها الصلحاء و العلماء و الملوك و الامراء و الوزراء وغيرهم و لا يخلو المجلس من جماعة يتوبون ويرجعون ﴿١٦ب﴾ الى الله تعالى و فى كثير من المجالس يحضر من يسلم من اهل الذمة فانتفع بحضور مجالسه خلق كثير وكان الناس يبيتون ليلة المجلس فى جامع دمشق و يتسابقون على مواضع يجلسون فيها لكثرة من يحضر مجالسه وكان يجرى فيها من الطرف و الوقائع المستحسنة و الملح الغريبة ما لا يجرى فى مجالس غيره ممن عاصره و تقدم عصره ايضا وكان له الحرمة الوافرة و الوجاهة العظيمة عند الملوك و غيرهم من الامراء و الاكابر و لا ينقطعون عن التردد اليه و هو يعاملهم بالفراغ منهم و مما فى ايديهم و ينكر عليهم فيما يبدو منهم من الامور التى يتعين فيها الانكار وهم يتطفلون عليه

(١) من «ص ٢» كذا.

Marfat.com

وكان فى اول امره حنبلى المذهب فلما تكرر اجتماعه بالملك المعظم عيسى ابن الملك العادل رحمهما الله اجتذبه اليه و نقله الى مذهب ابى حنيفة رحمة الله عليه وكان الملك المعظم شديد التغالى فى مذهب ابى حنيفة فغض (١) ذلك الشيخ شمس الدين عند كثير من الناس و انتقدوه عليه حكى لى بعض الفقراء ارباب الاحوال قال له و هو على المنبر اذا كان الرجل كبيراً مايرجع عنه الا لعيب ظهر له فيه و اى شىء ظهر لك فى الامام احمد حتى رجعت عنه فقال له ، اسكت فقال اما انا ، فقد سكت و اما انت ، فتكلم فرام الكلام فلم ﴿١٦ الف﴾ (٢) يستطعه و لا قدر عليه فنزل عن المنبر و مع ذلك كان يعظم الامام احمد رحمة الله عليه و يبالغ فى المغالاة فيه و توفيته بعض ما يستحق وعندى انه لم ينتقل عن مذهبه الا فى الصورة الظاهرة و الله اعلم - و مع هذا فكان له القبول التام من الخاص و العام من اهل الدنيا واهل الآخرة وكان لطيف الشمائل ، ظريف الحركات ، حسن المعاملة لسائر الناس محبوباً اليهم معظما فى صدورهم وكان عنده فضيلة تامة ومشاركة فى العلوم جمة ولو لم يكن من ذلك الا التاريخ الذى الفه وسماه بمرآة الزمان وهو بخطه فى سبعة وثلاثين مجلدا ، جمع فيه اشياء مليحةً جداً واودعه كثيرا من الاحاديث الشريفة النبوية صلوات الله و سلامه على قائلها - وجملة من اخبار الصالحين و قطعة كبيرة من الاشعار المستحسنة وسلك فى جمعه مسلكا غريبا وهو من اول الزمان الى اوائل سنة اربع

(١) « ص ١ » « فغاض » (٢) تكرر رقم ورقة ١٦ فى « ص ١ » .

Marfat.com

وخمسين وستمائة هذه السنة التى توفّى فيها الى رحمة الله تعالى، وكنت اختصرته كما ذكرت فى خطبة هذا المذيل ثم خطر لى ان اذيل عليه فشرعت فى تعليق الحوادث والوفيات حسب ما نمى الى علمى لاستقبال هذه السنة، وبالله التوفيق والله المستعان .

وللشيخ شمس الدين المذكور رحمه الله (١٦ ب) تصانيف اخر مفيدة فى انواع من علوم شتّى و مولده سنة احدى وثمانين وخمسمائة تقريبا و ذكر قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان رحمه الله عنه انه قال ذكرت والدتى ان مولدى فى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة و قال لى خالى محى الدين يوسف انه فى سنة احدى وثمانين قال وكان مولدى فى رجب سمع ببغداد من جده الامام ابى الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب وابى محمد عبد الله بن احمد بن ابى المجد و ابى حفص عمر بن محمد ابن طبرزد و الحافظ ابى محمّد عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وغيرهم و بالموصل من ابى طاهر احمد وابى القاسم عبد المحسن ابنى عبد الله الطوسى وغيرهما و بدمشق من شيخ الاسلام موفّق الدين ابى محمّد بن عبد الله ابن احمد بن محمّد بن قدامة المقدسى ومن العلامة ابى اليمن زيد بن الحسن الكندى وغيرهما و سمع بغير هذه البلاد من جماعة من المشايخ وحدث بدمشق و بالديار المصرية و غيرها وكان احد العلماء المشهورين محمود الفضائل و توفّى ليلة الثلاثاء ثلث الليل العشر من ذى الحجة او الحادى و العشرين منه بمنزله بجبل الصالحية ظاهر دمشق و دفن هناك و حضر جنازته

Marfat.com

جنازته الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف رحمه الله سلطان الشام اذ ذاك ﴿١٧ الف﴾ وسائر الامراء والاكابر وغيرهم من النـاس ودرس بالمدرسة الشبلّية مدةً وبالمدرسة [البدريّة] (١) الحسنّية وبالمدرسـة المعزّية التى على شرف الميدان من جهة الشمال وكان اماما عالمـاً فاضلاً منقطعاً عن الناس والتردد اليهم متواضعا ليّن الكلمة لزم فى آخر عمره ركوب الحمار من منزله بالجبل الى مدرسته والى غيرها مقتصدا فى لباسه مواظبا على المطالعة والاشتغال والتصنيف منصفا لاهل العلم والفضل مباينا لاهل الزيغ والجهل ويأتى الملوك وارباب الدول الى بابه زائرين وقاصدين ومتأنسين بمحادثته والاقتباس من فوائده وعاش طول عمره فى جاه طويل عريض وعيش رقيق الحواشى جعل الله ذلك مواصلا بنعيم الآخرة وسعادتها السرمدية وولده عزالدين كان عنده فضيلة ووعظ بعده فلم يكن يدانيه فى ذلك وبقى سنيات يسيرة ثم توفّى الى رحمة الله تعالى وسيأتى ذكره أن شاء الله تعالى وخلف ولدا صغيراً فلم يكن له من يربيه ويقوم بأمره فنشأ على غير طريقة سلفه وخدم بعـض ذرية الملك المعظم عيسى رحمه الله كاتباً وغيرهم وهو الى الآن على ذلك .

ابوالحسن يوسف (١) بن ابى الفوارس بن موسك الامير سيف الدين القيمرى واقف الماستان بجبل الصالحية ﴿١٧ ب﴾ ومدفنه فى القبة المقابلة له من جهة الشمال بينهما الطريق كان اكبر الامراء فى آخر

(١) من «ص ٢» (٢) من نز ووقع فى النسختين زيادة «بن» .

عمره و اعظمهم مكانة و اعلاهم همة و جميع امراء الاكراد من القيمرية و غيرهم يتأدبون معه و يقفون فى خدمته و هم بين يديه كالاتباع مطاعا فيهم ولم يزل على ذلك الى ان توفى الى رحمة الله تعالى فى ليلة الاثنين ثالث شعبان من هذه السنة اعنى سنة اربع وخمسين و ستمائة رحمه الله تعالى وكان كثير البر و المعروف و الصدقة ولو لم يكن له من ذلك الا المارستان الذى ضاهى به مارستان نورالدين رحمه الله تعالى لكفاه .

حكى لى شجاع الدين محمد بن شهرى رحمه الله ما معناه ان الامير سيف الدين المذكور رحمه الله كان تزوج ابنة الامير عز الدين بن المحلى(١) رحمه الله على صداقٍ كبيرٍ و جهزت بجهاز كثيرٍ و استصحبها معه الى الديار المصرية فتوفيت هناك عن غير ولد فلما ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد رحمهما الله تعالى دمشق و الشام حضر الامير سيف الدين من الديار المصرية الى خدمته واخذ قماش زوجته المتوفاة و جهازها و مالها من الفضيات و المصاغ و غير ذلك و حمله على عشرين بغلا و وزن باقى صداقها و مائتى الف درهم و جعلها فى صناديق و حملها على البغال و سير الجميع الى الامير نور الدين ﴿ ١٨ الف ﴾ على بن المحلى(١) بحكم انه و ارثها مع زوجها فلما وصل ذلك الى الامير نورالدين انكره غاية الانكار ورده وقال لرسوله الاكراد ما جرت عادتهم يأخذوق صداقه و لا ميراثا فلما عاد ذلك الى الامير سيف الدين قال هذا شئ خرجت عنه

---

(١) من نز و يها مشه « المجلى » عن المنهل الصافى وكذا فى « ص ١ » .

Marfat.com

وما يعود الى ملكي وصرفه جميعه فى بناء المارستان واوقافه وتصدّق به .

سنة خمس وخمسين وستمائة

استهلت هذه السنة والخليفة والملوك على ما كانوا عليه فى السنة الخالية وفى شهر رمضان منها توجه الملك العزيز بن الملك الناصر الى هولاكو بهدية سنيّة جليلة وكان فى خدمته الامير سيف الدين ابراهيم الجاكى والحافظى وغيرهما وفيها اشتهر أن الملك المعز صاحب مصر قد عزم على ان يتزوج ابنة بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل وانه قد تردد بينهما الرسائل فى ذلك وبلغ زوجته شجر الدر وكانت جارية الملك الصالح نجم الدين ايوب وام ولده خليل فعظم ذلك عليها وعزمت على الفتك به واقامة غيره فى الملك فطلبت صفى الدين ابراهيم بن مرزوق وكان مقيما بالديار المصرية وله تقدم فى الدول ووجاهة عند الملوك فاستشارته فى ذلك ووعدته ان يكون الوزير الحاكم (١٨ ب) فى الدولة فانكر عليها ذلك ونهاها عنه فلم تصغ الى قوله وطلبت مملوكها الطواشى محسن الجوجرى (١) الصالحى وعرفته ماعزمت عليه ووعدته الوعد الجميل ان قتله واستدعت جماعة من الخدام الصالحية واطلعتهم على هذا الامر واتفقت معهم عليه فلما كان يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الاول لعب الملك المعز بالكرة فى ميدان اللوق الى آخر النهار ثم صعد الى قلعة الجبل

(١) كذا فى النسختين وفى نز «الجوهرى».

Marfat.com

والامراء فى خدمته و وزيره شرف الدين الفائزي والقاضى بدرالدين السنجارى فلما دخل القلعة وفارقه الموكب وصار الى داره اتى الى حمام الدار ليغتسل فيه فلما خلع ثيابه وثب عليه سنجر مملوك الجوجرى(١) والخدام فرموه الي الارض وخنقوه وطلبت شجرالدر الصفى بن مرزوق على لسان الملك المعز فركب حماره وبادر وكانت عادته يركب الحمار فى الموكب السلطانى وغيره مع عظم مكانته وكثرة اموواله ودخل القلعة من باب سرفتح له وادخل الدار فرأى شجر الدر جالسة والملك المعز بين يديها ميتا فاخبرته الخبر فعظم عليه وخاف خوفا شديدا واستشارته فيما تفعل فقال ما اعرف ما اقول وقد وقعت فى امر عظيم ما لك منه مخلص وكان الامير جمال الدين ايد غدى العزيزى معتقلا فى بعض الآدر مكرما فاحضرته فى تلك الليلة وطلبت منه ان يقوم بالامر فامتنع وسيرت فى تلك ﴿١٩ الف﴾ الليلة اصبع الملك المعز وخاتمه الى الامير عز الدين الحلبى الكبير وطلبت منه ان يقوم بالامر فلم يجسر على ذلك وانطوت الاخبار عن الناس تلك الليلة ولما كان سحر يوم الاربعاء الرابع والعشرين منه ركب الامراء والاكابر الى القلعة على عادتهم وليس عندهم خبر مما جرى ولم يركب الفائزى فى ذلك اليوم وتحيرت شجر الدر فيما تفعل فارسلت الى الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز تقول له عن ابيه انه ينزل الى البحر فى جمع من الامراء لاصلاح الشوانى التى تجهزت للمضى الى دمياط ففعل وقصدت بذلك ان يقل من على الباب لتتمكن مما

(١) تقدم ما فيه قريبا .

Marfat.com

تريد فلم يتم مرادها .

ولما تعالى النهار شاع الخبر بقتل الملك المعز واضطربت الناس فى البلد واختلفت اقاويلهم ولم يقفوا على حقيقة الامر وركب العسكر الى جهة القلعة واحد قوابها ودخلها مماليك الملك المعز والامير بهاء الدين بغدى الاشرفى مقدم الحلقة وطمع الامير عزالدين الحلبى فى التقدم وساعده على ذلك جماعة من الامراء الصالحية فلم يتم لهم مرادهم ثم استحضر الدين فى القلعة الوزير شرف الدين الفائزى واتفقوا على تمليك الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز وعمره يومئذ نحو خمس عشرة سنة فرتبوه فى الملك ونودى فى البلد بشعاره وسكن الناس وتفرقت الامراء الصالحية ﴿ ١٩ ب ﴾ الى دورهم ولما كان يوم الخميس خامس وعشرين الشهر وقع فى البلد خبط عظيم وركب العسكر الى القلعة واتفق رأى الدين فى القلعة على نصب الامير علم الدين سنجر الحلبى المعروف بالمشد اتابكا للملك المنصور واستحلفوا العسكر له وحلف له الامراء الصالحية على كره من اكثرهم وامتنع الامير عزالدين الحلى ثم خاف على نفسه فحلف وانتظمت الامور .

وفى يوم الجمعة سادس وعشرين منه خطب للملك المنصور بمصر والقاهره واما شجر الدر فامتنعت بدار السلطنة هى والذين قتلوا الملك المعز وطلب مماليك المعز هجوم الدار عليهم فحالت الامراء الصالحية بينهم وبين ذلك فأمنها مماليك المعز وحلفوا لها انهم لا يتعرضون لها بمساءة

ولما كان يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرجت من دار السلطنة

Marfat.com

الى البرج الاحمر و عندها بعض جواريها و قبض على الخدام و اقتسمت الجوارى فكان نصر العزيزى الصالحى هو احد الخدام القتلة قد هرب يوم ظهور الواقعة الى الشام واحتيط على الدار وجميع ما فيها وكان يوم ظهور الواقعة احضر الصفى بن مرزوق من الدار وسئل عن حضوره عند شجر الدر فعرفهم صورة الحال فصدقوه واطلقوه وحضر الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى وكان الناس قد قطعوا بموته فامر باعتقاله ثم نقل الى الاسكندرية فاعتقل بها وفى يوم الاثنين المذكور صلب ﴿٢٠ الف﴾ الخدام الذين اتفقوا على قتل المعز وهرب سنجر غلام الجوجرى (١) ثم ظفر به و صلب الى جانب استاده محسن فمات سنجر و قت العصر من هذا اليوم على الخشبة و تاخر موت الباقين الى تمام يومين .

و فى يوم الخميس ثانى ربيع الآخر ركب و دخل القاهرة من باب النصر وترجل جميع الامراء خلا الاتابك علم الدين سنجر الحلبي وصعد القلعة و مد السماط للامراء و تقرر فى الملك وو زرله و زير ابيه شرف الدين الفائزى وفى يوم الجمعة ثالث ربيع الآخر خطب للملك المنصور و بعده لاتابكه علم الدين سنجر الحلبي .

و فى مستهل ربيع الآخر فوض القضاء بالقاهرة و اعمالها الى القاضى بدر الدين المنجارى و عزل عن ذلك تاج الدين ابن بنت الاعز و ابقى عليه قضاء مصر و عملها .

و فى يوم الجمعة عاشر الشهر قبض الامير سيف الدين قطز وعلم الدين سنجر الغتمى وسيف الدين بهادر وغيرهم من المعزية على الاتابك

(١) تقدم ما فيه .

Marfat.com

علم الدين سنجر الحلبى وانزلوه الى الجب بالقلعة لتخيلهم منه الاستيلاء على الملك فاضطرب الامراء الصالحية وركب العسكر وخيف على البلد النهب ثم خاف الصالحية على انفسهم فهرب اكثرهم الى جهة الشام وتقنطر (١) بالامير عزالدين ﴿ ٢٠ ب ﴾ ايبك الحلبى الكبير فرسه وكذلك خاص توك الصغير فهلكا خارج القاهرة وادخلا ميتين واتبع العسكر المنهزمين فقبض على اكثرهم وحملوا الى القلعة واعتقلوا بها وقبض على الامير (٢) شرف الدين الفائزى واعتقل وفوض امر الوزارة الى القاضى بدر الدين يوسف السنجارى مضافا الى قضاء القاهرة ومامعها واحتيط على موجود الفائزى وكان له مال كثير ولكن كان اكثره مودعا وأخذ خطه الامير سيف الدين قطز بمائة الف دينار واحتيط على بهاء الدين على [بن محمد بن سليم] (٣) بن حنّا وزير شجر الدر وأخذ خطه بستين الف دينار .

وفى يوم الاربعاء منتصف الشهر المذكور رتب الامير فارس الدين اقطاى المستعرب اتابكا للملك المنصور .

وفى رجب رفعت يد القاضى بدر الدين من الوزارة واضيف اليه قضاء مصر واعما لها (٤) فكمل له قضاء الاقليم بكماله وولى القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز الوزارة .

وفى هذه السنة وقعت وحشة فى نفس الملك الناصر صلاح الدين يوسف من البحرية وانهى اليه انهم عزموا على اغتياله والتغلب على

(١) كذا فى النسختين ولعله تقطر (٢) نز « الوزير » (٣) من نز (٤) ض ٢ « عملها » .

الملك فتقدم اليهم بالا تتزحزح عن دمشق فقارقوها على جهدة العيش والمشاققة ونزلوا غزة ثم انتموا الى الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن الملك الكامل صاحب الكرك وفى (٢١ الف) شعبان كثرت الارجيف بالقاهرة بان الامراء والاجناد اتفقوا على ازالة امر مماليك الملك المعز عن البلد وان الملك المنصور تغير على الامير سيف الدين قطز واجتمع اكثر الامراء فى دار الامير بهاء الدين بغدي مقدم الحلقة ثم رضى الملك المنصور على قطز وخلع عليه وطيب قلبه .

وفى رابع شهر رمضان ركب الامير بهاء الدين بغدى وبدر الدين بلغان بعد ان جرح بلغان (١) وانهزم من كان معهما وتملاوا القلعة ودخل المعزية القاهرة فقبضوا على الامير عزالدين ايبك الاسمرواوزن الرومى وسابق الدين توزبا (٢) الصيرفى وغيرهم من الاشرفيه ونهبت دورهم ووقع فى البلد اضطراب عظيم ثم نودى بالامان لمن دخل فى الطاعة وسكن الناس .

وفى خامس شهر رمضان ركب الملك المنصور وفى خدمته الامير سيف الدين قطز وباقى مماليك ابيه وشق القاهرة وفى عيد الفطر نزل الملك المنصور وصلى فى المصلى ثم ركب الى القلعة ومد السماط ووردت الاخبار الى الديار المصرية بمفارقة البحرية للملك الناصر

(١) كذا وفى نز «قبضوا على بغدى بعدان جرح وعلى بلغان وحملا» (٢) كذا وفى نز «بوزنا» .

Marfat.com

صلاح الدين يوسف فظن المصريون ان ذلك خديعة من الملك الناصر انه قد عزم على قصد البلاد فاخذوا فى التحرز .

وفى ثالث شوال خرج من القاهرة جماعة امراء مقدمهم الدمياطى وخرج غد هذا اليوم آخرون ونزلت ﴿٢١ ب﴾ العساكر بالعباسة وماحولها ثم وردت الاخبار بان عساكر الملك الناصر وصلت نابلس لحرب البحرية وكانوا نازلين غزة ثم ورد الخبر ان البحرية كبسوا الملك الناصر وقتلوا منهم جماعة ليلا ثم ورد الخبر ان عسكر الملك الناصر كسروا البحرية وان البحرية انحازوا الى ناحية زغر من الغور .

وفى الثالث عشر منه دخل جماعة من البحرية الى القاهرة منهم الامير عز الدين ايبك الافرم فتلقوا بالاكرام وافرج عن املاك الافرم ونزل بداره بمصر وترادفت الاخبار بالديا المصرية ان البحرية رحلوا من زغر طالبين بعض الجهات فاتضح من امرهم انهم خرجوا من دمشق على حمية وانهم قصدوا القدس الشريف وهو مقطع الامير سيف الدين ايبك (١) من جهة الملك الناصر وطلبوا منه ان يكون معهم فامتنع فاعتقلوه وخطبوا للملك المغيث وجاءوا الى غزة وقبضوا واليها واخذوا حواصل الملك الناصر بغزة والقدس وغيره (٢) وقصدتهم عساكر الملك الناصر فجرى ما تقدم ذكره من كبسهم للعسكر الناصرى ثم انتصر عليهم العسكر الناصرى فانهزموا الى البلقاء ثم الى زغر ودخلوا فى طاعة الملك المغيث وانفق فيهم جملة كثيرة من المال وطمعوا فى اخذ مصرله

(١) كذا وفى نز «كبك» (٢) كذا وفى نز «وغيرهما» .

Marfat.com

وانزل اليهم بعض عسكره و الطواشى بدر الدين الصوابى .

وفى الثانى عشر ذى القعدة وردت الاخبار الى ﴿ ٢٢ ألف ﴾ الديار المصرية بان البحرية عازمون على قصد البلاد فخرج الامير علم الدين الغتمى [المعزى] (١) و بعض العسكر ، وفى غد هذا اليوم وقع الانزعاج الشديد و خرجت الامراء و الحلقة و اجتمع العسكر المصرى بالصالحية فلما كان سحر ليلة السبت منتصف ذى القعدة و صلت البحرية ومن معهم من عسكر المغيث و وقعت الحرب بين الفريقين و اشتد القتال و خرج(٢)جماعة من الناس و المصريون مع ذلك يزدادون كثرة و طلعت الشمس و رأت البحرية كثرة المصريين فانهزموا و أستوسر منهم سيف الدين (٣) الرشيدى و به جراحات و هرب الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى و بدر الدين(٤) الصوابى الى الكرك و بعض البحرية دخل فى العسكر المصرى و دخل العسكر الى القاهرة و زين البلد لهذه الوقعة .

وفيها وصل الشيخ نجم الدين محمد البادرائى رسول الخليفة المستعصم بالله الى دمشق المحروسة و افاض الخلعة المكملة على الملك الناصر صلاح الدين يوسف و الفرس و الطوق الذهب و معه التقليد بالسلطنة فركب بالخلعة الامامية وكان يوما مشهودا .

ذكر ما تجدد للملك الناصر داود

كنا ذكرنا وصوله الى دمشق و اقامته بتربة والده فلما رأى

---

(١) من « ص ٢ » (٢) كذا وفى ز « جرح » (٣) فى زيادة « بلبان » (٤) فى « بدر الصوابى » .

Marfat.com

اعراض الملك الناصر صلاح الدين يوسف عنه و بلغه انه ربما يقبض عليه مضى الى ﴿٢٢ ب﴾ الشيخ نجم الدين البادرائى فاستجار به و سأله ان يتوجه صحبته الى العراق فاجابه فتوجه و معه جماعة من اولاده فلما وصلوا حلبا وكان بها الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الناصر يوسف وكان ابوه قد ارسله الى ملك التتر فورد الى الملك العزيز و من معه بكتاب الملك الناصر يوسف بان تشيروا على الشيخ نجم الدين البادرائى ان لا يستصحب الملك الناصر داود معه و انهم يتحيلون فى انقطاعه عنه و يقبضون عليه فلما خرج الشيخ نجم الدين متوجها الى العراق و معه الملك الناصر داود خرج الملك العزيز و جماعة من اعيان الدولة لوداعه و تقدم اليه بعضهم و حدثه فى ذلك و احس الناصر داود بالقضية فتقدم الى الشيخ نجم الدين و اخذ بذيله و قال معاذ الله ان يمنعنى مولانا من قصد الابواب الشريفة و الاستظلال بظلها و انا معى كتاب السلطان الملك الناصر لما كنت المرة الاولى بالعراق انه يقرر لى كل سنة مائة الف درهم و يأذن لى فى التوجه الى حيث شئت و لم يصل الى منه ذلك و اخرج خط الملك الناصر يوسف فقال للبادرائى (١) هذا قد استجار بالديوان و طلب التوجه الى الخدمة الشريفة فما يسعنى منعه و معه خط الملك الناصر بانه لا يمنع من ذلك فرجعوا ﴿٢٣ الف﴾ الجماعة الى حلب و سافر الملك الناصر داود فلما وصلوا قرقيسيا خاف الشيخ نجم الدين ان يصل به الى العراق من غير تقدم فأشار عليه أن يقيم بقرقيسيا حتى

(١) كذا ولعله فقال البادرائى .

Marfat.com

يأخذ له دستورا بالوصول فاقام بها وابطأ عليه الأذن فعندا الفرات الى جهة الشام متوجها الى تيه بنى اسرائيل و اجتمع عليه جماعة من العرب ثم كان من امره ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

[فصل] (١)

و فيها توفى احمد بن مكى بن المسلم بن مكى بن خلف بن المسلم ابن احمد بن محمد بن خضر بن قر بن عبد الواحد بن على بن غيلان ابو المظفر القيسى الدمشقى كان من اعيان الدمشقيين و من البيوت المشهورة بها سمع من حنبل و حدث و توفى بدمشق فى السابع و العشرين من المحرم و دفن من الغد ببستانه من ارض بنيت لها رحمه الله .

اسمعيل بن عبد الله بن سعيد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن ابى المجد عماد الدين بن باطيش الموصلى الفقيه الشافعى كان من الاعيان الاماثل الافاضل مولده بالموصل فى سادس المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة سمع من الحافظ ابى الفرج بن الجوزى و غيره وحدث وخرج لنفسه احاديث ودرس واقتى و صنف تصانيف حسنة مفيدة وكان احد العلماء المذكورين و توفى بحلب فى رابع جمادى الآخرة رحمه الله تعالى.

﴿٢٣ ب﴾ ايبك بن عبد الله الصالحى الملك المعز عزالدين المعروف بالتركمانى كان فى بداية امره مملوكا للملك الصالح نجم الدين [ايوب] (١) اشتراه فى حياة ابيه الملك الكامل وتنقلت به الاحوال عنده ولازمه فى الشرق و غيره و جعله جاشنكيره ولهذا لما امره كان

(١) من « ص ٢ » .

Marfat.com

ونكته صورة خوانجا فلما قتل الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين وبقيت الديار المصرية بلاملك تشوف الى السلطنة اعيان الإمراء فخيف من شرهم وكان الامير عزالدين التركمانى معروفا بالسداد وملازمة الصلاة ولايشرب الخمر وعنده كرم وسعة صدر ولين جانب وهو من اوسط الامراء فاتفقوا عليه وسلطنوه فى اواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستمائة وركب السناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه واول من حملها الامير حسام الدين ابن ابى علـــى ثم تداولها اكابر الامراء وقالوا هذا متى اردنا صرفه امكننا ذلك لعدم شوكته ولكونه من اوسط الامراء ثم اجتمع الامراء والبحرية فاتفقوا على انه لابد من اقامـة شخص فى الملك من بنى ايوب يجتمع الكل على طاعته وكان سبب ذلك ان الامير فارس الدين اقطاى الجمدار(١) و الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى و الامير سيف الدين بلبـان الرشيدى و الامير شمس الدين سنقر الرومى واتفقوا ان ﴿ ٢٤الف ﴾ التركمانى سلطانا عليهم و اختاروا ان يقيموا صبيا من بنى ايوب له اسم الملك وهم يدبرونه و يأ كلون الدنيا باسمه فوقع اتفاقهم على الملك الاشرف مظفـــر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف بن الملك المسعود ..... (٣) بن الملك الكامل وكان عند عماته القطبيات و عمره نحو عشر سنين فاحضروه و سلطنوه و خطبوا له و جعلوا التركمانى اتابكه و ذلك لخمس مضين من

(١) بهامش نز «هو الذى يتصدى لا لباس السلطان ثيابه» (٢) بياض فى «ص ٢» ومحله فى نز «اقسيس ابن السلطان».

جمادى الاولى بعد سلطنة الملك المعز بخمسة ايام وكانت التواقيع تخرج وصورتها « رُسم بالامر العالى المولوى السلطانى الملكى الاشرفى والملكى المعزى » واستمر الحال على ذلك والملك المعز المستولى على التدبير ويُعلّم على التواقيع والملك الاشرف صورة فلما ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف دمشق فى سنة ثمان واربعين خرج الامير ركن الدين وجماعة من العسكر الى غزة فلقيهم عساكر الملك الناصر فاندفعوا راجعين ونزلوا بالسابح وبه جماعة من الامراء فاتفقت كلمة الجميع على مكاتبة الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل سيف الدين ابى بكر محمد بن الملك الكامل صاحب الكرك والشوبك وخطبوا له بالصالحية يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة فامر الملك المعز بالنداء بالقاهرة ومصر بان البلاد للخليفة المستعصم بالله ﴿٢٤ ب﴾ والملك المعز نائبه بها وذلك يوم السبت لخمس مضين من جمادى الآخر سنة ثمان واربعين ووقع الحث فى خروج العساكر وجددت الأيمان للملك الاشرف بالسلطنة وللملك المعز بالاتابكية ثم قصد الملك الناصر صلاح الدين يوسف الديار المصرية بالعساكر وضرب مصافا مع العساكر المصرية وكسروا كسرة شنيعة ولم يبق الا تملك الملك الناصر البلاد وخطب له فى قلعة الجبل ومصر وغيرها من الاعمال على ما هو مشهور وتفرقوا منهزمين لايلوون على شئ وتبعتهم عساكر الملك الناصر منتشرين وراءهم فى طلب النهب والمكاسب وبقى الملك الناصر فى شرذمة يسيرة من اعيان الامراء والملوك تحت السناجق والكوسات تخفق ورُاءه وقد تحقق

Marfat.com

النصر و الظفر ولما الملك المعز فتحيّر فى امره اذ ليس له جهة يلتجىء اليها فعزم بمن كان معه من الامراء على دخول البرية و التوصل الى مكان يأمنون فيه على انفسهم و ظهرلهم بعد ذلك عليهم فاجتازوا الى الملك الناصر على بعد وهم فى نفر يسير[وهوفى نفر يسير] (١)فرموا انفسهم عليه و حملوا عليه حملة رجل و احـــد فتفرقوا وقتل الامير شمس الدين لؤلؤ الأمينى مدبرالدولة و اتابك العساكر و الاميرضياء الدين القيمرى و غيرهما و هرب الملك الناصر ﴿٢٥ الف﴾ لايلوى على شئ وكسر الملك الصالح عمادالدين اسماعيل ابن الملك العادل و الملك الاشرف ابن صاحب حمص و الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين و غيرهم و استمرّت الكسرة على عساكر الشام و بلغ خبرهـا الامير جمال الدين موسى بن يغمور وقد قارب بلبيس و معه قطعة كبيره من الجيش فقال ما علينا نحن قد ملكنا البلاد و السلطـان يعود الينا وكان بعض الامراء قد توهّم ان الملك الناصر ربّما قتل فقال الامير نجم الدين اميرحاجب لابن يغمور ياخوند جمال الدين حب الوطن من الايمان كأنه نسبه الى انه اختار دخول الديار المصرية على كل حال و انه ربما له باطن مع المصريين فغضب لذلك و ثنى رأس فرسه وعاد ولوكان دخل بمن معه لملك البلاد وعاد الملك المعز الى الديار المصرية مظفرًا منصورا و خرج الملك الاشرف من قلعة الجبل للقائه و رسخ قدم الملك المعز و عظم شأنه و استمر الحال على ذلك الى سنة احدى و خمسين فوقع الاتفاق بينه

(١) سقط من «ص ٢» .

Marfat.com

وبين الملك الناصر على ان يكون له وللبحرية الديار المصرية وغزة والقدس وما فى البلاد الشامية للملك الناصر وافرج عن الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين واخيه نصرة الدين والملك الاشرف بن صاحب حمص وغيرهم ﴿٢٥ ب﴾ من الاعتقال وتوجهوا الى الشام وعظم شأن الامير فارس الدين اقطاى الجمدار والتفت عليه البحرية وصار يركب بالشاويش (١) وحدثته نفسه بالملك وكان اصحابه يسمونه الملك الجواد فيما بينهم وخطب بنت الملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماة وهى اخت الملك المنصور صاحبها وتحدث مع الملك المعز انه يريد يسكنها فى قلعة الجبل لكونها من بنات الملوك ولا يليق سكناها بالبلد فاستشعر الملك المعز منه [بماعزم عليه] (٢) وعمل على قتله ولم يقدم(٣) على ذلك فكاتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله واستشاره فى الفتك به فلم يجبه فى ذلك بشئ مع كونه يؤثر ذلك لكنه علم انه مقتول على كل حال وسير الامير فارس الدين ليحضر بنت صاحب حماة اليه فخرجت من حماة ووصلت دمشق فى تجمل عظيم وعدة محفّة مغشاة بالاطلس وغيره من فاخر القماش وعليها الحلى (٤) والجواهر ثم خرجت بمن معها من دمشق مترجهة الى الديار المصرية، واما الملك المعز فانه لما ابطأ عليه جواب الملك الناصر وتحقق ان بنت صاحب حماة فى الطريق بقى بين خطّى خسف إن منعه من سكنى القلعة حصلت المباينة الكلية وان سكنه

(١) بهامش نز « الشاويشية هم الذين يركبون فى مقدمة موكب الملك اثناء سفره »(٢) من نز (٣) نز « يقدر » (٤) ص ٢ « الحلل ».

Marfat.com

قويت اسبابه بها و لايعود يتمكن من اخراجه و يترتب على ذلك استقلال الأمير فارس الدين ﴿ ٢٦ الف ﴾ بالملك فعمل على معاجلته فدخل اليه على عادته و قد رتب له الملك المعز جماعة للفتك به منهم الامير سيف الدين قطز المعزى و غيره من مماليكه المعزية فقتلوه فى دارا لسلطنة بقلعة الجبل فى سنة اثنتين و خمسين ، ثم خلع بعد قتله الملَك الاشرف من السلطنة و انزله من قلعة الجبل الى عماته القطبيات و ركب الملك المعزّ بالسناجق السلطانية و حملت الامراء الغاشية بين يديه و استقل بالملك بمفرده استقلالا تامّا ثم ان العزيزية عزموا على قبضه فى سنة ثلاث و خمسين فشعر بذلك فقبض على بعضهم و هرب بعضهم ثم تقرر الصلح بينه و بين الملك الناصر على ان يكون الشام جميعه للملك الناصر يوسف و ديار مصر للملك المعز و حدّ ماينهما بئر القاضى و هو فيمابين الورَّادة (١) و العريش و ذلك بسفارة الشيخ ،نجم الدين البادرائى و تزوج الملك المعز بشجر (٢) الدر فى سنة ثلاث و خمسين فكان ذاك سببا لقتله و قد ذكرنا كيفية قتله و ماجرى عند ذلك و سلطنة ولده الملك المنصور نورالدين فاغنى عن اعادته وكان الملك المعز كثير الكرم و البذل لايمنع طالب حاجة الا فى النادر و اطلق فى مدة سلطنته من الاموال و الخيول و غير ذلك مالا يحصى كثرة وكان عفيفا طاهر ﴿ ٢٦ ب ﴾ الذيل لايشرب مسكرا و لايرى العسف و الجور كثير المداراة لخُشداشيته

(١) فى معجم البلدان الورادة من نواحى الجفار »(٢) كذا فى النسختين هنا وفيما تقدم وفيما سيأتى وفى نز والشذرات « شجرة » .

Marfat.com

والاحتمال لتجنيهم وشراسة اخلاقهم وخلف عدة اولاد منهم الملك المنصور نور الدين على وناصر الدين قاآن (١) ورأيت له ولدا آخر بالديار المصرية سنة تسع وثمانين وهو فى زى الفقراء الحويرية وكان للملك المعز رحمه الله عدة مماليك امراء نجباء منهم الملك المظفر سيف الدين قطز رحمه الله وسنذكره ان شاء الله تعالى وغيره ، ومعظمهم كرماء على سجيته وكان قتل الملك المعز بقلعة الجبل عشية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الاول رحمه الله ، وقيل السادس وعشرين منه ، وكان له بر ومعروف وبنى المدرسة المعزية بمصر على النيل وهى من احسن المدارس ووقف عليها وقفا جيدا ولها دهليز عظيم متسع طويل مفرط فى السعة والطول بلغنى ان بعض الكبراء دخلها فرأها صغيرة بالنسبة الى مجازها فقال هذه المدرسة مجاز بلا حقيقة وكان يلى تدريسها القاضى برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى رحمه الله الى ان مات وهو على تدريسها وملك الملك المعز الديار المصرية نحو سبع سنين وتوفى وقد ناهز الستين سنة رحمه الله تعالى .

ايبك بو عبد الله الامير عز الدين الحلبى الكبير كان ﴿٢٧ الف﴾ من اعيان الامراء الصالحية النجمية وقدمائهم وممن يضاهى الملك المعز وله المكانة العظيمة فى الدولة والمحل الكبير بين الامراء يعترفون له بالتقدم عليهم والرياسة وكان له عدة مماليك اعيان نجباء صاروا بعده امراء اكابر منهم ركن الدين اتاجى امير حاجب وبدر الدين بيليك

(١) كذا فى النسختين وفى نز « قان » .

Marfat.com

الجاشنكير و صارم الدين ازبك الحلبي و غيرهم و لماقتل الملك المعز على ما قدّمنا ذكره حلف الامراء لولده الملك المنصور و توقف الامير عز الدين المذكور و اراد القيام بالامر ثم خاف على نفسه فحلف و وافق الامراء في ذلك فلما كان يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر و قبض الامير سيف الدين قطز و المعزية على الامير علم الدين سنجر الحلبي و اعتقلوه ركب الامراء الصالحية و منهم الامير عز الدين المذكور فتقنطر (١) به فرسه فهلك خارج القاهرة و ادخل اليها ميتا وكذلك ركن الدين خاص ترك الصغير رحمهما الله تعالى .

شجر الدر بنت عبد الله جارية الملك الصالح نجم الدين و امّ و لده خليل كانت حظية عنده اثيرة لديه وكانت في صحبته لما كان بالكرك و لده (٢) خليلا و حمل معها الى الديار المصرية و بقي مديدة يسيرة يركب مع الخدام و توفي صغيرا و لما قتل الملك المعظم توران شاه فملكت الديار المصرية و خطب لها على المنابر وكانت تعلّم على ﴿٢٧ ب﴾ المناشير و غيرها و الدة خليل و بقيت على ذلك مدة ثلاثة شهور ثم استقر الاشرف و المعز على ما ذكرنا ثم تزوجها الملك المعز حسب ما شرحناه وكانت مستولية عليه ليس له معها كلام وكانت تركية ذات شهامة و نفس قوية و سيرة حسنة شديدة الغيرة فلما بلغها ان الملك المعز يريد ان يتزوج بنت الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل و قد عمل على ذلك و تخيلت منه انه ربما عزم على ابعادها او اعدامها لانه

(١) كذا في النسختين و لعله فتقطر (٢) كذا و لعله و و لدت .

Marfat.com

سأم من تحجرها عليه واستطالتها فعاجلته وقتلته على ما ذكرنا فاخذها مماليكه بعد أن أمنوها واعتقلوها بالبرج الاحمر بقلعة الجبل وعندها بعض جواريها والملك المنصور ووالدته يحرضان المعزية على قتلها لأنها كانت غير مجملة فى امرهما وكان الملك المعز لايجسر ان يجتمع بوالدة الملك المنصور ولده خوفا من شجر الدر .

فلما كان يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر وجدت مقتولة مسلوبة خارج القلعة فحملت الى تربة كانت بنتها لنفسها بقرب مشهد السيدة نفيسة رحمة الله عليها فدفنت بها، وكان الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف بابن حنّا وزيرها ووزارته لها اول درجة ترقى اليها من المناصب الجليلة ـ ولما قتلت الملك المعز واحيط ﴿٢٨ الف﴾ بها وتيقنت انها مقتولة اودعت جملة من المال فذهب واعدمت جواهر نفيسة سحقتها فى الهاون .

عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن ابى الحديد ابو حامد عز الدين المدايني ولد بالمدائن يوم السبت مستهل ذى الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة وتوفى ببغداد فى هذه السنة وكان فقيها اديبا فاضلا وله اشعار حسنة فيها يمدح الامام الناصر وهى هذه :

قد بدا ما يسر فيما تقول انما انت عاشق لا عذول
رابنى منك فى ملامك تكثير لصبرى ببعضه تقليل
وحديث ملجلج فيه للقلب على السر آية ودليل
قاتل الله شادنا امست الارض مادفيه الحسين وهى شكول

Marfat.com

قسم البدر بيننا فله الذ ورو عندي محاقه و الذبول
اجد الناس ذا يماثل ذاك وفيه قد اعوز التمثيل
وأرى الخلق عرضة لزوال وارى حسنه (١) لا يزول
يا حميد الجفاء وهو ذميم وخفيف الدلال وهو ثقيل
هذه مهجتي بكفك فافعل ما ترى لست عن هواك احول
اسمح الناس ناصح مستخان ومحب على الحبيب بخيل
وترانى اروم عنك بديلا انت احلى وغيرك الممل
﴿٢٨ ب﴾ انما انت مهجتي واتخاذى بدلا عن حشاشتي مستحيل
لا تظنن جفوتي عن سلو عزّ ما خلته وسدّ السبيل
كم وصول هو القطوع نفاقا وقطوع هو المحبّ الوصول
لست ارضى بان تجود بوصل وانتيابي عليك نزر قليل
إن يوما ان يطلب العاشق الوصل ولم تسبق العيون السيول
فى التبرعات قبيح عند مثلي و فى القبيح جميل (٢)
ثروتي دون همتي و فراقي(٢) فوق طوقي و ساعدي مغلول :
فالام الرضا بما انا فيه بمشرع، ميت و حيّ، دليل
في نهوضي لها، و ترك اقتناعي ، مطلب منفس وكسب جليل
واتتجاع الامام احمد ،عندي احمد الفعل و الركام محيل
انشدني اخي من ابيات رحمه الله تعالى لعزالدين عبدالحميد المذكور .

(١) كذا ولعله وجه ربنا (٢) كذا .

Marfat.com

وحقك ان ادخلتنى النار قلت لا ذين بها(١) قد كنت ممن يحبه
وافنيت عمرى فى علوم دقيقة وما بغيتى الا رضاه وقربه
هبونى مسيئا اوقع الحلم جهله واوبقه دون البرية ذنبه
اما يقتضى شرع التكرم عتقه (٢) أيحسن ان ينسى هواه وحبه
أما قلتم من كان فينا مجاهدا سيكرم مثواه ويعذب شربه
اما ردزيغ ابن الخطيب وشكه وتمويهه اذجل فى الدين خطبه
اما كان ينوى الحق فيما يقوله الم تنصر التوحيد والعدل كتبه

﴿٢٩ الف﴾ فان تصفحوا نغنم وان تتجرموا
فتعذيكم حلو المذاقة عذبه
وآية صدق الصب ان يعذب الاذى اذا كان من يهوى عليه يصبه

ولما صنف ضياء الدين ابوالفتح نصرالله بن ابى الكرم محمد بن محمد ابن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى المعروف بابن الاثيرالجزرى ومولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها وانتقل الى الموصل مع والده فى رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة واشتغل بها وحصل العلوم وصنف التصانيف الدالة على غزارة علمه وفضله منها المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر جمع فيه فاوعب فلما فرغ من تاليفه كتبه الناس عنه فوصل الى بغداد منه نسخة فاتتدب له عزالدين عبدالحميد المذكور وتصدى لمؤاخذته والرد عليه وجمع هذه المؤاخذة فى كتاب سماه الفلك الدائر على المثل السائر فلما

(١) هكذا فى فوات الوفيات ووقع فى النسختين «بما» رخطأ (٢) فى فوات الوفيات «عفوه».

Marfat.com

اكمله وقف عليه اخوه موفق الدين ابوالمعالي احمد بن هبة الله فكتب الى اخيه عز الدين المذكور يقول .

المثل السائر بما سيدى صنفت فيه الفلك الدائرا
لكن هذا فلك دائر اصبحت (١) فيه المثل السائرا

قال ابن المستوفى كانت ولادة ضياءالدين بجزيرة ابن عمر (٢٩٠ ب) يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتوفى فى احدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد وقد توجه اليها رسولا من جهة صاحب الموصل وصلى عليه بجامع القصر ودفن بمقبرة قريش فى الجانب الغربى بمشهد موسى بن جعفر عليهما السلام وقال ابوعبدالله محمد بن النجار البغدادى فى تاريخه لبغداد انه توفى يوم الاثنين التاسع والعشرين من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين رحمه الله تعالى كان له تصانيف كثيرة وتواليف حسنة وترسل كثير اجاد فيه ضمن رسائله ما كتبه عن مخدومه الى الديوان من جملة رسالة - وهى] (٢) ودولته هى الضاحكة وان كان نسبتها الى العباس، فهى خير دولة اخرجت للزمن كما ان رعاياها خير امة اخرجت للناس ، ولم يجعل شعارها من لون الشباب (٣) الاتفاؤلا بأنها لاتهرم ، وانها لاتزال محبوة من ابكار السعادة بالحب الذى لايسلى والوصل الذى لايصرم ، وهذا معنى اخترعه المخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخطه الاقلام فى صحفها، ولااجالته

(١) هكذا فى فوات الوفيات ووقع فى النسختين « يصير » والصواب تصير
(٢) من ابن خلكان (٣) كذا فى النسختين وابن خلكان ولعله الثياب .

الخواطر فى افكارها، وله من رسالة فى ذكر القضاة الى [illegible] الكبير وهذا لمبتدأ ضعفى خبر، ولقوس ظهرى وتر، وان كان الفاء دليلا ﴿ ٣٠ الف ﴾ على الاقامة فان فى حملها دليلا على السفر، وله فى وصف المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار فسلبوا وعاضتهم الدماء عن اللباس، فهم فى صورة عار، وزيهم زى كاس، وما اسرع ماخيط لهم لباسها المحمر، غير انه لم يحط (١) عليهم ولم يزر، وما لبسوه حتى لبس الاسلام شعار النصر، الباقى على الدهر، وهو شعار نسخه(٢) السنان الخارق، لا الصنع(٣) الحاذق، ولم يغب عن لابسه(٤) الاريثما غابت البيض فى الطُلى والهام، والفَّ الطعن بين الف الخَّط واللام.... وله يصف نيل مصر عند زيادته، عذب رضابه فضاهى جنى النحل، واحمر صفيحة فعلمت، انه قد قتل المحل، وهذا مأخوذ من قول القائل

لله قلب لايزال يروعه ... برق الغمامة منجدا او مغورا

ما احمر فى الليل البهيم صفيحة ... متجردا الا وقد قتل الكرى

وكتب الى مخدومه وقد سافر فى زمن الشتاء، وينهى انه سافر عن الخدمة وقد ضرب الدجن فيه مضاربه، واسبل عليه ذوائبه، وجعل كل قرارة حفيرا، وكل ربوة غديرا، وخطّ كل ارض خطّا، وغادر كل جانب شطّا، كأنه يوازى يد مولانا فى شيمة كرمها، والتياث

---

(١) كذا فى النسختين وفى ابن خلكان « يجيب » (٢) كذا فى النسختين وفى ابن خلكان « نسجه » (٣) كذا ولعله الصانع (٤) كذا فى ابن خلكان ووقع فى النسختين « لابه » خطأ .

Marfat.com

صوب ... (١) يستغفر الله من هذا التمثيل ، العارى عن فائدة التحصيل ، ﴿ ٣٠ب ﴾ و فرق بينّ ما يملأ الوادى بمائه ، (٢) و ما يملأ النادى بنعمائه ، و ليس ما ينبت زهرا يذهبه المصيف ، اوثمرا يأكله الخريف ، كمن ينبت ثروة تغوث الاعطاف ، و يأكل المرتبع منها و المصطاف ؛ ثم استمرّ على مسير بقاسى الارض و وحلها ، و السما و وبلها ، و لقد جاد حتى اكثر ، و واصل حتى اضجر ، و اسرف حتى اتصل بره بالعقوق ، و ماخاف المملوك لمع البوارق ، كما خاف لمع البروق ، و لم يزل من مواقع قطره فى حرب ، و من شدة برده فى كرب ، و السلام .

و من انشائه فى وصف دمشق اصدر هذه الخدمة من دمشق حرسها الله تعالى و عمرها و قد نزل بارض خضراء ، و مدينة غراء ، و تربة زكية ، و نفحة ذكية ، و ظل ظليل ، و ماء سلسبيل ، ذات قرار و معين ، و ظباء عين ، فهى محل الرياض الناضرة و جنّة الدنيا الزاهية ، على خير الآخرة تتبرج فى ملابس عبقرية ، و تتأرج بانفاس عنبرية ، فزمانها ربيع ، و جنابها مريع و نسيمها وان ، وجناها دان ، وقاطنها بحبها عان ، وليس لها فى مزية الحسن ثان ، تطرب الجان اطيارها ، و تعجب بينيان ديارها ، و بها قوم صميمة انسابهم ، كريمة احسابهم ، منيفة مناقبهم ، شريفة ضرائبهم ، فهم سحب الكرم ، وشهب الظلم ، ومعادن الحكم ، و عليهم من نعم الله

(١) بياض فى النسختين وفى ابن خلكان « صوب ديمها ، والمملوك » (٢) كذا فى ابن خلكان ووقع فى النسختين « بمنائه » خطأ .

السرية الاقدار، العرية من الاكدار، الفاضة فيض الغمام المذكور(١) مالايفرق (٣١ الف) بين رئيسهم، ومرؤسهم، فى زيهم، وملبسهم ولايميز بين اماثلهم، وار اذلهم، فى مشاربهم، ومآكلهم، وفيهم ظبيات وجآذر يلقى الانسان فى حبهم ما يحاذر، فى اعطافهم هيف، وفى خصورهم ديف (٢) ينظرن عن عقد سحر، ويبتسمن عن عقود در، فقد ودهم اغصان مثمرة، وعيونهم سيوف مشهرة .

فاذا شنت عليهم غارة اغمد واالبيض وسلوا الاعينا

وفى بلدهم من عجائب الآثار، التى سارت بها شوارد الاخبار ما استفاض بين المنجد والمغور، واستغرق وصف الواصف المكثر، فمن ذلك بناء المسجد الجامع، ذى العمارات الروائع، والصنائع البدائع الذى حوى سعة الفناء، وحسن البناء، وكأنما فرشت ارضه بالوان الازهار ونقشت سقوفه بخالص اللجين والنضار، وبظاهر البلدة من اصناف الجواسق، بين الفاف الحدائق، مايلوح للوفى على مرابعها، والمطل على مراتعها، كأنها كواكب السماء، ومراكب الداماء، وكأنها غدران البرائك، المتبرجة فى وشائع الحبائك (٣) فلوجاز الرضى بجنابها الانيق لم يتغزل برامة والعقيق .

ولو بظبائها الخفرات لميذكر يوما ظباء السمرات(٤)

بلدة قد خصها الله بطيب التمرات

وبها سرب ظباء لاظباء السمرات .

---

(١) كذا ولعله المدرار (٢) كذا فى النسختين ولعله دنف (٣) وقع فى النسختين الحبائل (٤) كذا .

Marfat.com

يتها دين اختيالا بضروب الحبرات

﴿٣١ب﴾ ويذودن(١) محبيه هن فيض العبرات

وقد وافيتها فى زمن المشمش الذى له الذكر الدائر، والمثل السائر فرأيت منظرا بهيا، ومخبرا شهيا، ذا لون ذهبي، وشكل كوكبي، وعرف مندل وطعم عسل، كأنما تألف من نسيم، وتجمع من تسنيم، فهو يتمزق للطاقة جلده، ويزهو بلذة طعمه وعظم قده، ولما حللت بمغناها، واكتحلت بسناها سرت بين نضير الاشجار، وخرير الانهار، من طلوع الشمس الى انتصاف النهار، فظللت بين ملعب ومرتع، ومرأى ومسمع.

هذى المنازل لاوادى العقيق ولا رمل المصلى ولا اكناف يبرين

وما لقيته بها من المسار العظيمة، وشهدته فيها من المشاهد الكريمة، أن جاءنى بعض خواصها فى يوم صفاورده، واشرق سعده، وتهلل بشره، وغفل عنه دهره، يقدم عصبة يعرف فى وجوههم نضرة النعيم، ويهتدى بانوار شيمهم فى الليل البهيم، فدانى (٢) باحسانه، ودعانى الى بستا، نه فنهضت معهم كأنى اساير بدورا، واجاور بحورا، حتى انتهينا الى جنة معروشة، وروضة مفروشه، تتفجر عيونها، وتتهادى غصونها، يحيط بها نهر حصباؤه من الجوهر، وماؤه من الكوثر.

ارض حصاها جوهر وترابها مسك وماء المدّ فيها قرقَف (٣)

وبها قصر رفيع الذرى، وسيع المذرى(١)، مفرق الشرفات، مزخرف

﴿٣٢ الف﴾ الغرفات، وبعقوته بركة مرصوفة الجدر، بانواع الصور، فمن

(١) كذا ولعله ويزودن (٢) كذا (٣) كذا فى ص ٢ وفى ص ١ « قد وقف »

Marfat.com

اشجار مائلة ، واطيار غير هادلة ، ومن غزلان خلفها فهود تقيل ظلها اسود ، وعلى جنباتها السنة من الماء ، مختلفة الصفات لا الاسماء فهى اعذب من حب الغمام ، وارق من فيض المدام ، فلما نزلنا بساحتها الفسيحة الاقطار واخذنا بحظ الاسماع والابصار ، سرحنا تحت الاشجار ، لاقتطاف الثمار ، فظللت اجتنى من الغصون ثمرا ، واجتلى من اخلاق تلك العصبة درر ا حتى حزت من احديهما لذة هنيئة ، ونظمت من الاخرى عقودا سنية ، وكان ذلك اليوم مما يعد بالاعمار الطوال ، ولا يأتى على وصفه جوامع الاقوال وورد بغداد معونا (١) بالامام الناصر ومهنيا بولده الامام الظاهر فقال العبد (٢) .

عبد الرحمن بن ابى الفهم ابو محمد تقى الدين اليلدانى كان رجلا صالحا مشتغلا بالحديث سماعا وكتابة واسماعا الى ان توفى بقرية يلدا (٣) من غوطة دمشق فى ثامن ربيع الاول وقد ناهز مائة سنة من العمر ذكر انه كان مراهقا سنة سبع وستين وخمسمائة حين ظهر الملك العادل نور الدين محمد بن زنكى رحمه الله ولده وانه حضر مع صبيان من قريته الطهور ولعب الامراء بالميدان وقال انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وانه قال له يا رسول الله بالله ما انا رجل جيد فقال بلى انت رجل جيد رحمه الله .

﴿٣٢ ب﴾ عبدالله بن محمد بن الحسن بن عبدالله بن الحسن بن عثمان

(١) كذا فى النسختين ولعله معزيا (٢) كذا فى النسختين ولعله سقط هنا شئ .
(٣) كذا فى النسختين وبهامش ز « يلدان قرية من قرى دمشق » .

Marfat.com

ابو محمد بن ابى الوفاء بن ابي محمد بن ابى سعد نجم الدين البغدادى البادرائى الشيخ الامام العلامة مولده فى آخر محرم سنة اربع و تسعين وخمسمائة سمع من جماعة و حدث ببغداد و حلب و دمشق ومصر و غيرها من البلاد واقتى و درس بالمدرسة النظامية ببغداد و ترسل عن الديوان إلى الشام ومصر و غيرها من البلاد الى ملوك الاطراف ولم يزل يتردد فى المهمات و الرسائل الى هذه السنة فعاد من الشام الى بغداد فلما قدمها ولى قضاء القضاة بها وبجميع البلاد الاسلامية و تقلد ذلك و هو متمرض و توفى بعد ذلك بايام يسيرة قيل سبعة عشر يوما وكانت وفاته فى مستهل ذى القعدة و قيل فى اواخر ذى الحجة و الاول اصح وكان فاضلا دينا متواضعا حسن المقاصد كثير التأنى فى بلوغ الآمال على احسن وجه وحصل فى ترسله الى الملوك جملا (١) طائلة فابتاع من ذلك دار أسامة بدمشق وعمرها مدرسة للشافعية ووقف عليها اوقافا كثيرة وذكر بها الدرس بنفسه اول ما فتحت وحضر درسه الملك الناصر صلاح الدين يوسف و سائر ارباب الدولة و العلماء و القضاة ومدّ بها سماطا عظيما فى ذلك اليوم ثم رتب بها معيدين احدهما الشيخ كمال الدين رسلان بن الحسن الاربلى ﴿٣٣ الف﴾ و الآخر الشيخ نجم الدين الموقاتي و جعلها محصورة على عدد معلوم وعين مقدار مايصرف الى كل نفر منهم من الجامكية و الخبز و شرط [ان لا يكون الفقيه بها بمدرسة اخرى ولا يكون متأهلا و شرط] (٢) عليه السكنى بها و شرط على

(١) كذا فى النسختين ولعله اموالا (٢) من ص ٢ .

Marfat.com

المدرس ان لا يكون له مدرسة أخرى ثم ولى تدريسها بعده ولده جمال الدين عبد الرحمن فدرس بها مدة سنين وتوفى الى رحمه الله تعالى بدمشق وهى من احسن مدارس دمشق لابل احسنها على الاطلاق وكان المتحدث فى نظرها وجيه الدين محمد بن سويد التكريتى ثم القاضى عز الدين محمد بن الصائغ ثم اثبت ان الوجيه جعل النظر لزوجته والمباشر لنظرها الآن حال تسطير هذه الاسطر ولدها نصير الدين ولد وجيه الدين المذكور .

وخلف جمال الدين ولدا ذكرا بقى بعده مدة يسيرة ومات وكان الشيخ نجم الدين حسن الاعتقاد فى الصلحاء والفقراء يزورهم ويبرهم ويقضى حوائجهم وكان دمث الاخلاق حسن المحاضرة كثير المباسطة بلغنى انه قال للزين خالد النابلسى تذكر ونحن فى النظامية والفقهاء يلقبونك خولتا قال نعم وكانوا يلقبونك بالدعشوش فضحك الشيخ نجم الدين واعجبه منه هذه المباسطة وكان يسلم على كل من يمر به وهو راكب يشير باصبعه بالسلام وبلغنى فى موجب ترسله ان الملك الصالح نجم الدين سير الى الديوان القاضى نجم الدين قاضى نابلس وكان عنده رياسة ﴿٣٣ ب﴾ وفضيلة وله مكانة عند الملك الصالح نجم الدين وامره ان يخاطب الخليفة فى اداء الرسالة عنه بما كان السلطان صلاح الدين رحمه الله يخاطب به الامام الناصر فى كتبه ورسائله وهو الخادم فلما ادى قاضى نابلس الرسالة كما امره مخدومه أنكر عليه ذلك وترك فى المكان الذى وقف فيه لاداء الرسالة على حالته قائما وبلغته الشمس

Marfat.com

فكاد يهلك قاضي الرسالة على ما ارضي الديوان و حصل عند الخليفة تأثر من ذلك و قال من هذا الرسول قالوا هو فقيه من اهل نابلس قال وما هي نابلس قيل بلدة لطيفة من اعمال دمشق فقال ابصروا لنا فقيها يكون من قرية و لقبه نجم الدين ليتوجه بجواب الرسالة فطلبوا بالمدرسة المستنصرية والمدرسة النظامية شخصا بهذه الصفة فلم يجدوا سوى الشيخ نجم الدين فاحضروه و جهزوه و ارسلوه و صحبته قاضي نابلس فلما صارا في الطريق قيل لقاضي نابلس ينبغي ان تغير لقبك تأدبا مع رسول الديوان العزيز و مع مخدومك فان لقبة نجم الدين فغير لقبه مسافة الطريق و كان ذلك بداية سعادة الشيخ نجم الدين و ظهر منه كفاية تامة في ذلك و شكر أثره و جميل اعتماده، و اما الملك الصالح فغضب على قاضي نابلس و قال كنت (١) بقيت مكانك الى ان مت و لا اديت عني مالم آمرك به و انحطت رتبته عنده لذلك و قال شهاب الدين عبد الرحمن في يوم الاربعاء ﴿٣٤ الف﴾ ثامن عشر ذي الحجة عمل عزاء الشيخ نجم الدين المذكور بمدرسته التي انشأها بدمشق و قال القاضي جمال الدين بن واصل انه ولي القضا ببغداد في ثالث عشر ذي القعدة و استمر فيه مريضا سبعة عشر يوما و توفي و ظاهر الحال انه توفي في سلخ شهر ذي القعدة رحمه الله .

علي بن محمد بن الرضا بن محمد بن حمزة بن اميركا ابو الحسن الحسيني الموسوي الطوسي المعروف بابن دميز خان (٢) مولده في رابع صفر سنة تسع و ثمانين و خمسمائة بحماة و له شعر حسن و تصانيف كثيرة و كان

(١) كذا و لعله سقط او (٢) كذا في النسختين و في ز « دفترخوان » .

Marfat.com

فاضلا متفننا توفى فى رابع شهر ربيع الآخر كان ورد اربل فى شهر ربيع الاول سنة خمس وعشرين وستمائة من بغداد وذكر انه مدح الامام المستنصر بالله واجازه جائزة سنية واول القصيدة المشار اليها :

البيض اخلق بالفتى والاسمر ان خانه البيض الدمى والاسمر
ان المهند والمثقف ملجأ لمسهد لسوى العلى لا يسهر
أيسومنى سلطان حبك ذلة وبى المهابة والمهاوى أجدر
ولأن قتلت بسهم لحظك ظالما قتل الضراغمة الغزال الاحور
كم زرت حيك واللهاذم والظبى النقع من مهج الفوارس تقطر
وخفيت سقما عنهم وكذا فى خاطر الظلماء وهم يخطر
(٣٤ب) كم ذأ منى النفس عنك تجلد العاذلون بسر وجدى أخبر
كذب التجلد والعواذل لمى لا ذنصب عن حماك يصبر
من لى بوصلك والزمان مساعدى والعيش فى سود الذوائب اخضر
والليل فى عرس الوصال قميصه زاهر تدرهم ومدثر
قد شد منطقة المجرة وامتطى لتاج الاكليل فيها خنجر

[من ابيات مدحه بها] (٢) وقال

أعاتب عينى وهى اول من جنى زجرقلبى كى يحيد عن الحب
فان قلت (٣) قلبى قال عيناك قلت ان قلت عينى بحل قلبى القلب
وقد حرت بين اثنين كل بجهده يسوق بليات الغرام الى لبى

(١) فى « ص ٢ » «وامتطى المريخ والاكليل» (٢) من « ص ٢ » (٣) كذا ولعله « لمت » كما سيأتى فيما اغار عليه فى المكتب .

Marfat.com

وقال شرف الدين ابن المستوفي وزير اربل رحمه الله اغار بهذه الابيات على ابيات حفظها في المكتب وهي :

اذا لمت قلبي قال عيناك ابصرت وان لمت عيني قالت الذنب للقلب(١)
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي فيارب كن عوني على العين والقلب

غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر محمد بن ايوب ابن شادي والدة الملك المنصور صاحب حماة كانت صالحة دينة تحب الخير واهله واقامت منار العدل بحماة وهي المدبرة للامور منذ توفي زوجها الملك ﴿٣٥ الف﴾ المظفر ونصب مكانه ولده الملك المنصور والمرجع الى ماترسم به في الجليل والحقير وكانت وصلت الى حماة في سنة تسع وعشرين وستمائة و ولد لها من الملك المظفر ابنان وثلاث بنات اما الابنان فالملك المنصور ناصر الدين ابو المعالي محمد ومولده في ربيع الاول سنة اثنتين و ثلاثين وستمائة و الافضل نور الدين ابو الحسن علي و مولده سنة خمس و ثلاثين واما البنات فتوفيت الكبرى منهن قبل وفاة والدتها بقليل فدفنتها بقلعة حماة ولما توفيت الصاحبة دفنت الى جانبها ثم لما توفيت الصاحبة عائشة خاتون بنت الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر زوجة الملك المنصور و والدة ولده الملك المظفر دفنت في التربة المذكورة ثم لما توفي الملك المنصور دفن في تربة عملت [له] (٢) الى جانب الجامع الاعلى بحماة ونقل المدفونون بالقلعة الى التربة المذكورة وكانت وفاة غازية خاتون ليلة الاحد تاسع عشر ذي القعدة اوذي الحجة هذه السنة

(١) نسبها في نزلا بن دفترخوان (٢) من ص ٢ .

Marfat.com

رحمها الله تعالى .

محمد بن سيف بن مهدى ابو عبد الله اليونينى الشيخ الصالح كان صحب الشيخ عبد الله الكبير رحمة الله عليه و اخذ عنه و انتفع بـه ثم انقطع فى زاوية اتخذها فى كرم له قبلى قرية يونين متوفرا على العبادة و يتردد الى القرية فى بعض الاوقات وكان حلو العبارة حسن الحديث و المذاكرة ﴿ ٣٥ ب ﴾ باخبار الصالحين رحمهم الله تعالى وعنده كرم ، وسعة صدر و ايثار ، ولم يزل على ذلك الى ان توفى الى رحمة الله تعالى فى هـذه السنة بقريـة يونين وقد جاوز السبعين سنة من العمر ودفن فى زاويته المذكورة رحمه الله تعالى و خلف عدة اولاد لم يقم احد منهم مقامـه بل اقام فى الزاوية المشار اليها ابن اخيه و هو ابن زوجته ايضا الشيخ سليمان بن علي بن سيف بن مهدى نفع الله بـه و هو من الصلحاء الاعيان العباد يسرد الصوم و يقوم معظم الليل و يبادر الى السعى فى قضاء حوائج الناس و يتجشم فى ذلك المشاق و هو من الطف الناس و اكرمهم و اكثرهم بشرا بمن يرد عليـه مع شدة التواضع و ملازمة الذكر و التلاوة للكتاب العزيز و عدم الغيبة لاحد من خلق الله تعالى و سيأتى ذكره فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

محمد بن عبد الله بن محمد بن ابى الفضل ابو عبد الله شرف الدين السلمى الاندلسي المرسى المغربى النحوى المتكلم الاصولى الفقيـه المالكى صاحب التصانيف المشهورة فى التقسير و غيره مولده بمرسية فى ذى الحجة سنة تسع و ستين و قيل سنة سبعين و قيل سنة احدى و سبعين و خمسمائة

و خمسمائة قرأ القرآن الكريم ببلده على ابى محمد غلبون بن محمد بن غلبون النحوى و النحو على ابى عـلى الشلو بين و سمع ﴿ ٣٦ الف ﴾ بالمغرب و الحجاز و الشام و العراق و خراسان و حصل الاصول و النسخ و كان مكثرا شيوخا و سماعا و حدث بالكثير مدة بالحجاز و ديار مصر و الشام و العراق و جاور بمكة زمنا طويـلا و كان من اعيان العلماء الأئمة الفضلاء ذامعارف متعددة بارعا فى علم العربية و تفسير القرآن الكريم و له مصنفات مفيدة و نظم حسن و هو مع ذلك متزهد تارك الرياسة حسن الطريقة قليل المخـالطة للناس كثير الصلاح و العبادة و الحج مقتصد فى اموره محقق البحث ، محصل الكتب العلمية ، مفتن بها ، له قبول بسائر البلاد الاسلامية لا يحل ببلد الا و يكرمه رؤساؤه و اهله و كان اكثر مقامه بالحجاز و مصر و الشام و توفى فى منتصف ربيع الاول بين الزعقة و العريش و هو متوجه من مصر الى دمشق و دفن بتل الزعقة رحمه الله تعـالى ، و من شعره قال المبارك ابن ابى بكر بن حمدان انشدنى لنفسه بحلب ملغزا باسم يحيى .

أتبكى و ما بالقلب من لوعة الحب وما قد جنت تلك اللحاظ على لبى

أعارتنى السقم الذى بجفونهـا و لكن عذا سقمى على سقمها يربى

على اننى فى بثك الحب مثل ما يبوح بما فى الصدر منه الى القلب

اما و هواك المذهبى ان مهجتى تقسمه بين الصبابة و الكرب

و انى ما ذقت الكرى مذ سلبتنى و ما حال من يصبو اذا صد من يسبى

Marfat.com

(٣٦ ب) كتمت الذي فى من هواك عن الورى

على ان دمعى ذو ولوع بأن ينبى

ولكن سأبديه اليك لانى ارى ذلك الابداء من شعب الحب

صبا بفؤادى نحوك اثنان سوددد وحسن فعذر واحد منهما يصبى

فديتك من قاض علىّ لوأنه تعدى اسمه لى ما قضيت استحى

ودونكها بكرا لها وحيائها ردايت (١) فيه مروعة السرب

فرلها كفا فمنك حباؤها ولاتبدنيها فهى من ذاك فى رعب

قال وانشدنى وقد تما روا عنده فى الصفات .

من كان يرغب فى النجاة فماله غير اتباع المصطفى فيما اتى

ذاك السبيل المستقيم وغيره سبل الغواية والضلالة والردى

فاتبع كتاب الله والسنن التى صحت فذاك اذا اتبعت هو الهدى

ودع السؤال ... (٢) وكيف فانه من باب بجر ذوى البصيرة للعمى (٣)

الدين ما قال الرسول وصحبه والتابعون فن منا هجهم قفا

وقال

تقبل ابابكر كتابا وهبته كقلبى لا ابقى الى ايابه

وطبت به نفسا فخذه بمثل ما عذابا حدا يحى النبى كتابه (٤)

وقال .

قالوا محمد قد كبرت وقد اتى داعى الحمام وما اهتممت بزاد

(١) غير ظاهر فى النسختين (٢) بياض فى النسختين ولعل موضعه « عن اين ... انه » (٣) هكذا فى النسختين ولعله باب يجر ذوى البصيرة للعمى (٤) هكذا

وقال

Marfat.com

وقال الشيخ سعد الدين مسعود بن حمويه انشدنى الشيخ شرف الدين
(٣٧الف) المذكور رحمه الله لنفسه فى سنة خمسين و ستمائة .

أيجهل قدرى فى الورى و مكانتى تزيد على مرقى السماكين و النسر
ولى حسب لوانه متقسم على اهل هذا العصر تاهوا على العصر
كما ان فضلى باهر لذوى النهى و هل يختفى عند البدور سنا البدر
و اعجب ان الغرب تبكى لفرقتى دما و محيا الشرق يلقى بلا بشر

محمد بن عمر بن محمد بن عبد الله بن حمويه ابو جعفر التيمى البكرى السهر وردى المولد البغدادى الدار الصوفى و مولده بسهر ورد سنة سبع و ثمانين و خمسمائة فى صفر سمع من الامام ابى الفرج بن الجوزى وغيره وكان والده الشيخ شهاب الدين شيخ و فقيه فى الطريقة و تربية المريدين رحمه الله تعالى وكانت وفاة ولده ابى جعفر المذكور فى عاشر جمادى الآخره رحمه الله تعالى .

محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخضر ابو نصر الحلبى الحاسب و يلقب بالمهذب كان والده يعرف بالبرهان المنجم الطبرى ولد المهذب بحلب سنة ثمانين و خمسمائة وكان فاضلا اديبا و له تواليف مفيدة وصنف زيجا و مقدمة فى الحساب و غير ذلك و له ديوان شعر فى مجلدين و استوطن صرخد و توفى بها ليلة السبت و دفن يوم السبت الظهر ثانى عشر شهر ذى الحجة فى هذه السنة .

محمد بن ابى القاسم [قاسم] (١) بن فيره (٢) بن خلف بن احمد ابو عبد الله

(١) من ز (٢) كذا فى « ص ٢ » وتو وفى « ص ١ » واصلى نز « خيره » .

﴿ ٣٧ ب ﴾ الشاطبي الرعيني(١) الاصل المصرى المولد و الدار المقرء العدل ، مولده فى حادى عشر ذى الحجة سنة سبع (٢) و سبعين وخمسمائة بمصر و توفى بالقاهرة فى حادى عشر شوّال و دفن من يومه بسفح المقطم سمع من ابيه وغيره و حدث و ابوه الامام ابو القاسم احد القرّاء المجودين و العلماء المشهورين و الصلحاء المتورعين قرأ القرآن العزيز بالروايات و سمع من جماعة و اقرأ و حدث و صنف القصيدة المشهورة فى القرا آت التى لم يسبق الى مثلها و لم يكن في مصر فى زمانه مثله فى تعدد فنونه و كثرة محفوظه رحمه الله تعالى .

هبة الله بن صاعد الفائزى الملقب شرف الدين كان فى صباه نصرانيا و يلقب بالا سعد و هومنسوب الى الملك الفائز سابق الدين ابراهيم ابن الملك العادل سيف الدين ابى بكر بن ايوب لانه خدمه اولا و فى الفائزى يقول جمال الدين يحيي بن مطروح و قيل بهاء الدين زهير .

لعن الله صاعدا و اباه فصاعدا

و بنيه فنازلا واحدا ثم واحدا

ثم اسلم الفائزى و توفى وكان عنده رياسة و مكارم و نفسه تسمو الى الرتب العالية و خدم الملك الكامل بعد موت الفائز ثم خدم ولده الملك الصالح و غيرهما من الملوك ﴿ ٣٨ الف ﴾ و تنقلت به الاحوال حتى استوزه الملك المعز فى اوائل ماتملك بعدأن صرف القاضى تاج الدين

(١) كذا فى « ص ٢ » و نز وفى « ص ١ » واصلى نز « الرعيانى » (٢) « ص ٢ » و نز « سنة ست اوسبع » .

Marfat.com

عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الاعز وكان قد ولى الوزارة اول دولة الملك المعز فصرف بشرف الدين الفائزى فلما ولى الفائزى تمكن من الملك المعز تمكنا كثيرا بحيث تقدم على الحبيش فى الحرب، وكان الملك المعز يكاتبه بالمملوك وكان فى الفائزى كرم طباع واريحية وحسن نظر فى حق من يصحبه وينتمى اليه ولم تزل منزلته عند الملك المعز فى تزيد الى أن قتل وتملك ولده كما ذكرنا فباشر وزارة الملك المنصور ابن المعز إيّاما يسيرة وهو مضطرب فتخيّل توقع النكبة فقبض عليه الامير سيف الدين قطز مدبر دولة الملك المنصور واخذ خطه بمائة الف دينار لنفسه وبقى معتقلا وكان يتهم باموال كثيرة قال القاضى برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى دخلت اليه فى مجلسه فسألني ان اتحدث فى اطلاقه على أن يحمل فى كل صباح الف دينار فقلت له كيف تقدر على هذا فقال اقدر عليه الى تمام سنة والى سنة يفرج الله عنى فلم تلتفت نماء ليك المعز الى ذلك وعجلوا هلاكه فخنق وحمل الى القرافة فدفن بها رحمه الله تعالى وكانت ابنته زوجة فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدّين وبطريق هذه المصاهرة ترقى الصاحب بهاء الدين وولده فخر الدين فاولدها فخر الدين المذكور تاج الدين [المذكور] (١) (٣٨ب) محمدا وشهاب الدين (٢) احمد وبنتا إخرى هى زوجة عز الدين ابن محيى الدين احمد بن الصاحب بهاء الدين المذكور ونالت ابنة الفائزى من السعادة فى الايام الظاهرية ما لايوصف وتوفيت الى رحمة الله وكانت

(١) ص ٢ « بهاء الدين » .

كثيرة البر و المعروف مفرطة فى السمن و بهاء الدين الفائزى اجتمعت به بمكة شرّفها الله تعالى فى آخر سنة ثلاث و سبعين و ستمائة ورافقنى الى المدينة صلوات الله على ساكنها و سلامه وكان يظهر عليه الغنى وكثرة الجدة ثم رأيته فى الديار المصرية فى سنة خمس و سبعين [وسنة ست و سبعين] (١) و هو معرض عن الخدم يظهر التزهد و ينفق من بقايا بقيت له ثم رأيته بالقاهرة فى سنة تسع و ثمانين و قد ظهر عليه الفقر و الاحتياج بحيث رغب ان يخدم فى بعض الفروع بالاسكندرية فلمته على ذلك فذكر ان عنده عائلة كثيرة و ليس له ما يقوم ببلغتهم فعذرته و الله يلطف به و بنا .

و فى شرف الدين الفائزى يقول الشاعر .

خلّف الاسعد ما خان و قد شهدت افعاله المشتبهه
نقده ستون نقدا عددا عن فضات (٢) الرشى منزهه
فالبغال الشهب من اين له و الجوار التّرك من اى جهه

وكانت وفاته فى ربيع الآخر او جمادى الاولى رحمه الله تعالى كتب اليه ناصر الدين بن المنير قاضى الاسكندرية ابياتا مدحه بها منها .

﴿٣٩الف﴾ الا ايها البدر المنير وانني لاخجل ان شبّهت وجهك بالبدر
لان غبت عن عينى وشطّت بك النوى فمازات استجليك بالوهم فى فكرى
و حق زمان مرلى بطويلع و انت معى ما سرّ من بعد كم سرى

(١) من ص ٢ (٢) كذا فى النسختين بلا نقط و لعله سنيات

ومنها

Marfat.com

[ومنها] (١)

و يا سيدا تأتى الوفود لبابه فيلقاهم بالبشر و النائل الغمر
و يا من له فى الجود ضرب بلاغة يقابل منظوم المدايح بالنثر ،
متى ما اقمت العبد فى الخمس نائبا غدا مستقلا بالدعاء و بالشكر ،
و تمال يرثيه .
عيل صبرى و عزّ عندى عزائى بعد فقدى لسيد الوزراء
شرف الدين و الذى شرف الد ين بفضل و عفّة و تقاء
و الوزير الذى اقام منار الا عدل فى حال شدّة و رخاء
جهل العلم بعده واستخف الحـ لم يا طول حسرة العلماء
كان فيه لله سرخفى دقّ معنى عن فطنة الاذكياء
و البليغ الذى اذا عم خطب ناب عنه اليراع عن خطباء
و الفصيح الذى اذا ما انتطى القر طاس ازرى بسائر الفصحاء

[ومنها] (١)

قلت لمن سره مصابك يوما قد كفى ما جرى على الخلفاء
و اذا ما عدا على الاعادى فالهنا أن أعدّ فى الشهداء

[ومنها] (١)

يا قريبا دفن الاقارب منى و ولي من سائر الاولياء
خذ عروس الثريا منى تجلى فى ثياب من صفوتى و ولاء

(٣٩ ب) يحيى بن سليمان بن هادى ابو زكريا السبتى كان احد شيوخ المتعبدين و الصلحاء المذكورين سكن القرافة مدّة و له بها زاوية

(١) من ص ٢

Marfat.com

معروفة و قيل انه كان لايأكل الخبز وكان له قبول من الخاصة و العامة توفى فى منتصف شوال بالقاهرة و دفن من الغد بها رحمه الله تعالى .

ابو الحسن المغربى المورقى نور الدين الإمير هو من اقارب المورقى الملك المشهور ببلاد المغرب توفّى نور الدين فى اول ربيع الاول بدمشق و دفن بجبل قاسيون بمقبرة الامير جمال الدين موسى بن يغمور رحمه الله تعالى وكان فاضلا فمن المنسوب اليهم من ابيات .

القضب راقصة و الطير صادحة و الشر(١) مرتفع و الماء منحدر
و قد تجلت من اللذّات اوجهها لكنّها بظلال الدوح تستتر
فكل وادٍ به موسى يفجره وكل روض على حافاته الخَضِر

و من المنسوب اليه ايضا .

و ذى هيف راق العيون انتباره بقدّ كرّيان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة فوقّع لاخوف الرقيب المصدق
فايقنت من لابالعناق تفاؤلا كما اعتنقت لاثمّ لم تتفرق

وهذا احسن من قول ذى القرنين بن حمدان .

إنى لاحسد لافى اول الصحف اذا رأيت اعتناق اللام للالف

واحسن (٢) من هذا قول القيسرانى .

﴿ ٤٠الف ﴾ استشعر الناس منى لاثم يطمعنى
اشارة فى اعتناق اللام للالف

(١) كذافى النسختين وفى نز« والستر »(٢) هنا سقطة كبيرة فى ص ٢٣٢ا صوفيا من اول الصفحة التى اولها « الحسن الاربلى » وبعد تسعة اسطر منها ابتداء سنة سبع وخمسين وستمائة .

Marfat.com

سنة ست وخمسين وستمائة

دخلت هذه السنة والملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد بدمشق والبحرية ومن انضم اليهم من الامراء الصالحية وعلى بن الملك المغيث صاحب الكرك متفقون على قصد الديار المصرية ووصل اليهم الملك المغيث ونزل بدهليزه بغزة وامر البحرية كله راجع الى الامير ركن الدين البندقداري ووصل الامير سيف الدين قطز وعساكر مصر ونزلوا حول العباسة مستعدين لقتالهم .

وفيها استولى التتار على بغداد والعراق بمكيدة دبرت مع وزير الخليفة قبل ذلك وآل الامر الى هلاك الخليفة وارباب دولته وقتل معظم اهل بغداد ونهبوا وذلك فى يوم الاربعاء عاشر صفر قصد هلاكو بغداد وملكها وقتل الخليفة المستعصم بالله رحمه الله وما دهى الاسلام بداهية اعظم من هذه الداهية ولا افضع وسنذكر خبرها مجملا ان شاء الله تعالى .

قد علم تملك التتر اكثر الممالك الاسلامية وما فعلوه من خراب البلاد وسفك الدماء وسبى الحريم والاولاد ونهب الاموال وكانوا قبل هذه السنة قد قصدوا الالموت بلد الباطنية ومعقلهم المشهور وكان صاحب الالموت وبلادها علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن المنتسب ﴿٤٠ ب﴾ الى نزار بن المستنصر بالله العلوى صاحب مصر وتوفى وقام مقامه ولده الملقب شمس الشموس وكان الذى قصد الالموت هولاكو وهو من ذرية چنكيزخان الذى قصد بلاد الاسلام سنة ست عشرة وستمائة

Marfat.com

واندفع بين يديه السلطان علاء الدين محمد بن تكش وفعل تلك الافاعيل العجيبة المسطورة فى التواريخ وهو صاحب امة التتر التى مرجعهن اليها ، وكان جنكيز خان عندهم بمنزلة النبى لهم ولما نازل هولاكو الالموت نزل اليه صاحبها ابن علاء الدين باشارة نصير الدين الطوسى عليه بذلك وكان الطوسى عنده وعند ابيه قبله ،فقتل هولاكو ابن علاء الدين وفتح الالموت وما معها من البلاد التى فى تلك الناحية وكان لهم بالشام معاقل ولصاحب الالموت فيها ابدا نائب من قبله وسنذكر ما آل اليه امرها فيما بعد ان شاء الله تعالى .

واستولى هولاكو على بلاد الروم وابقى ركن الدين بن غياث الدين كيخسرو فيها له اسم السلطنة صورة وليس له من الامر شىء وفى سنة اربع وخمسين وستمائة تهيأ هولاكو لقصد العراق وسبب ذلك ان مؤيد الدين ابن العلقمى وزير الخليفة كان رافضيا واهل الكرخ روافض وفيه جماعة من الاشراف والفتن لاتزال بينهم وبين اهل باب البصرة فانه لسبب التعصب فى المذاهب فاتفق انه وقع بين الفريقين محاربة فشكى اهل باب ﴿ ٤١ الف ﴾ البصرة وهم سنية الى ركن الدين الدوادار والامير ابى بكر بن الخليفة فتقدما الى الجند بنهب الكرخ فهجموا ونهبوا وقتلوا وارتكبوا العظائم فشكى اهل الكرخ ذلك الى الوزير فامرهم بالكف والتغاضى واضمر هذا الامر فى نفسه وحصل عنده بسبب ذلك الضغن على الخليفة وكان المستنصر بالله رحمه الله قداستكثر من الجند حتى قيل انه بلغ عدة عسكره نحو مائة الف وكان منهم امراء

Marfat.com

امراء اكابر يطلق على كل منهم لفظ الملك وكان مع ذلك يصانع التتار ويهاديهم فلما ولى المستعصم اشير عليه بقطع اكثر الجند وان مصانعة التتر وحمل المال اليهم يحصل به المقصود ففعل ذلك وقلّل من الجند وكاتب الوزير ابن العلقمى التتر واطمعهم فى البلاد وارسل اليهم غلامه واخاه وسهل عليهم ملك العراق وطلب منهم ان يكون نائبهم فى البلاد فوعدوه بذالك واخذوا فى التجهيز لقصد العراق وكاتبوا بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى ان يسيّر اليهم ما يطلبونه من آلات الحرب فسيّر اليهم ذلك ولما تحقق قصدهم علم انهم ان ملكوا العراق لايبقون عليه فكاتب الخليفة سرا فى التحذير منهم وانه يعتدّ لحربهم فكان الوزير لايوصل رسله الى الخليفة ومن وصل الى الخليفة منهم بغير علم الوزير اطلع الخليفة وزيره على امره فكان الشريف تاج الدين ابن ﴿ ٤١ ب ﴾ صلايا نائب الخليفة باربل فسير الى الخليفة من يحذره من التتر وهو غافل لايجدى فيه التحذير ولايوقظه التنبيه لما يريده الله تعالى فلما تحقّق الخليفة حركة التتر نحوه سير شرف الدين ابن محيى الدين ابن الجوزى رسولا اليهم يعدهم باموال يبذلها لهم ثم سير نحو مائة رجل الى الدربند الذى يسلكه التتر الى العراق ليكونوا فيه ويطالعوه بالاخبار فتوجهوا ولم يأت منهم خبر لأن الاكراد الذين كانوا عند الدربند دلوا التتر عليهم على ما قيل فقتلوهم كلهم وتوجه التتر الى العراق وجاء بانجونوين(١) فى جحفل عظيم وفيه خلق من البكرخ

(١) كذا فى النسختين وفى نز عن ذيل المرآة « بايجونوين ».

Marfat.com

و من عسكر بركة [خان] (١) ابن عم هولاكو و مدد من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مع ولده الملك الصالح من جهة البر الغربى عن دجلة وخرج معظم العسكر من بغداد للقائهم و مقدمهم ركن الدين الدوادار فالتقوا على نحو مرحلتين من بغداد و اقتتلوا قتالا كثيرا و فتقت فتوق من نهر الملك على البر الذى القتال فيه و وقعت الكسرة على عسكر بغداد فوقع بعضهم فى الماء الذى خرج من تلك الفتوق فارتطمت خيلهم واخذتهم السيوف فهلكوا و بعضهم رجع الى بغداد هزيما و قصد بعضهم جهة الشام قيل كانوا نحو الف فارس ثم توجه با نجو نوين (٢) ومن معه فنزل القرية (٣) مقابل دور الخلافة و بينه و بينها دجلة و قصد هولاكو بغداد من جهة البر الشرقى عن ﴿٤٢ الف﴾ دجلة وهو البر الذى فيه مدينة بغداد ودور الخلافة وضرب سورا على عسكره واحاط ببغداد فحينئذ اشار ابن العلقمى الوزير على الخليفة بصانعة ملك التتر و مصالحته وسأله أن يخرج اليه فى تقرير ذلك فخرج و توثق منه لنفسه ثم رجع الى الخليفة و قال له انه قد رغب ان يزوج ابنته من ابنك الامير ابى بكر و يبقيك فى منصب الخلافة كما ابقى سلطان الروم فى سلطنة الروم لايؤثر الا ان يكون الطاعة له كما كان اجدادك من (٤) السلاطين السلجوقية و ينصرف بعساكره عنك فتجيبه الى هذا فان فيه حقن دماء المسلمين و يمكن بعد ذلك ان تفعل ما تريد وحسن له الخروج اليه فخرج فى جمع من اكابر اصحابه فانزل فى خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والاماثل ليحضروا

(١) من نز (٢) راجع ما تقدم (٣) محلة فى بغداد (٤) نز «مع»

Marfat.com

د النكاح فيما اظهره فخرجوا فقتلوا وكذلك صار يخرج طائفة
د طائفة ثم مد الجسر وغدا بانجو نوين(١) و من معه و بذل السيف فى
نداد فقتل كل من ظهر ولم يسلم الامن اختفى و قتل من كان فى دار
لافة من الاشراف ولم يسلم منها الامن هرب اوكان صغيرا فانه اخذ
سيرا واستمر القتل و النهب نحو اربعين يوما ثم نودى بالامان فظهر
من كان اختفى و قتل سائر الذين خرجوا الى هولاكو من القضاة والاكابر
والمدرسين واما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما اراد ومات بعد ﴿٤٢ب﴾
مدة يسيرة ولقاه الله تعالى ما فعله بالمسلمين و رأى قبل موته فى نفسه العبر
و الهوان والذل مالا يعبر عنه ثم ضرب هولاكو عنق بانجونوين(١) لانه قيل
عنه انه كاتب الخليفة وهو فى الجانب الغربى واما الخليفة فقتل ولكن لم يتحقق
كيفية قتلته فقيل انه خنق و قيل رفس الى ان مات و قيل غرق و قيل
لف فى بساط فغطس والله اعلم بحقيقة الحال, ونعود الى اخبار الشام
و مصركنا ذكرنا ان العساكر المصرية نزلوا حول العباسة لما بلغهم
اجتماع البحرية و بعض امراء مصر مع الملك المغيث و لما جاءهم الخبر
بمحاصرة التتر لبغداد كتبوا بذلك الى الديار المصرية و تقدموا بان
يدعى للمسلمين بالنصر فامر الشيخ عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام
رحمه الله الائمة والخطباء ان يقنتوا فى الصلوات الخمس ثم ورد الخبر
بان بغداد ملكت فاشتد أسف المسلمين و حزنهم .

(١) تقدم مافيه .

Marfat.com

ذكر الوقعة بين الملك المغيث وعسكر مصر

لما تكامل العسكر مع الملك المغيث دخل بهم الى الرمل و التقى بعسكر المصريين فكانت الكسرة على المغيث و من معه وقبض يومئذ على عزالدين ايبك الرومى و عز الدين ايبك الحموى الكبير وركن الدين الصرفى(١) و ابن اطلس خان الخوارزمى و احضروا بين يدى الامير سيف الدين قطز(٢) الغتمى و بهادر المعزية فامروا بضرب اعناقهم ﴿٤٣ الف﴾ فضربت و حملت رؤسهم الى القاهرة و علقت بباب زويلة ثم انزلت من يومها و دفنت لما انكر على المعزية هذا الفعل الشنيع و هرب الملك المغيث والصو ابى بدر الدين والامير ركن الدين بيبرس البندقدارى و من معهم و وصلوا الكرك فى اسوأ حال و نهب ما كان معهم من الثقل و دهليز الملك المغيث و دخل العسكر القاهرة بماحازوه وزين لذلك البلدان وكان المصاف يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ربيع الآخر .

ذكر ما تجدد للتتر بعد اخذ بغداد

لما ملكوها نادوا بالامان لاهل العراق كلهم و ولوا فيه و لا تهم وكان الوزير ابن العلقمى قد اطمعته نفسه بان الامور تكون مفوضة اليه وكان قد عزم على ان يحسن لهولاكو أن يقيم ببغداد خليفة فاطميا فلم يتم له ذلك و اطرحه التتر و بقى معهم على صورة بعض

(١) ز « الصيرفى » وبها مشه فى الذيل الصرفى » كما هنا (م) كذا وفى ز « و الامير الغتمى والامير بهادر »

Marfat.com

سلمان فمات بعد قرب كمدا و ندم حيث لا ينفعه الندم و لقاه الله فعله
رحل التتر عن بغداد الى بلاد آذربيجان ثم رحل اليهم بدر الدين
لؤلؤ صاحب الموصل و الشريف تاج الدين ابن صلايا صاحب اربل
اكرم بدر الدين و رده الى بلاده و اما ابن صلايا فقتل و قد ذكر
الله اعلم ان بدر الدين لؤلؤ قال لهلاكو هذا شريف علوى و ربما
طاول ان يكون خليفة و يبايعه على ذلك خلق عظيم فتقدم هولاكو
بقتله ولما رجع بدر الدين الى الموصل لم يطل مقامه ﴿٤٣ب﴾ بها و توفى.

و فيها قصد التتر ميافارقين فنازلوها و حصروها و كان المتولى لحصرها
منهوط ابن هولاكو و كان صاحبها الملك الكامل ناصر الدين محمد
بن الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل قد قصد الملك الناصر
صلاح الدين يوسف مستنجدا به على التتر فوعده بذلك و لم يتمكن من انجاده

و فيها و ردت رسل التتر الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف
صلهم منه جملة كبيرة من المال .

و فيها اشتد الوباء بالشام و فنى من اهل دمشق خلق لا يحصى
كثرت الفراريج و غيرها مما يستعمل المرضى و بيع الرطل الدمشقى من
مر الهندى بستين درهما و الحزّة من البطيخ الاخضر بدرهم .

ذكر ما تجدد للبحرية بعد كسرتهم بمصر

لما رجعوا مع الملك المغيث مفلولين سير اليهم الملك الناصر جيشا
عليه الامير مجي (١) الدين ابراهيم [بن ابى بكر] (٢) زكرى و الامير

(١) كذا و فى ز «مجير» و بهامشه «فى الأصل» محى الدين و هو تحريف »

Marfat.com

نور الدين عـــلى ابن الشجاع الا كتع و التقوا بغزة فكسرتهم البحر
و قبضوا على فخر (١)الدين و نور الدين و حملوهما الى الكرك فلم يزالا
معتقلين الى ان اخر جهما الملك المغيث فسيّرهما الى الملك الناصر لما
اصطلحا كما سنذكره ان شاء الله تعالى فقوى عند هذه الكسيرة امر البحرية
و امتدوا فى البلاد فعند ذلك برز الملك الناصر للقائهم و ضرب دهليزه
قبلى ﴿٤٤ الف﴾ دمشق و قربت البحرية من دمشق و جاء الامير ركن
الدين البندقدارى مقدمهم فى بعض الايام و قطع اطناب خيمة الملك
الناصر المضروبة و كثر الارجاف بهم فى دمشق .

و فيها توفى ابراهيم بن يحيى بن ابى المجد ابو اسحاق الاسيوطى
الفقيه الشافعي مولده سنة سبعين و خمسمائة تقريبا و تولّى الحكم ببعض
البلاد من الاعمال المصرّية و درّس بالجامع الظافرى بالقاهرة مدّة
و افتى وكان مشهورا بمعرفة المذهب، و حسن الفتوى، و سعة الفضل
كثير الايثار مع الاقتار، و الافضال مع الاقلال، كريم الاخلاق
لطيف الشمائل، و له شعر فائق، توفى فى سابع ذى القعدة بالقاهرة و دفن
من الغد بسفح المقطم رحمه الله .

احمد بن اسعد بن حلوان ابو العباس نجم الدين الطبيب المشهور الحاذق
المعروف بابن العالمة ولد بدمشق سنة اربع و تسعين و خمسمائة وقرأ
الطب على الحكيم صدقة السامرى و برع فيه و صنف مصنفات كثيرة
مفيدة وخدم الملك المسعود صاحب آمد و تقدم عنده فلما فتح الملك

(١) كذا فى «ص ١» وفى نر «مجير»

Marfat.com

الكامل آمد استخدمه مدة ثم خدم صاحب صهيون و غزة وانتقل الى بعلبك و اقام بها مدة و له ترسل حسن ، و توفى بدمشق فى هذه السنة اعنى سنة ستّ و خمسين رحمه الله تعالى ، و قد ذكره الحكيم موفق الدين احمد بن ابى القاسم بن خليفة الخزرجىّ فى طبقات الاطباء فقال هو الحكيم الاجلّ العالم الفاضل ﴿٤٤ ب﴾ نجم الدين ابو العباس احمد بن ابى الفضل اسعد بن حلوان و يعرف بابن العالمة لان امه كانت عالمة بدمشق وتعرف بينت دهين اللوز و مولده بدمشق فى سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة كان اسمر اللون، نحيف البدن، حاد الذهن، مفرط الذكاء، فصيح اللسان، كثير البراعة، لا يجاريه احد فى البحث، ولا يلحقه فى الجدل، واشتغل على شيخنا الحكيم مهذّب الدين عبد الرحمن بن على بصناعة الطب حتى اتقنها وكان متميّزا فى العلوم الحكمية، قويّا فى علم المنطق، مليح التصنيف، جيد التأليف فاضلا فى العلوم الادبية ، و يترسّل و يشعر و له معرفة بالضرب بالعود حسن الخط و خدم بصناعة الطب الملك المسعود صاحب آمد و حظى عنده و استوزره ثم بعد ذلك نقم عليه واخذ جميع موجوده واتى الى دمشق واقام بها و اشتغل عليه جماعة بصناعة الطب وكان متميزا فى الدولة وكتب اليه الصاحب كمال الدين يحيى بن مطروح فى جواب كان منه يقول .

لله در انامل شرفت وسمت(١) فاهدت انجما زهرا
وكتابة لو انها نزلت على الملكين ما ادعيا اذًا سحرا

(١) كذا .

Marfat.com

لم اقرأ سطرا من بلاغتها الا رأيت الآية الكبرى
فاعجب لنجم فى فضائله انسى الانام الشمس و البدرا
وكان نجم الدين لحدة مزاجه قليل الاحتمال و المداراة وكان جماعة
﴿٤٥ الف﴾ يحسدونه لفضله و يقصدونه بالاذيّة و انشدنى يوما متمثّلا
وكنت سمعت ان الجن عند اسـ ـ ـ

﴿٤٥ ب﴾ يا ابن الملوك الصيد من قد اورثوا

شرفا على الآباء بالابناء

اشبهت يا موسى لموسى فى الذى اوتيته كتشابه الاسماء

فله اليد البيضاء كانت آية ولكم لجودك من يد بيضاء.

وحكى لى اخوه لامه القاضى شهاب الدين محمد بن العثالة انه توفى مسموما و لنجم الدين من الكتب كتاب التدقيق فى الجمع و التفريق ذكر فيه الامراض و ما يتشابه فى اكثر الامر وكتاب هتك الاستار عن تمويه الدخوار و تعليق ما حصل له من تجارب و غيرها و شرح احاديث نبوية تتعلق بالطب وكتاب المهملات فى كتاب الكليات وكتاب المدخل الى الطب وكتاب العلل و الاعراض وكتاب الاشارات المرشدة فى الادوية المفردة و ذكر قبله و الده موفق الدين النفاح فقال هو الحكيم العالم الاوحد ابو الفضل اسعد بن حلوان اصله من المعرة و اشتغل بصناعة الطب و تميز فيها و تميز فى اعمالها و خدم الملك الاشرف موسى ابن ابى بكر بن ايوب فى الشرق و بقى فى خدمته سنين و انفصل امره و كانت و فاته فى حماة سنة اثنتين و اربعين و ستمائة .

احمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر ابو العباس الانصارى القرطبى المالكى العدل المعروف بابن المزين ومولد بقرطبة سنة ثمان و سبعين وخمسمائة سمع من خلق كثير و قدم الديار المصرية و سكن الاسكندرية ﴿٤٦ الف﴾ و حدث بها و اختصر صحيحى البخارى و مسلم اختصارا و شرح مختصره لصحيح مسلم بكتاب سماه المفهم و صنف غير ذلك

Marfat.com

و توفى بالاسكندرية فى الرابع عشر من ذى القعدة رحمه الله .

احمد بن محمد بن ابى الوفا بن ابى الخطاب بن محمد بن الهزبر ابو الفضل شرف الدين الربعى الموصلى المعروف بابن الحلاوى الشاعر المشهور كان من احسن الناس صورة و الطفهم اخلاقا و اكرمهم عشرة مع الفضيلة التامة فى الادب و المشاركة فى غيره و امتدح الخلفاء و الملوك و الاعيان و اقام بالموصل عند صاحبها الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ولبس زى الجند و شعره فى نهاية الجزالة و الرقة و جودة المعانى فمنه ما نظمه ليكتب على مشط للملك العزيز صاحب حلب رحمه الله تعالى و هو .

حللت من الملك العزيز براحة غدا لثمها عندى اجل الفرائض
و اصبحت مفتر الثنايا لانى حللت بكف بحرها غير غائض
و قبلت سامى خده بعد كفه فلم اخل فى الحالين من لثم عارض

و قال يمدح الملك الناصر داود رحمه الله تعالى .

احيا بموعده قتيل وعيده رشأ يشوب وصاله بصدوده
قمر يفوق على الغزالة وجهه وعلى الغزال بمقلتيه وجيده
ياليته يعد الملال (١) فانه ما زال ذا لهج بخلف وعوده
﴿ ٤٦ ب ﴾ يفتر عن عذب الرضاب حياتنا
فى ورده و المنوت دون ورده
برد يذيب ولايذوب وربما اذكى زفير الوجد رشف برودة (٢)

(١) كذا و لعله الوصال و وقع فى فوات الوفيات المطبوع حديثا « الصدود »
(٢) وقع فى الفوات المطبوع حديثا «وانما اذنى زفير الوجد عذب برودة»

Marfat.com

انسه اذجاء يسحب بُردَه والليل يخطر فى فضول بُروده
والصبح مأسور احدّ لاسره جنح الظلام تأسفا لفقيده (١)
والليل يرفل فى ثياب حدادِه والصبح يرسف فى وثاق حديده
ولذاك لم تنم النجوم مخافة منْ ان يعانى الصبح فيك (٢) قيوده
بمدامة صفراء يحمل شمسها بدرٌ يغير البدر عند سعوده
كأس كأن مدامها من ريقه وحَبَا بها من ثغره وعُقوده
ما زال يُرشفنا شقيقة ريقه طيبا ويلثمنا شقيق خدوده
حتى تحكَّمَ فى النجوم نعاسها والتذّ كل مسهّد بهجوده
ورأى الصباح تخلّصا من اسره فاتى يكرُّ على الدجى بعموده
قد اطاع الحسنُ سنّةَ وجهه حتي كأن الحسن بعض عبيده
انا فى الغرام شهيده ما ضرّه لو ان جنة وصله لشهيده
يا يوسف الحسن الذي انا فى الهوى يعقوبه منى (٣) آل داوده
اشكو اليه من الزمان فانه ملك يشيب سطاه رأس وليده
ملك اذا اللأواء لاح لواؤها هزمت كتائبها طلائعُ جوده
ذرت مواهبه العفاة فاصبحت ترجو المواهب من وفود وفوده
لواؤه تغنيه فى يوم الوغى والسلم عن راياته وبنوده
لك يسير النصر تحت لوائه حتى كأن النصر بعض جنوده

(١) الجيد لبسى الحداد وفاعله جنح الظلام كما فى هامش فوات الوفيات (٢) كذا فى الاصل وفى فوات «فلك» وهو الصواب (٣) كذا .

Marfat.com

(٤٧ الف) و اذا العد و يحت لدن رماحه
فبكت ثعالبها بقلب اسوده

من كل اسمر فى الملاحم طالما عاد الردى مهج الكماة بعوده
غصبت عواملها الظلام نجومه والبان قد سلبته لين قدوده
سمر اذا الجبار سام دفاعها وردت استتها نجيع وريده
عذباتها صفر كوجه عدوه بالنصر تخفق مثل قلب حسوده
ملك الان لنا الزمان وانما داود معجزه بلين حديده

و قال

حكاه من الغصن الرطيب وَرِيقه وما الخمر الاّ وجنتا وَرِيقه
هلال ولكن افق قلبي محله غزال ولكن سفح عيني عقيقه
و اسمر يحكى الاسمر اللون قدّه غدا راشقا قلب المحبّ رشيقه
على خده جمر من الحسن مضرم يشب ولكن فى فؤادى حريقه
اقرّ له من كل حسن جليله ووافقه من كل معنى دقيقه
بديع الثنى راح قلبي اسيره على ان دمعى فى الغرام طليقه
على سالفيه للعذار جريره (١) وفى شفتيه للسلاف عتيقه
يهدد منه الطرف من ليس خصمه ويسكر منه الريق من لا يذوقه
على مثله يستحسن الصب هتكه وفى حبه يحفو الصديق صديقه (٢)

(١) وقع فى الاصل «رجديدة» خطأ (٢) سقط بيت من «ص ١» له ارتباط بما بعده و هو فى نزوفوات الوفيات.

من الترك لايصبيه وجد الى الحمى ولا ذكر بانات الغوير تشوقه

Marfat.com

لاجل في حي تلوح قبابه ولاسار في ركب يساق وسيقه
ولا بات صبا بالفريق واهله ولكن الى خاقان يعزى فريقه
له مبسم ينسى (١) المدام بريقه ويخجل نوّار الاقاحي بريقه
(٤٧ب) تداويت من حرّ الغرام ببردهم فاضرم في ذاك الحريق رحيقه
اذا خفق البرق اليماني مَوهنا تذكرته فاعتاد قلبي خفوقه
حكى وجهه بدر السماء فلو بدا مع البدر قال الناس هذا شقيقه
وتشبه زهر الروض حسنا وقد بدا على عارضيه آسه وشقيقه
رآني خيالا حين وافى خياله فاطرق من فرط الحياء طروقه
وان شبهت منه الخصر سقما فقد غدا يحملني كالخصر مالا اطيقه
فما بال قلبي كل حبّ يهيجه وحتّام طرفي كل حسن يروقه
فهذا ليوم البين لم تطف نارُه وهذا لبعد الدار ما جفّ موقه (٢)
ولله قلبي ما اشدّ عفافه وان كان قلبي (٣) مستمرا فسوقه
يرى الناس اضحوا جاهلية ودّه فما باله عن كل صبّ يعوقه
فما فاز الا من يبيت صبوحه شراب ثناياه ومنها غبوقه

وكتب اليه لغزا في شبّابة .

طقة خرساء بادٍ شحوبها (٤) تكنفها (٥) عشر وعنهن تخبر

(١) في الاصل « ينشى » (٢) وقع في الاصل « لبعد البعد . . . سوقه » خطأ
(٣) في الاصل « طرفي احسن في هذا المعنى » ومثله في نزهة الوفيات
(٤) في الاصل « شجونها » خطأ (٥) وقع في الاصل « تلتفها » خطأ .

يلذ الى الاسماع رجع حديثها (اذا سد منها منخر جاش منخر) (١)

فكتب جوابه .

نهاني النهى والحلم (٢) عن وصل مثلها (فكم مثلها فارقتها وهى تصفر) (٣)

وقال

كن كيف شئت فان الله ذو كرم وما عليك بما تأتيه من بأس

الا اثنتين فلا تقربهما ابدا الكفر بالله والاضرار بالناس

﴿٤٨الف﴾ وقال يمدح الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازى

تبدى له فى الخد من نبط (٤) خطّ واخجل منه القد ما ينبت الخط

ولم ندر لما هزّ عامل قدّه وصارم جفنيه بأيهما يسطو

هو البدر وا فى فى دجى ليل شعره يرينا الثريا منه ما حمل القرط

رحيقىّ ثغر بابلىّ لواحظ له سالف كالورد بالمسك مختّط

من الترك لا وادى الا راك محله ولا داره رمل المصلى ولا السقط

رشيق الى خاقان يعزى نجاره فما مضر الحمراء يوما له رهط

كليث الشرى فى الحرب بأسا وسطوة وفى السلم كالظبى الغرير اذا يعطو

تحف به لين المعاطف مائسا فيمنعه ثقل الروادف ان يخطو

حمى ثغره من مشرف القد عامل له ناظر ما العدل فى شرعه شرط

له حاجب كالنون خط ابن مقلة يزينها كالخال فى خده نقط

فللبدر ما يثنى عليه لثامه وللغصن منه ما حوى ذلك المرط

---

(١) شطر بيت لتابط شرا (٢) فى الفوات «والشيب» وهو الظاهر (٣) شطر بيت ايضا له (٤) وقع فى الاصل « تنبت » خطا .

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجهه وبدر الدجى عن ذلك الحسن منحطّ
كما شبّهوا غصن النقا بقوامه لقد بالغوا فى المدح للغصن واشتطوا
وليل كجلباب الغراب ادّرعته الى ان بدا للصبح فى فوده وخط
على محلم الارساغ مستخضد القرى غدا لشواه فى ظلام الدجى خبط
كمثل عقاب الجو لما تسرّعت الى الصيد من اعلى التباريح تنحط
﴿٤٨ب﴾ سريت به والليل فى عنفوانه فما صدنى الاذوائبه الشُّمط
بكل رزين فى الامور مجرب خفيف على ظهر المطية اذ ينطو (١)
اقول لصحب مدلجين تدرعوا جلابيب ليل عن سنا الفجر ينعطو
اذا جئتم ارض العواصم او بدت لكم غرة الشهباء من حلب حُطوا
ففى ساحة الملك العزيز فعرّسوا فما نافع فى غير ابوابه الحطّ
مليك ينيل الدر بالجود باسما فمن يده سمط ومن لفظه شمط
فراجته قبض على السيف فى الوغى ولكن لها فى يوم نائله بسط
مليك سما عن كل شكل واغربت مواهبه عن نائل ما له ضبط
اذا انشد الحرمان اموال غيره لمن خيره يسمو النوال فلم ينطوا
فامواله ما زال ينشدها الندى لآية حال حكموا فيك فاشتطوا

وقال

وافى يخر قوامه غصن النقا خذلان، مخذول القوام (٢) مقرطقا
ومنعم لولا مرارة هجره وصدوده لم ادرما نظم الشقا
دقت معانيه ولكن خصره قد زاد فى معنى النحول ودققا
مراشف منها الامانى تشتهى ولواحظ منها المنايا تتقى

(١) كذا ولعله يمطو (٢) كذا ولعله جذلان مجدول .

Marfat.com

رشأ لبارق ثغره ولشعره الملوى احييت اللوى والابرقا
لاغروأن تصبي منازل رامة قلبي فاطرب نحوهن تشوقا
وشفاه مبسمه العقيق وريقه ماء العذيب وثغره جذع النقا

وله فى مليح قصر شعره

﴿٤٩ الف﴾ قصرت شعرك كى تقلّ ملاحة
فكساك ابهى الحسن وهو مقصر
وقطعته ليقل عناشرّه واللائم اقتله القصير الآبتر

وقال

واضيعة القلب فى هوى صنم جار على القلب وهوكافره
له عذار اقام فى الخدحوا ين وما حال منه ناضره
والانماء والعيون مصرفها اليه والدمع فيه ماطره
وكيف يزكو نبات عارضه وفاتر بالسواد ناظره

وكتب الى قاضى القضاة محيي الدين ابو الفضل يحيي بن الزكى يصف خطه ويقول .

كتبتَ فلولا ان ذاك محرّم وهذاحلال(١)قست خطك بالسحر
فوالله ما ادرى ازهر خميلة بطرسك ام دريلوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة وان كان درا فهو من لجة البحر

وقال

أ ألقى من صدودك(٢) فى جحيم وثغرك كالصراط المستقيم

(١) كذا و فى الفوات «ان هذا محلل : و ذاك حرام » (٢) كذا فى الفوات ووقع فى الاصل « فى خدودك » كذا .

واسهرنى

Marfat.com

وأسهرنى لديك رقيم خدّ فوا عجبا أأسهر بالرقيم
وحتّام البكاء بكل رسم كأنّ علىّ رسما للرسوم

وقال فى غلام اسمه حسن

لحاظ عينيك فاتنات جفونها الوُطّف فاترات
فرْق بينى وبين صبرى منك ثنايا مفرقات (١)
﴿٤٩ب﴾ ياحسنٌ صدُّه قبيح بجمع شملى به شتات
قد كنت لىْ واصلا ولكن عداك عن وصلك العداة
انْ لم يكن منك لى وفاء دنت لهجرانك الوفاة
حيّات صدغيك قاتلات فما لمسوعها حياة
والثغر كالثغر فى امتناع يحميه منْ لحظك الرماة
يا بدر تمّ له عذار بحسنه تمّت الصفات
منمنم الوشى فى هواه ياطالما نمّت الوشاة
نبات حل (٢) حلاك حسنا والحلو فى السكّر النبات

وقال

جاء غلامى فشكا امركميتى وبكا (٣).
وقال لى لاشك برذونك قد تشبكا
قد سقته اليوم فما مشى ولا تحركا

فقلت من غيضى له مجاوبا لما حكى

(١) فى الفوات « وبين خمر ودر ثغر : منك ثنايا مفرقات (٢) كذا وفى الفوات صدغ » (٣) وقع فى الفوات المطبوع حديثا « مكا » .

Marfat.com

تريد ان تخدعنى وانت اصل المشتكى
ابن الحلاوىّ انا خل الرياء والبكى
ولا تخادعنى ودع حديثك المعلّكا
لوانه مسيّر لما غداد مشبكا
فمذ رأى حلاوة الالفاظ منى ضحكا

اجتمع بالموصل جماعة من الادباء منهم ابن الحلاوى [عند] (١) شخص لقبه ﴿٥٠ الف﴾ الشمس فقالوا له اطعمنا شيئا فقال ما عندى شىء اطعمكم فقال احدهم الطامع فى منال قرص الشمس وارتج عليه فقال ابن الحلاوى كالطامع فى مثال (٢) قرص الشمس.

ولما توجه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الى بلاد العجم للاجتماع بهولاكو. ملك التتر كان ابن الحلاوى المذكور فى خدمته ولما وصلوا تبريز (٣) مرض بها وتوفى فى شهر ربيع الآخر او جمادى الاولى هـــذه السنة وقد ناهز ستين سنة من العمر وقيل انه توفى بسلماس رحمه الله تعالى.

احمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن ابى الحديد ابو المعالى موفق الدين ويدعى القاسم ايضا مولده فى ربيع الاول وقيل فى جمادى الاخرى سنة تسعين وخمسمائة بالمداين وتوفى ببغداد هذه السنة بعد اخذ التتر لها بقليل وكان اديبا فقيها فاضلا شاعرا محسنا مترسلا مشاركا

(١) ضرب عليه فى «ص ١» خطأ (٢) وقع فى «ص ١» «منال» ايضا ـ خطأ
(٣) فى فوات الوفيات المطبوع حديثا «بقيزرد» كذا

فى

فى اكثر العلوم وله اشعار كثيرة .

منها

اسعد بدير سعيد ايّها الساقى وامزج وخذواعطنى من غير اشفاق
من خندريس كأنى حين اشربها طسوع همّ تحسى كأس درياق،
نار ٭ ولكنها للماء عاشقـــة
تزداد من وصله ضوءا باشراق﴿٥٠ ب﴾

شبّت فالبست الساقى بصيغتها ثوبا والبسنيه ذلك الساقى
تجرى الكؤس فلا تجرى محادثة مع الذى زاد فى همّى واشواقى
لم اقض فى عمرى الماضى هوى حلب يا ليت شعرى فهل اقضيه فى الباقى
وذى قوام تثنى فى غلائله مثل القضيب تثنى بين اوراق،
نظمت من غزل فى حسن صورته عقدا تقوم به الدنيا على ساق
ياعقرب الصدغ فى الخد الاسيل أما لمن لسبتِ (١) شفاء منك اوراقى

وقال وهو بدير ميخائيل (٢) بالموصل .

كل الورى فيك حسادى وعذالى يا فاقد المثل ما العشاق امثالى
بكائ وقف عليكم بعد فرقتكم لا للوقوف على ربع واطلال
رضا العواذل سخطى فى هواك وفى وفاقهم خلف اغراضى وآمالى
يا ساكنى دير ميخائيل (٢) لى قمر ، لكنه بشر فى شكل تمثال
قريب دار بعيد فى مطالبه غريب حسن والجمان واقوال

(١) بمعنى لسعت (٢) فى معجم البلدان «دير مانخايال... وهو دير بانخايال... وهو دير ميخائيل» .

Marfat.com

سكرت من صوته لما اشاربه مالست اسكر من صهباء جريال
مارمت امسك نفسى عند رؤيته الاتغيرت من حال الى حال
يا ليلتي بفناء الدير لست كمن يقول ياليلتى بالشيح و الضال
قد صرت انشد بيتا صار لى مثلا لولا وصالك لم يخطر على بالى
(٥١ ألف) لواشتريت بعمرى ساعة سلفت
من عيشتى معكم ما كان بالغال

وقال ايضا .

مرحبا بالخيال اذزار وهنا وشفى لوعة المحب المعنّى
وقضى حاجة تسر وسرّى همم القلب عن لبانا ولبنى
كلّما قلت قد تسليت عنه عادنى طيفه وعن ... فعنا
شادن لو بدا يفاخر بدرا خجل البدر بالملاحة حسنا
واذا ما انثنى رأيت كثيبا بند القبا(١) يحمل غصنا
ترك الرمح والحسام وابدى سيف لحظ وهز بالقدّ لدنا
ليلة الدير حيث نسمع لحنا حسن النظم ما يقارب لحنا
سعدت ليلة رأيت بها الشمس وجنح الظلام ينجاب عنّا
بين صرعى محاجر وعيون بات بحيهم (٢) اذا ما تغنا
ايها الشمس من يقل فيك معنى لم يصب فيك انت كلك معنى
قد نمت (٣) جوارح الناس طرا انها صيرت لاجلك اذنا

وله ايضا .

لحظات طرفك ام شفار مهند هزمت جيوش تصبرى و تجلدى

(١) كذا (٢) كذا ولعله « يحميهم » (٣) كذا ولعله تمنت .

Marfat.com

ما رنقت عيناك من سنة الكرى الا لشقوة عاشق لم يرقد
عجباً لطرفى لايزال يعوم فى ماء الملاحة وهو كا العطش الصدى
ولنور وجهك وهو قد هتك الدجى بضيائه اذضل فيه المهتدى
يا قاسم العشاق من متقلقل سكن الفناء و ساكن مستبعد

﴿١٥ب﴾ ته كيف شئت فحسن وجهك قد غدا
متوددا فينا بغير تودد

وكأن خط عذاره فى خده سيح اذيب على صفيحة عسجد

قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطى رحمه الله تعالى .
انشدنى موفق الدين المذكور له .

قم عدمت عواذلى فى عشقه
بل ما عدمت تزاحم العشاق
يبد و فتسبقه العيون وانها مأمورة بالغض والا طراق
عيناى قد شهدا بعشقك انما لك ان تقول هما من الفسّاق

قال وانشدنى لنفسه ما كتبه الى صديق له استعمل خاتما .

يمينك تبغض اموالها و تهوى شبا القلب الذابل
فكيف استقر بها خاتم على كثرة الجود والنائل
لقد كاد يغرق فى بحرها ولكنه كان فى الساحل
أرانى جبنت على حبكم و تأبى الطباع على الناقل
وقلت لمن كان لى عاذلا الام الطاعة للعاذل

و قال موفق الدين

لو يعلمون كما علمت لما لحَوا(١) فى حبه ولأقصروا اقصارا
هــلا احدثكم بسر لطيفة دقت الى ان فاتت الابصارا
حاذت(٢) صقال خدوده اصداغه فتمثلت الناظرين عذارا

وله ايضا

بيت من الشعر فى تشبيه وجنته لما احاط به سطر من الشَعَر
(٥٢ الف) كالظل فى النور او كالشمس عارضها
خــط من الغيم او كالمحو فى القمر

و قال الصاحب جمال الدين عمر بن العديم فى تاريخــه انشدنى موفق الدين لنفسه .

عــلى ليال خلب بعدنا منى سلام رائح باكر
و كيف انسى حاضرا زارنى فيها و قد طاب لنا الخاطر

قال و انشدنى لنفسه .

تقاسمت بى اقطار البلاد فقد اصبحت مجتمعا فى زى منشعب
فى القدس عزمى وجسمى فى دمشق بــلا قلب و قلبى مع الاحباب فى حلب

و قال يمدح تاج الدين محمد بن حسين الارموى .

اردد لثامك حتى يستر اللعس وقف ليبعد عن اعطافك الميس
انى اغار على حسن حبيت به اصابه العين ان العين تختلس

(١) هكذا فى الفوات و وقع فى الاصل «نحو» (٢) فى الفوات «حادت» ..

يا غاهب

Marfat.com

ياغاصب الخشف اوصافا مكملة لم يبق للخشف الا السوق والخنس
وفاضح البدر ان البدر مقتبس ... فى الدهن من خديك يقتبس
معدل الخَلق لاطول و لاقصر مكمل الخُلق لاهين و لاشرس
يصحّنى حبه طورا ويمرضنى فكم ابلّ من البلوى و انتكس
حموه عن كل ما يشفى العليل به حتى على طيفه من شكله حرس
قد كنت ابصر صبحا فى محبته فعاد وهو بعينى كله غلس
﴿٥٢ ب﴾ مالى وللحب يلهو القلب عن مدح اوصافها فصحٌ اضدادها خرس
كيف الذهول وتاج الدين خيرفتًى خير المديح بخير الناس يلتمس
حبر تفيض به نفس بهمتها لم يبق للشبر لا روح ولا نفس
نور تلقته نفس منك طاهرة لولاه لم يبد فينا ذلك القبس
شاركت فى الروح عيسى ما استبدّ بها كلا كما فى البرايا روحه قدس
حكمت فى العالم العلوى عن نظر صاف من الشك ما فى فكره دنس
ولو رأى منك جالينوس معجزةً ما قال فى الكل إن الامر ملتبس
وكاد يؤمن بقراط الحكيم بما يلقى اليه ولا يرتاب برقلس
وحومة مزجت شكا جوانبها فما درى الحبر فيها كيف ينغمس
اعيى الخواطر فيها حادث جلل واستعبد النطق فى ارجائها الخرس
حتى اذا جاء تاج الدين فرجها يغضى البياذق مهما عدت الفرس

وله فى رجل جعل عارض الجيش ببغداد وخرج من دار الوزير وعليه خلعة مجديدة فعانقه موفق الدين وقبله وانشده .

Marfat.com

لما بدا رائق التَّشنّى(١) وهو بانوابة يميد
قبلته باعتبار معنى لانه عارض جديد

﴿ ٥٣ الف ﴾ وقال .

ياهاجرى لما رأى شغفى به ما كان حق متيم ان يهجرا
ان الذى خلق الغرام هو الذى خلق السلوّ فلا يغرك ما ترى

وقال

افدى الذى زارنى والخوف يقلقه يمشى ويكمن فى العطفات والطرق
قبّلت اطراف كفيه على ثقة من منّه وخديه على فرق(٢)
وكان فى اخريات السكر مضطربا اذا اراد انتظام اللفظ لم يطق
لله ما احسن الصهباء منعمة علىّ اذ علمته طيبة الخلق
اهدت اليه سرورا نلت معظمه كالفعل ينصب مفعولين فى نسق

وقال

اوعاد وصلك لى لما عاد الزمن واحسرتا مضت الشبيبة والسكن
لم الق الامَن يذمّ زمانه قبل الممات فهذه الدنيا لمن

وقال

معقل الحسن فى محياك لايطمـ ـع فيه والثغر ثغر محصَن
قد حماه عن الوصول اليه حاجب مقفل وصدغ مزرفن

وقال

اللؤم فيك لحاجة من عاشق وافى يحاد عنى بلفظ العاذل

(١) هكذا فى الفوات ووقع فى الاصل « المثنى »(٢) كذا ولعله: منه وقبلت خديه على فرق .

﴿٥٣ب﴾ما كنت بجهولا لديه فلم اقلَ امط اللثام عن العذار السائل

تولى موفق الدين المذكور قضاء المداين فى ايام الامام الظاهر بامر الله رحمه الله ثم انتقل الى بغداد و صنف كتابا سماه الحاكم فى اصطلاح الخراسانيين و العراقيين فى معرفة الجدل و المناظرة و تولى كتابة الانشاء و غير ذلك رحمه الله .

اسعد بن ابراهيم بن حسن بن عـــلى ابو المجد مجد الدين الشيبانى الاربلى النشابى ولد باربل فى صفر سنة اثنتين و ثمانين و خمس مائة كان فى اول امره يعمل النشاب فنسب اليه و بقيت النسبة عليه و لما كبر سافر من اربل و تنقل فى بلاد الجزيرة الفراتية و الشامية ثم عاد الى اربل و تولى كتابة الانشاء لملكها الملك المعظم مظفر الدين ابى سعيد كوكنورى ابن الامير زين الدين على بن بكتكين و الظاهر ان ذلك كان فى حدود سنة خمس عشرة و ستمائة و لما توجه مظفر الدين الى بغداد فى سنة ثمان و عشرين و ستمائة كان فى خدمته و دخل مظفر الدين على الامام المستنصر بالله امير المؤمنين ابى جعفر المنصور ابن الامام الظاهر بامر الله و هو بين يديه فى نفر يسير من خاصته فى يوم دخولهم بغداد و لما رفع الحجاب و قبلوا الارض بين يديه تقدم المجد و قال .

﴿٥٤الف﴾ جلالة هيبة هذا المقام ، تحيّر عالم علـــم الكلام
كأن المناجى به . قائما يناجى النبى عليـــه السلام
و لو كشف الخطا لرأينا الملائكة بك حافة، و وجدنا الروح الامين
قد تلاوة الوحى المنزل، على ابن عم النبى المرسل، و يقول هذا اكرم

الخلفاء و افضل ، و صلاة الله و سلامه يخصان الاكرم الافضل ،

و لو جمع الائمـــة فى مكان وانت به لكنت لهم اماما

فالله تعالى يؤيد هذه الدولة الشريفة بنصره ، و يرد كيد عدوها فى نحره ، و لما تولى و زارة اربل شرف الدين ابو اسحاق ابراهيم بن على بن حرب عرف بابن المو الى الموصلى و غـالب الظن ان ذلك كان فى سنة ثلاث و عشرين و ستمائة او ما يقار بها عمل فيه المجد المذكور و كان اذا حضر الى الديوان يصيح الجاويش له ؛

فرحنا و قلنا تولى الوزير و افلح ديواننا بالوزاره

فما زادنا غير جاويشـــه و فى كتبنـا كتب بالاشاره

وكان قد و قع اختلاف بين الاخوين البدر الكامل محمد و الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل و الكامل يومئذ صاحب مصر و الاشرف صاحب بلاد الشرق و خلاط فمال ملوك الشام و الشرق الى الكامل و تحاملوا على الاشرف ﴿٥٤ ب﴾ فقال المجد المذكور فى ذلك .

صاحب مصر ثنى الملوك عن الاشـ رف من كل مسعدون

و احتج كل به فقلت و هل يؤ خذ موسى بذنب فرعون

و عمل المجد المذكور فى شرف الدين ابى البركات المبارك بن احمد ابن موهوب و زير اربل و صاحب تاريخها المكين و يعرف فى اربل بابن المستوفى قال .

ان المبارك فيه توقف و لجاجه صديقه انت مالم تعرض اليه بحاجه

و اهدى المجد المذكور الى شرف الدين المذكور فى بعض الليالى

طبقا فيه تفاح مخضب و سفرجل عـلى يد غلام وكان جميل الصورة فوصل اليه و عنده جماعة منهم الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجرى فعمل كل واحد من الحاضرين فى ذلك شعرا فعمل الحاجرى .

أهدى لنا المجد تفاحا واحمره من خد من حمل التفاح مسترق ،
و للسفرجل من اعلاه رائحة بضوع منها لمهديه ثنى عبق
فظلت اعجب من جالين كيف حوى وصف الغلام و وصف السيد الطبق

و لم يزل المجد على رياسته و كتابته الى ان نقم عليه مخدومه مظفر الدين فاخذه و اعتقله فى شهر رمضان سنة تسع ﴿ ٥٥ الف ﴾ و عشرين و ستمائة فى قلعة يقال لها الكرخينى من اعمال اربل بينها و بين بغداد و لم يزل محبوسا بها الى ان مات ،مظفر الدين رحمه الله فى شهر رمضان سنة ثلاثين و ستمائة و ارسل الخليفة عسكره فاخذوا اربل و افرجوا عن المحابيس فكان المجد فى جملة من خلص و ذلك فى شوال من السنة فخرج و توجه الى بغداد و تنقل فى خدمها الى ان استولى التتار عليها فى صفر هذه السنة و قتلوا من ظفروا به و كان المجد فى جملة من استخفى فسلم و خرج بعد سكون الفتنة و مات فى بقية سنة سبع و خمسين و ستمائة رحمه الله .

و من شعره

ولما رأى بالترك هتكى ورام أن يكتم منه بهجة لم تكتم
تشبه بالا غراب عند التشامه بعارضه ياطيب لثم الملثم
شكا خصره من رقه فتراضيا بفصلهما بند القباء المكتم

Marfat.com

ورد جيوش العاشقين لأنه اتاهم بخط العارض المتحكم

و قال

تقلد امر الحسن فاستعبد الورى وراحت له الافكار تنظم ديوانا
وعامله ولى على القلب ناظرا فاصبح لماحلّ بالقلب سلطانا
غدا باحمرار الخد للحسن مالكا ومن فيه ابدى للتبسم رضوانا
فابدى لنا من ثغره ورضابه وعارضه راحا وروحا وريحانا

(ب ٥٥) رأى خده ميدان حسن وخاله

به كرةٌ فاستعطف الصدغ جوكانا
اجل نظرا فى خده يا معنفى تجد فيه من انسان عينكَ انسانا
وقل لأسيلات الخدود اتيتنا تخاد عننا فى الحب كان الذى كانا

و قال

والافق روضٌ زهره يفتح لى كمامه
قبضت به كف الثريا فالهلال لها قُلامه
والقلب من طعن الشمال برمحه فيه علامه
واغن يشهد أن ريقته الطُلى عود البشامه
يصمى القلوب اذا رمى باللحظ يارب السلامه

و قال من ابيات

والبرق يخفق فى خلال سحابه خفق الفؤاد لموعد من زائر

و قال من ابيات ايضا

كأن ائتلاف البرق من جنباتها سلاسلُ تبر او سيوف قواضب

وكان مجد الدين المذكور من الفضلاء الرؤساء الاعيان غير انه كان مذموم المعاملة لاهل بلده ومعارفه لاينصفهم فى الوداد ويتكبر عليهم فهجاه

Marfat.com

فهجاه غير واحد باهاجي قبيحة اضربنا عن ذكرها كان صدر الدين بن نبهان الآتي ذكره ان شاء الله تعالى صديق عارض الجيش ببغداد فعزل ﴿ ٥٦ الف ﴾ ثم صار صدر الدين صورة و زير الامير شجاع الدين العزى فتو فى العزى فاتصل الصدر بعده بالملك فتح الدين ذكرى رحمه الله، فخرج فتح الدين من بغداد مغاضبا فعمل مجد الدين النشابي في ذلك .

رجل ابن نبهان الاعيرج شؤمها معلوم ما دار قط باحد الالقى المحتوم
قلع ملك و عزل عارض بهذا الشؤم

و عادجرر زعيمه (١) مبعراخت البوم

و له يمدح الملك المنصور زنكى ابن ارسلان شاه بن مسعود ابن مودود ابن زنكى رحمه الله .

يا لقومى قد جئتكم مستجيرا لا ارى منكم وليّا نصيرا
انا ما بين عاذل و رقيب منهما خلت منكرا و نكيرا
بابى شادن تبدّى فامدى من محياه بهجة و سرورا
و عذار فى ذلك الخد ابدى بهجا (٢) الحسن جنة و حريرا
و ثنايا كأنها من لجين قدّروها فى ثغره تقديرا
لارعى الله يوم زموا المطايا انه كان شرّه مستطيرا
اودعوا حين ودّعوا الصبّ وجدا وتناءوا (٣) والقلب يصلى سعيرا
واسالوا الدموع من نرجس غض على الخد لؤلؤا منثورا
فغدا الصب يرتضى الحب دينا ويرى ناظر السلو حسيرا

(١) كذا وفى الفوات « وعاد جزور غيمه » (٢) كذا فى الفوات وفى الاصل خبط (٣) كذا فى الفوات وفى الاصل « ناوا » خطأ .

Marfat.com

﴿٥٦ب﴾ وهدى قلبه السبيل فاما صابرا شاكرا وإما كفورا
صمّ سمعى عن الكلام كما صـ رت بمدحى زنكى سميعا بصيرا
ملك اشرقت به ظلم الده رفاضحى لنا سراجا منيرا
وارانا نواله وسَطَاه فرأيناه منه بشيرا نذيرا
كل(١) ساعٍ داعٍ له بدوام الـ ـملك ما زال سعيه مشكورا
كم سقى سيفه شرابا حميما وسقى سَيبُه شرابا طهورا
سرّح الطرف فى ذراه ترى ثَـ ـمّ نعماه (٢) وملكا كبيرا
لم ير النازلون فى ظله المغمو رشمسا يوما ولا زمهريرا
ويبيح الطعام والمال كمء تم يتيما بزاده واسيرا
قسم الدهر بين بأس وبذل فد عوناه سيدا وحصورا(٣)
اذ يعنّى العفاة منه اجورا يقذ فون العداة منه دحورا

وله فى أصحاب الديوان

قد قسمنا الديوان خمسة اقسا م عليها لكل قول دليل
ربّ حق فلا يطاع ومنسو ب الى الظلم قوله مقبول
ثم شخص كأنه الحرف فى النحـ ـو فلا فاعل ولا مفعول
ومصر على التحيف والظلم بعيد عن الصواب جهول
واخو حاجة يمشى احوذا لالديه ان جاءه البرطيل
اتراهم لم يعلموا أن كلا منهم عن فعاله مسئول

وله وقد حبس وزير اربل جماعة الديوان لعمل الحساب .

(١) هكذا فى الفوات وفى الاصل « ان » (٢) كذا وفى الفوات « نعيما به »
(٣) كذا ولعله هصورا.

﴿٥٧ الف﴾ جماعة الديوان فى ليلة شحط مظلمه
وقد غدت ايدى الوزير منهم منتقمه
لا رحم الله الذى يرحم قوما ظلمه

وقال فى المعنى

جماعة ديواننا اصبحوا وهم فى العذاب لسوء الحساب
فان (١) يرجو الوزير الثواب فقتلهم من جزيل الثواب

وقال لما حبس يعقوب النصرانى مشرف ديوان اربل وتولى المختص النصرانى مكانه .

فرحنا بيعقوب اللعين وحبسه وقلنا اتانا ما يطيب به القلب
فلما ولى المختص فالشر واحد اذا ما مضي كلب اتى بعده كلب

وكتب الى مؤيد الدين وزير بغداد هذه نهاية اقدام على غاية انعام، وهداية اقلام الى اعلام، اعلام . وفاتحة حمد . الى خاتمة مجد ، يتشعب منها شعب الارجاء، الى ابنة شعيب الرجاء، وقد جاءت تمشى على استحياء ، الى عصم تأوى الطريدة، يبتغى غضارة عيدان السماحة، والمجد عرض يعرضها عارض مستمطر اودية ، وحامل الوية ، وكافل ادعية ، لايلوى الى طمع ، ولايأوى الى طبع ، يعتصم من طوفان الحرض لجودى (٢) العفاف ، ويرهب الخشع (٣) بسطوة الكفاف .

اذا قيل هذا منهل قيل قدأرى ولكن نفس الحر تحتمل الظمأ
﴿٥٧ ب﴾ واذا خامر الهوى قلب صب فعليه لكل سقم دليل

(١) كذا ولعل الساقط «يك» (٢) كذا ولعله الحرص بجودى (٣) كذا ولعله الخشع

Marfat.com

اللهم غفرا من دعوى تفتقر الى برهان وقول لا يترجح له ميزان ، الا بعيار الامتحان .

زنى القوم حتى تعلى عند وزنهم اذا رفع الميزان كيف اميل

فلا لعا بعدها ان والت قريحة عاثرة ، اوتأ ولت بصحة قاصرة ، وها هو مستدرك فارط ، ما اخره من حقوق خدم لوقدمتها لاضاءت شاكلة الصواب ، ومستغفر من زلة قهره اقدام مدح يرجو ان يدخل عليه مليكه العذربه من كل باب ، ولئن بقيت وان بقيت لتسمعن مدحا تخب بها الرواة ، وتوجف حتى يقال صام نهار ادبه ، وغسق ليل هيد به ، ولسعسع (١) فم طرسه ، وجاء فى عسه ، وبسه ، لتعد وانفاسه على مضغه من ارض الفلا ، والوية مقاصده فى الاطراء على تلك الآلاء كالعقاب العسراء ، يتلقى كل رائة منها عرابة مجد ، بيمين حمد ، يحف بذاك الموكب المؤيدى والنادى الندى ، ما(٢) لها كتيبة ثناء يقال معها جاء محمد والخميس وجحفل اطراء ، ينادى به الآن حمى الوطيس .

واعتذارى اليك فرض وان كنت برئيا لعظم قدرك عندى

وقد كان يجب على هذا العبد المقصران يرفع فى كل يوم بل فى كل ساعة حدبه(٣) يقف بها كوقوف ابن حجر الكندى ﴿٥٨ الف﴾ وطرفة العبدى وعمرو بن معدى والنابغة فى السؤال والاعشى بالاطلال والطائى ومديح للانه (٤) والشحيح الذى ضاع فى الترب خاتمه بل كوقوف عبد المسيح على سطيح ، ووقوف وفد العرب باليمن ، على سيف ابن

(١) كذا ولعله ولعس (٢) كذا ولعله فيا (٣) كذا ولعله جريدة (٤) كذا

Marfat.com

ذى يزن، .

وكنت جديرا حين اعرف منزلا لآل سليمى ان يعنفنى صحبى

وما صده عن مخاطرة الخاطر و اقتحام حومة اقوال العواذل والعواذر سوى التحرز من الاستمهان و التهجم بنفاق ما قد كسد فى هذا الزمان .

ولما تمادى قلت خذها عريقة ، فانك من قوم جحاجة زهر

ولقد ناجاه فكره بهذه المناجاة و ثقة ظنه بسلوك سبيل هذا النجاة، متيقنا ان تلك الالمعية التى تدرك الاشياء بعين التحقيق ، و تنظر المغيبات من وراء ستر رقيق، لايخفى عنها لمن اولى من ولّى وجه صدق يعيده الى شطر تلك القبلة، و استمسك بالعروه الوثقى من تلك الكعبة و دخل فى زمرة الداخلين للسلام ، و زاحم فى تلك الكتاب؟ الكريم لايكاد يخلص من كثرة الزحام، و لوظفرت بلقياه لشاهدى وكل حاجة(١) لى فى الثناء فم، لكنه علم انّ ظاهر امره يغنيه عن اعتذار ، و ايشاره سدباب القول يبعث ذوى المكارم على المسامحة بهذا الايثار .

و من يغو فى امرأتاه فانه الى ان يصيب الرشد فى الامر جاهد

﴿٥٨ ب﴾ و هو كالطبيب الذى يرى حفظ الصحة على وجهين احدهما ما يوافق الانسان و الثانى اخراج ما يضر بالابدان ،و كمال الطب هو العلم بحفظ الصلاح و موضوعه التحرز من الخلل قبل وقوعه و ان اخره قدر عن مثوله بجسمه فانه يرسل كل يوم قلبه الى ذلك الباب العالى فيعود على بينة من علمه و ربما سمع النداء او وجد على النور هدى

(١) كذا و لعله لشاهدى وكل جارحة .

Marfat.com

و لولا ان القلوب تنتقل من مكان الى مكان ، لما قيل انها بين اصبعين من اصابع الرحمن ، و هذا قول له عند اخوان الصفا مثل معروف ، و كذلك قيل لسارية الجبل حتى كشف مالم يكن لغيره بمكشوف ، و هاهو العبد يحافظ على شريعة تلك المحامل التى هى غير منسوخة و لامبدلة و لامستعارة و لامهملة ، اذلابد لكل شريعة من حافظ اما ان يكون معصوما اوغير معصوم ، فان كان معصوما فهو المطلوب ، و ان لم يكن معصوما ، كان عنده قوة ، و امانة و حفظ قام (١) مقام العصمة ، و بيان ذلك بالامتحان و التكلف لاثبات الحكمة ، فان قيل ما الواسطة ايها المدعى فى اقامة البرهان على اقدار تواصل هذا الصاحب الالمعى و الصدر اللوذعى حتى تعاطيت و لاء الولاء ، و نصبت على التميز و الاغراء ورفعت الخبر و الابتداء و شاركت حمزة والكسائى فى اعدام(٢) اللام فى الراء ، و لم تواط على الايطاء و لا اسندت الى النادى رواية الاكفاء و لا نكلت قوة و قيل عن الاقواء ﴿٥٩ الف﴾ و لهجت بعروض شكره فى كل مكان ، كأنه الضرب الكامل فى الاوزان ، هذا و لم يخرجو ذا ملك فى مضار فضله و لاضربت معلا قداحك لدى و ارف ظله ، و لونسى الك ذلك لكانت حياض بلاغتك بمرهجة مترعة ، و رياض فصاحتك باوصافه بمرعة (و قد و جدت مكان القول ذاسعة) .

وما على مادح اطراه من تعب فمدحه قبل نظم الشعر ينتظم

و قال يمدح الامام المستنصر بالله ابا جعفر المنصور و يشير الى ذكر الخلفاء .

---

(١) كذا ولعله قاما (٢) كذا ولعله ادغام .

Marfat.com

اَلجد يرتع فى المقام الافخر والعزّ يرتع فى الجناب الاخضر
والدهر من بعد القطوب بدا لنا يزهو كوجه الضاحك المستبشر
وتحلّت الدنيا على ابنائها تدعو بحىّ على الفلاح الاكبر
وغدا بها الاسلام يحمل رأيةً سوداء راية منذر ومبشّر
اعلى الأئمة من سلالة هاشم قدراً واشرف محتدا من عنصر
ورث النبوة طاهرا عن طاهر ارثاينزه عن مقالة مفترى
وبحقه ارث اللواء وبرده وحسامه وقضيبه والمنبر
واذا رأى الراؤن نور جلاله لم تلق غير مهلّل ومكبّر
اعطى الى ان قالت الدنيا قَد وحبا الى ان قال سائله اقصر
جمعت مكارمه الشراق(١) جميع او صاف الخلائق(٢) مفخرا عن مفخر
﴿٥٩ب﴾ فبكل وصف منه نعت خليفة
كالفعل شق ثناؤه (٣) عن مصدر
فنوا له السفاح والمنصور كالـ صور سيدنا الامام الانور
مهدىّ هذا العصر والهادى الى الـ امر الرشيد بنور هدى مبصر
وامين امة احمد وإمامها حقا ومأمون لها فى المحشر
لو بى بمعتصم به من واثق من فضله باواصر لم تخفر
كم مقتر اضحى على انعامه متوكلا امسى بمال مكثر
لم يرض منتصر ببعض عبيده أن شبهوه بتبع فى حمير
ما بات غير المستعين بعزه فى جنة من جوده اوعبقرى

(١) كذا و لعله الظراف (٢) كذا و لعله الخلائف (٣) كذا و الصواب بناؤه.

لوشاء معتزّبه ان يملك الـ دنيا رآها خاتما فى خنصر
نصب الصراط المستقيم لمهتد وافاض نائله العميم لمعتر
ولكل معتمد يدا (١) لم تقتر ولكل معتضد يدا (١) لم تقهر
والمكتفى بعزيمة من بأسه يطأ البلاد بكل ليث مخدر
ما زال مقتدر المرام وقاهر الـ اعداء بالجـد السعيد الأطهر
فالله راض بالذى يرضى به إن قال خلق غير هذا يكفر
فرضاه تقوى المتقى ولكل مس تكفف بنائله كنور الابجر (١)
فاز المطيع له فطائع امره يومامتى اصفى السريرة يؤجر
ملك البلاد فكان اقدر قادر وبحكمه قد دان كل مقدر
ماشأنه اذكان قائم هديه متقدما فى عصره المتأخر
فالمحتذى من جوده المتوفر كالمقتدى بعلائه المستظهر

﴿ ٦٠ الف ﴾ واذا استقل بقوة مستر شد
وجـد الهداية مثـل لمحـة منظر
هو راشد للمقتفى ومساعد للمعتفى ومعانـد للجـترى
هذا الذى اضحى الزمان بعزمه مستنجدا فى الحادث المستكبر
واذا ادلهمّ الخطب كان مناره للمستضىء ضياء صبح مقمر
لله سيف منه ناصر دينـه وبغيره دين الهدى لم ينصر
فاليوم برهان النبوة ظاهر بخلافة المستنصر المستبصر

ومنها فى ذكر الوزير مؤيد الدين

(١) كذا.

Marfat.com

سلطان كل معمم ومطيلس ومليك كل متوّج ومسور

ورد مجد الدين المذكور دمشق سنة اربع و ثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى ذكر عز الدين محمد بن ابى الهيجاء رحمه الله انه شيبانى ورأيت بخط كمال الدين احمد بن العطار انه انصارى و الله اعلم .

اسماعيل بن محمد بن يوسف بن عبد الله ابو ابراهيم برهان الدين الانصارى الاندلسى امام الصخرة كان رجلا صالحا كثير الخير و العبادة ، اخبر عن بعض الاولياء المجاورين بيت المقدس انه سمع هاتفا يقول لما خرب القدس .

ان يكن بالشآم قّل نصيرى ثم خُرّبت و استمر هلوكى
فلقد اتيت الغداة خرابى سمر العار فى حياة الملوك (١)

توفى البرهان اسماعيل المذكور ليلة الخميس الثالث والعشرين من المحرم بالقدس رحمه الله تعالى .

﴿٦٠ ب﴾ بَكتُوت بن عبدالله الامير سيف الدين العزيزى استاذ دار (٢) الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله كان من اكبر الامراء بالدولة الناصرية وله الحرمة الوافرة و المكانة العالية و المهابة الشديدة يده مبسوطة و امره نافذ فى المملكة و بيده الاقطاعات العظيمة و له الاموال الجمة و الخيول و الجمال و المواشى الكثيرة و غير ذلك ظاهر جعل شجاعا حسن السياسة و التدبير مليح الصورة بهيئ الشكل وكان يدا فى الجهات التى قبلى دمشق فتوفى هناك ودخل غلمانه وحاشيته دمشق

(١) كذا (٢) كذا وفى نز « استادار» هنا وفى مواضع أخر .

بالاعلام المنكسة و السروج المقلبة على الخيول المهلبة ومماليكه قد قطعوا شعورهم و لبسوا المسوح السود فكانت صورة مؤلمة مبكية ووجد له من الحواصل مالا يوصف و سمعت انه سم وان الذى تولى ذلك عزالدين عبد العزيز بن و داعة وانه سمه فى بطيخة خضراء وكان سيف الدين المذكور يحب البطيخ الاخضر ويجلب اليه حيث كان فاتفق انى سألت حسام الدين اتش العزى رحمه الله استاذ دار ابن و داعة اذكان متوليا قلعة بعلبك عن ذلك فانكر ان يكون استاذه فعله بل قال ان الملك الناصر سير استاذى فى بعض المهمات فلما اجتاز بالعسكر قصد خدمة الامير سيف الدين للسلام عليه فقال له الامير سيف الدين معك بطيخ إخضر ؟ قال فعاد الى خيمته و جهز له بطيخا اخضر و غيره ﴿٦١ الف﴾ من هدية دمشق فأكل من البطيخ و امعن و اتفق تغير مزاجه و مرضه و وفاته فقال الناس ما قالوا والله اعلم بالجملة فكان الامير سيف الدين جليل المقدار من اركان الدولة ومنذ توفى حصل الخلل و تغير احوال الدولة الناصرية رحمه الله تعالى .

الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو ك و هو عمرو بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن القاسم بن علقمة بن نصر بن معاذ بن عبدالرحمن ابن القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضوان الله عليه ابو على صدرالدين القرشى التيمى البكرى النيسابورى الاصل الدمشقى المولد و المنشا مولده بدمشق بكرة الحادى و العشرين من المحرم سنة اربع و سبعين و خمسمائة سمع من خلق كثير فى بلاد متعددة و حصل كثيرا من الكتب وكتب

وكتب العالى والنازل وكان حافظا مغرما بهذا الشأن وخرج تخاريج عدة وشرع فى جمع ذيل التاريخ الذى بدمشق وحصل منه اشياء حسنة ولم يتمه وعدم بعده وكان عنده رياسة وفضيلة تامّة وولى حسبة دمشق وسيّره الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الى الشرق برسالة الى السلطان جلال الدين خوارزم شاه ملك العجم باطنا واظهران توجهه ليحضر ماء من عين بتلك البلاد من خاصية ذلك الماء انه اذا حمل فى قوارير زجاج وحمل على الرماح ﴿٦١ ب﴾ تبعه نوع من الطير يفنى الجراد وكان قد حصل بالشام جراد كثير لم يعهد مثله فتوجه وصحبه جماعة صوفية واجتمع بجلال الدين منكبرنى خوارزم شاه وقرر معه الاتفاق مع الملك المعظم وتعاضد به واستحلفه له وكان سبب ذلك ان الملك الكامل والملك الاشرف اتفقا على الملك المعظم فاراد أن يحصل له من يعتضد به وكان السلطان جلال الدين مجاورا لخلاط وبلاد الملك الاشرف فى الشرق فلما ابرم صدر الدين ما توجّه بسببه احضر الماء المطلوب على الصورة المقترحة وعاد الى دمشق وكان الجراد قد قل فلما عاد البكرى كثر فعمل الناس فى ذلك الاشعار وظهر للناس ما توجه بسببه فى الامر وعلم الملك الكامل والملك الاشرف ذلك ولما عاد البكرى ولّاه الملك المعظم مشيخة الشيوخ مضافا الى الحسبة ولهذا صدر الدين خانكاه بدمشق تعرف قيسارية الصرف وكانت وفاته فى ليلة الاثنين حادى عشر ذى الحجة بالقاهرة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى .

الحسين بن ابراهيم بن الحسين بن يوسف ابو عبد الله شرف الدين

Marfat.com

الهذبانى الكورانى الاربلى الشافعى الصوفى اللغوى مولده فى يوم الاثنين سابع عشر ربيع الاول سنة ثمان وستين وخمسمائة قرأ الادب على جماعة منهم الشيخ ﴿٦٢ الف﴾ تاج الدين الكندى وسمع من ابى طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى وعمر بن محمد بن طبرزد وحنبل ابن عبد الله المهروانى اليمنى الكندى وآخرين وحدث بدمشق وغيرها وكان من الفضلاء المشهورين واهل الادب المذكورين عارفا بما يروم حسن الاخلاق لطيف الشمائل كثير المحاضرة بالحكايات والنوادر والاشعار وسمعت عليه كثيرا من مروياته بدمشق وبعلبك وكانت وفاته رحمه الله عصر يوم الجمعة بدمشق ثانى ذى القعدة ودفن من الغد بمقابر الصوفية ظاهر دمشق رحمه الله تعالى .

داود بن عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل بن يوسف بن يحيى بن قابس بن حابس بن مالك بن عمرو بن معد يكرب ابو المعالى عمادالدين الزبيدى المقدسى الاصل الدمشقى الدار والوفاة الشافعى مولده بدمشق فى ثانى عشر شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة سمع من الخشوعى وابن طبرزد وحنبل وغيرهم وحدث وخطب بجامع دمشق مدة وأم الناس به وخطب بجامع بيت الآبار وكان معروفا بالصلاح والتعبد وتوفى فى حادى عشر شعبان ودفن من الغد رحمه الله تعالى .

داود بن عيسى بن ابى بكر بن محمد بن ايوب بن شادى ابو المظفر وقيل ابو المفاخر الملك الناصر صلاح الدين ﴿٦٢ ب﴾ بن الملك المعظم شرف الدين ابن الملك العادل سيف الدين ولد الملك الناصر المذكور فى حادى

Marfat.com

جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة ولما ولد سماه الملك المعظم ابراهيم واخبر والده الملك العادل بذلك فقال اخوك اسمه ابراهيم يشير الى الملك الفائز فقال ماترسم ان اسميه فقال سمه داود فسماه فلما حج الملك المعظم فى سنة احدى عشرة وستمائة و اجتاز بالمدينة صلوات الله وسلامه على ساكنها تلقاه امير المدينة و خدمه خدمة بالغة و قال له ياخوند(١) اريد ان افتح لك الحجرة الشريفة لتزور زيارة خاصة لم ينلها غيرك فقال معاذ الله ان اتهجم واقدم على هذا, و الله انى فى طرف المسجد وانا رجل من أساة الادب فانى اخبر بنفسى ومثلى لاينبغى له ان يدانى هـذا المقام الشريف اجلالا له وتعظيما فرأى بعض الصلحاء النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام و هو يقول له قل لعيسى ان الله قد قبل حجه و زيارته وغفر له و لام(٢) ابراهيم لتأدبه معى و احترامه لى اوما هذا معناه فحضر ذلك الرجل الى الملك المعظم و قص عليه الرؤيا بمحضر من خواصه فبكى الملك المعظم لفرط السرور فلما قام من عنده قال ما اشك فى صدق هذه الرؤيا ان شاء الله تعالى فقال له خواصه لكن مايعرف لك ولد اسمه ابراهيم وحكى لهم صورة تسمية الملك الناصر اولا بابراهيم و انه هوالاسم

﴿ ٦٣ الف ﴾ الذى وقع عليه اولا ونشأ الملك الناصر فى حياة ابيه ملازما للاشتغال بالعلوم على اختلافها وشارك فى كثير منها وحصل منها طرفا جيدا وسمع بالشام والعراق من جماعة منهم محمد بن احمد الطيبى وغيره وكانت له اجازة من ابى الحسن المؤيد ابن محمد الطوسى

(١) اى امير (٢) كذا ولعله ولولده .

Marfat.com

وغيره وحدث وسأذكر من احواله واخباره واشعاره وترسله ما يعلم معظم امره ان شاء الله كان الملك المعظم عيسى رحمه الله خلف من الولد عدة بنات وثلاثة بنين الملك الناصر اكبرهم فملك دمشق وسائر مملكة ابيه فى عشر ذى الحجة سنة اربع وعشرين وستمائة واستقل بذلك .

وفى سنة خمس وعشرين وصل عماد الدين بن الشيخ من مصر الى دمشق ومعه ابن جلدك بالخلع والتغاير على الملك الناصر من الملك الكامل .

وفى سنة ست وعشرين خرج الملك الكامل لقصده وانتزاع دمشق منه فسير الملك الناصر فخر القضاة ابن بصاقة الى الملك الاشرف يستصرخ به فحضر الملك الاشرف الى دمشق لنصرته ونزل فى بستانه بالنيرب فجرت امور يطول شرحها لان الملك ﴿٦٣ ب﴾ الاشرف تغير عليه ومال الى الملك الكامل وفارق الملك الناصر وتوجه الى الملك الكامل واوهم الملك الناصر انه يصلح امره مع عمه الملك الكامل وكان الملك الكامل قد وصل بيسان فلما بلغه وصول الملك الاشرف رجع الى غزة وقال انا ما خرجت على ان اقاتل اخى الملك الاشرف فلما بلغ ذلك الملك الاشرف قال للملك الناصر داود الملك الكامل قد رجع حردان والمصلحة انى الحقه واسترضيه واقرر القواعد معه واما الملك الكامل فانه نزل غزة وكان الانبرور قد نزل الساحل بمقتضى مراسلة قديمة كانت من الملك الكامل اليه فى حياة الملك المعظم فلما حضر على تلك القاعدة بجموعه بعد موت المعظم سير الى الملك الكامل

وقال

وقال له أنا قد حضرت بقولك وعرفت ان غـــرضك قدفات ومعى عساكر عظيمة وخلق كثير ومابقى يمكننى الرجوع على غـــير شىء فحدثنى حديث العقال حتى ارجع الى بلادى فقال الملك الكامل ايش تريد قال تعطينا القدس وترددت المراسيلات بينهما اشهرا فاقتضى رأى الملك الكامل تسليم القدس ﴿٦٤ الف﴾ دون عمله وحصل الرضا بذلك فلما تردد الفرنج للزيارة اغتيل منهم فى الطريق من انفرد فشكوا ذلك الى الملك الكامل فاعطاهم القرايا (١) التى على طريقهم من عكا الى القدس ووقع الصلح والاتفاق على ذلك وحضر بعد ابرام الصلح مع الفرنج على هذه القاعدة لحصار دمشق فحصرها واخذها على ما سنذكر ان شاء الله تعالى ولما اجتمع الملك الاشرف والملك الكامل اتفقا على انتزاع دمشق من الملك الناصر وان يأخذها الملك الاشرف وينزل عن بلاد فى الشرق عينها الملك الكامل ووقع الاتفاق عليها فحضرا لحصاره بعساكرهما وحصراه مدة اربعة شهور وتسلما دمشق فى غرة شعبان سنة ست وعشرين وابقى عليه قطعة كثيرة من الشام منها الكرك وعجلون والصلت ونابلس والخليل واعمال القدس لان القدس كان سلم الى الانبرور قبل ذلك سوى عشر قرى على الطريق من عكا الى القدس فانها سلمت الى الفرنج مع مدينة القدس واخذ منه الشوبك فبكى بين يدى الملك الكامل عليها فقال له الملك الكامل تعالى تحصن بحصن يحمى رأسى وافرض انك وهبتنى اياه فسكت ﴿٦٤ ب﴾

(١) كذا ولعله القرى كما سيأتى .

Marfat.com

وخرج الملك الناصر باموالة و ذخائره جميعها و توجه الى الكرك و
التى ابقيت عليه و عقد على عاشوراء خاتون ابنت الملك الكامل
العادل بن الكامل سنة تسع و عشرين و بقى على ذلك مدة ثم تغير
عليه الملك الكامل تغيرا مفرطا و اعرض عنه اعراضا كليا و الزمه
طلاق ابنته ففارقها قبل الدخول بها فى سنة احدى و ثلاثين
وكان سبب تغيره عليه ان الملك الكامل قصد دخول الروم والاستيلاء
على ممالكه وكان ملك الروم اذ ذاك السلطان علاء الدين كيقباد بن
كيخسرو فتوجه الملك الكامل وصحبته الملوك بستة عشر دهليزا الملك
الاشرف مظفر الدين موسى و الملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب
ميافارقين و الملك الصالح عماد الدين اسماعيل و الملك الحافظ نور الدين
ارسلان شاه صاحب قلعة جعبر و الملك الناصر داود و الملك المعظم
توران شاه ابن صلاح الدين بعسكر حلب و الملك الزاهد محي الدين
داود بن صلاح الدين صاحب البيرة واخوه الملك المفضل قطب الدين
صاحب سميساط والملك الصالح صلاح الدين احمد بن الملك الظاهر غازى
صاحب عين تاب و الملك المظفر تقى الدين ﴿٦٥ الف﴾ محمود صاحب
حماة و الملك المجاهد اسد الدين شيركوه صاحب حمص وغيرهم و سير صاحب
الروم الى الملك العزيز صاحب حلب يقول انا راض بان تمده بالرجال
و لاتنزل اليه ابدا و اعفاه الملك الكامل من النزول فرضى الملكان بفعله
تقدم الملك الكامل بالعساكر الى الدربند فوجد السلطان علاء الدين قد حفر
طرقاته بالرجال وهى طرق صعبة متوعرة يشق سلوكها على العساكر فى

Marfat.com

الملك الكامل على النهر الازرق وهو فى اوائل بلد الروم وجاءت عساكر صاحب الروم و صعدت رجّالته الى فم الدربند و بنوا عليه سورا وقاتلوا منه وقلت الاقوات فى عسكر الملك الكامل جدا ثم نمى الى الملك الاشرف و الملك المجاهد صاحب حمص أن الملك الكامل ذكر فى الباطن انه ان ملك بلاد الروم نقل سائر الملوك من اهل بيته اليها و انفرد بملك الشام مع الديار المصرية فاستوحشا من ذلك و اطلاعا ملوك البيت الايوبى : فتغيّرت نيات الجميع و اتفقوا على التخاذل وعدم النصح فلما احس الملك الكامل منهم بذلك مع كثرة الغلاء و امتناع الدربند رحل بالعساكر الى اطراف بلاد بهنسا و جهز بعض الامراء الى حصن منصور فهدمه و وصل الى خدمته صاحب ﴿ ٦٥ ب ﴾ خرتبرت (١) داخلا فى طاعته و اشار عليه بالدخول الى بلاد الروم من جهة خرتبرت فجهز معه الملك المظفر صاحب حماة والطواشى شمس الدين صواب العادلى وكان من اكبر الامراء و فخر الدين البانياسى فى الفين و خمسمائة فارس فوصلوها فى الليل بغير خيم فعند طلوع الفجر اقبلت عساكر الروم فى اثنى عشر الف فارس مقدمهم القيمرى و ضربوا معهم مصافا من اول النهار الى آخره وظهر عسكر الروم و دخل الملك المظفر و شمس الدين صواب و فخر الدين البانياسى قلعة خرتبرت مع صاحبها و نزل باقى العسكر على الربض فزحف عسكر الروم و ملكوا الربض عنوة واسروا اكثر من كان فيه من العسكر الكاملى ثم و صل السلطان علاء الدين فى بقية عساكره

(١) اسم ارمنى وهو الحصن المعروف بحصن زياد فى اقصى ديار بكر من بلاد الروم.

Marfat.com

واحدقوا بالقلعة و نصبوا عليها تسعة عشر منجنيقا و حصروها اث
و عشرين يوما و قل الماء و الزاد من عندهم فطلبوا الامانِ فأمنهم صاح
المروم و تسلم القلعه وما معها من القلاع وكانت سبعا و تلقى الملك المظف
و من معه احسن ملتقى و نادمهم و خلع عليهم و قدم لهم التحف الجليلة
وكان نزولهم من القلعة يوم الاحد لسبع بقين من ذى القعدة سنة
احدى و ثلاثين فكان ذلك من آكد مقدمات الوحشة بين (٦٦الف)
الملك الكامل و الناصر و غيره من الملوك وكثر استشعار الملك الناصر
من عمه الملك الكامل ، فلما دخلت سنة ثلاث و ثلاثين قوى عزم الملك
الناصر على قصد الخليفــة و هو المستنصر بالله و الاستجارة به فحصل
النجب و الروايا و ما يحتاج اليه لسفر البريه ثم توجه و صحبته فخر القضاة
نصر الله بن بزاقة (١) و الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخروشاهى و الخواص
من مماليكه و الزامه فلما قرب من بغداد امر الخليفة بتلقيــه و اكرامه
و دخل بغداد و نزل بها مكرما معظما و قدم للخليفة ماكان استصحبه
معه من الجواهر النفيسة و التحف و الهدايا الجليــلة و امر الخليفة له
بالاقامات الكثيرة و لا صحابه بالعطايا و الخلع وكان آثر أن يأذن له
الخليفة بالحضور بين يديه فيقبل يده و مشاهدة وجهه كما فعل مظفر الدين
كوكيرى ابن بهاء الدين (٢) صاحب إربل فانه كان قدم بغداد فطلب
الاجتماع بالخليفة فاذن له فى ذلك فحضر و برزله الخليفة فشاهده فرغب

(١) مضى بصاقة و كلاهما سائغ كما لا يخفى على الممارس فلقواعد (٢) كذا و
فى « كوكبورى بن زين الدين على كوجك بن بكتكين .

Marfat.com

الملك الناصر ان يعامل بتلك المعامـــلة فانه اكبر بيتا من مظفر الدين واعرق منه فى الملك وسأل ذلك فلم يقع الاجابة رعاية لخاطر الملك الكامل فعمل الملك الناصر قصيدة يعرض فيها بمطلوبه وبمظفر الدين وازن فيها قصيدة ابى تمام الطائى التى منها .

﴿ ٦٦ ب ﴾ لامرٍ عليهم أن تتم صدوره

وليس عليهم ان تتم عواقبـــه

والقصيدة الناصرية مطلعها .

وادٍ نعى المت بالكثيب ذوائبه وجنح الدجى وحف تجول غيابهه

تقهقه فى تلك الربوع رعوده وتبكى على تلك الطلول سحائبه

ارقت به لما توالت بروقه وحلت عزاليه واسبل ساكبـه

الى ان بدا من اشقر الصبح قادم يراع له من ادهم الليل هاربه

واصبح ثغر الاقحوانة حالكا تدغدغه ريح الصبا وتداعبه

تمر على نبت الرياض بليله تحمشه (١) طورا وطورا تلاعبه

فاقبل وجه الارض طلقا وطالما غدا مكفهرا موحشات جوانبه

كساه الحيا وشيا من النبت فاخرا فعاد قشيبا غوره وغوار به

كما عاد بالمستنصر بن محمد نظام المعالى حين قلت (٢) كتائبه

امام تجلى الدين منه بماجد تحلت آثار النبى منـا كبه

هو العارض الهتان لا البرق مخلف لديه ولا انواره وكواكبه

اذا السنة الشهباء شحت بطلّهـا سجى (٣) وابل منه وسحت سواكبه

(١) كذا ولعله بليلة : تجمشه (٢) وكذا ولعله فلت (٣) كذا ولعله سجا .

Marfat.com

فاخبأ ضياء البرق ضوء جبينه كما نحلت جود الغوادى مواهبه
له العزمات اللائ لولا نصالها تزعزع ركن الدين وانهد جانبه
﴿٦٧الف﴾ بصير باحوا ال الزمان واهله حذ ورفما يخشى عليه نوائبه
حوى قصبات السبق مذ كان يافعا واربت على زهر النجوم مناقبه
تزينت الدينا به وتشرفت بنوها فاضحى خافض العيش ناصبه
لان نوهت باسم الامام خلافة ورفعت الزاكى النجار مناسبه
فانت الامام العدل والمعرق الذى به شرفت انسابه ومناصبه
جمعت شتيت(١) المجد بعد افتراقه وفرقت جمع المال فانهال كاتبه(٢)
واغنيت حتى ليس فى الارض معدم يجور عليه دهره ويحاربه
الايا امير المؤمنين ومن غدت على كاهل الجوزاء تعلو مراتبه
ومن جده عم النبى وخدمه (٣) اذا صار منه أهله واقاربه
ايحسن فى شرع المعالى ودينها وانت الذى تعزى اليه مذاهبه
وانت الذى يعنى حبيب بقوله (الا هكذا فليكسب المجد كاسبه)
بانى اخوض الدو والدو مقفر شباريته مغبرة وسباسبه
وارتكب الهول المخوف مخاطرا بنفسى ولا اعبى بما انا راكبه
وقد رصد الاعداء لى كل مرصد فكلهم نحوى تدب عقاربه
وآتيك والعضب المهند مصلت طرير شباه فانيات (٤) ذوائبه
﴿٦٧ب﴾ وانزل آمالى ببابك راجيا بواهر جاه يبهر النجم ثاقبه

(١) وقع فى الاصل « شبيب » خطأ (٢) كذا ولعله كاثبه (٣) كذا ولعله جذمه اى اصله (٤) كذا ولعله قانيات .

فتقبل منى عبدرق فيغتدى له الدهر عبدا طائعا لايغالبه
وتلبسنى من نسج ظلك ملبسا يشرف قدر النيرين جلائبه(١)
وتنعم فى حتى بما انت اهله وتعلى محلى فالسها لا يقاربه
وتركبنى نعماء اياديك مركبا على الفلك الاعلى تسير مواكبه
وتسمح لى بالمال والجاه بغيتى وما الجاه الابعض ما انت واهبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة له الأمن فيها صاحب لا يجانبه
وما اغبّر من جوب الفلاحرُّوجهه ولا انضيت بالسير فيها ركائبه
فيلقى دنوا منك لم الق مثله ويحظى ولا احظى بما انا طالبه
وينظر من آلاء قد سك نظرة فيرجع والنور الامامىُّ صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس ورتبة وصدق ولاء لست فيه اصاقبه
لكنت اسلى النفس عما ترومه وكنت اذود العين عما تراقبه
ولكنــه مثلى ولو قلت انى ازيد عليه لم يعب ذاك عائبه
وما انا ممن يملأ المال عينه ولا بسوى التقريب تقضى مآربه
ولا بالذى يرضيه دفن نظيره ولو انعلت بالنيرات مراكبه
وبى ظمأ رؤياك منهل رئيه ولاغروان تصفو لدى مشاربه
﴿٦٨الف﴾ ومن عجب أنى لدى البحر واقف
واشكو الظمأ والبحر جم عجائبه .
وغير ملوم منْ يأتيك قاصدا (٢) اذا عظمت اغراضه ومذاهبه

فلما وقف الخليفه المستنصر بالله على هذه القصيدة اعجبته اعجابا

(١) كذا ولعله جلابيه (٢) كذا .

Marfat.com

كثيرا و قصد الجمع بين المصلحتين فاستدعاه مرا اجابة لسؤاله و رجاه
فى عدم الجهر للملك الكامل فحكى الملك الناصر قال و استدعانى الخليفة بعد
شطر من الليل فدخلت من باب السر الى ايوان فيه ستر مضروب و الخليفة من
وراءه فقبلت الارض بين يديه فامرنى بالجلوس فجلست ثم اخذ الخليفة
يحدثنى من خلف الستر و يؤنسنى ثم امر الخدم فرفعوا الستر فقبلت
الارض ثانيا و تقدمت فقبلت يده فامرنى بالجلوس فجلست بين يديه
و جارانى فى انواع من العلوم و اساليب من الشعر ثم خرجت من عنده
و عدت الى منزلى ليلا ثم حضر الملك الناصر بعد ذلك بالمدرسة المستنصرية
على شاطىء دجلة وكان الخليفة فى روشن ينظر و يسمع الكلام و حضر
جماعة من الفقهاء المرتبين بالمدرسة و غيرهم من المذاهب الاربعة و بحث
الملك الناصر و استدل و اعترض و ناظر الفقهاء مناظرة حسنة وكان جيد
المناظرة ﴿ ٦٨ ب ﴾ صحيح الذهن له فى كل فن مشاركة جيدة فقام
يومئذ رجل من الفقهاء يقال له وجيه الدين القيروانى و مدح الخليفة
بقصيدة يقول فيها مخاطبا للخليفة .

لو كنت فى يوم السقيفة حاضرا ، كنت المقدم و الامام الاروعا

فغضب الملك الناصر لله تعالى لكون ذلك الفقيه لاجل سحت
الدنيا أساء الادب على ابى بكر الصديق رضوان الله عليه و الخلفاء الراشدين
وسادات المهاجرين والانصار رضى الله عنهم الحاضرين يوم السقيفة وجعل
المستنصر بالله مقدما عليهم فقال لذلك الفقيه اخطأت فيما قلت كان
ذلك اليوم جد سيدنا و مولانا الامام المستنصر بالله العباس بن عبد المطلب

Marfat.com

رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا فلم يكن مقدما ولا للامام الاروع الا ابى (١) بكر الصديق رضى الله عنه فخرج المرسوم فى ذلك الوقت بتفويض ذلك الفقيه فنفى ثم وصل الى القاهرة وولى بها تدريس المدرسة الصاحب صفى الدين بن شكر (٢) ثم ان المستنصر بالله خلع على الملك الناصر خلعه سنية عمامة سوداء وفرجية سوداء مذهبة وخلع على اصحابه ومماليكه خلعا سنية واعطاه ما لاجليلا وبعث فى خدمته رسولا من اكبر خواصه الى الملك الكامل يشفع اليه فى اخلاص نيته له ﴿٦٩ الف﴾ وابقاء بلاده عليه فوصل الملك الناصر والرسول الى دمشق وبها الملك الكامل فخرج لتقليهما الى القصير واقبل على الملك الناصر اقبالا كثيرا وقبل شفاعة الخليفة والبسه الخلعة هناك وكان قدم من بغداد ومعه اعلام سود وكان الخليفة لقبه الولى المهاجر مضافا الى لقبه فامر خطباء بلاده ان يذكروا فى الدعاء له ذلك ثم خلع على الرسول واعطاه شيئا كثيرا ورجع الى بغداد واقام الملك الناصر مطمئنا لانتسابه الى الخليفة فلما حصلت المباينة بين الملك الكامل والملك الاشرف وعزما على المحاربة وانضم الى الملك الاشرف جميع ملوك الشام سير الى الملك الناصر داود يدعوه الى موافقته على ان يحضر اليه ليزوجه ابنته ويجعله ولى عهده ويملكه البلاد بعده وسير الملك الكامل الى الملك الناصر ايضا رسولا يدعوه الى الاتفاق معه وانه يجدد عقده على ابنته ويفعل معه كلما اختار وتوافى الرسولان عند الملك الناصر

(١) كذا ولعله « ابو » (٢) ز «الوزير صفى الدين عبد الله بن على بن شكر».

بالكرك فرجح الميل الى الملك الكامل وصرح لرسول(١) الملك الاشرف بجواب اقناعى فسير رسول الملك الكامل اليه يعرفه ميل الملك الناصر الى جهته وكان قد حضر عند الملك الكامل بعض الامراء الاكابر الذين مرت بهم التجارب ﴿٦٩ب﴾ وما رسوا الحروب وشهدوا المصافات والوقائع فقال له الملك الكامل اشتهى ان تعرفنى ما عندك فى امرى وامر اخى الملك الاشرف ومن يظهر لك انه ينتصر ومن اقوى منا على لقاء صاحبه ولا تخفى مافى ضميرك من ذلك فقال انت الآن واخوك مثل الميزان لا يرجح عليك ولا ترجح عليه وقد بقى بينكما الملك الناصر داود فالى اى جهة مال ترجحت وكان قد وصل الملك الكامل كتاب رسوله وهو القاضى الاشرف ابن القاضى الفاضل يخبره بموافقة الملك الناصر له على ماقدمنا ذكره ولم يطلع عليه احد فسر الملك الكامل بذلك ووقع منه قول ذلك الامير(١) اجمل موقع ثم ان الملك الناصر حضر بنفسه الى الملك الكامل فتلقاه وبالغ فى اكرامه واعطاه الاموال وقدم له التحف واتفق موت الملك الاشرف رحمه الله واستيلاء الملك الصالح عماد الدين اسماعيل على بلاده التى بالشام وخروج الملك الكامل لانتزاعها منه فخرج الملك الناصر صحبته واخذت دمشق على الصورة المشهورة واتفق موت الملك الكامل عقيب ذلك والملك الناصر بدمشق نازل فى داره المعروفة بدار اسامة فتشوف الى مملكة دمشق فوافقه جماعة من المعظمية وغيرهم وجاءه الركن الهيجاوى والركنى فى ﴿٧٠ الف﴾ الليل وبينا له وجه الصواب

(١) وقع فى الاصل « رسول » . (١) وقع فى الاصل « الامر » خطأ.

Marfat.com

وارسل اليه الامير عز الدين ايبك صاحب صرخد يقول اخرج المال وفرقه فى مماليك ابيك و العوام معك و تملك البلد و يبقوا فى القلعة محصورين فما فعل ثم ان الامراء والاعيان ارباب الحل والعقد اجتمعوا بالقلعة و ذكروا الملك الناصر و الملك الجواد يونس بن داود بن الملك العادل فرجح عماد الدين بن شيخ الشيوخ الملك الجواد يونس بن داود ابن الملك العادل [فرجح عماد الدين بن شيخ الشيوخ للملك الجواد](١) وكان منحرفا عن الملك الناصر لانه كان يجرى بينه و بينه فى مجلس الملك الكامل مباحثات فيخطئه الملك الناصر فيها و يستجهله فبقى فى قلبه من ذلك اثر كثير كان اقوى الاسباب فى صرف السلطنة عنه و اما الامير فخر الدين بن الشيخ فلم يكن له فى ذلك رأى وكان ميله الى الملك الناصر اكثر من الجواد و ارسلوا الى الملك الناصر الهيجاوى ليخرجه من دمشق فدخل عليه بدار اسامة و قال له ايش قعودك فى بلد القوم فقام و ركب وجمع من فى دمشق من باب دار اسامة الى القلعة وماشك احد ان الملك الناصر طالع الى القلعة وساق فلما تعدى مدرسة العماد الكاتب وخرج من باب الزقاق عرج الى باب الفرج ﴿ ٧٠ ب ﴾ صاحت العامة لا لا لا وانقلبت دمشق و نزل الملك الناصر بالقابون و فتح الجواد خزائن الكامل و فرق المال و الخلع و استقر قدمه و اقام الملك الناصر اياما بالقابون فعزم الجواد على مسكه و سير الامير عز الدين ايبك الاشرفى ليمسكه وكان قد علم الامير عماد الدين بن موسك بذلك

(١) مكرر فى الاصل .

فبعث اليه فى السر من عرفه فسار فى الليل الى عجلون فوصل عز الدين ايبك الى قصرأم حكيم وعاد الى دمشق واما الملك الناصر فانه سار الى الكرك وجمع وحشد ونزل الى السواحل فاستولى عليها وخيم بعزمة طالبا الاستيلاء على مملكة والده فرحل الجواد فيمن بقى من العساكر المصرية مقدمهم عماد الدين بن شيخ الشيوخ وفى عساكر دمشق والمماليك الاشرفية وتوجه نحو الملك الناصر فرحل الملك الناصر اليه ليلقاه فوقع المصاف على ظهر حمار بين نابلس وجينين فانكسر الملك الناصر كسرة قبيحة ومضى منهزما واحتوى الجواد على خزائنه واثقاله على سبع مائة جمل فاخذت باحمالها واخذوا فيها من الاموال والجواهر والجنائب مالا يحصى واستغنوا غنى الابد وافتقر الملك الناصر فقرا لم يفتقره احد ووقع عماد الدين بن الشيخ (١) بسفط صغير فيه اثنا عشر ﴿ ٧١ الف ﴾ قطعة من الجوهر وفصوص ليس لها قيمة فطلبها من الجواد فاعطاه اياها وهذه الاموال هى التى كان الملك المعظم جهز بها دار مرشد ابنته لما زوجها بخوارزم شاه اخذها الملك الناصر ظنامنه انه يعوضها اذا فتح البلاد ونزل الجواد فى دار المعظم بنابلس داخل البلاد واحتوى على ما فيها وولى فيها وفى اعمال القدس والاغوار من قبله ورحل عماد الدين ابن الشيخ (١) ومن معه من عسكر مصر الى الديار المصرية ولم تعجب هذه الواقعة الملك العادل خوفا من تمكن الجواد واستيلائه على البلاد فارسل اليه يأمره بالرجوع الى دمشق

(١) تقدم شيخ الشيوخ

ورد

Marfat.com

ورد بلاد الملك الناصر اليه ففعل ورحل عائدا و فى هذه الواقعة يقول به ؟ جمال الدين بن عسل .

يا فقيها قد ضل سبل الرشاد ليس يغنى الجدال يوم الجلاد

كيف ينجى ظهر الحمار هزيما من جواديكر فوق الجواد

ثم لما ملك الملك الصالح نجم الدين دمشق بعد الجواد ورد عليه فخر القضاة نصرالله بن بصاقة رسولا من الملك الناصر يعده بمساعدته ومعاضدته على اخذ مصرله من العادل و يطلب منه تسليم دمشق وجميع البلاد التى كانت بيد ابيه فوعده الملك الصالح بذلك اذا ملك مصر ﴿٧١ ب﴾ فابى الملك الناصر الا ان ينجزله ذلك فلم يتفق بينهما امر ثم ان الملك الصالح نجم الدين خرج لقصد الديار المصرية فاستولى الملك الصالح اسماعيل على دمشق و تعلل عسكر الملك الصالح نجم الدين عنه و بقى بنابلس فسير اليه الملك الناصر داود من امسكه و طلع به الى قلعة الكرك فاعتقله بها مكرما على ما هو مشهور فلاحاجة الى شرحه و كان الملك الكامل سلم القدس الى الفرنج سنة ست وعشرين على ان يكون الحرم الشريف بما فيه من المزارات للمسلمين و كذا جميع اعمال القدس ماخلا عشر ضياع على طريق الفرنج من عكا الى القدس وشرط ان يكون القدس خرابا و لايجدد فيه عمارة البتة فلما مات الملك الكامل و جرى ما ذكرناه من الاختلاف بين الملوك عمر الفرنج فى غربيه قلعة جعلوا برج داود عليه السلام من ابراجها وكان بقى هذا البرج لم يخرب لما خرب الملك المعظم اسوار القدس و لما اعتقل الملك الناصر داود

Marfat.com

الملك الصالح نجم الدين بالكرك توجه الملك الناصر بعسكره ومن معه من اصحاب الملك الصالح نجم الدين الى القدس و نازل القلعة التي بناها الفرنج و نصب عليها المجانيق و لم يزل مصابرا لها حتى سلمت اليه بالامان فهدمها و هدم ﴿ ٧٢ الف ﴾ برج داود عليه السلام و استولى على القدس و مضى من كان فيه من الفرنج الى بلادهم و اتفق وصول محي الدين يوسف بن الجوزي و صحبته جمال الدين يحيى بن مطروح فقال جمال الدين المذكور .

المسجد الاقصى له عادة سارت فصارت مثلا سائرا
اذا غدا بالكفر مستوطنا ان يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره اولا و ناصر طهره آخرا

وكتب عن الملك الناصر داود رحمه الله بالبشائر بذلك فمن كتاب كتبه عنه فخر القضاة نصر الله بن بصاقة رحمه الله تعالى الى الديوان المستنصري فصل منه ، و قابلهم العبد بصليب من الرأى لا يعجم عوده ، و قاتلهم بجيش المصابرة لا تفل جنوده ، و جرد اليهم جماعة من عسكر الديوان تشهر عليهم الصواعق من نصالها ، و ترسل عليهم البوائق من نبالها ، و نصب عليهم المجانيق التي تزاحم الحصون بمناكبها ، و تحرق شياطينها برجوم حجارتها ، بدلا من نجوم كواكبها ، و من شأنها انها اذا قابلت بلدة اخذت بكضمها ، و فضت (١) برغمها ، و انزلها (٢) حكمها ، و أرتها ان السبق للمنجنيق و صخرها ، لا للقوس و سهمها ، فرمتها بثالثة الأثافي من جبالها (٣) و سحرت

(١) كذا و لعله « و قضت » (٢) كذا و لعله انزلتها على » (٣) وقع في الأصل «حبالها» .

Marfat.com

اعينهم الا ان الله ما ابطل سحر عصبها، ولا سحر حبالها، ﴿٧٢ب﴾ و تقريبه لهم واحسانه اليهم و الى كل من تقدم اليه اوحد زمانه جوادا كريما كثير العطاء ممدحا و شعره فى نهاية الجودة و الفصاحة و كان فى البيت الأيوبى جماعة ينظمون الشعر لم يكن فيهم من يتقدمه فيه الا ان كان الملك الامجد مجدالدين بهرام شاه صاحب بعلبك فانه شاعر مجيد مكثر و كان قد ادركته حرمة الادب كما ادركت عبد الله بن المعتز وغيره من الملوك الفضلاء ولم يزل منذ توفى والده رحمه الله فى سنة اربع وعشرين وستمائة و الى ان ادركته منيته فى نكد و تعب و نصب لم يصف له من عمره سنة واحدة و قد اشرنا الى ذلك فيما تقدم و لم يكن له رأى حازم فى تدبير المملكة فانه مع تقدير الله تعالى لما مات والده لوداري الملك الكامل و نزل له عن بعض البلاد كان ابقى عليه دمشق ثم لما طلبه الملك الاشرف ليزوجه ابنته و يجعله و لى عهده على ما ذكرنا لواجابه و حضر اليه لاستقل بعد الملك الاشرف بالشام و التفت عليه المماليك الاشرفية مع المعظمية و كان قد دنا اجل الملك الكامل فاستقام امره ثم لمامات الملك الكامل لو قبل من رأى الامير عزالدين ايبك صاحب صرخد ﴿٧٣ الف﴾ و انفق فى المعظمية و استمالهم لملك دمشق و لم يلتفت على من بالقلعة ثم لما ضرب المصاف مع الجواد لو احرز خزائنه و اموالها ببعض قلاعه لبقيت له و كانت عظيمة، جليلة المقدار يمكنه ان يستخدم بها من العساكر جملة كثيرة ثم لما حصل الملك الصالح نجم الدين قبضته لو اراد به اخذ الشام لاخذه وسلمه لاخيه العادل اوالى عمه الصالح

اسماعيل ثم لما اعتقله لم يحسن عشرته من كل وجه وكان ليلا ومن بعض الاوقات امور اثرت فى قلب الملك الصالح نجم الدين ولم يخرج منه وكان للملك الصالح باطن والملك الناصر سليم الصدر ثم اقتضى رائه اطلاقه ومساعدته على تمليك الديار المصرية واشترط عليه امورا لايمكنه القيام بها ولا تسمح بها نفس بشر لو امكنت واستحلفه على ذلك فلما تحقق الملك الصالح نجم الدين انه لابد له من الحنث ضرورة فى البعض حنث فى المجموع قال الملك الصالح حلفنى على امور لا يقدر عليها ملوك الارض منها انى آخذ له دمشق وحمص وحماة وحلب والجزيرة والموصل وديار بكر وغيرها ونصف ديار مصر وما فى الخزائن من المال والجواهر والثياب والخيول والآلات وغيرها فحلفت له ﴿٧٣ ب﴾ من تحت السيف رحمه الله.

[قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان كنت اسمعه يقول كثيرا اذا طلب منه حاجة تتعذر عليه اذا شئت ان تطاع فامتثل ما يستطاع][1] ثم معاملة الملك الصالح نجم الدين بعد ان تملك بما كان يعامله به وهو عنده معتقل بقلعة الكرك الى ان حصل من الوحشة والمباينة بينهما ما آل به الى انتزاع بلاده منه ثم لما توجه الى حلب واستنابه لولده المعظم دون اخوته مع تميزهم عليه حتى اوغر صدورهم فكان ذلك من اسباب خروج الكرك عنه ثم لما توجه الى حلب ترك بالكرك اسحاق المقدم ذكره مع افراط ميله اليه ومحبته له فلو استصحبه لأمن

(١) وقعت هذه الجملة هنا هكذا.

Marfat.com

ترتب على تركه من السبب الموجب لاخذ الكرك وحصول الوحشة والمنافرة بينه وبين ولده الملك الامجد وكان يتسلى برؤيته وخفف عنه من اثقال همومه ثم ايداع تلك الجواهر النفيسة عند الخليفة فآل الامر الى كثرة تعبه ونصبه وتبذله وسفره ولم تعد اليه الى غير ذلك من الامور التى فارق فيها الحزم وذلك تقدير العزيز العليم وكان الملك الناصر داود رحمه الله معتنيا بالكتب النفيسة حصل منها جملة كثيرة ذهبت بعد ﴿٧٤ الف﴾ وفاته وكان يجيز الشعراء بالجوائز السنية قدم عليه شرف الدين راجح الحلى شاعر الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين رحمه الله ومدحه بعدة قصائد فوصل اليه منه ما يزيد على اربعين الف درهم واجازه على قصيدة واحدة امتدحه بها وهو بنابلس بالف دينار مصرية والقصيدة من غرر القصائد وهى .

أمنكم عبقت مسكية النفس صبا تبسمت(١) منها برء منتكس
تمت(٢) بما استودعت والفجر حمرته ماذنب أيقادها فى فحمة الغلس
ردت على مقلتى طيب الرقادفها أنسانها بلذيذ النوم فى انس
فيالها نفحة خالست نسمتها لما تيقنت ان العيش فى الخلس
وللنسيم اشارات اذا التبست فسرها عند مثلى غير ملتبس
فما قعودك بى عن بيت دسكرة يغنيك آلاؤها فى الليل عن قبس
يديرها ثمل الاعطاف قامته لو مثلت لغصون البان لم تمس
يسعى بها والدجى من حلى انجمه
عار ولكن بانوار الكؤس كسى [٧٤ ب]

(١) كذا ولعله « تنسمت » (٢) كذا ولعله نمت .

Marfat.com

والسحب تضحك بغر (٢) النور ادمعها

والجو فى مأتم والارض فى عرس

بدر وقائع قلبي فى محبتـــه بين اللمى وفتور الجفن واللعس

نبهته ونجوم الافق تسبح فى بحر الظلام فمن طاف ومنغمس

فقام يمسح مافى الطرف من سنة و قد تمشى الكرى فى الاعين النعس

فسكنت سورة الصهبـاء شرّته

واستودعت بعض ما فى الخلق من شرس

فما ضممت الذى فى العطف من هيف

حتى استكف الذى فى الطرف من شوس

فلا عدمت طلا صادته كأس طُلى فما ثنى عطفـــه عن نيل ملتمس

هذا وركب عفاة قد عدلت بهم الى مغانى الغنى عن اربع درس

عافوا وردوا عود (١) الباخلين فما اجروا مطالبهم منها على يبس

فقلت نصو را كاب الجمد واحدة(٢) الى مقر العلى فى ارض نابلس

الى مقر تناجينى جلالتـــه كأننى واقف فى حضرة القدس

لوذوا بداود محيى الجود وانتجعوا عرائس على(٣) نعماه من حرس

نصوا الى الناصر السلطان عيسكم فهو ملك(٤) الايادى غير منجس(٥)

لا تعدلوا عن ندى بدر أغريد

طلق الاسرة مرهوب السطا ندس

(١) كذا (٢) كذا والصواب واحدة (٣) كذا ولعله لا على (٤) كذا ولعله مليك (٥) كذا ولعله « منبخس »

Marfat.com

﴿٧٥الف﴾ ان خاب فادح (١) مُلِث الغيث منهمرا

اوصال فاخش و ثوب الضيغم الشرس

ذو العلم يشرق و الالباب مظلمة فاسلك مساقط ذاك النورو اقتبس

فارضه (٢) تلق عباب اليمّ ملتطما والعِنّ قد الجم الافواه بالخرس

يضيء فيْ ظلمات الشك مكرمة كما اضاء ظلام الليـــلْ بالقبس

ابان (٣) من كرم ملآن من همم ترفعت فهى لا تدنوا الى دنس

حفت (٤) الى بابه عيسى فاثقلها بانعم انقذت من جدبى التعس

احلنى ذروة العليـاء مقترعـا (٥) والعزا و طال (٦) من صهوة الفرس

و ردّعنى صروف الدهرحين طغت لها و قائع من ايامهـا الحمس

يهمى نداه اذا استصحبت ديمته كأننى قلت يا امواهه انبجسى

اليك يارىء آمالى التى ظمئت و يحسن الصنع عندى والزمان مسى

اليك فالعبد ما حالت مودته عما عهدت و لا عاهدتـــه فنسى

افديك نفسى و ابكار القريض وما مقدار نفسى وما اهديه من نفسى

بت الذى رشنى اذخصنى (٧) زمنى، بالامس و ايسى (٨) و الدهرمفترسى

رستنى فاجتنيت الحمد من مدحى وليس يجنى ثمـارى غير مغترسى

﴿٧٥ب﴾ فدم دوام الثريا فهى خالدة وطأ بنعليك ارقاب العدى و دس

ك قوم متى عـاينت اوجههم بكيت فاغتسلت عينى من النجس

(١) كذا و لعله ان جادفارج (٢) كذا (٣) كذا و لعله ريان (٤) كذا و لعله خفت
(٥) كذا و لعله مفترعا (٦) كذا و لعله او طأله (٧) كذا و لعله راشنى اذحصنى
(٨) كذا

Marfat.com

وانقطع اليـــه الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسرو شاهي تلميذ فخر الدين الرازي فوصل اليه منه اموال جمة وكذلك كل من انتمى اليه استفاد من ماله ومن علمه فكانوا معه كما قيل (فاخذ(١) من ماله ومن ادبه) ومن نظمه رحمه الله اعني الملك الناصر داود رحمه الله تعالى .

لما بـدا في مروزي قبائـــه وعليه من درب(٢) النضار تبهرج
مثلته قمرا عليـــه سحابـــة مزرورة فيها البروق ترجرج

وله ايضـا

الى كم اخفي الوجد والدمع بائح وكم ارتجي صبرا وصبري نازح
خلعت عناني وانطلقت مع الصبي وشمرت عن ساق الهوى لا ابارح
وبي ظبية كحلاء قلبي كناسها لذا جنحت مني اليها الجوانح
ولولم يكن ظبيا نفارا ومقلـــة وجيدا لما تاقت اليها الجوارح
على لين غصن البان منها مخايل وشمس الضحى منها عليها ملاح
ولولا سناها ما تألق بارق ولولا هواها ما ترنّم صادح
حننت اليها والغـــرام يحثني وقـــد ساقني شوق اليها يكافح
ولما اتاني طيفها يخـــبر الهوى ويوهمني بالكر(٣) اني مصالح

﴿ ٧٦ الف ﴾ تذكرت ربع الانس عن ايمن الحمى
واغصان بانٍ دونـــه تتناوح

فكادت بظهر(٤) النفس مني فرط شوقها الى عالم فيه النفوس سوانح(٥)
مقربة الارواح في عالم البقا مقربـــة من ربها لا تبارح

(١) كذا والمعروف « يأخذ» (٢) كذا ولعله ذوب (٣) كذا ولعله بالمكر
(٤) كذا ولعله تطير (٥) كذا ولعله سوابح .

Marfat.com

يطاف عليهم من رحيق ختامه من المسك ما تحييك منه الروائح
جنان عليهم دانيات قطافها وفى ظلها ما لا تمنى القرائح
هنالك من لم يأته فهو خاسر ومن حل فيه فهو لا شك رابح

وقال،

زار الحبيب و ذيل الليل منسدل فانجاب عن وجهه داجى غياهبه
فقال لى صاحبي و الضوء قد رفعت يداه من ليلنا مرخى جلا بيه
اما ترى الضوء فى ليل المحاق لقد جاء الزمان بضرب من عجائبه
فقلت ياعاذلا من نور طلعته اما ترى البدر يبدو فى عقاربه

وقال

لئن عاينت عيناى اعلام جلّق و بان من القصر المشيد قبابه
تيقنت ان البين قد بان و النوى نأى شحطها و العيش عاد شبابه(١)،

(٧٦ ب) و قال

طرفى و قلبي قاتل و شهيد، و دمعى على خديك منه شهيد (٢)
يا ايها الرشأ الذى لحظاته كم دونهن صوارم واسود
من لى بطيفك بعد ما منع الكرى عن ناظرى البعد و التسهيد
اما (٣) وحبك لست اضمر سلوة عن صبوتى ودع الفؤاد يئيد (٤)
والذ مالا قيت فيك منيتى و اقلّ ما بالنفس فيك اجود
ومن العجائب ان قلبك لم يلن (٥) لى و الحديد الانه داود

(١) هكذا فى نزوبهامشه« كذا فى فوات الوفيات وفى الاصلين : نوى شخصه العين عان شبابه» و وقع فى اصلنا : نوى شخصه و العيش عاش شبابه.
(٢) فوات الوفيات «مشهود» (٣) فيه ايضا «انا» (٤) فيه ايضا «يبيد» (٥) منه ووقع فى الاصل «يكن» خطأ.

و قال

ما استصرخ الصبر قلبي و هو مذعور الا و قد سلبته الاعين الحور
و لا هبأ خاطري جفن له غنج الا و صارمه بالسحر مشهور

افدي التي صيرت قلبي بها دَنِفاً فرق السوالف يلقى و هو مأسور
وردية الخد فيها (١) معتقة من سكرها نرجس الاجفان مخمور
قد خيم السحر في اجفان ناظرها و السحر فما (١) له في القلب تاثير
يحلو (٢) هواها و ان اجرت دمي عبثا و لا أبالي فان الموت مقدور
لولا سناها و خداها لما عبدت كما تعبدتها نار ولا نور

و له من جملة قصيدة

﴿٧٧ الف﴾ و اذا الملوك تكثرت بعد يدها
للفتنين بسواك (٣) لا اتكثر
و اذا طغت و بغت بما خولتها اقبلت نحوك خاضعا استغفر
مالي مراد في جنان زخرفت كلا و لا اخشى جحيما تسعر
لكنني ابغي رضاك و خشيتي اني تخبّط بي الذنوب فاهجر

وكتب الى الملك المنصور ابراهيم صاحب حمص يستدعيه الى مجلس انس و ذلك لما كانا نازلين ببيسان حين كانا متفقين على حرب الملك الصالح نجم الدين و هما اذ ذاك معاضد ان للملك الصالح عماد الدين و ذلك يوم العيد في زمن الربيع .

(١) كذا (٢) كذا و لعله « يحاو » (٣) كذا و لعله للمعتفي بسواك .

يا ملكا قد جلا العصرا (١) وفاق املاك الورى طرا
وفاق فى نائله حاتما وبذّ فى اقدامه عمروا
وباكر العلياء فاقبضها (٢) وكانت الناهدة البكرا
اما ترى الدهر وقد جاءنا مستقبلا بالبشر والبشرى
تجوى الدنيا ما اتانا به احسن واكرم بالذى اجرى
العيد والنيروز فى حالة وطلعة المنصور والنصرا
والارض قد تاهت به واغتدت تختال فى جدتها الخضرا
عبّست السحب على نورها فراح ثغر النور مفترا
الصوم قد ولى بالأمة والـ فطر باللذات قد كرا
﴿٧٧ب﴾ فانهض بلا مطل ولا فترة ترتشف المشمولة الحمرا
حبرية قد عتقت حقبة فاقبلت تخبر عن كسرى
واستجلها صفراء قدسية، تحسبها فى كأسها تبرا (٣)
اوذوب جمرحل فى جامد الـ ـماء فالقى فوقه درّا
وبادر اللذة فى حينها وقم بنا ننتهب العمرا
فى دوحة اترجّها يانع يلوح فى الاغصان مصفرّا
كأنه اذلاح فى دوحها وجه سماء اطلعت زهرا
واسلم ودم فى عيشة رغدة تبلى على جدتها الدهرا

وقال

احبب الغادة الحسناء ترنو بمقلة جؤذر فيها فتور

(١) كذا (٢) كذا ولعله الصهباء فاقتضها (٣) وقع فى الاصل « قبرا » خطأ .

Marfat.com

ولا اصبو الى رشأ غرير وان فتن الرشأ (١) الغرير
وانى يستوى شمس وبدر ومنها يستمد ويستنير
وهل تبدو الغزالة فى سماء فيظهر عندها للبدر نور

وقال

وانى اذا ما الغرابدى مودتّه خداعا واخفى الغل بين الاضالع
لاظهر جملا (١) بالذى انا عالم بمكنونه فعل اللبيب المخادع
واغدو اذا ما امكنتنى فرصة عليه بماضى الحدّ ابيض قاطع
بضربة مقدام ثبوت مجرب بعسه (١) بين اللها والأخادع

وقال فى معنى قصيدة

﴿ ٧٨ الف ﴾ المسك بعض دم الغزال فلا
تضع دم من بلحاظه الآراما
فلعله إما يحاول نجدة وردا وإما فى لماه مداما

وقال

صنم من الكافور بات معانقى فى حلتين تعفف وتكرّم
فكرت ليلة وصله فى هجره فجرت سوابق عبرتى كالعندم
فجعلت امسح ناظرىّ بسحره اذ شيمة الكافور امساك الدم

وقال

عيون عن السحر المبين (١) لها عند تحريك القلوب سكون
تصول ببيض وهى سود فريدها (٢) ذبول فتور والجفون جفون

(١) كذا (٢) كذا ولعله فرندها .

Marfat.com

اذا ما رأت قلبّا خليا من الهوى تقول له كـــن مغرما فيكون

فقال

جميعى حين اذكركم شجون وكلى حين ابكيكم عيون
وانتم غاية الآمال عنـــدى وان بخلت (١) تقربكم ظنون
وصالكم حياة الروح منى وهجركم الاليم لى المنون
ارى الاشواق تجذبنى اليكم وسائقها الصبابة والحنين
بذلت لكم دموع العين لكن هواكم فى حشاشتى المصون
يعز علىّ بعدكم ولكن مماتى فى محبتكم يهون
احبتنا اذيتم (١) بالتنائ فؤادى فهو مكتئب حزين
هواكم لاتغيره الليـالى وصبرى عنكم قل (٢)لايكون

﴿٧٨ب﴾ ومن انشائه رسالة كتبها الى المستعصم بالله بغشها عـــلى يد فخرالقضاة بن بصاقة وهى ..

اعزالله سلطان الديوان العزيز النبوى لازالى عزمه الشريف يستدرك فائة الامور، وهممه العالية تصلح ما...(٣)الدهور، وسعيه الميمون فى مصالح المسلمين هوا لسعى المشكور ـ العبد المملوك يقبل العتبة الشريفة الديوانية تقبيلا يتقرب به الى خالقه وخليقته(٤)ويتشرف به فى حلية(٥)المساجلة على اهله وعشيرته، ويجعله فى يوم المعاد من اسباب وسيلته وينهى انه سير الى الخدمة من ينوب عنه فى آدابها، ويستنزل من كرمها مشجر سمائها، وهو

(١) كذا (٢) كذا ولعله قد (٣) كذا ولعل الساقط افسدته(٤) كذا ولعله خليفته (٥) كذا ولعله حلبة.

Marfat.com

عبد الديوان نصرالله بن بصاقة وحمله من المشافهة ما هو ملىء باعادته، ومن الادعية الصالحة ماهو من وظائف العبد وعادته، والمسؤل من صدقات الديوان العزيز الاقبال عليه بوجه القبول، والاصغاء اليه بالسمع الذى اليه يباح مصونات الاسرار اذا عومل غيره بالاحجام والنكول، وستر ما ينهيه فى الخدمة ثبوت (١) كرمه المسدول الذيول، لازال كرم الديوان عالما بخدمات عبيده، فخذا من محض النصيحة منهم بعده وعديده ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الملك المنصور ناصرالدين ابراهيم صاحب حمص ﴿٧٩ الف﴾

ايا ملكا يفلى الفلاة جواده تأيد على قلب لقاك مراده
رحلت به ثم انثنيت مكلفا جواب بليغ لايرام (٢) انتقاده
اتطلب ابكار المعانى وعونها لذى جسد (٣) قد سار عنه فؤاده
الم بجسمى مذ رحلت نحوله وفارق جفنى مذ نأيت رقاده
ولاعجب ممن نأت عنك داره ان اقتربت اسقامه وسهاده
ايا راحلا ولى وخلّى بمهجتى اجيجا يلاقى زنده وزناده
اسلت شؤن المقلتين فغادرت غدير دموعى لايرجّى نفاده
وخلفتنى كالوحش غير مؤانس خليلا ولا يلقى اليه قياده

اعز الله انصار السلطان المقام العالى الملكى المنصورى الناصرى ولا اوحش مماليكه من خدمته، وماعادلهم ايام مشاهدته، ومن عانهم بعده

(١) كذا والصواب بثوب (٢) وقع فى الاصل «الا» خطأ (٣) وقع فى الاصل «لذى حسد» خطأ .

Marfat.com

عينيه بطلوع طلعته، المملوك يقبل الارض خدمة متى تذكرها فاضت عبراته، وتوالت حسراته، و يشكوالى مولاه ما لقى بعده من بعده من توالى أرقه، و تواتر قلقه، و توحشه حتى من الصديق الحميم، و نفوره حتى من الملك العقيم، فلو نزل بسير (٩) ما نزل به لزلزل حتى استوت هضابه بوهاده، اوحلّ بشبير ماحلّ به أسف كما يتأسف فى معاده، فالله تعالى يجمع له بمولانا بين الجسد و قلبه و يعيد ايام الانس بعودة ﴿ ٧٩ ب ﴾ قريبة .

و ماتفقت له و قعة بالساحل مع الفرنج انتصر فيها فكتب فى جملة كتاب كتب هذه الخدمة بعلمه بما منّ الله تعالى به من النصر و الظفر و مهنيئة، باستعلاء الفئة المؤمنة على من حاد و كفر .

و من كتاب آخر كتبت حيث اثرت مدادها، بمثار نقع جيادها، و بالمكان الذى صرعت فيه كماة اجنادها، بضرب صفاحها، و طعن صعادها، و كلمتهم السن الصفاح بفصيح اقوالها، و اشارت اليهم انامل الرماح بسلاميات نصالها، فاصبحوا شارة لما اشار اليهم آنفا و امتطوا انف الحرب حتى صار أنف الخطى بهم راعفا .

و كان الامير سيف الدين على بن فليح قد سار فى خدمته و اقطعه حلون و اعمالها و كان اخوه عماد الدين قد قتل بالشرق فى و قعة جرت بين الحلبيين و صاحب ماردين و صاحب الموصل فى سنة سبع و اربعين

(٩) كذا و لعله بسميين ففى معجم يا قوت « سمير بلفظ تصغير السمر جبل فى طيئ » .

فكتب الى الملك الناصر يعرفه بمقتله فكتب اليه الملك الناصر فى الجواب يقول (الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله و انا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئكهم المهتدون) كتب الله اسم المولى الامير سيف الدين فى جريدة المهتدين الذين هم بهذه الاخلاق يتخلقون و صيّره من الذين هم لهذه الآيات يتدبرون و انزل عليه عند حدوث الحوادث ﴿ ٨٠ الف ﴾ صبرا ، و اعظم له فى الدارين اجرا ، و ابقاه بعد معمرى زمنه دهرا ، و جعل من يتقدمه منهم له ذخرا ، و هجم على الاسماع و الالباب فاصمها ، و اصماها ، بمصاب الامير عماد الدين افاض الله عليه ملابس رضوانه ، و بوأه دار تجاوزه و غفرانه ، ثبت الله عزائمه ، و اقام بيقائه من بيته الكريم دعائمه ، اهدى ممن يهدى الى محجة الصبر ، و ان يعرف ما فيه من جزيل الاجر ، لانه يعلم أن هذه الدنيا دار خسران ، و منزل اتراح و احزان ، لايصفى لاحد عيشا الا كدّرته و لا تعاهده عهدا الا نقضته الا ترى ان المرء اذا متع بحياته كثرت مصائبه فى احبابه و لذاته (١) و ان سبقهم الى حلول رحمته كانت مصيبته فى نفسه .

كن المعزى لا المعزى به ان كان لابد من الواحد

و الله تعالى يجعل المولى وارثا لأعمارهم معمّرا من بعدهم ربوع ديارهم ، و ليعلم اطال الله له مدة البقاء و افاض عليه سابغ النعماء ، ان العاقل كما يختار لنفسه خير الخيرين فكذلك يشكر اذ كُفى شر الشرين

(١) كذا و لعله لذاته .

Marfat.com

وهو ثبته الله و عمره، و وفقه للصبر الجميل و قدّره، اولى الناس ان يتصف بهذه الصفات ، و يتسم بهذه السمات ، ليكتب مع الصابرين ، و يدّخر له ان شاء الله فى أعلى عليين – و على كل حال فالحمدلله رب العالمين ﴿ ٨٠ب ﴾

و لما ملك الملك الصالح الديار المصرية وحصل بينه و بين الملك الناصر داود من الوحشة ما ذكرنا و رجع الملك الناصر الى بلاده و اقام بالساحل مرابطا للفرنج و قوى بسبب الخلف بين الملوك شأن العدو و اهتمّوا فى عمارة عسقلان وتشييد اسوارها و شنّ الغارات على ماحولها كتب الملك الى ابن عمه الملك الصالح نجم الدين يستنجدبه عليهم فلم ينجده و جمعت الفرنج جمعا كثيرا و قصدوا نابلس فهجموها و بذلوا السيف فى اهلها و اسروا من وجدوه بها من النساء و الولدان و اقاموا بها ثلاثة ايام يسفكون و ينهبون و نصبوا على المساجد صلبانهم و اعلنوا بكفرهم و من سلم من اهلها تعلق برؤس الجبال وبلغ الملك الناصر ذلك فقدم مسرعا فى عسكره فلما تحققت الفرنج اقباله رجعوا الى حصونهم و قد فازو بما استولوا عليه من القتل و الاسر و النهب فكتب الملك الناصر الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله وكان الملك الصالح نجم الدين قد قلده بمصر القضاء و الخطابة كتابا مضمونه احسن الله عزاء المجلس السامى القضوى العزى فى مصابه بالمسلمين و صبّرنا واياه على ما ذهى به حوزة الدين و اثاب الذين استشهدوا بما و عد به الشهداء من رضوانه ، و عوضهم عن منازلهم بمنازل الأمن من قصور ﴿ ٨١ الف ﴾ جنانه ، و سامحنا واياه بما اهملناه من حمية الدين و حفظ اركانه ، و بما

Marfat.com

اعتدناه من اغفاله ، و خذ لانه ولاحول و لا قوة الا بالله العلى العظيم ١٤
قول معترف بتقصيره ، عن جهاد اعداء الله و اعداء دينه ، جهرا بلسانه
و سرا بيقينه ، و ذلك لمصيبة المسلمين بمدينة نابلس التى قتلت فيها المشايخ
و الشبان و سبيت الحلائل و الصبيان ، و استولت ايدى الكفار على
ما كان فيها من خزائن الاموال ، و الغلال ، و ما جمعه المسلمون لازمتهم
فى السنين الطوال ، فهو يوم ضرب الكفر بحرابه (١) و تبخترفيه بين انصاره
و اعوانه ، و تزهى على الاسلام برونق زمانه ، و هو اليوم الذى تقاتلا
فيه فاحجم الاسلام ثم تولّى ، و اقتسما فيه بالسهمان فكان سهم الكفر
هو السهم المعلّى ، (٢) فيالها من فجيعة ابكت العيون ، و ابكت (٣) الجفون ،
و هجمت على القلوب فودّت لوانها سقت بالمنون ، فياليتنى نبذت
قبل سماعها مكانا قصيّا ، اوليت ربى لم يجعلنى بعباده حفيّا ، اوليتنى
مت قبل هذا و كنت نسيا منسيّا ، الا ليت امى ايمّ طول عمرها فلم
يقضها ربى لمولى و لا بعل ، و ياليتها لما قضاها لسيد لبيب اريب طيب
الفرع و الاصل ، قضاها من اللاتى خلقن عواقر فما بشرت يوما بانثى
و لا فحل ، ﴿٨١ ب﴾ و ياليتها لما غدت بى حاملا اصليت بما احتفت
عليه من الحمل ، و ياليتنى لما ولدت و اصبحت لشد الى الشد فبات بالرحل (٤) .

لحقت بلسلا فى فلمت ضجيعهم و لم ارفى الاسلام ما فيه من خبل

فيا ايها العز الذى كنا نظن أن الاسلام يتزيد بسعيه غدا ، و ان رقى
عزائمه تكون عليه من سحر الكفار حرزا ، تيقن أن قد عمّ بالشام النفير ، و وجبت

(١) الصواب بجرانه (٢) وقع فى الاصل «اللهم العلى» خطأ (٣) كذا و لعله انكت .
(٤) كذا .

Marfat.com

الغزاة على الحدث الطرير، و الشيخ الكبير؛ و جاز للحرة ان تبرز للقتال بغير اذن بعلها و للأمة ان تبارز برمحها و نصلها، و وجب على المجاهدين الاسعاد، و الانجاد، و تعين فى طاعة الله الجهاد، فيالسان الشريعة اين الجدال فيه و اين الجلاد، و اين مهند لمانك الماضى ، اذا كلّت المهندة الحداد، بقد(١) سيف لسانك فى غمده و قد هجرت سيوف الكفار جفونها، و اجرت عيون الانام على الاسلام شؤونها، الا و ان الاسلام بداغريبا و سيرجع كما بدا ، و تقاصرت الهمم عن اسعاده حتى لايرى له مسعدا فانا لله قول من عزعزاؤه فى الاسلام وذويه ، و بذل فى الدفاع عنه ما تملكه يده و تحويه ، و صبر فى الله على احتمال الأذى و عدم دونه محاميه و الله سبحانه و تعالى يتلا فى الاسلام بتلا فيه ، و يحميه بحمايته، و حسن نظره فيه ، ﴿ ٨٢ الف ﴾ انه قريب مجيب و نظم الملك الناصر ابياتا و سيرها الى و زيره فخر القضاة ابى الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الله بن عبد الباقى الغفارى المعروف بابن بصاقة لينظر فيها و هى .

يا ليلة قطّعت عمر ظلامها ... بمدامة صفراء ذات تأجج
بالساحل النائى(٢) روائح نشره ... عن روضه المتروخ(٣) المتأرج
و اليم زاه قد هدا (٤) تيّاره ... من بعد طول تقلقل(٥) و تموج
طورا يدعذغه النسيم و تارة ... يكرى فيوقظه بنان(٦) الخزرج

(١) كذا و لعله اتغمد (٢) و قع فى فوات الوفيات المطبوع حديثا « النامى » كذا (٣) و فيه ايضا « المتضوع » (٤) و فيه ايضا « جرى » كذا (٥) و قع فيه ايضا « تقلق» (٦) و قع فيه ايضا « بنات » كذا .

Marfat.com

و البدر قد القى سنا انواره ... فى لجه المتجمد المتدفق

فكأنه اذمدّ (١) صفحة متنه ... بشعاعه المتوقد المتوهج(٢)

نهر تكون(٣)من نضار مائع(٤) ... يجرى على ارض من الفيروزج

فوقف عليها فخرا القضاة المذكور و كتب اليه و اما الابيات الجيمية الجمّة المعانى، المحكمة المبانى، المعوّذة بالسبع المثانى، فانها و الله حصنة النظام بعيدة المرام، متقدمة على شعراء من تقدمها فى الجاهلية و عارضها فى الاسلام، قد اخذت بمجامع القلوب فى الابداع، و استولت على المحاسن فهى نزهة الابصار و الاسماع، و لعبت بالعقول لعب الشّمول الا ان تلك خرقاء و هذه صناع، ﴿٨٢ ب﴾ .

ثم ان الملك الناصر اخرج الملك الصالح نجم الدين و توجه معه الى الديار المصريّة فملكها و كان حصل الاتفاق بينهما قبل ذلك على امور اشترطها الملك الناصر و حلف عليها الملك الصالح وهو عنده معتقل بالكرك وكانت مشقة يتعذر الوفاء بها لكثرتها من الاموال و البلاد فلما ملك الملك الصالح الديار المصرية حصل التسويف و المغالطة فيما حصل الاتفاق عليهم(٥) فحصلت الوحشة و تأكدت و عاد الملك الناصر الى بلاده على غضب و شرع النفور يتزايد من الجهتين و تمادى الامر على ذلك الى ان حصلت المباينة الكلية فقصدت عساكر الملك الصالح جمع حتى وصلت اليه ايديهم من بلاد الملك الناصر فاستولوا عليه ثم توفى الامير

(١) وقع فيه ايضا « قد » خطا (٢) و قع فيه ايضا « المتدبج » خطا (٣) و قع ايضا «تلون» خطا (٤) و قع فيه ايضا « يانع » خطا (٥) كذا و لعله عليه .

Marfat.com

سيف الدين قليج سنة اربع و اربعين و هو من اعيان الامراء الاكابر و كان الملك الناصر اقطعه قلعة عجلون و عملها فتسلمها عمه الملك الصالح عماد الدين و استنزل اولاده من قلعتها وكان قدسير الامير فخر الدين بن الشيخ لقصد الملك الناصر داود فقصده وتلخذ منه القدس و نابلس و بيت جبريل و الصلت و البلقاء و خرب ما حول الكرك و الملك الناصر بها فى حكم المحصور ثم نازل لها الامير فخر الدين و حاصرها اياما ثم رحل عنها و قل ما عند الملك الناصر ﴿٨٣ الف﴾ من المال و الذخائر و اشتد عليه الامر فنظم معاتب الملك الناصر نجم الدين ابن عمه .

قولوا لمن قاسمته ملك اليد ونهضت فيه نهضة المستأسد
واقعت عليه (١) كل اصيد من ذوى رحمى عريق فى العلا والسودد
قيتم بسنان كل مثقف صدق الكعوب وحدّ كل مهند
غاضبت فيه ذوى الحجى من إسرتى، واطعت فيه مكارمى وتوددى
يا قاطع الرحم التى صلتى لها الفت على الفلك (١) الاثير بعسجد
شددت (٢) نحوى بالعتاب مقالة جاءت كتبهم للنضال مسدد
اتقول فىّ مقالة لك جرها ان انصفت اوكلها اذ يعتدى
ان كنت تقدح فى صريح منابتى فاصبر بعرضك فى اللهيب الموجد (٣)
عمى ابوك و والدى عم به يعلو انتسابك كل ملك اصيد
صالا و جالا كالا سود ضواريا وابرير (١) تيار الفرات المزبد
ورثا الحماسة و السماحة عن اب ورّاد حرب مورد المتعدى (١)

(١) كذا ولعله اربت على فلك (٢) كذا ولعله سددت (٣) كذا ولعله الموصد .

Marfat.com

العادل الملك المؤيد بالتقى سيف الاله على البغاة محمد
دع سيف مقول(١) البليغ يذبّ عن اعراضكم بفرنده المتوقد
فهو الذى قد صاغ تاج فخاركم بمفصل من لؤلؤ وزبرجد
وفلئن غدوت بما تقول مخصصى لا برهنن على الصحيح المسند
انى الذى اشتهرت جميل خلائق لفعال معروف وقول أحمد
﴿ ٨٣ ب ﴾ الناس اجمع يعلمون بانى
من آل شادى فى صميم المحتد
بيتى ونفسى فى المعالى آية مثل السها ما ان تلامس باليد
سمح اذا ما شحّ موسر معشر فى حالتى بطار فى ويمتدى
انى لافضل والملوك كثيرة فى حالتى خوف وعام اجرد
بيتى اذا ما خاف حراورجا حرم الدخيل وكعبة المسترفد
حصن المطرد إن تعذر منعه من خوف جماع الجنود مؤيد
آوى المشدد(٢) لى وأعطى ما نعى واقيل اعدائى وارحم حسّدى
ان الغنى والجود من نفس الفتى ليست بكثرة انيق اواعبد
ما كل مقلال ضنين بالملى(٣) ما كل مكثار بذى كفّ ندى
كم من فقير كالغنّى بفعله واخى غنى كالمملق المتجدد
قلد(٤) الجود ووجهه متهلل ولذاك يأخذ وهو كالعانى الصدى
ما امنى العافون الا عاينوا بشر ابوجهى وأخضلالا فى يدى
ما إن ربيت(٥) ولا أرى فى مهلتى يوما على اهلى بفظ انكد

(١) كذا ولعله مقولى (٢) كذا ولعله المشرد (٣) كذا ولعله اللهى (٤) كذا ولعله رؤيت .

انى لهم فى النائبات كخادم والخادم الكافى لهم كالسيّد
وانا المجيب دعاهم ان ارهفوا علنا بصوتى فى الحجاج الاربد
واقيهم بحشاشتى متبرعا من كل بؤس رائح اومغتدى
افديهم ان قو تلوا وامدّهم انى اعسروا و اردد... السوددى
يا مخرجىّ (١) بالقول والله الذى خضعت لعزته جبين السجّد
﴿٨٤ الف﴾ لولا مقال الهجر منك لما بدا
منى افتخار بالقريض المنشد
ان كنت قلت خلاف ما هو شيمتى فالحاكمون بمسمع و بمشهد
والله يا ابن العم لولا خيفتى لرميت ثغرك بالعداة المرّد
لكنتى ممن يخاف حزامة ندما (٢) تجرعنى سمام الاسود
فاراك ربك بالهدى ما ترتجى ليراك تفعل كل فعل ارشد
لتعيد وجه الملك طلقا ضاحكا ، وترد شمل البيت غير مبدد
كيلا ترى الايام فينا فرصة للخارجين وضحكة للحسد
لا زال هذا البيت مرتفع البنا يزهو بامجد آخر امجد (٢)
يحوى البنون المجد عن آبائهم ارثا على مر الزمان الاطرد
حتى يكونوا للمسيح عصابة بهم يسوس المعتدى و المهتدى

وفى سنة ست واربعين ورد الشيخ شمس الدين الخسروشاهى على الملك الصالح وهو بدمشق رسولا من الملك الناصر داود ومعه ولده الملك الأمجد مجد الدين حسن بن الملك الناصر ومضمون الرساله أن

(١) كذا ولعله « مخرجى » (٢) كذا .

Marfat.com

يتسلم الملك الصالح الكرك ويعوضه عنها الشوبك وخبزا بالديار المصرية
فاجاب الملك الصالح الى ذلك ثم رحل الى الديار المصرية فى المحفة
لمرضه وسير تاج الدين بن المهاجر ليتسلم الكرك منه ويسلم الشوبك
عوضها فتوجه لذلك فوجد الملك الناصر قدرجع عنه لما بلغه من حركة
الفرنج الى الديار المصرية ومرض الملك الصالح ﴿٨٤ب﴾ وتربص
الدوائر فلما دخلت سنة سبع واربعين ضاقت الامور بالملك الناصر
بالكرك فاستناب بها ولده الملك المعظم شرف الدين عيسى واخذ
مايعز عليه من الجواهر ومضى فى البرية الى حلب مستجيرا بالملك
الناصر صلاح الدين يوسف كما فعل عمه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل
فانزله صاحب حلب واكرمه وسير الملك الناصر داود مامعه من الجواهر
الى بغداد لتكون وديعة له عند الخليفة المستعصم بالله فلما وصل
الجواهر الى بغداد قبض وسير الى الملك الناصر داود خط بقبضه واراد
أن يكون آمنا عليه لكونه مودعا فى دار الخلافة فلم ينظره بعد ذلك
وكانت قيمته مائة الف دينار اذا بيع بالهوان وكان المعظم الذى استنابه
والده بالكرك امه ام ولد تركية والملك الناصر يميل اليها ويحب
ولدها اكثر من اخوته الباقين وكان للملك الناصر من ابنة عمه الملك
الامجد مجد الدين حسن بن الملك العادل اولاد منهم الملك الظاهر شادى
اكبراولاده والملك الامجد مجد الدين حسن وكان فاضلا نبيها مشاركا
فى علوم شتى وكان للملك الناصر ايضا اولاد أخر من امهات اولاد
شتى فلما قدم المعظم عليهم تعلموا خصوصا الظاهر والامجد لكبر سنهما

وتميز

و تميزها فى انفسهما ﴿٨٥الف﴾ و لما كان الملك الصالح نجم الدين بالكرك كانت امها تخدمه و تقوم بمصالحه لكونها ابنة عمه و كان ولداها المذكوان يأنسان به و يلا زمانه فى اكثر الاوقات و اتفق مع ذلك ضيق الوقت و تطاول مدة الحصر فاتفقا مع امهما على القبض على اخيهما المعظم فقبضاه و استوليا على الكرك و عزما على تسليمها الى الملك الصالح نجم الدين و ان يأخذا عوضا عنها فسار الملك الامجد الى العسكر بالمنصورة فوصل يوم السبت لسبع مضين من جمادى الآخرى سنة سبع و اربعين و اجتمع بالملك الصالح فاكرمه و اقبل عليه و تحدث مع الملك الصالح فى تسليم الكرك و توثق منه و لنفسه و لاخوته و طلب خبز ابا لديار المصرية يقوم به فاجابه الى ذلك و سير الى الكرك الطواشى بدر الدين بدر الصوابى متسلما لها و نائبا عنه بها و وصل الى العسكر اولاد الملك الناصر بجميعهم و اخواه الملك القاهر عبد الملك و الملك المغيث عبد العزيز و نساؤهم و جواريهم و غلمانهم و اتباعهم و اقطعوا اقطاعات جليلة و رتب لهم الرواتب الكثيرة و انزل اولاد الملك الناصر الاكابر و اخواه فى الجانب الغربى قبالة المنصورة و فرح الملك الصالح باخذ الكرك فرحا عظيما معما هو فيه من المرض العظيم الذى لا يرجى برؤه و زينت القاهرة و مصر و ضربت ﴿٨٥ب﴾ البشائر بالقلعتين و كان تسلم الكرك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة سبع و اربعين و ستمائة و حكى لى ان آكد الاسباب فى تسليم الكرك معما تقدم ذكره من الاسباب ان الملك الناصر كان يميل الى شخص من اولاد غلمانه يدعى اسحاق

Marfat.com

وكان بارع الجمال مفرط الحسن و له فيه اشعار مشهورة فلما توجه الى حلب تركه بالكرك فمال اليه الملك الامجد ابن الناصر ميلا مفرطا و ستحوذ عليه و انصب الشاب الى الملك الامجد وكلاهما جميل الصورة و الامجد اسن منه بسنين يسيرة و جرى فى ذلك فصول يطول شرحها فتخيل الامجد أن والده متى تمكن منه فرق بينهما قطعا وربما اعدم الشاب بالكلية لانه كان شديد الغيرة عليه و لا يخلو الامجد من اذية تناله و مكروه يوقعه به فكان هذا آكد الاسباب فى تسليمها و لو تأخر تسليمها لبقيت لهم مع تقدير الله تعالى فان الملك الصالح كان قد اشتغل عنهم و عن غيرهم بنفسه و ما به من الامراض العظيمة المهولة و بما دهمه من قصد الفرنج الديار المصرية و استيلائهم على طرق بلادها واعقب ذلك موته ثم قدوم الملك المعظم ولده وقتله ثم تفرق المماليك و انفراد الشام عن مصر و اشتغال الملك الناصر صلاح الدين يوسف بالمصريين و اشتغالهم به ﴿٨٦الف﴾ ثم قصد التتر البلاد الشامية و استيلاؤهم عليها ثم كسرتهم و قصر مدتهم لله الحمد و المنة لكن اذا اراد الله امرا بلغه .

و اما الملك الناصر داود فبقى بحلب عند الملك الناصر صلاح الدين يوسف و بلغه ما جرى فعظم عليه جدا فمات الملك الصالح و تملك البلاد الملك المعظم ولده و قتل و اخرج الطواشى بدر الدين الصوابى الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل و ملكه الكرك و الشوبك و ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف دمشق و الشام على ما هو مشهور فلا حاجة الى شرحه فلما استقر قدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بدمشق

Marfat.com

بدمشق فى سنة ثمان و اربعين و مرض بها مرضا يؤس منه فيه .

و كان معه بدمشق فى سنة .... الملك الصالح عمادالدين اسماعيل و الملك الناصر دادو فقيل ان الملك الناصر داود سعى فى ايام مرض الملك الناصر يوسف و الا رجلف فى ان يتملك دمشق فلما عوفى الملك الناصر بلغه ذلك فتقدم بالقبض عليه و سيره تحت الحوطة الى حمص فاعتقله فى قلعتها فقال الملك الناصر داو دا ياتا اولها .

الهى الهى انت اعلى و اعلم بحقوق ما تبدى الصدور و تكتم
و انت الذى ترجى لكل عظيمة و تخشى و انت الحاكم المتحكم
﴿٨٦ ب﴾ الى علمك (١) الفصل (٢) اشكو ظلامتى
وهل بسواه ينصف المتظلم
ابث بجنايات العشيرة معلنا الى من بمكنون السرائر يعلم
اتيتهم مستصرخا متجرما كما يفعل المستصرخ المتظلم
فلما يئسنا نصرهم و نوالهم رمونا بافك القول و هو مرجم
و قطع منى ما امرت بوصله و احلال ابعاد القرابة يحرم
مليكى اتعلونى الملوك بقهرها و انت ملاذى منهم و هم هم
فحسبى اعتصاما انى بك لائذ اذاهز خطى و جرد مجرم (٣)
اغثنا اغثنا من عدانا يكن لنا بك النصر حتى يخذلوا ثم يهزموا
لندركهم من بأسنا بكتائب تهد صناديد الملوك و تهدم
لنسقيهم كأسا سقونا بمثلها و نعفو و نسخو اذ سطوا و تلوموا

(١) كذا و لعله حلمك (٢) كذا (٣) كذا والصواب مخذم .

Marfat.com

طلبنا جليلا من عظيم وانما يجود بحلى المعرضات

يجدد نعماك القديمة عندنا حديث اياد لفظه ومعناه

فنصرك مجعول لنا ومعجل معلوم لنا ومعاد

وبقى فى الاعتقال مدة ثم افرج عنه بشفاعة وردت من الديوان فتوجه الى العراق فلم يؤذن له فى دخول بغداد مراعاة لخاطر الملك الناصر صلاح الدين يوسف وطلب الوديعة فلم تحصل له وجرى له خطوب يطول شرحها وآخر الامر وقعت شفاعة فى حقه على ان يكون فى خدمة ﴿٨٧ الف﴾ الملك الناصر صلاح الدين يوسف ويطلق له ما يقوم بكفايته فحصلت الاجابة الى ذلك وورد دمشق واقام بها فلما دخلت سنة ثلاث وخمسين طلب من الملك الناصر دستورا ليمضى الى العراق ليأخذ الوديعة ثم يتوجه الى مكة شرفها الله تعالى لقضاء فريضة الحج فاذن له وطلب منه ان يكتب له كتابا الى الخليفة يشفع له فى رد وديعته اليه ويخبره بالرضا عنه لينقطع بذلك ما يحتج به عليه من جهته فاجابه الى ذلك وكتب له فسافر الى العراق وجعل طريقه على كربلاء مشهد الحسين بن على عليهما السلام واقام به وسير الى الخليفة المستعصم بالله قصيدة يمدحه بها ويتلطف ويمت بقصده وخدمه وهى

مقامك اعلى فى الصدور واعظم وحلمك ارجى فى النفوس واكرم

فلا عجب ان غص بالقول شاعر وفوه مصل (١) اللها بين (٢) مفحم

وانى يقول والمحل معظم ولم لا وما يرجى من الحلم اعظم

(١) كذا ولعله مصلاق اى بليغ (٢) كذا .

Marfat.com

اليك ٭امير المؤمنين٭ توجهى بوجه رجاء عنـــده منك انعم
الى ما مجد يرجوه كل ممجد عظيم و لا يغشاه الا المعظّم
ركبت اليـــه ظهر تيماء قفرة بما تسرج الاعداء خيلا و تلجم
فاشجارها ينع و احجارهـا ظبى ٭اعشابها نبـــل و امواهها دم٭
رميت ٭فيافيهـا بـــكل نجيبة
بنسبتها يعلو الجديلُ و شذقم (١) ﴿ ٨٧ب ﴾
يجاذبننا فضل ، الازمة ، بعدما براهنّ موصول من السير مبرم
تساقين من خمر الكلال مدامة فلا هنّ ايقـاظ و لا هن نوّم
يطسن الحصى فى جمرة القيظ بعدما غدا يتبع الجبار كلب و مرزم
تلوح سباريت الفلاة مسطر باخفا فها منـــه فصيح و اعجم ،
تخال ابيضاض القاع تحت احمرارها قراطيس و رّاق علاهن عندم
فلما توسطن المساوة و اعتدت تلفت(٢) نحو الدار شوقا وبرزم(٣)
واصبح اصحابى نشاوى من السرى يدور عليهم كوبه و هو مفعم
تنكر للخرّيت بالبيد عرفه فلا علَمَ يعلو و لا النجم ينجم
فظل لافراط الآسى متندما وان كان لا يجدى الأسى والتندم
لشوف الرغامة صلة لهداية ومن بالرغامة يهتدى فهو يرغم (٣)
يناجى فجاج الدّو والدّو صامت ولا يسمع النجوى ولا يتكلم
على جيئن قال الظبى والظل قالص واو قدت المعزاء فهى جهنم

(١) فحلان من الابل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل (٢) كذا ولعله تلفتن (٣) كذا .

Marfat.com

وجفّ مزاد القوم فهى اشنّة وجفّ لوردالموت كفّ ومعصم
ووسع ميدان المنايا بخيله فضاق مجال الريق والتجم الفم
ذوحش الرزايا للرزية حصر وطير المنايا بالمنية حوّم
فلما تبدت كربلا وتبينتْ قباب بها السبط الزكى المكرم
ولذت به مستشفعا متحرّما كما يفعل المستشفع المتحرّم
واصبح لى دون البرية شافعا الى من به معوّج امرى يقوّم
﴿٨٨ الف﴾ انخت ركابى حيث ايقنت انّنى
بباب امير المؤمنين مخيم
بباب يلاقى البشرآمال وفده بوجه الى ارفادهم يتبسم
بحيث الأمانى للامانى قسيمة وحيث العطايا بالعواطف تقسم
وحيث غصون المجد تهتز للندي تزعزج جودا من سجاياه يثجم
عليك امير المؤمنين تهجمى بنفس على الجوزاء لاتتهجم
تلوم بان تغشى الملوك لحاجة وللتهابى (١) عنك لاتتلوم
تضن بماء الوجه لكن وفدكم له شرف ينتا به المتعظم
فصن ماء وجهى عن سواك فانه مصون يصوناه الحيا والتكرم
الست بعيد (١) حرمتى عن وراثة له عندكم عهد تقادم محكم
ومثلى يحي (٢) للفتوق ورتقها اذا هزّ خطّى وجرّد مخذم
فلازلت للآمال تبقى مسلما لتتابك الآمال وهى تسلم

فلم يجد شيئا ثم توجه الى مكة شرفها الله تعالى وقضى فرائض الحج

(١) كذا (٢) كذا ولعله يقنى.

وسنة

وسنته ووقعت فتنة بمكة بين اهلها والركب العراقى فركب امير الحاج العراقى بمن معه من عسكر الخليفة وكاد يقع بينهم ملحمة عظيمة فقام الملك الناصر داود فى الاصلاح احسن قيام واجتمع بالشريف قتادة امير مكة واحضر الى امير الحاج مذعنا له بالطاعة وقد جعل عمامته فى عنقه فرضى عنه امير الحاج وخلع عليه وزاده على ماجرت به العادة من الرسم وقضى الناس ﴿٨٨ ب﴾ مناسكهم وتفرقوا الى اوطانهم وهم شاكرون لجميل صنع الملك الناصر واصلاحه لذات البين وحفظه بما فعل لاموالهم وارواحهم وكثر دعاؤهم له وثناؤهم عليه ثم توجه مع امير الحاج العراقى فلما قدم مدينة سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم قام بين يدى الحجرة الشريفة وانشد مادحا للنبى صلى الله عليه وسلم وفرائصه ترتعد ولسانه من هيبة ذلك المقام تتلجلج .

عليك سلام الله ياخير مرسل اتاه صريح الوحى من خير مرسل
اليك امتطينا اليعملات رواسما يجبن الفلا ما بين رضوى ويذبل
الى خير من اطرته بالمدح السن فصدّقها نص الكتاب المنزل
اليك رسول الله قمت بمحجما وقد كلّ عن ثقل البلاغة مقولى
وادهشنى نور تألق مشرقا يلوح على سامى ضريحك من على
ثنتنى عن مدحى لمجدك هيبة يراع لها قلبى ويرعد مفصلى
وعلى ان الله اعطاك مدحة مفصلها فى مجملات المفصل
فماذا يقول لما دحون بمدحهم بمن مدحه يعلو على كل معتلى

ثم احضر شيخ الحرم وخدامه ووقف بين يدى النبى صلى الله

Marfat.com

عليه و سلم متمسكا باذيال الحجرة المقدسة و قال بمشهد وإن هذا مقامى من رسول الله صلى الله عليه و سلم داخلا عليه مستشفعابه الى ابن عمه الامام المستعصم بالله ﴿ ٨٩ الف ﴾ امير المؤمنين فى ان يردعلى وديعتى فاعظم الناس هذا المقام الشريف و جرت عبر اتهم و كثر بكاؤهم و كتب فى الحال بصورة ما جرى الى الخليفة و حمل المكتوب الى امير الحاج و حدثه الحا ضرون بصورة ما جرى فى تلك الحضرة الشريفة المقدسة وكان ذلك يوم السبت الثامن و العشرين من ذى الحجة سنة ثلاث و خمسين ثم توجه الركب العراقى و صحبتهم الملك الناصر فلما صاروا ببعض المنازل خرج عليهم جمع عظيم من العرب يريدون نهبهم و إخذ اموالهم و اشرعوا لهم الاسنة و اخذوا فى مقاتلتهم و محاربتهم و اشتد القتال بينهم و كادوا يظفرون بامير الحاج و من معه فخرج الملك الناصر فشق الصفوف و استدعى بامير السرية و هو احمد بن حجى بن زيد من آل مرى وكان ابوه الامير حجى صاحب الملك الناصر داود و صاحب و الده الملك المعظم و للناصر عليه آياد عظيمة فدنا احمد من الملك الناصر فحذره سوء عاقبة فعله و اقدامه على ركب الخليفة و اخذ فى محادثته تارة بالترهيب و تارة بالترغيب الى ان انقادله و اجاب الى الكف و لما رجع الحاج و صحبتهم الملك الناصر الى العراق خرج امر الخليفة بانزال الملك الناصر ﴿ ٨٩ ب ﴾ بالمحلة فنزل بها و قرر له راتب لايكفيه و جرى له ما ذكرنا من محاسبته على ماوصل اليه من الضيافة و غيرها فعاد الى الشام ولم يحصل له المقصود و أخر امره انه و صل

الى قرقيسياتم عاد منها الى تيه بنى اسرائيل كما ذكرنا و انضم اليه جماعة من العرب و رام فيما قيل ان يتصل بالبحرية و ذلك فى اوائل سنةست وخمسين و بلغ الملك المغيث فتـــح الدين عمر صاحب الكرك فخاف منه ان يكثر جمعه من العرب و الترك فيقصده فراسله مخادعا له باظهار المودة ثم ارسل اليه عسكرا فقبضوا عليه و على من معه من اولاده فلما و صلوا بهم الى اللاجية من غور زغراء(١) افردوه منهم و اذنوا للاولاد أن ينصرفوا حيث شاؤا و مضى اصحاب الملك المغيث بالملك الناصر داود الى بلد الشوبك وكان تقدم الملك المغيث بان يهيء له مطمورة يحبس فيها لينقطع خبره فلما و صلوا به الى ذلك المكان و جدوا المطمورة لم يتم عملها فانزلوه فى طور هارون عليه السلام فلجأ اليه ، مستشفعابه و باخيه موسى صلى الله عليهما و سلم و اتفق ان الخليفة لماقصده التتر فى هذه السنة اعنى سنـــة ست و خمسين كما ذكرنا اضطر الى الانتصار بكل احد فارسل الى ﴿٩٠الف﴾ الملك الناصر صلاح الدين يوسف يستمده بالرجال و يطلب منه ان يسير اليه الملك الناصر داود مقدما على من يبعثه من العساكر التى يستخدمهم لنصرة الاسلام فوصل الرسول من الخليفة بذلك الى دمشق ثم توجه الى الكرك لاحضار الملك الناصر داود لهذا المهم فاتاه الفرج من حيث لايحتسب بعد ان اقام فى بطور هارون عليه السلام ثلاث ليال فقال فى ذلك .

تبارك الله اخلاصا ، و ايمـانا سبحانه خالقـا بالجود منّـانا

(١) كذا وفى نز «زغر من الغور»

Marfat.com

هو الذى يقاسى(١)من قعرها ويه اقمت فيها مطار اللب حيرانا
موسى بن عمران بل هارون صاحبه تكفلانى اشفاقا وتحنانا
هما الى الله قاما بالشفاعة لى تلطفا فيهما (٢) برا واحسانا

فافرج الملك المغيث عنه وتوجه الى دمشق ونزل بالبويضاء؟ شرقى دمشق واقام بها يتجهز للسير لنصرة الخليفة وقصر الصلاة مدة اقامته بالبويضاء؟ وتواترت الاخبار بمضايقة التتر بغداد فاشار عليه جماعة من اصحابه بان يتأنى فى الحركة فقال انى قد بعت نفسى من الله تعالى وما توجهى لطلب دنيا وانما مقصودى ان ابذل نفسى فى سبيل الله لعل الله تعالى يجعل على يدى نفعا للمسلمين ﴿٩٠ ب﴾ او تحصل لى الشهادة فى سبيله وبينما هو على هذه النية وردت الاخبار بان التتر ملكوا بغداد وشاع ايضا خبر لاحقيقة لـه وهو ان الخليفة لحق بالعرب فقال لا بدلى من اللحاق به فله فى عنقى بيعة وقد از منى الوصول اليه وأخذ بغداد منه لا يسقط وجوب اتباع امره والذى يخشاه الناس القتل وانا لا اخشاه وعرض فى هذه السنة الطاعون عم الشام وديار مصر وغيرها فحكى عبد الله بن فضل احد من كان فى خدمته قال لما اشتد الوباء والطاعون عقيب اخذ التتر بغداد تسخطنا به فقال لنا المالك الناصر لاتتسخطوا به فان الطاعون لما وقع بعمواس فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بعض الناس هذا وجه هذا الطاعون الذى بعث على بنى اسرئيل فبلغ ذلك معاذ بن جبل رضى الله عنه فقام

(١) كذا ولعله اقتادنى (٢) كذا ولعله منهما .

Marfat.com

الناس خطيبا و قال ايها الناس لا تجعلوا دعوة نبيكم صلى الله عليه و سلم و رحمة ربكم عذابا و تزعمون ان الطاعون هو الطوفان الذى بعث على بنى إسرائيل ان الطاعون رحمة ربكم رحمكم بها و دعوة من نبيكم لكم اللهم ادخل على معاذ منه نصيبه الأوفى فقال ثم افيض(١) علينا موت معاذ و ابنه و أهل بيته بالطاعون ﴿ ٩١ الف ﴾ ثم ابتهل و قال اللهم اجعلنا منهم و ارزقنا ما رزقتهم و اصبح من الغد او بعده مطعونا فلما سمعت بمرضه جئت اليه و هو يشكو الما مثل الطعن بالسيف فى جنبه الا يسر حيث يمنعه من الا ضطجاع و حكى ولده شهاب الدين غازى عنه انه نام بين الصلاتين ثم انتبه فقال انى رأيت جنبى الايسر يقول لجنبى الايمن انا قد جاءت نوبتى و الليلة نوبتك فاصبر كما صبرت فلما كان عشية النهار شكى الما خفيفا تحت جنبه الا يمن و اخذ فى التزايد و تحققنا ان ذلك الطاعون فبينما انا عنده بين الصلاتين و قد سقطت قواه اذ اخذته سنة فانتبه و فرائصه ترتعد فاشار الى فد نوت منه فقال رأيت النبى صلى الله عليه و سلم و الخضر عليهما السلام قد جاءا الى عندى ثم انصرفا فلما كان آخر النهار قال ما فى رجاء فتهيء فى تجهيزى فبكيت و بكى الحاضرون فقال لا تكن الا رجلا ولا تعمل عمل النساء و لا تغير هيئتك و اوصانى باهله و اولاده ثم اشتد به الضعف ليلا و قمت فى حاجة فحدثنى بعض من كان عنده من اهله انه افاق مر عوبا و قال بالله تقد موا الى نائبى فانى اجد وحشة فسئل لم ذلك فقال ارى صفا عن يمينى ﴿ ٩١ب ﴾

(١) كذا و لعله اقتص .

Marfat.com

وصورهم جميلة وعليهم ثياب حسنة وصفا عن يساري وصورهم قبيحة فيهم ابدان بلا رؤس وهؤلاء يطلبوني وهؤلاء يطلبوني وانا اريد ان روح الى اهل اليمين وكلما قال لي اهل الشمال مقالتهم قلت ما اجئ اليكم خلوني من ايديكم ثم واغفى اغفاءة ثم استيقظ وقال الحمد لله خلصت منهم وكانت وفاته رحمه الله تعالى صباح تلك الليلة وهي ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الاولى هذه السنة وعمره نحو ثلاث وخمسين وقد استولى عليه الشيب استيلاء كثيرا وفي صبيحة موته جاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله في اقاربه وعساكره الى البويضاء؟ واظهر التأسف والحزن عليه ورأى على بعض اقاربه ملبوسا ملونا فانكر عليه ذلك غاية الانكار وقال هذا يوم تلبس فيه هذه الثياب وقدمات كبيرنا وشيخنا واجلنا قدرا ومكانة ثم حمل الى الصالحية فدفن في تربة والده الملك المعظم رحمهما الله تعالى وكانت والدة الملك الناصر داود رحمه الله تعالى ام ولد خوارزمية وعمرت بعد وفاته دهرا حكى لي عز الدين محمد بن ابي الهيجاء رحمه الله ما معناه انه قال خرج الملك الناصر صلاح الدين يوسف ﴿٩٢ الف﴾ رحمه الله الى البويضاء؟ لشهود جنازة الملك الناصر داود رحمه الله وكنت فيمن خرج في خدمته فلما وصل السلطان خرجت والدة الملك الناصر داود حاسرة وقالت اشتفيت بولدي او ما هذا معناه من كلام النساء في حال الحزن وسفههن فقال الملك الناصر يا امرة مسلمة والله لقد عز علي فقده وتألمت لوفاته وهو ابن عمي وقطعة من لحمي فكيف تقولين

تقولين هذا القول ثم قعد و تأسف عليه و بكى و لم يتأثر لمقالها وعذرها لما نزل بها و لم يحضر احد من اعيان الدمشقيين سوى قاضى القضاة صدر الدين احمد بن سنى الدولة و ولده القاضى نجم الدين رحمهم الله تعالى لاغير فالتفت السلطان الى القاضى صدر الدين و قال ما اقل وفاءكم يا دمشقيين يموت مثل الملك الناصر و هو سلطانكم و ابوه سلطانكم و جده سلطانكم و ما يخرج احد الا انت و ولدك و الله كان الواجب على اهل دمشق ان يكونوا من المدينة الى هنا مكشفى الرؤس يندبونه و يبكون عليه وشرع فى توبيخ الدمشقيين و لومهم على ذلك بما هذا معناه و كان فى الملك الناصر داود رحمه الله فضيلة و بقية فى الآداب و العلوم و محبة فى العلماء ﴿ ٩٢ ب ﴾ فاذا اعتبرت الفاظها كانت درا منظوما ، و ان اختبرت معانيها كانت رحيقا مختوما، جلت بعلوها عن المعانى المطروقة، و الا لفاظ المسروقة ، و دلت بعلوها عن انها من نظم الملوك لا السوقة ، فلو وجدها ابن المعتز لاجرى زورقة الفضة فى نهرهـا و القى حمولة العنبر فى بحرها ، و القى تشبيهاته باسرها فى اسرها، و لولقيها ابن حمدان لاعتم فى موس الغمام (١) و انبرى برى السهام، و تغطى من اذيال الغلائل المصبغة بذيل الظلام ، و لو سمعها امرؤ القيس لعلم ان فكرته قاصرة ، و كرته خاسرة ، و ايقن ن و حوشه غير مكسورة ، و عقابه غير كاسرة ، فاين الجزع الذى لم ب ، من الذى قد تنظم، و اين ذلك الحشف البالى، من هذا الشرف ل ، فانه يكفى لمخاطر الذى سمح بها عين الكمال الشحيحة ، و يشفى

(١) كذا

Marfat.com

القلوب العليلة بادوية هذه الانفاس الصحيحة .

قلت كان فخر القضاة صاحب هـذا الكلام من اعيان الفضلاء مستقلا بالعلم و الادب و الترسل و له النظم الحسن و مشاركة فى كثير من العلوم مع ما عنده من الرياسة و المكارم و حسن العشرة و دماثة الاخلاق خدم الملك المعظم ابن العادل ثم ولده الملك الناصر المذكور (٩٣ الف) و وزرله و ترسل عنه الى دار الخلافة و الى جماعة من الملوك بالديار المصرية و غيرها من البلاد و سمع و حدث و جالس المشايخ و العلماء و اعترفوا بغزارة علمه و كثرة فضله و توفى فى منزله بسفح قاسيون ظاهر دمشق يوم الجمعة ثامن جمادى الآخرة سنه خمس و ستمائة و دفن هناك رحمه الله و اظنه قد نيف على الستين .

و من كلامة قتيل الجفون الفواتر ، فى سبيل حبه ، كقتيل السيوف البواتر ، فى سبيل ربه ، الا ان هذا يغسل بدموعه ، و هذا يزمل بنجيعه ، و هذا فى حال حياته حتى يرمق ، و هذا فى مماته حتى يرزق ، و قد الم ابن الاثير الجزرى بهذا المعنى فقال .

دمع المحب و دم القتيل متساويان ، فى التشبيه و التمثيل الا ان بينهما بونا ، لانهما يختلفان(١) لونا .

و لفخر القضاة .

له الراية السوداء يشرق نورها و تكحل عين النصر منها بإثمد

و له فى الملك المعظم عيسى بن العادل .

غبت عن القدس فاوحشته و قد غدا باسمك مأنوسا

(١) كذا و لعله يختلفان .

فكيف لا تلحقه وحشة وانت روح القدس ياعيسى

﴿٩٣ ب﴾ وله ايضا.

لقد عدم الفضل والمفضلون وامسى مريدهما مستريحا
فلا شاعر يستحق النوال ولا باذل يستحق المديحا

وقال ملغزا فى الرمح.

ولى صاحب قد كمّل الله خلقه فليس به نقص يعاب فيذكر
عصىّ ثقيل ان اطيل عنانه مطيع خفيف الكل حين يقصر
يسابقنى يوم النزال الى العدى فان لم أوخره فما يتأخر
ويؤمن منه الشرما دام قائما ولكن اذا مانام يخشى ويحذر
انال به فى الروع مهما اعتقلته مراما اذا اطلقته يتعذر
[تعدى الى اعدائه متنصلا اليهم وما ابدى اعتذارا فيعذر] (١)
ترى منه دميا (٢) الى الخط ينتمى ومغرى بغزو الروم وهو مزنّر
عجبت له من صامت وهو اجوف ومن مستطيل الشكل وهو مدوّر
ومن طاعن فى السّن ليس بمنحنى ،ومن ارعن مذعاش وهو موقر
ففكر اذا ما رمت افشاء سره فها انا قد اظهرته وهو مضمر

وكتب الى شمس الدين ابن النعمانى كاتب الجيوش ببغداد لغزا فى فيل.

ولى صاحب ما زال يحسن صحبتى وليس له فى المحبتين عديل

(١) من فوات الوفيات (٢) كذا فى الاصل ولعل الصواب «رميا» اى رماة - ووقع فى فوات الوفيات «المطبوع حديثا «أميا» خطأ.

Marfat.com

تساوى اسمه بين الانام و فعله فكل اذا فكرت فيه جميل
متى تلقى حرفا اولا منه تلقه منيعا يردّ الطرف و هو كليل
﴿٩٤ الف﴾ و ان تلق منه ثانيا فهوامة (١)
مقيم ° يقضى عمرها و يزول
و ان تلق منه ثالثا فهو صابر لمثالد (١) من ثقل الرجال حمول
و ان تلق منه رابعا فارتحل اذا تصحف عنه ليس فيه نزول
و قد رضته حتى طفا وهو راسب بلحج و غُصّ فالبحر منه طويل

فاجابه ابن النعمانى و الغز فى اسم سعيد .

امولاى يامن فضله و بيانه وصاحبه كل يقال جميل
و من حاز افكار المعانى وفضله (٢) لسوددە بالمكرمات كفيل
انا ذلك المومى اليه و مجدكم بيين قياسا لى عليه دليل
و لى صاحب من كان فى الناس كأسمه يقول بجدّ صارم و يصول
متى تلق حرفا اولا منه تلقه يهنى به كل الورى و يزول
و ان تمّد حرف واحد من حروفه فللنجم منه منزل و حلول
و ان يكن المحذوف حرف انتهى به فليس لانسان سواه عديل
كذا جاء فى التنزيل ياقوم فاعلموا لتأويل ما قد قلته و اقول

فاجابه فخر القضاة .

امولاى شمس الدين لازلت هكذا تفيد الصديق و العدو تبيد
و لا برحت يمناك فى كل عزمة تجود على الراجى و انت تسود

(١) كذا (٢) كذا و لعله ابكار المعانى وفعله .

Marfat.com

ابى الله ان يشق بمثلك صاحب ولكنه مهما يراك سعيد ﴿٩٤ب﴾
فدامت لك النعماء فى ظل مالك له الخلـــد دار و الملوك عبيد

سمع فخر القضاة و حدث و اجازه الحافظ ابو الفرج ابن الجوزى ويحيى بن اسعد بن بؤس وابو الفرج عبـــد المنعم بن كليب الحرانى وغيرهم ـ وكتب فخر القضاة الى الشيخ جمال الدين ابن الجوزىْ رحمه الله لغزا فى مقصورة ابن دريد و هو - ما يقول سيدنا امام ائمة الامصار و صدر صدور الإقطار ، وجامع مسانيد السير و الاخبار ، و العـالى كعبه فى تحبير العلوم على كعب الاحبار ، فى عروس جليت فى ساعة على بغلين ، و زفت فى ليلة الى محلين ، خطباها بظهور السماح لابصدور الرماح ، و ملكاها بحل الصحاح ، لابعقد النكاح ، و افترعاهـا (١) فى الملأ فلم يكن عليها و لاعلى ابيها من عيب و لاجناح ، و هى من المشهورات بين الانام ، و المقصورات لافى الخيام ، باسقة الفرع ثابتة الاصل ، فائزة عند النضال بالخصل ، جامعة المناقب و الفضائل ، ساحبة ذيل الفصـاحة على سحبان وائل .

و كتب الى جمال الدين يوسف بن العنائى مشرف ديوان بغداد ما يقول سيدنا و اصل جناح قاصديه ، و قاطع جماح معانديه ﴿٩٥ الف﴾ فى مطية صامتة جوفاء تارة بدنية و تارة هيفاء اذا كانت ضئيلة ، صغيرة فهى قائمة على ثلاث متنقلة تنقل الاناث و اذا كانت عظيمة كبيرة فهى عادية الارجل و الانبعاث دائمة الاقامة و اللباث ، فان قصرت و صغرت

(١) وقع فى الاصل « اقترعاها » خطأ .

كانت مطية صامت جاهل ، وان طالت وكبرت كانت مطية ناطق فاضل، على ان الصغيرة تباع و تشترى، و الكبيرة يحرم فيها ذلك ويمتنع ويرضي ربها بان يمتطيها ويقتنع ، وقد خشينا الجمع بين هاتين مع انه حلال، وظمئنا الى رشف جوابك فى ذلك لأنه زلال، فان اسأنا فى السؤال فتجاوز عنا ، و احسن البنا ، وان جئنا ، ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل ، و تصدق علينا ، وكتب الى ابن النعمانى (١) :

و منصوبة مرفوعة عند نصبها (٢) ولكنه رفع يؤول الى خفض
تعين على جرّالزمان وبرده بلا حسب زاك ولا كرم محض
و يصبح للّاجى اليها وقاية
لبعض الاذى الطارى على الجسم لاالعرض
تقوم على رجلين طورا و تارة تقوم على رجل بلا غرض(٣) منض
اذا حضرت كانت عقيلة خدرها
و إن تبدلم (٤) تلزم مكانا من الارض ﴿٩٥ ب﴾
قصدت كريما خيمه ، ليبينها (٥) . وقصد الكريم الحيم من جملة الفرض
يارافع لواء الادباء و دافع لأواء (٦) الغرباء هذا اللغز مهد موّطا مكشوف لامغطأ (٧) و قد سطر مفردا ومجموعا و ذكر مقيسا ومرفوعا الا انه

---

(١) فى فوات الوفيات « فى الخيمة » (٢) كذا و فى الفوات « قد نصبتها » (٣) فى فوات الوفيات «عرج» وهو الصواب (٤) هكذا فى فوات الوفيات ـ وفى الاصل « وان لم تنل » خطأ (٥) منه ايضا ووقع فى الاصل « ليبينها » خطأ (٦) وقع فى فوات الوفيات « لوى » خطأ (٧) منه ايضا وفى الاصل « لايغطا »

Marfat.com

قد استخفى وهو مظهر(١)، واستسرّ وهو مجهر، وتعامى وهو بصير، وتطاول وهو قصير، وتصامم وهو سميع، وتعاصى وهو مطيع، ومثل مولاى من عرف وكره، ولم يعمل فيه فكره، والآمر له على امره (٢) واطال الا ولياء عمره، ان شاء الله تعالى .

كان فخر القضاة رحمه الله كثير المباسطة لاصحابه واحتمال تبسطهم عليه طلب منه التاج عثمان الدمشقى حمارة فاشتر اهاله فكتب اليه يتشكر اليه ويقول .

اشترى لى فخر القضاة حماره ذات حسن وبهجة ونضاره
صان عرضى بها وعمّر دارى عمّر الله بالحمير ديارة

فاجابه على ذلك .

قال قاضى القضاة(٣) شمس الدين ابن خلكان رحمه الله هو ابوالفتح نصر الله بن ابى العزهبة الله بن عبد الباقى بن ابى البركات ابن الحسين ابن يحيى بن على المعروف بابن بصاقة الغفارى من كنانة المضرى الملقب فخر القضاة رحمه الله .

قلت قد ﴿٩٦ الف﴾ بسطت القول فى هذه الترجمة واستوفيت معظم مقاصدها وذكرت بعض المقاطيع بكمالها وذلك لتعذر حصول ديوانه فانه قليل الوجود اما رسائله فليست بذاك لكنها مليحة من مثله

(١) منه ايضا ووقع فى الاصل «مضمر» خطأ. (٢) من فوات الوفيات ووقع فى الاصل «والآمر له اعلى الله امره» كذا. (٣) ترجمته فى فوات الوفيات المجلد الثانى الا انه ذكره ابن خلكان استطرادا فذاك ممكن.

Marfat.com

وفيها اشياء حسنة ومعانى جيدة وخلف الملك الناصر عدة اولاد ذكورا واناثا وسنذكر اعيان من درج منهم الى رحمة الله ان شاء الله تعالى .

زهير بن محمد بن على بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم ابو الفضل وقيل ابو العلاء بهاء الدين الازدى المولد القوصى المنشأ القاهرى الدار الكاتب المشهور والشاعر المجيد مولده بوادى نخلة بقرب مكة شرفها الله تعالى لخمس مضين من ذى الحجة سنة احدى وثمانين وخمسمائه وربى بصعيد مصر وقوص وقرأ الادب وسمع وحدث وله النظم الفائق والنثر الرائق وكان رئيسا فاضلا كريم الاخلاق حسن العشرة جميل الاوصاف واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين بالقاهرة فى حياة ابيه الملك الكامل فلما توجه الملك الصالح الى الشرق سافر فى خدمته واقام معه فلما مات الملك الكامل وتسلم الملك الصالح نجم الدين دمشق من الملك الجواد كان بهاء الدين المذكور صحبته فلما اعتقل الملك الصالح بالكرك اقام بهاء الدين بنابلس ﴿٩٦ ب﴾ عند الملك الناصر داود فلما خرج الملك الصالح من الاعتقال وسار الى الديار المصرية كان بهاء الدين المذكور فى صحبته واقام عنده فى اعلى المنازل واجل المراتب هو المشار اليه فى كتاب الدرج والمتقدم عليهم واكثرهم اختصاصا بالملك الصالح واجتماعا به وسيره رسولا فى سنة خمس واربعين الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله صاحب حلب يطلب منه انفاذ الملك الصالح عماد الدين اسماعيل اليه فلم يجب الملك الناصر رحمه الله

Marfat.com

الى ذلك وانكر هـــذه الرساله غاية الانكار واعظمها واستفضعها وقال: كيف يسعنى ان اسيّر عمه اليه وهو خال ابى وكبير البيت الايوبى ليقتله وقد استجاربى والله هذا شئ لا افعله ابد اورجع بهاء الدين الى الملك الصالح نجم الدين بهذا الجواب فعظم عليه وسكت على ما فى نفسه من الحنق وقبل موت الملك الصالح نجم الدين بمدة يسيرة وهو بفازل بالمنصورة تغيّر على بهاء الدين وابعده لامر لم يطلع على فحواه حكى لى ان سبب تغيّره عليه انه كتب عن الملك الصالح كتابا الى الملك الناصر داود فلما وقف عليه الملك الصالح كتب بخطه بين الاسطر انت تعرف قلة عقل ابن عمى وانه يحب من [يعظمه] (١) ويعطيه من يده فاكتب له بما يعجبه من ذلك وسيّر الكتاب اليه وهو ﴿٩٧ الف﴾ مشغول فاعطاه لفخر الدين ابراهيم بن لقمان وامره بختمه فختمه وجهزه ولم يتأمله واعطاه النجاب فسافر به لوقته ولما استبطأ الملك الصالح عود الكتاب اليه وعلم عليه سأل عنه بهاء الدين وقال ما وقفت على ما كتبته بخطى بين الاسطر قال ومن يجسر أن يقف على ما كتبه السلطان بخطه الى ابن عمه واخبره انه سيّره مع النجاب فسيّروا فى طلبه فلم يدركوه ووصل الكتاب الى الملك الناصر [بالكرك] (١) فعظم عليه وتألم له وكتب الى الملك الصالح يعتبه العتب المؤلم ويقول له والله مابى ما يصدر منك [فى حق] (١) انما بى اطلاع كُتّابك على مثل ذلك فعز على الملك الصالح وغضب على بهاء الدين زهـــير وبهاء الدين لكثرة مروءته نسب ذلك الى نفسه ولم

(١) من ز

Marfat.com

ينبسه الى فخر الدين ابراهيم بن لقمان رحمه الله تعالى وكان الملك الصا
كثير التحيل (١) و الغضب و المؤاخذه على الذنب الصغير و المعاتبة عل
الوهم لا يقيل عثرة ، و لا يقبل معذرة ، و لا يرعى سالف خدمة ، والسيئة عند
لا تغفر ، و التوسل اليه لا يقبل ؛ و الشفائع لديه لا تؤثر ، و لا يزداد بهذ
الامور الى تسل سخائم الصدور الا حقدا و انتقا ما و كان ملكا
جبارا متكبرا شديد السطوة كثير التجبر و التعاظم يتكبر على اصحابه
و ندمائه و خواصه ﴿٩٧ب﴾ ثقيل الوطأة لاجرم ان الله تعالى قصر
مدة مملكته و ابتلاه بامراض عدم فيها صبره و قتل مماليكه و لده
[توران شاه من] (٢) بعده لكنه كان عنده سياسة حسنة و مهابة عظيمة
و سعة صدر فى اعطاء العساكر و الانفاق فى مهمات الدولة لا يتوقف
فيما يخرجه فى هذا الوجه وكانت همته عالية جدا و آماله بعيدة و نفسه
تحدثه بالاستيلاء على الدنيا باسرها و التغلب عليها و انتزاعها من يد ملوكها
حتى لقد حدثه نفسه بالاستيلاء على بغداد و العراق وكان لا يمكن
القوى من الضعيف ؛ و ينصف المشروف من الشريف ، و هو اول من استكثر
من المماليك من ملوك البيت الايوبى ثم اقتدوا به لما آل الملك اليهم ، فاقتنى
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله اكثر منه ثم اقتنى الملك المنصور
سيف الدين قلاوون رحمه الله منهم اكثر من الملك الظاهر و لما مات الملك
الصالح نجم الدين لم يحزن لموته الا القليل مع ما كان الناس فيه من قصد
الفرنج الديار المصرية و استيلائهم على قطعة (٣) منها و سر معظم الناس

(١) كذا و فى نز التخيل (٢) من نز (٣) وقع فى نز « قلعة » .

بموته

بموته حتى خواصه فانهم لم يكونوا يأمنون سطوته و لايقدرون على الاحتراز من كل ماينتقده عليهم و يؤاخذهم به فانه كان يؤاخذ على ايسر هفوة باعظم عقوبة و لم يكن فى ﴿٩٨ الف﴾ خلقه الميل الى احد من اصحابه و لااهله و لا اولاده ولاالمحبة لهم ، و الحنو عليهم على ماجرت به العادة وكان يلازم فى خلواته و مجالس أنسه من الناموس مايلا زمه اذا كان جالسافى دست السلطنة ، وكان عفيف الذيل طاهر اللسان قليل الفحش فى حال غضبه ينتقم بالفعل لابا لقول رحمه الله و بالجملة فقد خرجنا عن المقصود و نعود اليه ان شاء الله تعالى .

و اما بهاء الدين زهير رحمه الله فاتصل بعد موت الملك الصالح بخدمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله و له فيه مدايح حسنة يتضمنها ديوانه ثم فارقه و رجع الى الديار المصرية و لزم بيته يبيع كتبه و موجوده و ينفقه و انكشف حاله بالكلية و لما عرض باللاد الوباء العام عقيب اخذ التتر بغداد مرض اياما ثم توفى الى رحمة الله تعالى قبل المغرب من يوم الاحد رابع ذى القعدة و قيل خامسه هذه السنة عن خمس و سبعين سنة غير شهر و احد و دفن بالقرافة الصغرى و فضيلته شهر من ان تحتاج الى الاطناب فى ذكرها و اما مروءته و كرم طباعه عصبيته لكل من يلوذ به و يقصده فذلك امر مشهور و كان فى اول امره كاتبا عند المكرم بن اللطى (١) متولى قوص و الصعيد فى الايام الكاملية له فيه مدايح حسنة منها من قصيدة ﴿٩٨ ب﴾ :

(١) ديوانه « الامير النصير اللطى » .

Marfat.com

يامنسك المعروف احرم منطقى زما وفد لبّاك من ميقاته

هذا زهيرك لازهير مزينة وافاك لاهَرِما على علاته

دعه وحولياته ثم استمع لزهيرعصرك[حسن] (١)ليلياه

لوانشدت فى آل جفنة اضربوا عن ذكر حسان وعن جفناته

قلت وهذه الابيات قد يقف عليها من لا يعرف مقصوده فيها فينبغى أن نشرح ما ينبهم على بعض الناس منها قوله: زهير مزينة - يعنى زهير ابن ابى سلمى المزنى وكان يمدح كثيرا هرم بن سنان المدايح المشهورة وكان زهير احد الشعراء الاربعة الذين فضلوا فى الجاهلية على سائر الشعراء زهير اذا رغب، والنابغة اذا رهب، والاعشى اذا طرب، وامرؤ القيس اذا ركب، وكان هرم بن سنان من المشهورين بالكرم وقوله: دعه وحولياته - يعنى به القصائد التى كان زهير المزنى ينظمها فى سنة فقصد زهير هـذا ما ينظمه فى ليلة على ما كان ينظمه زهير فى سنة وهذا على سبيل التجوز واللغة على عادة الشعراء لا الحقيقة فان بهاء الدين لم يكن ممن يغالط نفسه وبصره انه اجود شعرا من زهير ابن ابى سلمى وقوله: لاهرما على علاته - يشير الى قول زهير بن ابى سلمى رحمه الله

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

معناه ان يلقه عديم المال والجدة يلقه سمحا خلقا لا تخلقا (٩٩الف) فكيف اذا لقيه على غير تلك الحال وقوله: لوانشدت فى آل جفنة - البيت معناه ان حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه كان يمدح

(١) من ديوانه وقد سقط من الاصل.

Marfat.com

جفنة ملوك الشام القصائد المشهورة و يذكر عظم جفانهم على ما كانت العرب تمدح به فى ذلك الزمان فاراد بهاء الدين بهذا البيت لوسمع آل جفنة شعره لأعرضوا عن حسان و وصفه لجفناتهم هذا خطرلى فى معنى البيت ثم وقف بعض الفضلاء على ذلك فقال انما اراد بقوله: اضربوا عن ذكر حسان و عن جفناته اشارة الى قول حسان .

لنا الجفناتِ الغر يلمعن فى الضحى و اسيافنا يقطرن من نجدة دَما
ورثنا بنى العنقاء و ابنى محرق فاكرم بنا خالا و اكرم بنا ابنما (١)

وهوالصواب ان شاء الله تعالى .

وكان بهاء الدين فى خدمة الملك الصالح نجم الدين بالشرق فارسله مرة الى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤصاحب الموصل فلما قدمها حضر عنده شعراؤها و مدحوه و من جملتهم شرف الدين ابو الطيب احمد بن الحلاوى فلما عاد بهاء الدين الى مخدومه حضر عنده اصحابه مسلمين عليه وسألوه عن شعراء الموصل فاخبرهم بما جرى و انشدهم البيت وكان من جملة الحاضرين جمال الدين يحيى بن مطروح رحمه الله فلما خرجوا من عنده ارسل الى كل واحد مما ﴿ ٩٩ ب ﴾ استصحبه من الهدية نصيبا فكتب جمال الدين مع الرسول الذى احضر نصيبه من الهدية ورقة فيها.

اقول و قد تتابع منه بر و اهلا مابرحت لكل خير
الا لا تذكروا هرما بجود فما هرم باكرم من زهير

وكتب اليه جمال الدين المذكور مرة يستدعى منه درج و رق .

(١) ما زائدة .

Marfat.com

افلست ياسيدى من الورق فابعث بدرج كعرضك اليقق
وان اتى بالمداد مقترنا فمرحبا بالخدود والحدق

فاجابه بهاء الدين (١) .

مولاى سيرت ما رسمت (٢) به وهو يسير المداد والورق
وعزّ عندى تسيير ذاك وقد شبّهته بالخدود والحدق

وسنذكر طرفا من اخبار جمال الدين بعد الفراغ من هذه الترجمة ان شاء الله وان كانت وفاته رحمه الله متقدمة لكن اذ قد جرى ذكره فلا بأس بالتنبيه عليه ولبهاء الدين اشعار كثيرة وديوان مشهور وترسل فمن شعره ملغزا فى مدينة يافا .

بعيشك خبّرنى عن اسم مدينة يكون رباعيا اذا ما كتبته
على انه حرفان حين تقوله ويرجع حرفا واحدا ان عكسته (٣)

وله يقول (١٠٠ الف) .

حبذا نفحة ريح فرّجت عنى غمّه
ضربت ثوب فتاة اكثرت (٤) تيها وحشمه
فرأيت البطن والسـ ـرّة والخصر وثمّه

وقال

ايا معشر الاصحاب مالى اراكم على مذهب والله غير حميده

(١) فى ابن خلكان «قال بهاء الدين : وقد فتح الراء من «الورق» وكسرها تنبيها على حاله فكتبت اليه» (٢) فى ديوانه « ما امرت » (٣) فى ديوانه « ومعناه حرف واحد ان قلبته »(٤) هكذا فى ديوانه ووقع فى الاصل« المثرب » بلانقط خطا

فان

فان لم تكونوا قوم لوط بعينهم فما قوم لوط منكم ببعيد
فهل انتم من قوم لوط بقية فما فيكم مَن فعله برشيد

و قال

يا روضة الحسن صلى فما عليك ضير
فهل رأيت روضة ليس بها زهير

و قال

كيف خلاصى من هوى ما زج روحى فاختلط
فى تائه اقبض فى حبى له وما انبسط
يابدر إن رمت به تشبّها رمت الشطط
ودعه ياغصن النقا ما انت من ذاك النمط
قام بعذرى (١) وجهه عند عذولى (٢) وبسط
لله اى قلم لواو (٣)ذاك الصدغ خط
ويا له من عجب فى خدّه كيف نقط
يمر بى ملتفتا فهل رأيت الظبى قط
(١٠٠ب)ما فيه من عيب سوى فتور عينيه فقط
ياقمر السعد الذى لديه نجمى قد هبط (٤)
ياما نعى حلو الرضا وما نحى مرّ السخط (٥)

(١) هكذا فى ديوانه وفى الاصل « معذرى » خطأ (٢) هكذا فى ديوانه وفى الاصل «عول» خطأ (٣) هكذا فى ديوانه وفى الاصل «لسواد» خطا (٤)ديوانه سقط» (٥) وقع فى ديوانه « ياما نعا .... و باذلا » .

Marfat.com

حاشاك ان ترضى بان اموت فى الحب غلط

وقال

أغصن النقا لولا القوام المهفهف لما كان يهواك المعنّى المعنّف

اياظبي لولا ان فيك محاسنا حكين الذى اهوى لما كنت توصف

كلفت بغصن وهو غصن ممنطق وهمت بظبي وهو ظبي مشنّف

ومما دهانى انه من حيائه اقوّل كليل طرفه وهو مرهف

وذلك ايضا مثل بستان خده به الورد يدعى مضعفا وهو مضعف

فياظبي هلّا كان فيك التفاته ويا غصن هلّا كان فيك تعطف

[ويا حرم الحسن الذى هو آمن والبابنا من حوله تتخطف](١)

عسى عطفة للوصل ياواو صدغه وحقك (٢) انى اعرف الواو وتعطف

وقال يمدح الملك الصالح نجم الدين ايوب ﴿ ١٠١ الف ﴾

وعد الزيارة طيفه (٣) المتملّق وبلاء قلبي من جفون تنطق

انى لأهوى الحسن أين وجدته واهيم بالقدّ الرشيق واعشق

وبليتى كفل عليه ذؤابة مثل الكثيب عليه صِلّ مطرق

ياعاذلى انا من سمعت حديثه فعساك تحنو او لعلك ترفق

لوكنت منا حيث تسمع او ترى لرأيت ثوب الصبر كيف يمزّق

ورأيت الطف عاشقين تشاكيا وعجبت ممن لايحب ويعشق

ايسومنى العذّال عنه تصبرا وحياته قلبي أرقّ واشفق

ان عنفوا ان سوفوا ان خوفوا لا انتهى لا انتهى (٤) لا افرق

---

(١) من ديوانه (٢) ديوانه « علّى فانى» (٣) ديوانه ونز «بطرفه» خطا (٤) ديوانه ونز «لا انثنى».

Marfat.com

ابدا ازيد مع الوصال تلهفا كالعقد فى جيد المليحة يقلق
ياقاتلى إنى عليك لمشفق يا هاجرى انى عليك لشيّق
واذاع أنى قد سلوتك معشر يا ربّ لاعاشوا لذاك ولا بقوا
ما أُطمع العذّال الا انى خوفا عليك اليهم اتملّق
واذا وعدت الطيف منك بهجعة
فأشهد علىّ بانى لا اصدق
﴿١٠١ب﴾ فعلامَ قلبك ليس بالقلب الذى
قد كان لى منه المحبُ المشفق
واظن خدك (١) شامتا بفراقنا فلقد نظرت اليه وهو مخلّق (٢)
ولقد سعيت الى العلى بعزيمة تقضى لسعيى أنه لا يَخفق (٣)
وسريت فى ليل كأن نجومه من فرط غيرتها الىّ تحدّق (٤)
حتى وصلت سرادق الملك الذى تقف (٥) الملوك ببابه تسترزق
ووقفت (٦) من ملك الزمان بموقف الفيت قلب الدهر منه يخفق
فاليك يا نجم السماء فانتمى قد لاح نجم الدين لى يتألق
الصالح الملك الذى لزمانه حُسنٌ يتيه به الزمان ورونق

(١) كذا فى الاصل والديوان وفى نز «قدك» (٢) كذا فى الاصل والديوان ونز ولعله « مخلق » (٣) كذا فى الاصل والديوان ووقع فى نز « فقضى لسعيى انه لا يحقق » خطأ (٤) هكذا فى ديوانه ونز ووقع فى الأصل « عبرتها الى تحرق » خطأ (٥) هكذا فى ديوانه ونز وفى الاصل « يقفوا » (٦) كذا فى نز والديوان ووقع فى الاصل « ووثقت » كذا .

Marfat.com

ملك يحدث عن ابيه وجده نسب لعمري في العلى لا يلحق
سجدت له حتى العيون مهابة اوما تراها حين يقبل تطرق
رحب الجناب خصيبة اكنافه فلكم سدير عنده(١) وخورنق
فالعيش الا في ذراه منكّد والرزق الا من نداه(٢) مضيق

﴿١٠٢ الف﴾ يا عزّ من اضحى اليه ينتمي
وعلو من امسى به يتعلق
اقسمت ما الصنع الجميل بضائع (٣) فيه ولا الخلق الكريم تخلّق
يدعو الوفود لما له فكأنما يدعو عليه فشمله يتفرق
ابدا تحنّ الى الطراد جياده فلها اليه تشوف وتشوق
يندى (٤) لسطوته الخميس تطربا فالسمر ترقص والسيوف تصفّق
في ثنى لامته هزبر باسلى تحت التريكة(٥) منه بدر مشرق
يروى القنا بدم الاعادى في الوغى فلذاك تثمر بالرؤس وتورق
يمضى فيقدم جيشه من هيبة جيش يغصّ به الزمان ويشرق
ملأ القلوب مخافة ومحبة فالبأس يرهب والمكارم تعشق
ستجوب آفاق البلاد جياده ويرى له (٦) في كل فج فيلق
لبيك يا من لامردّ لأمره فاذا دعا العيّوقَ لا يتعوق
لبيك يا خير الملوك باسرهم واعز من تحدى اليه الانيق

(١) ديوانه «عندها» (٢) كذا في ديوانه وفي الاصل «يداه» (٣) ديوانه «تصنع» (٤) كذا وفي الديوان «يبدى» كذا (٥) كذا وفي الديوان «العريكة» ولعله الصواب (٦) كذا في ديوانه وفي الاصل «ها».

Marfat.com

لبيك الفا ايها الملك الذى جمع القلوب نواله المتفرق
﴿١٠٢ ب﴾ فعدلت حتى ما بها متظلم وانلت حتى ما بها مسترزق
انا من دعوت وقد اجابك مسرعا هذا الثناء له وهـذا المنطق
الفيت (١) سوقا للمكارم والعلى فعلمت ان الفضل فيها ينفق
يا من اذا وعد المنى قصاده قالت مواهبه يقول ويصدق
يا من رفضت الناس حين لقيته حتى ظننت بانهم لم يخلقوا
قيدت فى مصر لديك ركابئ غيرى يغرّب تارة ويشرّق
وحللت عندك اذ حللت بمعقل يلفى لديه مارد والا بلق
وتيقن الاعداء انى بعدها ابدا الى رتب العلى لا اسبق
فرزقت مالم يرزقوا ولحقت ما لم يلحقوا ونطقت ما لم ينطقو

وقال من ابيات .

وانت يا نرجس عينيه كم تشرب من قلبى وما اذ بلك
مالك فى حسنك من مشبه ماتمّ للعالم ماتمّ لك

وقال

يا من لعبت به شمول ما احسن هذه الشمائل
نشوان . يهزّه دلال ، كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه الكلام لكن قد حمّل طرفه رسائل
﴿١٠٣ الف﴾ مولاى يحق لى بانى عن حبك (٢) فى الهوى اقاتل

(١) كذا فى الديوان وفى الاصل « ابقيت » كذا (٢) ديوانه « مثلك » كذا .

Marfat.com

لى فيك كما علمت وجد لا يعلم سره (١) العواذل
ذا العام مضى فليت شعرى هل يحصل لى رضاك قابل

وقال وكتب بها الى الصاحب كمال الدين عمر بن العديم رحمه الله تعالى .

دعوتك لما ان بدت لى حاجة وقلت رئيس مثله من تفضلا
لعلك للفضل الذى انت ربه تغار فلا ترضى بان تتبدلا
اذا لم يكن الا تحمّل منّة فمنك وأما من سواك فلا ولا
و من خلقى المشهور فى الناس انى لغير حبيب قط لن اتذللا (٢)
و قد عشت دهرا ما شكوت لحادث بلى كنت اشكو الاغيد المتدللا
و ما هنت الا للصبابة و الهوى و لاخفت الاسطوة الهجر والقلا
احب من الظبى الغرير تلفتا و اهوى من الغصن النضير تفتّلا
اروح و الفاظى تذوب حلاوة و اغدو و اعطافى تسيل تغزّلا
و يا ربَّ داع قد دعانى لحاجة فعلت (٣) له فوق الذى كان أملا
سبقت صداه (٤) باهتمامى بكلما اراد و لم احوجه ان يتمهلا
سبطت له وجها حييّا و منطفا وفيّا و معروفا هنيئا معجّلا
و رحت أراه منعما متفضّلا و راح يرانى المنعم المتفضّلا

﴿١٠٣ ب﴾ و له ايضا

---

(١) كذا فى الديوان و فى الاصل «نشره» كذا (٢) كذا فى الديوان و فى الاصل «لا اتذللا» خطأ (٣) كذا فى ديوانه و فى الاصل «فقلت» خطأ (٤) كذا فى ديوانه و فى الاصل «صلاه» خطأ .

Marfat.com

انا اذا زهيرك ليس الاّ جود كفك لى مُزينه
اهوى جميل الذكر عـــنـ ـك كانما هو لى بُثينه

و اما جمال الدين يحيى بن عيسى بن ابراهيم بن مطروح رحمه الله المقدم ذكره فكان من حسنات الدهر تلم الفضيـــلة متنوعا فى العلوم ، متفننا فى الاداب مع مكارم كثيرة و دماثة اخلاق و لين جانب و حسن عشرة و كان كثير السعي فى مصالح اخوانه و اصحابه و من يلوذ به متلطفا فى قضاء حوائج الناس على الاطلاق لا يرى التوقف فى صلة رزق و كان كثير الصحبة و الصداقة لبهاء الدين زهير و بينهما مودة عظيمة و اشتراك فى الفضيلة و مكارم الاخلاق و خدمة الملك الصالح وشاركه ايضا فى تغير الملك الصالح عليه و انحرافه عنه فانه تغير عليه تغيرا مفرطاً قبل وفاته و ابعده ابعادا كليا و سبب ذلك علمه بموت الملك الصالح نجم الدين فان الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ كان يعرف محل جمال الدين و ما هو عليه من الاهلية لكل شيء و ان الدول تفتقر الى تدبيره فلما اتفق موت الملك الصالح و بقى الامير فخر الدين مدبر الامور و هو فى ﴿ ١٠٤ الف ﴾ مقابلة الافرنج قرّب جمال الدين المذكور و جعله فى محل الوزارة و كان يستشيره فى الامور و لا يكاد يفارقه فلم الناس بهذه القرينة موت الملك الصالح و انه لو كان فى قيد الحياة لقدم الامير فخر الدين على تقريب من ابعده و كان جمال الدين اتصل بخدمة الملك الصالح حين كان ولى عهد ابيه و لما سافر الى الشرق معه ثم قدم معه دمشق حين ملكها بعد الجواد و كان ناظر

Marfat.com

جيشه فلما اعتقل بالكرك مضى ابن مطروح الى الخوارزمية وحرضهم على القيام بنصرة مخدومه ثم توجه الى حماة فاقام بها لعلمه بميل صاحبها الى الملك الصالح نجم الدين فلما خرج الملك الصالح من الاعتقال وملك الديار المصرية توجه جمال الدين الى خدمته وولى الخزانة ثم استنابه الملك الصالح بدمشق مع الطواشى شهاب الدين رشيد الكبير وجعله صورة وزير ثم تغير عليه فى سنة ست واربعين لما قدم الشام وعزله واستصحبه معه الى الديار المصرية فى اوائل سنة سبع واربعين فاقام بالمنصورة الى ان توفى الملك الصالح وهو متغير عليه معرض عنه بالكلية فلما قام الامير فخر الدين ﴿ ١٠٤ ب ﴾ يوسف ابن شيخ الشيوخ بتقدمة العساكر صحبه وقربه غاية التقريب وكان لايصدر الا عن رأيه فى غالب الامور فلما استشهد الامير فخر الدين رحمه الله انتقل جمال الدين الى مصر ونزل بدار كان بناها على النيل وكتب على بابها .

دار بنيناها باحسان من ... لم تخل دار قطّ من رفده
الملك الصالح ربّ العلى ... ايوب زاد الله فى مجده
اليمن والتوفيق من حزبه ... والنصر والتأييد من جنده
اغنى واقنى فالذى عندنا ... من نعمة الله ومن عنده
فقل لحسادى الاهكذا ... فليصنع السيد مع عبده

وقد سبق لجمال الدين الى ذلك ابو الفتيان بن حيّوس (١) شاعر

(١) كذا فى نز واسمه محمد بن سلطان ووقع فى الاصل « حبوش » .

Marfat.com

بنى مرداس فانه بنى دارا بحلب وكتب على بابها هذه الابيات .

دار بنيناها وعشنا بها في نعمة من آل مرداس
قوم نفوا بؤسى ولم يتركوا علىّ فى الايام من بأس
قل (١) لبنى الدنيا الا هكذا فليصنع الناس مع النـاس

هذا كان على خاطرى ان الابيات لابن حيّوس(٢) ثم وقفت على المجلد الثالث من تاريخ حلب للصاحب كمال الدين عمر بن العديم رحمه الله فوجدته قد قال وجدت ﴿ ١٠٥ الف ﴾ فى كتاب نزهة النـاظر وروضة الخاطر لقاضى معرّة مَصرينَ (٣) الكمال عبد القاهر بن علوى المعرى قيل امتدح ابو الفتح بن حصينة (٤) المعرى نصر بن (٥) صالح بحلب فقال له تمنّ فقال له اتمنى ان اكون اميرا فجعله اميرا يجلس مع الامراء ويخاطب بالامير وقربه وصار يحضر فى مجلسه فى زمرة الامراء ثم وهبه ارضا بحلب قبلى حمام الواسانى فعمرها دارا وزخرفها وقرنصها (٦) وتمم بنيانها وكمل زخارفها ثم نقش على دائر الدار بزين .

دار بنيناها وعشنابها فى دعة من آل مرداس
قوم محوا بؤسى ولم يتركوا علّى فى الايام من بأس
قل (١) لبنى الدنيا الاهكذا فليفعل الناس مع الناس

فلما انهى للعمل بالدار عمل دعوة واحضر نصر بن صالح بن

---

(١) وقع فى الاصل « قلت » (٢) تقدم ما فيه آنفا (٣) كذا فى معجم ياقوت وفى الاصل « منصر بن » خطأ (٤) فوات الوفيات « بن ابى » (٥) كذا وفى الفوات « ابن ابى » (٦) كذا وفى الفوات « وعرضها » .

Marfat.com

مرداس فلما أكل الطعام رأى الدار و حسنها و حسن بنيانها و نقوشها و رأى الابيات فقرأها فقال يا اميركم خسرت على بناء الدار فقال و الله يامولانا ما للملوك علم بل هذا الرجل تولى عمارتها فاحضر معمارها و قال له كم لحقكم غرامة على بناء هذه الدار فقال الفا دينار مصرية فاحضر من ساعته الفى دينار مصرية و ثوب اطلس و عمامة مذهبة و حصانا بطوق ﴿ ١٠٥ ب ﴾ ذهب و سرج ذهب و سرفشار ذهب و دفع ذلك جميعه الى الامير ابى الفتح و قال له .

قل لبنى الدنيا الاهكذا فليفعل الناس مع الناس

قال و بعد ايام حضر رجل من اهل المعرّة يلقب بالزقوم و كان من اراذلها و فيه رخلة (١) فطلب خبز جندى فاعطوه و جعلوه من اجناد حصن المعرّة فلما و صل عمل الشيخ ابى(٢)الحسين احمد بن محمد بن الدويدة(٣) اهل المعرّة تحت اقبح خطة و بهم اناخ (٤)الخطب و هو جسيم لم يكفهم(٥)ان أمر ابن حصينة حتى تجند بعده الزقوم

يافوم قد سئمت لذاك نفوسنا ياقوم اين الترك اين الروم

و اشتهرت الابيات بالمعرة و حلب فسمعها الامير ابو الفتح ابن حصينة (٦) فعبر على باب ابن الدويدة(٣) فسلم عليه ابو الحسين فقال له الامير

---

(١) كذا وفى فوات الوفيات « رجله » ولعله رجلة اىْ قوة على المشى وقد شك فيه مصححه (٢) كهذا و لعله « ابو » (٣) فوات « الزويدة » (٤) كذا فى الفوات و لعله الصواب وفى الاصل « ازاح » خطأ (٥) فى الفوات « يكفه » خطأ (٦) فى والفوات « ابن ابى » .

Marfat.com

[ويلك يا ابن الدويدة (١) هجوتنى والله مابى [من] الهجو مثل مابى من كونك تقربنى الى الزقوم وتذكرنى معه فضحك ابن الدويدة (١)] (٢)وقال والله الآن كان عندى الزقوم وقال: والله مابى من الهجو مابى من كونك تذكرنى مع ابن (٣) حصينة وتقربنى اليه فقال له ابن حصينة (٣) قاتلك الله وهذا هجوتان.

وجمال الدين المذكور ﴿١٠٦ الف﴾ ترسل حسن وديوان مشهور وكان لطيف الشعر جيد المعانى ومولد جمال الدين المذكور باسيوط صعيد مصر يوم الاثنين ثامن شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وتوفى بالديار المصرية يوم الاربعاء مستهل شعبان سنة تسع واربعين وستمائة ودفن بسفح المقطم رحمه الله تعالى.

ومن شعره

يامن اليه اتكالى فى العسر والاملاق
سؤال غيرك عندى شرك على الاطلاق
لاتسأل الرزق الا من قاسم الارزاق

وله رحمه الله تعالى

يا ملاذ المستجير به لاتؤاخذنى بما سلفا
واعفُ عنى عفو مقتدر انا عبد مذنب وكفى

(١) فى الفوات «الزويدة» كما تقدم (٢) سقطت هذه الجملة من الفوات المطبوع سهوا وحذفناها وبدونها لايستقيم الكلام (٣) الفوات وفز «ابن ابى».

Marfat.com

وله ايضا

قد اثقلت ظهرى اوزارى لى الويل(١) ان ناقشنى البارى
كم ليلة اسرعت منها (٢) الخطا الى الخطايا حلف(٣) اصرارى
وكم تجرأت على فاحش ولا اجير الاسد الضارى
كيف يكون العذر فى موقف يذلّ فيه كل جبّار
وتشخص الابصار فى حيث لا دار سوى الجنة والنار
يارب عفوا عن ذنوبى فما سألت الا عفو غفّار

﴿١٠٦ ب﴾ وقال عند قبر ابراهيم الخليل صلوات الله عليه

خليل الله قد جئناك نرجو شفاعتك التى ليست تُردّ
انلنا دعوة واشفع تشفّع الى من لا يخيب لديه قصد
وقل يارب اضياف ووفد لهم بمحمّد صلة وعهد
اتوا يستغفرونك من ذنوب عظام لا تعدّ ولا تحدّ
ولكن لا يضيق العفو عنهم وكيف يضيق وهو لهم معدّ
وقد سألوا رضاك على لسانى الهى ما اجيبُ وما اردّ
فيا مولاهم عطفاً عليهم فهم جمع اتوك وانت فرد

وله رحمه الله

يا مالك الملك يا من لا شبيه له عطفا على عبد سوء قد اساء الادبا
احسنت مدة ايام الحياة له فما قضى لك يوماً بعض ما وجبا

(١) وقع فى الاصل « للويل » خطأ (٢) كذا ولعله فيها (٣) كذا ولعله خلف

و له رحمه الله

ذكر الصبا فصبا وكاد قد ارعوى صبٌّ على عرش الغرام قداستوى
تجرى مدامعه ويخفق قلبهُ فترى العقيق على الحقيقة (١) واللوى
واذا تألق بارق من بارق طفقت تنمّ عليه اسرار الجوى
لايستطيع اذا جرى ذكر اللوى ان يطمئن فلاسقى الله اللوى
وانا نذير العاشقين فمن يرُد طول الحياة فلا يذوقنّ الهوى

﴿١٠٧ الف﴾ فخذوا احاديث الهوى عن صادق

ما ضلّ فى شرع الغرام ولا غوى

وبمهجتى رشأ اطالت عذّلى فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
ما ابصرته الشمس الا واكتست خجلا ولا غصن النقا الا التوى
قالوا فعيه (٢) سوى رشاقة قده وفتور عينيه وهل موتى سوى
وروى الاراكُ محاسنا عن ثغره ياطيب ما نقل الاراك وما روى
ولقد يعزّ علىّ موتى ضاميا لمقبل منه الاراك قد التوى (٣)

وله رحمه الله

قد رأيناك والغزالة تسنح فرأينا حُلاك احلى واملح
وترنحت والقضيب ولكن لم يدع (٤) ناظرا الى الغصن يطمح
ولقد غض ناظر النرجس الغض حياء من مقلتيك وافلح
اىّ عين ترى له حسن عينيـ ـك فترنو من بعد ذاك وتفتح
وادعىْ الوردُ انه لون خديـ ـك ولا شك انه كان يمزح

(١) كذا ولعله العقيق (٢) كذا (٣) كذا ولعله ارتوى (٤) كذا ولعله لم تدع.

Marfat.com

فلهـــذا صبا بحسنك قلب كان يدعى الى الغرام فيجمح
وعهدت الرقاد يألف جسمى فرأى جفنك المليح تزجح

وله ايضا رحمه الله

عانقته فسكرت من طيب الشذا غصن رطيب بالنسيم قد اغتذى
نشوان ما شرب المدام و انما اضحى بخمر رضابه متنبذا
﴿١٠٧ب﴾ يا ناظرى اماوقدعاينته والله لا رمدا تخاف و لا قذا
مهما اكتحلت بخدّه و عذاره لم تلق الا عسجدا و زمردا (١)
جاء العذول يلومنى من بعد ما اخذ الغرام عـــلىّ فيه مأخذا
لا ارعوى لا انثنى لا انتهى عن حبّه فليهذ فيه من هـــذا
والله لا خطر السلوّ بخاطرى ما دمت فى قيد الحياة و لااذا
ان عشت عشت على هواه و أن امت وجدًا بـــه و صبابةً ياحبذا

وقصد جمال الدين المذكور الاجتماع بالصاحب معين الدين ابن الشيخ فقيل له انه يزور الشافعى رحمة الله عليه فقصده و اجتمع به فى قبة الشافعى فقال .

زرت الامام الشافعىّ و لم اكن لزيارتى يوما له بالتـارك
فوجدت مولانا الوزير يزوره فظفرت عند الشافعى بمـالك

وقال

حلفتم لنا أن لاتخونوا فخنتم وأن لاتميلوا للوشاة فملتم
فان كان هذا للغدر فيكم سجيّة فمن كان الجأكم الى أن حلفتم

(١) بهامش الاصل وزبرجدا .

عفا

عفا الله عنكم ما اقلّ وفاكم ومن كرمى قولى عفا الله عنكم
فيا شاكنى قلبى المعنّى بحبهم أما لكم قلب يرقّ ويرحم
بحقكم الا جنحتم الى الرضا وقد طال هذا العتب منّاومنكم
أحبكم فى حالة السخط والرضا واهواكم احسنتم او أسأتم.
﴿١٠٨ الف﴾ ولى عاذل فى حبكم ليس ينثنى
ولكننى عنه اصمّ وابكم

وله ايضا رحمه الله

ولما جفانى من احب وخاننى حفظت له الودّ الذى كان ضيّعا
ولو شئت قابلت الصدود بمثله ولكننى ابقيت للصلح موضعا
وقد كان ما قد كان بينى وبينه أكيدا ولكنّى رعيت وما رعى
سعى بيننا الواشى ففرق بيننا لك الذنب يامن خاننى لا لمن سعى،

وله ايضا رحمه الله

يا قلب جاءك من تحبّه وحنى ورقّ عليك قلبه
فاغفر له ما قد جنا ه وان تعاظم منه ذنبه
حب الحبيب اذا متفضلا يا قلب (١) حسبه
مستسلما بيساره كفن وفى يمناه عضبه
ارضى وزاد على الرضا فحسيب من اغراه ربّه

وكتب الى بهاء الدين زهير رحمه الله من آمد وهو محصور بها يقول.

سطرتها والسمهريّة شرّع من حولنا والمشرفيّة تلمع
وعلى مكافحة العدو فنى الحشا شوق اليك تضيق عنه الاضلع

(١) كنا.

Marfat.com

و من الصبا و هلّم جرّا شيمتى هذا الوفاء فكيف عنه ارجع

و له فى المعنى

﴿١٠٨ب﴾ اصدرتها و العو الى شرّع ترد
فى موقف فيــه ينسى الوالد الولــد
و ما نسيتك و الارواح سائلة على السيوف و نار الحرب تتقد

و له ايضا

هى رامةٌ فخذوا (١) يمين الوادى وذروا (١) السيوف تقرّ فى الاغماد
و حذار من لحظات اعين عينها فلكم صرعن بها من الآساد
من كان منكم واثقا بفؤاده فهناك ما انا واثق بفؤادى
يا صاحبّ ولى بجرعاء الحمى قلب اسير ماله من فادى (٢)
سلبته منى يوم رامة(٣) مقلة مكحولة اجفانها بسواد
و بحىّ من انا فى هواه ميّت عين على العشاق بالمرصاد
و اغنّ مسكىّ اللّمى معسوله لولا الرقيب بلغت منه مرادى
كيف السبيل الى وصال محجب مابين بيض قنا (٤) و سمر صعاد
[فى بيت شعر نازل من شعره فالحسن منه عاكف فى بادى] (٥)
حرسوا مهفهــف قدّه بمثقف فتشابه الميّاس بالميّاد
قالت لنــا ألف العذار بخده فى ميم مبسمه شفاء الصادى

---

(١) كذا فى نزوفيات الاعيان و وقع فى الاصل « نخذا ... وذرا » (٢) كذا فى نزوالوفيات ووقع فى الاصل « قادى» خطأ (٣) فيهما « بانوا» (٤) فيهما ايضا « طبا » وهو الصواب (٥) منهما ايضا .

و له

وله ايضا

علّقته من آل يعرب لحظهُ امضى و افتك من سيوف عُرَيبه
اسكنته بالمنحنى من اضلعى شوقا لبارق ثغره وعُذَيبه
ياعائبي ذاك الفتور بلحظه خلوه (١) لى انا قدرضيت بعيبه
لَدْن و ما مرّ النسيم بعطفه ارَج و ما نفح العبير بجيبه

و قال و هو متمرض

﴿ ١٠٩ الف ﴾ ياربّ انْ عجز الطبيب فداوني
بلطيف صنعك واشفني ياشافي
انا من ضيوفك قد حسبت و إنّ من شيم الكرام البرَّ بالاضياف

و له ايضا رحمه الله

من لى بغصن باللحاظ ممنطق حلو الشمائل و اللّمى و المنطق
مثرى الروادف مملق من خصره أسمعت فى الدنيا بمثر مملق
وغريرة زارت على بخل بها لما بعثت لها زيارة مشفق
لم ادر ما قالت و قد لمست يدى ما ذا لقينا منه او ماذا لقى
خافت عواقب محنتى من اجلها فبكت لشمل دموعى المتفرق
لاشئ اكتم من دجنّة شعرها لولان صامت حليها لم ينطق
حتى الحنى لحسنها متوسوس فاعجب لحنى الجماد المنطق (٢)
خدٌ تورّد اذترقرق ماؤه لهفى على المتوقد المترقرق
ويروقنى منها اخضرار خضابها و الغصن ليس يروق مالم يورق

(١) كذا في وفيات الاعيان و فى الاصل... « خليه » خطأ (٢) كذا .

Marfat.com

فبحسنها هى زهرة للمشترى وبطيبها هى زهرة المستشق
ونظيرها الغصن النضير اذا انثنت فى حلة حضراء من استبرق
تعصى العذول على الهوى وتطيعنى فانا السعيد بها وعاذلى الشفق
فلكم بها من حلوه كرضا بها كعتا بها كتملق (١)
﴿ ١٠٩ ب ﴾ واقول يا اخت الغزال ملاحة
فتقول لاعاش الغزال ولا بقى
ياشمس قلبى فى هواك عطارد لولا تعلقه بها لم تحرق
واجل ذنبى عندها عدم الغنى فكأنه شيب الم بمفرق
قالت سل الاملاك قلت انا امرؤ يابى السؤال خلائقى وتخلقى
واذا سألت سألت ربا رازقا قطعت يدمدت الى مسترزق
لا كلفن الجرد مالم تستطع صبرا عليه يعملات الانيق
من كل ضامرة اذا سرت الصبا فى اثرها عادت بسعى مخفق (٢)
ان لم انل بالمغرب الاقصى المنى حاولت ذاك ولوبارض المشرق
وكيف وكنى يسيرا من حسامك ان يرى قدم الفوارس وهو جد مخلق (٣)
من معشر نسقوا سطورا فى العلى وغدا سواهم مثل دف (١) ملحق
واذا الحديد حمى عليهم ابردوا بالمسح فى بحر الحديد الازرق
لولا تكذ بنى قرائم بيضهم اقسمت أن اكفهم لم تطبق
لم تقتطع يد سارق من ما لهم اذ كان بيت المال ليس بمغلق

(١) كذا (٢) وقع فى الاصل « محقق » خطأ (٣) البيت كما تراه (٤) لعله رف

Marfat.com

وقال وامر أن تكتب على قبره

اصبحت بعقرِ حفرة مرتهنا لا املك من دنياى الا كفنا

يا من وسعتْ عباده رحمته من بعض عبادك المسيئين انا

وقال يمدح الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن العادل رحمه الله تعالى .

﴿١١٠ الف﴾ وافى واقبل فى الغلالة ينثنى

فارالك خط المجتلى والمجتنى

وارتا فماتغنى الحمائم والرُّقى وابيك من فتكات تلك الاعين

رشأ من الاعراب مسكنه الفلا ولكم له فى مهجتى من موطن

اغناه ذابل قدّه عن ذابل وبشعره عن بيت شعرٍ قد غنى

قل للعواذل فى هواه الا انتهوا لا ارعوى لا انتهى لا انثنى

يا لائمى فى العشق غير مجرّب انا فى الصبابة قدوة فاستفتنى

لا يخد عنّك لفظ (١) طرف فاتر ابدا ولا تأمن لعطف لينّ

فالخمر وهى كما علمت لطيفةٌ ولها من الالباب اىّ تمكن

وبليّتى من صائد لى نافرٍ ومتى يُنال الوصلُ من متلوّن

البستنى ياسالبى ثوب الضنى واخذتنى ياتاركى من مأمنى

حتى فؤادى خاننى ووفى له وكذا الرقاد صبا اليه وملّنى

يا قلب ما آنست بعدك راحة فمتى اراك ويا كرى اوحشتنى

عهدىْ به ويدى مكان وشاحه والوجد باقٍ والتجلّد قد فنى

(١) كذا ولعله لحظ .

Marfat.com

و شدا(١) بشعرى فافتتنت (٢) ويالها من فتنة شنعاء لو لم افتن
شعرى و محبوبى يغنّينى به فهناك تحسن صبوة المتدين
لا شىء يطرب سامعا لحديثه الا الثناء على علام(٣) شاه ارمن
الاشرف الملك الكريم المصطفى موسى و تمم بالكريم المحسن
ملك، اذا انفقت عمرك كله فى نظرة من وجهه لم تغبن
و متى انتخبت له دعاء صالحا لم تلق غير مشارك و مؤمن
﴿١١٠ب﴾ يا ايها الملك الذى من فاته نظر اليه كما أراه بمؤمن
افنيت خيلك و الصوارم و القنا و عداك و الآمال ما ذا تقتنى
ابقت لك الذكر الجميل مخلّدا شيم لها الاملاك لم تتفطن
و شجاعة رجف العدوّ لذكرها و شهامة و بلاد عبد المؤمن
ولّى الخوارزمىّ منها هاربا و هلمّ جرّا قلبه لم يسكن
و دعاؤه فى ليله و نهاره يارب من سطوات موسى نجنى
ما كان اشوقنى للثم بنانه و لقد ظفرت بلثمها فليهنى
و دخلت من ابوابه فى جنة ياليت قومى يعلمون بانى
يامكثرى الدعوى اخفضوا (٤) اصواتكم ما كل رافع صوته بمؤذن
انا من تحدث عنه فى اقطارها من كان فى شك فليتيقن(٥)
هذا مقام لا الفرزدق ماهر فيه و لا نظراؤه لكنى
ان شئت نظما فالذى امليته اوشئت نثرا فاقترح و استمحنى

(١) وقع فى الاصل « شذا » خطأ (٢) وقع فى الاصل « افتننت » (٣) لعله غلام وهو بكتمر بن عبد الله (٤) فى الاصل « احفظو » خطأ (٥) كذا و لعله بذا فليتيقن

Marfat.com

عاشت عداك ولا اشحّ عليهم عمى النواظر عنك خرس الالسن

وله قصيدة يمدحه بها رحمهما الله تعالى

ياشمس قلبي فى هوا ك عطارد وقـــد إحترق
يثنى عليه عـــدوّ هُ فيقول حاسده صـــدق

وقال عند اجتماعه بشمس الدين صواب العادلى بحران .

ولما تيممناك، مقال رفاقنـا الى اين تبغى قلت خير جناب

﴿١١١ الف﴾ وقلت لصحبي شرّقوا تبلغوا المنى

فغيرُ صواب قصـــدُ غير صواب

وقال ايضا فى كتاب ورد عليه من ابيات .

ولم تر عيناى من قبـــله كتابا حوى بعض ما قد حوى
كأن المباسم بياتـــه ولا ماته الصدغ لمـا التوى
واعينه كعيون الحسـان تغازلنـا عند ذكر الهوى
كتاب نسينـا (١) بالفاظـــه زود وذكر (٢) الحمى واللوى

وقال فى دارا والشهاب ابن قاضيها المشهور .

ولا سقيت دارا ولا اهلُها ولا ابن قاضيها الوقاح البذى
ولا رعى الله له ذمـــة اعنى شهاب الدين ذاك الذى

وقال وقد أُمر بالسفر من دمشق .

يقولون سافر من دمشق ولا تقم وذلك امرٌ ما علىّ بـه بأس

(١) كذا ولعله نشينا اى سكرنا (٢) كذا ولعله ذروا ذكر امر .

فقلت على عيني و سمعًا و طاعة فما جلّق الدنيا و لا انتم الناس (١)

و قال من جملة ابيات .

فنعم فتى الاحيا و مستنبط الندى و مفزع محزون و ملجأ لاهث

عياذ بن عمرو بن الحليس بن صالح بن زيد بن منظور بن زيد بن وارث

و له ايضا رحمه الله

خذوا قودى من اسير الكلل و يا عجبا لاسير قتل

و قولوا علىّ اذا نحتم ظعين القدود جريح المقل

﴿١١١ب﴾ و ما كان يعلم ان العيون و ان القدود الظبا و الاسل

و لى جلد عند بيض الظبا و بالاعين السود مالى قبل

و بى قمر ما بدا فى الدجى و قابله البدر الا افل

يضل بطرّته من يشا و يهدى بغرّته من اضل

و قد اخجل الشمس من حسنه ألم تر فيها اصفرار الخجل

و يا فرحة الظبى لما غدا شبيها له فى اللمى و الكحل

لقد عدل الحسن فى خَلقه على انه جار لما عدل

فعمّ معاطفه بالنشاط و خصّ روادفه بالكسل

و جاد الزمان به ليلة و عمّا جرى بيننا لا تسل

فانحلت قامته بالعناق و ذبلت مرشفه بالقبل

و ما (٢) اثر المسك فى راحتى و هذا فمى فيه طعم العسل .

وكم تهت فى غور خصر له و اشرفت فى نجد ذاك الكفل

(١) مثله قول الشاعر « لا الناس انتم ولا الدنيا خراسان » (٢) لعله وقد .

Marfat.com

وانتبه حين تجلّى الصبا ح بحيّ على خير هذا العمل
وقد علم الناس انى امرؤ احب الغزال واهوى الغزل
على قدرة الله سبحانه بايجاد مثلك فليُستدل

وله رحمه الله

اجبتكم من قبل رؤياكم ، لطيب ذكر عنكم قد جرى
كذلك الجنّة محبوبة بوصفها من قبل ان تبصرا

وله ايضا

﴿١١٢ الف﴾ بابي غزال تائه متصلف لانت معاطفه و لا يتعطف
حلو الشمائل و التثنى و اللّمى من يجتلى من يجتنى من يرشف
سكران لا يصحو و ليس بمنكر قد صح انّ الريق منه قرقف
شاكى السلاح و ما تكلف حمله اللحظ سيف والقوام مثقّف
هجر الكرى جفنى و واصل جفنه يا قوم حتى النوم لى يستضعف
وسرى الى جسدى ضنى اجفانه لا ياضنى جسدى ارق واضعف
لما بدا للغانيات وقد بدا من حسنه للعين ما لا يوصف
قطعن ايديهن حين رأينه لما افتتنّ و قلن هذا يوسف
اشكو اليه و ماعسى ان اشتكى هو بالذى القاه منى(١) اعرف
كبد يفيض نجيعها من ادمعى حتّى كانّى من جفونى ارعف
وروحه لم يبق فىّ بقية و لقلما يلقى المكئيب المدنف
و لربما اخلوبه متعففا و النفس من وجد به تتلهف

(١) كذا و لعله منه .

واذا سمعت بعاشق متعفف فاعلم بانّ العاشق المتعفف

وله ايضا

مازلت نحو لقائه متشوفا
اذكى(١) العيون عليه حتى زارنى متخوفا
فظفرت منه بزورة يوما وقد برح الخفا
وشكوت ما القى اليه فرقّ لى وتعطّفا
وعتبته حتى استقال وقال مثلك من عفا
﴿١١٢ب﴾ وغدا يلاطفنى ولم ارمثله متلطّفا
يومى الىّ بخده فاذا هممت تصلّفا
ويهزّ نحوى عطفه فاذا عزمت تأففا
انى لعفّ فى هوا ه واعشق المتعففا

وقال فى غرض عرض .

سمعتها تشتكى لدايتها شكوى تذيب القلوب والمهجا
تقول يادايتى بليت به وما ارى من هواه لى فرجا
ومثل ما بى به ولاعجب هوىً بقلبى وقلبه امتزجا
اهل سبيل الى الوصول له ولو ركبت الاقفار واللججا
وان درى والدى بقصتنا اراق يادايتى دمى خرجا
فرحت مما سمعت فى طرب كشارب الراح راح مبتهجا

(١) كذ .

وله رحمه الله

اهواه اسمر فى اعتدال الاسمر يختال فى روق (١) الشباب الاخضر
مترنح كالغض اومتألق كالبدر اومتلفّت كالجؤذر
من لم يشاهد شعره وجبينه ما فاز ناظره بليل مقمر
لعبت ذوائبه على ارداف كالاقحوان على كثيب اعفر
صدّقت أن بوجنية جنة لما وجدت رضابه من كوثر
ولقد غنيت بخدّه وبثغره ماشئت(٢) من ذهب وقل من جوهر
ويقال ان الطرف منى فاسق صدقوا ولكنى عفيف المئزر
﴿ ١١٣ الف ﴾ وقال واظنها (٣) فى الملك المعظم تور ان شاه بن الملك الصالح.

يابعيد الليل من سَحَرِهْ دائما يبكى على قمره
خلّ ذا واندب معى ملكا ولّت الدنيا على اثره
كانت الدنيا تطيب لنا بين بادية ومحتضره(٤)
سلبته الملك اسرته واستووا غدرا على سرره
حسدوه حين فاتهم فى الشباب الغضّ من عمره

وله ايضا

سيف بجفنيك اذا ما انتضى فلّ شبا الاسمر والابيض
قتلاه من اكبر عشاقه والحبّ من اعجب شئ قضى

(١) وقع فى الاصل «ورق» خطأ (٢) وقع فى الاصل «شئنب» خطأ (٣) جزم بانها فيه(٤) كذا فى الفوات ووقع فى الاصل «ناذيه ومختصره» خطأ.

Marfat.com

من عجب الدنيا وما تنتهي عجائب الدنيا ولا تنقضي

توفرُ الرغبـــةِ في زاهد وشدةُ الميل الى معرض

تغاير الورد عـــلى خدّه فامتزج الاحمر بالابيض

وله في الملك الناصر داود

ثلاثة ليس لهم رابع عليهم معتمد (١) الجود

الغيث والبحر وعزّهما بالملك الناصر داود

وله في بدر الدين صاحب الموصل (٢) وقد ركب في شبارة .

لله شبارة حوت ملكا كأنما الارض في يديه كره

فاعجب لها اذجرت به وبها انمله وهي ابحر عشره

وله ايضا

﴿١١٣ب﴾ انتبه من نوم سكرك واسقني من خمر ثغرك

فاذا ما شئت فانبذني ولكن خلف ظهرك

وله رحمه الله

بات في اثنـاء صدري غُصُن نيط بدر

بدوي نازل من شعره في بيت شعر

حامل نجداً وغوراً منه في ردف وخصر

مـا رنـا واهتزّ الا كان في بِيْض وسمر

حبذا ليلـــةٌ وصـــل منه بـــل ليلة قدر

(١) وقع في الاصل « يعتمد » خطأ (٢) هو ابو الفضائل لؤلؤ وله ذكر في

Marfat.com

اشرقت عن نوروجهٍ وسنا كأسٍ وثغر
وتعانقنا فما ظنّك فى ماء وخمر
وتعاتبنا فقل ما شئت من ذل (١) وسحر
ثم لمّا ادبر الليل وجاء الفجر يجري
قال ايّاك رقيبى بك يدرى قلت يدرى

وله رحمه الله

وافى كتابك بعد فتره فنفى المساءة بالمسرّه
وفضضته فلثمته لما غدا فى الحسن نُدره
واويّة(٢) الاصداغ والالفات قامات به والسين طرّه
فطربت حين قرأته وسكرت لكن الف سَكره
فحسبت أن الطرس منه زجاجة واللفظ خمره

﴿١١٤ الف﴾ وله رحمه الله

قسما بفيكَ وما حوى قسمٌ عظيم فى الهوى
ماضلّ صاحب مهجةٍ ذابت عليك وما غوى
يا ايّها القمر الذى نجم السلوّ به هوى
ماذا اثرت على القلوب من الصبابة والجوى
واغنّ فى اعطافه هزوء باغصان اللوى
لهفى الذى فاديته وركابه بيد النوى

(١) كذا ولعله دلّ (٢) كذا ولعله واواته .

Marfat.com

مولاي خُبك نيّتي ولكلّ عبد مانوى

وله رحمه الله

ما كنت احسب أنى بين اظهركم انى واهلى مع مالى من الخدم
وكان عهدى بسيف الدين يذكرنى والسيف يقطر حدّاه عبيط دم
فما له اليوم والايام تخدمه اضاع حق على مافيه من كرم

وله ايضا

ماللجمال(١) بوجنتيك مَعين لو كان لى عَندا الورود مُعين
لكن حمته اسنّة واعنّة فلكم قتيل حولها وطعين
كيف الورود وحولها من تغلب اسدٌ لها زُرق النصال عيون
سقط الجياد تحاورت (٢) اجسادهم
وتراحمت اسد الشرى والعين (٣)
يفرى المهاة وما يليها ضيغم وترى الكناس وما يليه عرين
﴿١١٤ب﴾ فهناك فوق الارض اقمار الدجى
يسعى بها تحت البرود غصون
فالليل ثمّ عبارة عن طرّة ان كنت تفهم والصباح جبين
من كل ضاربة اللثام وإنما تحت اللثام محاسن وفنون
فى خدها ورد ونسرين ولا ورد حقيقٌ ولا نسرين
ولقد يلين لى الصفا وفؤادها كالصخرة الصماء ليس تلين

(١) وقع فى الاصل «ما الجمال» (٢) كذا (٣) كذا بلا نقط ولعله العين - اى بقر الوحش .

Marfat.com

ياقلب ويحك ماتفيق من الجوى أمع الزمان توله وجنون
لك كل يوم صبوة عذرية أعليك نذر ام عليك يمين
وبكل قلب انت صب هائم وبكل خد مغرم مفتون
سئل الضرائر عن حقيقة ثغرها يوما فقلن اللؤلؤ المكنون
وأقادني المسواك ان رضابها شهد ومسك والاراك أمين
واذا تساقطك(١) الحديث فانما سحر وأي نهى هناك يكون
محجوبة في خدرها محبوبة ان الجمال يحب وهو مصون
قارنت معترك المنايا فاتئد ودع التصابي عنك يا مسكين
ودنا رحيلك فاتخذ زادا ولا تقلل فان الشوط منك بطين
وبباب مولاك الكريم فقف ولا تسأم فانك بالنجاح قمين

وله رحمه الله

هزوا القدود ورهفوا (٢) سمر القنا واسترهفوا بدل السيوف الاعينا
وتقدموا للعاشقين فكل من اخذ الضمان لنفسه الا انا
﴿١١٥ الف﴾ لا إن لي جلدا ولكنّي ارى
في الحب كل دقيقة ان افتنا
لاخير في جفن اذا لم يكتحل ارقا ولا جسم تحا ماه الضنى
وانا الفدا البابلي لحظه(٣) لا تستطيع الاسد تثبت إن دنا
ان البدور بذا هوت من افقها حتى يرى منها اتم واحسنا

(١) السائطة ان يتكلم الواحد ويسكت له الآخر ثم يتكلم الساكت وهكذا
(٢) وقع في الاصل « رفهوا » خطأ (٣) كذا ولعله وانا الفداء .... للحظه .

Marfat.com

لما اثنى فى حُلّة من سندس قالت غصون البان ما ابقى لنا
هذا على إنّ الغصون تعلّمت منه الرشاقة بينها لما اثنى
وبخدّه وبثغره وعذاره عُرف العقيق وبارقٌ والمنحنى
اقسى علىّ من الحديد فؤادُه ومن الحرير تراه خدّا ليّنا
شبّهته بالبدر قال ظلمتنى يا عا شقى والله ظلما بيّنا

وهذه القصيده النونية وازنَ بها قصيدة القاضى ناصح الدين ابى بكر احمد بن محمد بن الحسين الارّجانى رحمهُ الله وتلك من غرر القصائد فلابأس باراد شئ منها ومن غيرها من شعر الارّجانى فانه منْ جيد الشعر واول القصيده النونية المذكورة .

وَرْدُ الخدودِ ودونه شوك القنا فمن المحدث نفسه أن يجتنى
لاتمدد الايدى اليه فطالما شنّوا الحروب لأن مددنا الاعينا
ورد تخيّر (١) من مخافة نهبه باللحظ من ورق البراقع مكمنا
يُلقى الكمام مع الظلام اذا دجا ويعود فيه مع الصباح اذا دنا
ولطا لما وجد الخلاف وإلفه دِينا (٢) لعمرك للحسان وديدنا

﴿ ١١٥ ب ﴾ قل للتى ظلمت وكانت فتنة
ولوانها عدلت لكانت افتنا
لما سألت الثغر عنها لؤلؤا قالت اما يكفيك جفنك معدنا (٣)

(١) كذا فى ديوانه وقع فى الاصل « يخبر » خطأ (٢) كذا فى ديوانه وقع فى الاصل « ذبيا » خطأ (٣) كذا فى ديوانه وفى الاصل « بعدنا » خطأ

ايراد

Marfat.com

ايرادُ صونك بالتبرقع ضلّة وارى السفور لمثل حسنك اصونا
كالشمس تمتنع اجتلاؤك وجهها فان[اكتست] (١)برقيق غيم امكنا
غدت البخيلة فى حمى من بخلها فسلوا حماة الحىّ عمّ صدّنا.(٢)
رأيت طروق خيالها قالت متى (٣) جرّ الرماح من الفوارس نحونا
هل عندحىّ العامرية قــدرة ان يفعلوا فوق الذى فعلت بنا
ما هم باعظم فتكة لو بارزوا من طرف ذات الخال إن برزت لنا
ان كانَ قتلى قصدهم فليرفعوا كل الضغائن وليخلوا بيننـا
ماذا لقونا (٤) من لقاء فواتن اولا مراقبة العيون اربننا (٥)
فى ليلة حسدت مصابيحُ الدجى كَلِمى وقد كانت لها هى ازينا
قلمى بها حتى الصباح وشمعتى بتنا ثلاثتنا (٦) ومدحك شغلنا
حتى هزمنا للظلام جنودَه لمـا تشاهرنا عليــه الاسنا
افناهما قطّى وافنيت الدجى سهرا واصبحنا واسعدهم انـا
زرع الطعانُ فسنبلت فى ساعة من هامهم وشعورهم سُمر القنا
اما الرجاء (٧) فلم يزل متغرباً حتى اذا وافى ذراك استوطنا
يا ماجدا عبق الزمان بذكره والذكر فى الايام نعم المقتنى

---

(١) سقط من الاصل. (٢) وقع فى الاصل « يصيدنا » وفى الديوان « تضدنا » كذا (٣) كذا فى الاصل وفى الديوان «وابى طروق خيالها فالى متى» (٤) كذا فى الاصل فى الديوان « كفونا» ولعله « لقينا (٥) وقع فى ديوانه «القيون اريننا» خطأ كذا فى ديوانه ووقع فى الاصل « ليلتنا » خطأ (٧) كذا فى الديوان وفى ال «الرجال» خطأ .

﴿١١٦ الف﴾ يزداد عندك حسن ما تثنى به
كمزيـد ما توليه حسنا عنـدنا
فبلغت قاصية المدَى و ملكت نا صية العُلى (١) وحويت عاصية المنى
و بقيت من غير انقطاع ماضيا و بلا تغير آخر متمكنا

و قال ايضا على هذه القافية
قف يا خيال و ان تساوينا ضنًّ انا منك اولى بالزيارة موهنا
و عقلت ناجيتى بفضل زمامها لما رأيت خيامهم بالمنحنى
و تطلعت فاضاء غرّة وجهها بالليل ايسرَ منهجى و الايمنا
لما طرقت الحىّ قالت خيفة لا انت إن علم الغيور و لا انا
فدنوت طَوع مقالها متخفّيا ورأيت خطب القوم عندى اهونا (٢)
و معى و ليس معى سواه صاحب عضب اذودبه الخميس الارعنا
حتى رفعت عن المليحة سجفها يا صاحِبى فلوأن عينك بيننا
سترت محياها مخافة فتنتى بنقا بها (٣) عنى فكانت افتنا
و تكاَملت (٤) حسنا فلوقَرنت لنا بالحسن احسانا لكانت احسنا
قسما بما زار الحجيج و ما سعوا زُمَرا و ما نحروا على شَطْنْ مُنى
ما اعتاد قلبي ذكر من سكن الحمى الا استطار و ملّ صدرى مسكنا
اما الشباب فقد تعاهدنا على
ان لا نزال معافكان الاخونا ﴿١١٦ ب﴾

(١) كذا فى الديوان وفى الاصل « العدى » خطأ. (٢) ديوانه « هينا »
(٣) الديوان « ببنانها » (٤) كذا فيه وفى الاصل « و تاملت » خطأ.

Marfat.com

وتلوّن الايام علّم مفرق فعل الاحبة فى [الهوى] (١)فتلوّنا
ياطالب الثار (٢) المنيم وسيفه فى الغمد لا تحسب مرامك هيّنا
اتراك تملأ من غرار اجفنا حتى تفرغ من غرار اجفنا
اوما رأيت السيف و هو مُصْلَت(٣) مازال يحكم بالمنايا والمنى
لما ادّعى الاقلام فضلاً عنده غضب الحديد فشق منها الألسنا
حتى اذا زادت بذاك فصاحة الـ اقلام حار(٤) النصل لما إن دنا
واراد أن يُضحى لسانا كله حتى يقر بفضله فتلسّنا
ولقلما (٥)غرى (٦) الحسود بفاضل متيقضا (٧) الاوزيد تمكّنا
ولقد نزلت من الملوك بماجد فقر الرجال اليه مفتاح الغنى

وله ايضا

صوتُ حمام الايك عند الصباح جدد تذكارىَ عهدَ الصباح
علمتنا (٨) الشجو فيامن رأى عُجما يعلمن رجالا فصاح
الحان ذات الطوق فى غصنها تذكرنى (٩) ازمان ذات الوشاح
لا اشكر الطائر إنّ شاقنى على نوى من سكنى و انتزاح
وانما اشكر لو أنه اعارنى ايضا اليه جناح

(١) من الديون وقد سقط من الاصل (٢) كذافيه وفى الاصل «الباب» خطا
(٣) فى الاصل « مبسلط » خطأ وفى الديوان « مصلّت » كذا (٤) كذا فى الديوان وفى الاصل «حاز» خطأ (٥) كذا فيها (٦) كذا فى الديوان وفى الاصل «هرى» خطأ (٧) كذا فى الاصل والصواب متيقظ و فى الديوان «متنبها» خطأ (٧) كذا فى الديوان وفى الاصل « علما » خطا (٨) كذا فيه وفى الاصل « مذكرى » .

Marfat.com

أكلما اشتقت الحمى شفّنى لاحٍ اذا برق من الغور لاح
يريد اغرائى اذا لامنى وربماً افسد باغى الصلاح
﴿ ١١٧ الف ﴾ماذا عسى الواشون ان يصنعوا
اذا تراسلنا بايدى الرياح
ورُبّ ليلٍ قد تدرّعته رهين شوق نحوكم وارتياح
يروى غليل الارض من عبرتى وبى اليكم ضمأ والتياح
حتى بدت تطلق طيرَ الدجى من شرك الانجم كفُّ الصباح
لاغرو إن فاضت دَماً مقلتى فقد غدت ملأ فؤادى جراح
بل يا اخا الحىّ اذا زرته فحىّ عنى ساكنات البطاح
وارم بطرف من بعَيدٍ فمن دون صفاح البيض بيضُ الصفاح
وآخر العهد باضغانهم يوم حدوا(١) تلك المطى الطلاح(٢)
وعارض الركب على رُقبــة مُدبر الحاظ مراضٍ صحاح
لما جلا لى (٣) عند توديعــه رياض حُسن لم تكن لى تباح
جعلتُ مما هاج بى شوقها وجهى وقَاحا وجنيت الإقاح
وطالما ماقالوا ولم يكذبوا سِلاحُ ذى الحاجة وجهٌ وَقاح
فكيف القى الدهر قِرناوقد اصبحت لاالملك ذاك السلاح
ياكعبةُ للجد (٤) ماهو لة اذا غدا الوفد اليها وراح

---

(١) كذا فى الديوان وفى الاصل « جدوا» خطا (٢) كذا فيه وفى الاصل « للطلاح » كذا (٣) كذا فيه وفى الاصل « جلاك » (٤) كذا فيه وفى الاصل « المجد » خطا .

Marfat.com

يفديك قوم (١) حاولوا ضلّة تناولوا المجدَ بايدٍ شحاح
معاشر اموالهُم فى حِمى وعرضهم من لؤمهم مستباح
املتهم ثم تـاملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح
لولاك ياشمس ملوك الورى لم يبق فى طرق الرجا انفاح (٢)
الى ذراك الرحب و جهّتها (٣)
و قد براها السير برىَ القِداح (١١٧ ب)
من بلد ناءٍ ولم اعتد بُعد المدى الالقرب النجاح (٤)
فاسمع ثناءً لك ابدعتــه كأنه المسك اذا المسك فاح
من كلماتٍ كلما نُظّمت فاللآلئ عند هن افتضاح
وسوف اهدى لك امثالهـا ان كان فى مدة عمرى انفساح
فدم لاهل الفضل تغنيهم فواضلا ما شُعشِعت كأسُ راح
لايعرفو غيرك مولًى لهم ما اتصلت منهم بنانٌ براح

و قال

لولا رجا ئى ثانيـا للقـائه ما كنت احيا ساعة فى نائه (٥)
ومفرطق لومدّ حلقة صدغه من قبله نمّت بعقد قبـائه
لغصنٌ اذا ما ماد فى ميدانه اسدٌ اذا ما هاج فى هَيجائه
فى جفن ناظره و جفن حسامه سيفان مختلفان فى انحائــه

(١) كذا فيه و فى الاصل «بقوم» خطأ (٢) كذا فى الاصل و فى الديوان «افتتاح» (٣) وقع فى الاصل «توجتها» خطأ (٤) لاوجود لهذا و الذى قبله فى الديوان (٥) ليس هذا و مابعده فى الديوان مع وجود قصيدة فيه على هذا الروى.

Marfat.com

فواحد يسطو على احبابه وبواحد يسطو على اعدائه
فمرغدا روحي وراح مفارقي والجسم بالروح امتساك بقائه
فتعجبي ان عشت بعد فراقه وتحسري إن مت قبل لقائه

وقال

اذا الحمام على الاغصان غنّانا في الصبح هيّج للمشتاق احزانا
ورق يرددن لحنًا واحدا ابدا من الغناء ولا يحسنّ الحانا
ظلم من الالف ينسانا وتذكره حتام نذكر إلفا وهو ينسانا
قل للبخيلة ان تهدى على عجل تحيّة حين نلقاها وتلقانا(١)
﴿١١٨ الف﴾ ما ذا عليكِ وقد اصحبت ما لكةً
أن تخرجي من زكاة الحسن احسانا
استودع الله قوما كيف ابعدنا تقلّب الدهر عنهم حين ادنانا
يمناه بعد من التسليم ما فرغت اذ مدّ يسراه للتوديع عجلانا
لم يملأ العين من احبابه نظرا اذ غادر الدمع منه الجفن ملأنا(٢)
جيراننا رحلوا والله جارهم مستبدلين بحكم الدهر جيرانا
[وإن نسر](٣) فدواعي الشوق تأمرنا وان نقم فعوادي الدهر تنهانا
يامن غدا مبدئا شكوى احبته لما رأى حيث يرجى (٤) الوصل هجرانا
ما إن ارى سحب هذا الدمع مقلعة حتى تغادر في خديك غدرانا

(١) كذا في ديوانه وفي الاصل « نلقاه ويلقانا » خطأ (٢) كذا فيه وفي الاصل «للجفن قلانا» خطأ (٣) كذا في الديوان وفي الاصل « ما تو » خطأ (٤) كذا فيه وفي الاصل « يزهى » خطأ .

تخالهُ الشمس وجها والسماء ندىً (١) والغيث عند الرضا (٢) والليث غضبانا
تعلو فناك نسور الجوّ آلفة إلف الحمام علت للأيك اغصانا
حيث الغبار يسد الجوّ ساطعه والخيل تحمل للا قران اقرانا
والطعن يحفر فى لبّاتها قُلُبا تظل فيها رماح القوم اشطانا
﴿١١٨أب﴾ غرٌ تظل تبارى (٣) فى اعنتها يحملن اغلمة فى الروع غرّانا (٤)
تفلُّ (٥) كتبُك ان سارت كتائبهم اذا العدى عاينوا منهن عنوانا

وقال

وعدت باستراقة للقاء وباهداء (٦) زورة فى خفاء
ثم غارت من ان يماشيها الظـ ـلُّ (٧) فزارت فى ليلة ظلماء
ثم خافت لما رأت انجم اللي ـل شبيهات اعين الرقباء
فاستعارت طيفا يُلمُّ (٨) ومن يملك طرفا يَهُمُّ بالاغفاء
هكذا نيلُها اذا نوّلتنا وعناء تسمّح (٩) البخلاء
يَهدم الانتهاء باليأس منها ما بناه الرجاء فى الابتداء
وأرت أنها من الوجد مثلى ولها للفراق مثل بكائى

(١) كذا فى الاصل وفى الديوان «يدا» كذا (٢) كذا فى الاصل وفى الديوان «الرخى» خطأ (٣) فى الديوان «تبادى» خطأ (٤) كذا فى ديوانه وفى الاصل «الدوح عرانا» خطأ (٥) فى ديوانه «تكفيك» كذا (٦) كذا فى ديوانه وفى الاصل «وجاهدا» خطأ (٧) كذا فى ديوانه وفى الاصل «الضد» خطأ (٨) كذا فيه وفى الاصل «طيفانكم» خطأ (٩) كذا فيه وفى الاصل «ننلها اذا تولتنا وعثمنا تسمح» خطأ.

قتباكت ودمعها كسقيط الطّ لّ فى الجلّنارة الحمراء
وحكى كلُّ هدبة لى فتاةً انهرت (١) فتق طعنة نجلاء
فترى الدمعتين فى حمرة اللـ ـون سواء وماهما (٢) بسواء
خدُّها يصبغ الدموع ودمعى يصبغ الخدّ قانيا بالدماء
خضبُ الدمْعُ خدَّها (٣) باحمرار كا ختضاب الزُّجاج بالصُّهباء

وقال

قلبُ المشوق بان يساعَدَ اجدرُ فاذا عصاه فالاحبّة اعذر (٤)
لا طالب الله الاحبَّةَ انهم ناموا عن الصبّ الكئيب واسهروا
﴿١١٩الف﴾ هجروا وقد وصّوا بهجرى طيفهم
يا طيفُ حتى انت ممن يهجرُ
دون الخيال ودون من تشتاقه ليلٌ يطول على جفون تقصرُ
ومخيمون مع القطيعة إن دنوا هجروا وان زاحوا الينا هجّروا
قصروا الزمان على صدود او نوىً والعمر من هذا وذاك اقصر
وغدوا ومن عينى لهنّ منيحة يُمرَى ومن قلبى وطيس يسعر (٥)
أعقيلة الحىّ المطنّب بيتها حيث القنا من دونها تتكسر
كالبدر الا انها لا تجتلى والظبى الا انها لا تذعر
اخنى اذا فارقت وجهك من ضنىً فادقّ عن درك العيون فاصغر

(١) كذا فيه وفى الاصل «انهرت» خطأ (٢) كذا فيه وفى الاصل «سواد ماهما» خطأ (٣) وقع فى الديوان «الدمع خدُّها» خطأ (٤) فى الديوان «اغدر» خطأ
(٥) وقع فى الاصل «يشعر» خطأ.

Marfat.com

لى لوطن بتوبرك كل ما ادنيتنى وكذا السُها بينات نعش يبصر
وغـدت مودعـةً فقلبٌ يلتظى

حتى (١) [تعود] (٢) ومقلة تستعبر (٣)
و كأنما تركت بخدّى عقدها ليكون تذكرة به تتذكر

و قال رحمه الله

الى خيالٍ خيالٌ فى الظلام سرى نظيره فى خفاء الشخص إن نظرا
سارٍ ألمَّ . بسارٍ كامنينِ ، معا عن النواظر فى ليل قد اعتكرا
كلاهُما (٤) غاب هذا فى حجاب ضنىً
عن العيون وهذا فى حجاب كرى
﴿ ١١٩ ب ﴾ تشابها فى نحول وادّراع دُجى
وخوض اهوال بيدٍ و (٥) اعتيـاد سُرى
فليس بينهما الا بواحـدة فرق اذا ما اعاد الناظر النظرا
انه مادرى الطيف الطروق بمـا لاقى من الليل والصبر المشوق درى
سرى الىّ ولم يشتق (٦) و من عجب ، الى المشوق اذا غير المشوق سرى
بى من الانس مجبول على خُلُق الوحش فهو اذا آنسته نفرا
يقرب الصدغ يحكى نورُ غرّته بدرا بدا بظلام الليل مُعتجرا
سافر القلب من صدرى اليه هوى ماعاد قطُّ ولم اعرف له خبرا

(١) كذا فيه وفى الاصل « فقلت بليطى حيى » خطأ (٢) من الديوان (٣) كذا
فى الاصل « تتسعر » خطأ (٤) كذا فيه وفى الاصل « كلامنها » خطا (٥) كذا
فى الاصل « تبدو اعتياد » خطا (٦) كذا فيه وفى الاصل « يسبق » خطا .

Marfat.com

وهوا لمسنى اختيارا اذنوى سفرا وقد رأى طالعا فى العقرب القمرا

وله يقول

اقول وقد ذمّ الوزير زمانه من العجز ذمّ العاجز المتحير
تذّم زمان السوء ياصدرُ ظالما ولولا زمان السوء لم تتصدرا

وقال ايضا

حيث انتهيت من الهجران بى فقف و من وراء دُمى (١) سُمر القنا نخف
﴿١٢٠ الف﴾ ياعابثا (٢) بعدات الوصل يُخلفها حتى اذا جاء ميعاد الفراق يفى
إعدل (٣) كفاتن قدّ منك معتدل واعطف كسائل (٤) غصن منك منعطف
وياعذول ومن يصغى الى عذل اذا رنا احمر العينين ذوهيف
تلوم قلبىَ (٥) إن اصباه غاظره فيم اعترا ضك بين السهم والهدف
سلوا عقائل هذا الحىّ اىّ دم للاعين النجل عند الاعين الذرف
يستوصفون (٦) لسانى عن محبتهم وانت اصدق (٧) يا دمعى لهم فضف
ليست دموعى لنار الشوق مطفئة فكيف والماء باد (٨) والحريق خفى
لم انس يوم رحيل الحىّ وقفتنا والعيس تطلع اولاها على شرف

(١) كذا فى ديوانه وفى الاصل « ورادبى » خطا (٢) كذا فيه وفى الاصل « عاتبا » خطأ (٣) كذا فيه وفى الاصل « عادل » خطا (٤) كذا فيه وفى الاصل « كسائد » خطأ (٥) كذا فيه وفى الاصل « قبل » خطا (٦) كذا فيه وفى الاصل « ليوصفون » خطا (٧) كذا فيه وفى الاصل « اصول » خطا (٨) كذا فيه وفى الاصل « والما ياذو » خطا .

Marfat.com

والعين من لفتة الغيران (١) ما حظيت ... والدمع من رقبة الواشين لم يكف
وفي الحدوج الغوادي كلّ آنسة ... ان ينكشف سبحفها للشمس تنكسف
تبين عن معصم بالوهم ملتزمٍ ... منها وعن مبسم بالحظ مرتشف
في ذمة الله ذاك الركب إنهم
ساروا و فيهم حياة المغرم الدَّنِف ﴿١٢٠ب﴾
فان اعش (٢) بعدهم فردا فيا عجبي ... و ان امت هكذا وجدا فيا اسفي
قل للذين رمت بي عن ديارهم ... ايدي الخطوب الى هذا النوى القذف
إن ابق ارجع الى العهد القديم و إن ... الق الوزير من الايام انتصف
ملك تطوف البرايا حول سُدته ... و من يجد للامانى كعبة يَطُفِ
ظلٌّ من الله ممدود سرادقُه ... مدّا من الطرف الاقصى الى الطرف
تطعية (٣) الشهب في الافلاك دائرة ... والبيض في الهام والاقلام في الصحف
تلوح بين بنى الدنيا فضائله ... كما تبرّجت الاقمار في السدف
أدى التواضع للزوّار من كرم ... ان التواضع اقصى غاية الشرف
كفّه قلمٌ يعنو الزمان له ... و يسمن الخطب منه و هو ذو عَجَف
دين و الملك منه كوكبا افق
و الجود و البأس [منه] (٤) درّتا صدف (٥)
من ورائى اصحاب تركتهم ... في منزل بخطوب الدهر مكتنف

(١) في الاصل « لقبه العبرات (٢) و قع في الديوان « اعن » خطأ
(٣) في الاصل « قطيعة » خطأ (٤) منه و قد سقط من الاصل (٥) كذا
في الاصل « دريا صُف » خطأ .

Marfat.com

لا ذوا بستر (١) رقيق من تجمّلهم ان لم يلمهم وشيك الغوث ينكشف
وقد رأونى بسعد الارض متصلا و ينظرون بما داعنه منصرفى
﴿ ١٢١ الف ﴾ فابسط يمينا كصوب المزن ماطرةً
واسمعْ ثناءً كنشر الروضة الأُنُفْ
ما فى بنى زمنى الآك ذو كرمٍ يظل يأوى الفتى منه الى كنف
فاسلم ففيك لنا ممن مضى خلف وليس عنك (٢) فلا نعدمك من خلفٍ
فى ظل عمر كعمر الدهر متصل وشمل ملك كنظم العقد مؤتلفٍ

وله دوبيت

منى قَلقٌ و من سيلمى مَلَق من مفرقها (٣) دُجى و فرقى فلق
لاغرو اذا رأيتنا نفترقْ الليل مع النهار لايتفق

وقال

هم نازلون بقلبى آيةً سلكوا لو انهم رفقوا يوما بمن ملكوا
ساقوا فؤادى وابقوا فى الحشا حرقا حزنى (٤) لما اخذوا منى و ماتركوا
لما بكوا لابكوا والركب مرتحلْ من لوعة ضحك الواشون لاضحكوا
زموا و قد سفكوا دمعى ركائبهم فكدت أُغرق ما زموا بما سفكوا
و راعنى يوم تشييعى هوادجهم والعيس من عجل فى السير ترتبك (٥)

(١) كذا فيه وفى الأصل « ببر » خطأ (٢) الديوان « منك » (٣) ديوانه « كان بفرقها » (٤) كذا فيه وفى الاصل « حرى » خطأ (٥) كذا فيه وفى الاصل « تبترك » خطأ .

Marfat.com

﴿ ١٢١ ب ﴾ سترك يسترعلى (١) الاقمار منفرج (٢)

يبدو وآخر للعشاق منهتك
أضم جفني عليه حين يطرقني كما يضم على وحشية شرك
ما روضة اضحكت صبحا مبا سمها دموع قطر عليها الليل ينسفك
فالنرجس الغض عينٌ كلها نظر والا قحوانة ثغر كلُّه ضحك
وللشقائق ذي (٣) وسطها عجب اذا تمايلن والا رواح تأتفك
حمر الثياب تطير الريح شائلة اذيالها وهي بالازرار (٤) تمتسك
اذا الصبا نبهت احداقها سحرا حسبت مسكا على الآفاق ينفرك
انم طيبا وحليا من ترائبها اذا اعتنقنا وخيل الليل تعترك
وللسماء نطاق من كواكبها عقدن منه على اعطافها حُبُك
قد اشعل الشيب رأسي للبلى عجلا (٥)
والشمع عند اشتعال [الرأس] (٦) ينسبك
فان يكن راعها من لونه يَقَقٌ فطالما راقها من قبله حَلَك
يظل ينفح من اعراضهم عبقَ وللحديد على اثوابهم سهك
كأن اوجههم والروع يبذلها ، غرا (٧) دنانير لم تنقش لها سكك
﴿ ١٢٢ الف ﴾ من كل ازهر مثل النجم يحمله
طوٌد له الليل مسك والضحى مَسَك

(١) كذا فى ديوانه و فى الاصل « سترعن » خطأ (٢) كذا فيها و لعله منضرج
(٣) كذا فيها و لعله زى اى هيئة عجيبة (٤) ديوانه « الأذوار » خطأ (٥) ديوانه « عجبا » كذا (٦) سقط من الديوان (٧) كذا فى الاصل وفى ديوانه « يبدلها عزا » كذا و لعله يبدلها غراً .

Marfat.com

حتى رآها (١) اسودا مابهاعزل(٢) برزن(٣)فوق جيادٍ(٤)مابها خَنَكُ
طرقن حتّى العِدى فى عقر دارهم و النوم ملءُ جفون القوم لوتركوا
و الطعن ينسج اشطان القنا ظللا يلقى على فرج الحجب التى هتكوا
الى ذراك قوام (٥) الدين سلربنا
خوص كما اصطفب من نخل (٦) القُرى سِكك
قد ثوروهن (٧) ادنى خطوها سفر شوقا اليك وابطأ امرها (٨) رتك
تسرى طوالب ايديها بارجلها مدّ الليالى فلافوت ولا درك
حتى ترى ملكا يَشفى برؤيته من الزمان صدورا كلها حسك
و ها كها توقر (٩) الحسّاد من كمد كأنما هى فى اسماعهم (١٠) سَكك
قوافيا بدويات و ما بعثت بها من البدو لاعُرض ولا ارك
جاءت بهن يد بيضاء فانتظمت زهرا تلقّف للاقوام(١١)ماافكو
﴿١٢٢ ب﴾ سحر من الشعر اعجزتُ الفحولَ به
واعجزتنى حتى بعتها الرمك
لما دفعت الى دهر تنمّرلى , برائعات فامرى بينها لِبَك

(١) ديوانه « رأوها » ولعله الصواب (٢) كذا فى ديوانه وفى الاصل « غزل » خطأ (٣) فيه « تزير » ولعله الصواب (٤) ديوانه « جبال » خطأ (٥) كذا فيه وفى الاصل « فلان » خطأ (٦) كذا فيه ايضا وفى الاصل « من كل » خطأ (٧) ديوانه « وقوروهن » (٨) فيه ايضا « سوقا اليك وابطى مرها » كذا (و) كذا فيهما ولعله توغر (١٠) كذا فيه ايضا وفى الاصل « اسمائها » خطأ (١١) كذا فيه ايضا وفى الاصل « الاقوام » خطأ .

Marfat.com

العقل فيه عقال والسداد سُدىً و الفضل فيه فضول و النُّهى نَهَك
قد بت طِرفى و هذا مِطرفى و غدًا ابيعه و لطَرَ فى ادمع سفكِ
مدْحى الملوك وا كلى الكفّ مقتنعًا هذا لعمرك فى آبائكم هتك
فاعطف، فان حمى العلياء منتهب ان لم تغث وحريم المجد منهتِك

وله يقول:

هو ما علمت فاقصرى او فاعذلى و ترقبى عن اى عقبى تنجلى
لاعار، إن عطلت يداى من الغنى كم سابق فى الخيل غير محجّل
صان اللئيم وصنت وجهى ماله دونى فلم يبذل ولم اتبذّل
ابكى لهمّ صافنى (١) متأدبا إن الدموع قِرى الهموم النزّل
لا تنكرى شيبًا المّ بمفرقى عجلا كأن سناه سُلّة منصل
فلقد دفعت الى الهموم تنوبنى منها ثلاث شدائد جُمّعن لى
اسفٌ على ماضى الزمان وحَيرةٌ(٢) فى الحال منه و خشية المستقبل
ما إن وصلت الى زمان آخر الا بكيت على الزمان الاول
﴿١٢٣ الف﴾ لله عهد بالحمى لم انسه ايام اعصى فى الصَّبابة عذّلى
ومُدلّةٍ بالحسن، لاتبدى الرضا حتّى احكّم سهمها من مَقتلى
رحلت وناب(٣) خيالها فى ناظرى عن وجهها، فكأنها لم ترحل

(١) كذا فى الاصل ولعله ضافنى وقد سقط البيت من الديوان (٢) كذا فيه وفى الاصل «جُيرة» خطأ (٣) كذا فيه وفى الاصل «نار» خطأ.

وابى خلاصى من طويل عذابها قلبٌ متى يعد التسلى يمطل
يعفو عن الجانى وان لم يعتذر ويجود للعافى وان لم يسأل

وقال

اهلا بوجهك من صباح مقبل وبجود كفّك من سحاب مسبل
واذا الصباح مع السحاب ترافقا متسايرين الى معالم منزل
سعدت فاشرق كل نادٍ (١) مظلم منها واخصب كل واد ممحل
قل للعيون وللشفاه من الورى لما بدا كالعارض المتهلل
السعد فى ذاك الجبين فطالعى واليمن فى تلك اليمين فقبّلى
اضحى قرار الدولتين بسعيه وبعزمه الماضى (٢) مضاء المنصل
والارض ساكنة لدور دائم يعتاده فلك عليها يعتلى
وذراه (٣) مزدحم الوفود تؤمه ابدا لان نداه غدبُ المنهل
فاذا اتى الممتاح حقّق بالندى منه الامانى ثم قال له اسأل
تلك البقية بعدُ باقيةٌ كما كانت وعقدة امرها لم تحلل
ولقد كَلفتُ (٤) بها ورأيُك وحدَه حسبى به (٥) سببا وان لم تكفل
فاعدلها (٦) نظر الكرام فليس فى تحصيلها (٧) الا عليك معوّلى
فاذا اردتُ الجاه كنتَ مناولى واذا اردت المال كنت منوّلى

(١) كذا فيه وفى الاصل «باد» كذا (٢) كذا فى الاصل وفى الديوان «لما مضى عجلا» كذا (٣) وقع فى الديوان «وزراه» خطأ (٤) كذا فى ديوانه وفى الاصل «كفلت» خطأ (٥) فيه ايضا «لها» كذا (٦) كذا فيه وفى الاصل «فاعدها» خطأ (٧) كذا فى الاصل وفى الديوان «تخليصها» كذا.

وانا

﴿ص ٢٣٣ ب﴾ وانا الذى مالى سواك ذخيرة

ولقد خبرتُك فى الزمان الاول
من اى وجه كنت أقبل راغبا قابلتَ تطويلى بفرط تطوّلى
لازلت تخطر فى عراص سعادة وتجر اذيال البقاء الاطول

وقال

هم منعوا منى الخيالَ المسلّما فلا وصل الا ان يكون توهّما
اذا ما سرى ركب النسيم اعترضته لاخبار من احببتُه متنسّما
فياليل نجد(١) ما صباحك عائدا ولكنّ من بالغور فيك(٢) تبسما
تمزقت الظلماء عن ثغر (٣) غادة اضاء من الآفاق ما كان مظلما
اذا وجهها والبدر لاحا بليلة فما احدٌ يدرى مَن البدر منهما
فاقسم لو لم يدنُ من بَرد ريقها لاوشك جمر الخدّ ان يتضرما
وقد نسجت (٤) كفُّ الثريا على الثرى من الروض وشياً بالاقاحى منمنما
ورقرق فيه دمعها كلّ ديمة ولوانه من مقلتى كان ادوما
وما الجود فى صوب السحاب (٥) سجيّة ولكنه من دمع عينى تعلّما
فياليت لاينفك طرفى وخاطرى بمدى الدهر يلقى الدر فذّاو توأما
لملاك قلبى بالهوى ولما لكى بسالفة النعمى التى كان انعما
فاذرى لهم درّ البكاء مبددا واهدى لهم (٦) درّ المديح منظما

---

(١) كذا فيه وفى الاصل «فيالك نجد» خطأ (٢) ديوانه «وهنا» (٣) ديوانه «نور»
(٤) كذا فيه وفى الاصل « نسخت » خطأ (٥) وقع فى الديوان
«سخاء» خطأ (٦) كذا فيه وفى الاصل « له » خطأ .

Marfat.com

لأعلى الورى فى قنّة (١) المجد مطلعا و اكثرهم فى قِنية (٢) الحمد مغنما

﴿ ١٢٤ الف ﴾ هلالٌ بدا نجمٌ سما قدرٌ (٣) سطا

سحابٌ هَمى طودٌ رسا اسدٌ حمى

لاوسعت انعاما فلا زلت منعما و بالغت اكراما فلازلت مكرما

ولاخفض الاقدار (٤) ماكنت رافعا ولانقض الايام ماكنت مبرما

و قال رحمه الله

يامودع السر سرّا (٥) عنداجفانى و متبعْ السر ايضاً (٦) بكتمان

لله بدر و اطراف القنا شهب يجلوه فيهن من صدغيه لِيلان

تقول للبدر فى الظلماء طلعتُه باى و جهٍ اذا اقبلت تلقانى

و جه السماء مراة لى اطالعها و البدر وهنا خيالى فيه لاقانى

لم انسه يوم ابكانى واضحكهٗ وقوفنا حيث ارعاه ويرعانى

كل رأى نفسه فى عين صاحبه فالحسن اضحكه و الحزن ابكانى

قد قوس القدّ توديعا وقّربنى سهما فابعدنى من حيث ادنانى

وكنت والعشق مثل الشمع معتلقا (٧) بالنار ابقيته جهلا فافنانى

يامن بطرف و قدّ منه غادرنى متعتعاً بين مخمور و سكران

كم قتل (٨) صدغيك طول الدهر تُلبسُه اذنيك قيدًا وقلبى عندك العانى

(١) كذا فيه وفى الاصل «قبة» خطا (٢) فى الاصل (٣) كذا فيهما و لعله خذم. (٤) كذا فيه وفى الاصل «الاكرام» خطأ (٥) كذا فيه وفى الاصل «الدرس ستر ا» خطأ (٦) كذا فيه وفى الاصل «ايضا» خطا (٧) كذا فيه وفى الاصل «يعتلقا» كذا (٨) كذا فيه وفى الاصل «قبل» خطأ.

و الساحران

Marfat.com

ان الساحران هما العينان منك لنا فكم (١) تعاقب بالتنكيس قرطان
اغرُّ يمتاح (٢) من قلب القلوب له خمر (٣) المياه درا كاسمر اشطان
تكلّ إن سارعين الشمس عنه سنىً حتى تودّ لو انصانت باجفان
﴿١٢٤ب﴾ لكن مظلته تضحي مسدتها (٤)
فيتق نورها منه باكنان
اذا بدا طالعا فى سرج سابقه (٥) فى يوم هيجاء اوفى يوم ميدان
فالطرف جاكى رياح اربع حملت قصرا وفارسه حاكى سليمان
يَقرى الولىَ (٦) و يَقرى بالعدوّ اذا ماضا فه جائعا نسرٍ و سرحان
كم يفتدى كلما شاء القنيص له غرٍ على الغر (٧) من خيل وغلمان
وفى الكنائن منهم و الاكفّ معا الى وحوش الفلا جندا خليطان
من كل سهم [وسهم] (٨) طائر بهما من مستعار و مملوك جناحان
زرق جوارح اورزق جوارح قد عَلِقن منهم بايسار و ايمان
وكل مستردف يعدو الحصان به مثل السبايا قعودا خلف فرسان
يقول خاطت (٩) له ثوبا اديم نقى (١٠) من فارمسك فتيق ادم غزلان
كأن فى كل عضو منه من شَرَه الى التقنص (١١) مفتوحات اعيان

(١) ديوانه «فلم» خطأ (٢) كذا فيه وفى الاصل «يمنح» خطأ (٣) ديوانه «حمر» خطأ (٤) كذا فيه والاصل «مشدتها» خطأ (٥) كذا فيهما ولعله سابحة (٦) كذا فى الديوان وفى الاصل «الوصال» خطأ (٧) كذا فيه وفى الاصل «عز على الغير» خطأ (٨) منه وقد سقط من الاصل (٩) كذا فيه وفى الاصل «خاطب» خطأ (١٠) كذا فيه وفى الاصل «رشته به» خطأ (١١) كذا فيه وفى الاصل «النقيص» خطأ

Marfat.com

و اغضف(١) مثل نجم القذف من سرع ... اذا عدا لاحق الاحشاء طيّان(٢)
يعود فى كفه خطفا و سيقته(٣) ... كأنها قبسة(٤) فى كف عجلان
ما بال تصوير اسد فى سرداقه ... و ليس يملأ خوفا منه عيان
ليس السعادة الا كالكتاب رلا ... حسن اختيار الفتى الا كعنوان

كان ناصح الدين الارّجاني ناظم هذه المقطعات (٥) من الفضلاء
﴿ ١٢٥ الف ﴾ الاعيان تولى قضاء تستر و عسكر مُكْرَم و سلفه من
الانصار رضى الله عنهم و مولده سنة ستين و اربعمائة و توفى بتستر فى
شهور ربيع الاول سنة اربع و اربعين و خمس مائة رحمه الله تعالى و قد
تقدم ذكر ابن حيّوس (٦) فى صدر هذه الترجمة و هو محمد بن سلطان
ابن محمد بن حيوس (٦) بن محمد بن مرتضى بن محمد بن الهيثم بن عثمان الغنوى
الملقب مصطفى الدولة ، ولد بدمشق سنة اربع و تسعين و ثلاث مائة
و توفى بحلب فى شعبان سنة ثلاث و سبعين و اربع مائة رحمه الله تعالى .

سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن
ابو المظفر عون الدين بن ابى القاسم بهاء الدين بن ابى على بن غالب
الكرابيسى الاديب الكاتب المعروف بابن العجمى الحلبى الشافعى ناظر

(١) كذا فيه و فى الاصل «و اعطف» خطأ (٢) فى الاصل « شيطان » خطأ
(٣) كذا فى الاصل و فى الديوان « وسبقته » خطأ (٤) فى الاصل « فيه » خطأ
(٥) قد صححت فى التعاليق السابقة كثيرا من الخطأ الذى فى ديوانه المطبوع
فى بيروت ولا عبرة بتبجح ناشره بما لا طائل تحته ـ واما الاصل الذى نطبع منه
فاخطاؤه لا تكاد تعد ولا تحصى (٦) وقع فى الاصل «حيوش» خطأ و قد تقدم

Marfat.com

الجيوش فى الايام الناصرية، مولده بحلب ليلة الثالث عشر من شهر ربيع الاول سنة ست و قيل سنة خمس و ست مائة سمع من القاضى بهاء الدين بن ابى المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شدّاد وغيره ، وحدث و تولى بحلب الا و قاف الدينية ثم حظى عند الملك الناصر رحمه الله تعالى فقربه و ادناه وكان رئيسا عالما فاضلا جليل القدر ﴿ ١٢٥ ب ﴾ كريم الاخلاق ، حسن العشرة ، لطيف الشمائل جيد الكتابة خبيرا بقوانينها متأهلا للوزارة و غيرها من الرتب الجليلة و بيته مشهور بالعلم و الحديث و الرياسة و الكتابة و التقدم و السنة و الجماعة و توفى عون الدين (١) المذكور بدمشق فى نصف ربيع الاول و دفن من الغد بعد المغرب بسفح قاسيون رحمه الله تعالى ، و له نظم جيد .

حضر مجلس مخدومه الملك الناصر رحمه الله يوما و ادار ظهره الى الطراحة فقال له استاذ الدار: السترة (٢) و راءك ، فقال الملك الناصر سليمان (٣) من اهل البيت فانشد عون الدين فى الحال لنفسه .

رعى الله ملكا ماله من مشابه يمنّ على العافى و لم يك منّانا
لاحسانه امسيت (٤) حسان مدحه ، وكنت سليمانا فاصبحت سلمانا

و من شعره

طيب الخدّ حين بدالعينى هفا (٥) قلبى عليه كالفرش

(١) راجع لنسبه فوات الوفيات المطبوع حديثا و التعليق عليه ج ١ ص ٣٥٨
(٢) كذا فى فوات الوفيات و فى الاصل « استاذ دار السدة » خطأ (٣) فيه نقص ولعله الصواب (٤) كذا فى فوات الوفيات وفى الاصل « المسبب » بلا نقط (٥) كذا فى الاصل « وفى الفوات « هوى » وهو الظاهر .

Marfat.com

فاحرقه فصار عليه خالا وها اثر الدخان على الحواشى

ومن شعره

يا سائقا يقطع البيداء معتسفا بظامر لم يكن فى سيره وانى
ان جُزت بالشام شِم تلك البروق ولا تعدل بلغت المنى عن دير مُرّان
وافصد علالى قلا ليه تُلاقِ بها ما تشتهى النفس من حورٍ وولدان
١٢٦ الف من كل بيضاء هيفاء القوام اذا
ماست فواخجلة المرّان والبَان
وكل اسمر قد دان الجمال له وكمّل الحسنُ فيه فرط احسان
ورُبّ صُدغ بدا فى الخد مرسله فى فترة فتنت (١) من حسن اجفان
فليت ريقته وِردى ووجنته وَردى ومن صُدغه آسى وريحانى
وعُج على دير متّى ثم حيّ به عالا رَبان بطرس فالربان رباني
فهمتُ منه اشاراتٍ فهمتُ بها وصّنت منشورها فى طىّ كتمان
واعبر بدير حنينا وانتهز فرص الـ لّذات ما بين قسّيس ومطران
واستجل راحا بها تحيا النفوس اذا دارت براح شمامیس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت بُشهبها من همومى كلَّ شيطان
كم رحت فى الليل اسقيها واشربها حتى انقضى وِنديمى غيرُ ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها اجاب رمزا ولم يسمح ببيان
وقال اخبرنى شمعون ينقله عن ابن مريم عن موسى بن عمران

(١) كذا فى الفوات وفى الاصل « قتلت » كذا .

Marfat.com

بأنها سفرت بالطور مشرقة انوارها فكنوا عنها بنيران
وهى المدام التى كانت معتقة من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهى التى عبدتها فارس فكنى عنها بشمس الضحى فى قومه مانى
سكرت منها فلاصحو وجُدت بها على الندامى وليس الشحّ من شانى

﴿١٢٦ ب﴾ و سوف امنحها اهلا و انشده

ما قيل فيها بترجيع و الحان (١)
حتى تميل لها اعطافه طربا و ينتشى الكون من اوصاف نشوان
خير الملوك صلاح الدين ليس له فى الجود ثانٍ و لا عن جوده ثانى

كان والده بهاء الدين من الاجواد المشهورين و الاعيان المتمولين بحلب رحمه الله .

عبد الرحمن بن عوض بن محبوب ابو البركات عفيف الدين الكلبى المعرى روى عن ابى المعالى محمد بن عبد الواحد بن المهذب و غيره توفى رحمه الله فى بعض شهور سنة ست وخمسين و ست مائة ، وكان اديبا فاضلا رئيسا ذامكارم من بيت كبير ، نظم الشعر صغيرا و له فيه اليد الطولى فمنه .

جميع حديثى عنكم حين انطق وجملة فكرى فيكم حين اطرق
وعهدكم عندى على ما عهدتم وموثقكم فى حبّة القلب موثق
فكل صباح لى اليكم تشوف وكل مساء لى اليكم تشوق
وان نحلت فى افنان وجدى يحق لى لانى بما اولى يتمونى مطوّق

(١) كذا فى الفوات وفى الاصل « بترجيعى والحانى ».

Marfat.com

قطعتم ولم اسرقكم الودّ كتبكم وكيف يجازى القطع من ليس يسرق
صلوا واقصدوا واقربوا (١) وتباعدوا واولوا وقولوا واعتقوا وترفقوا (٢)
فقلبي قلب لم يشنه تغير وودى ودّ لم يشبه تملّق

﴿ ١٢٧ الف ﴾ وقال ايضا

ودوحةٍ بات بدرى تحت انجمها من العشاء ند يمالى الى السحر
تخبر (٣) بورد ورد طول ليلته من خده والماه البارد الخصر (٤)
حتى اذا اسكرتنى خمر ريقته غنى بشجو فاغنانى عن الوتر
ماالعيش الا اصطباح الراح اوشنبٍ (٥)
يغنى عن الراح من سلسال ذى اشر

عبد الرحمن بن نصر بن يوسف ابو محمد صدر الدين الشافعى قاضى بعلبك كان فقيها عالما فاضلا زاهدا عابدا ورعا جوادا ممدّحا لايقدم بعلبك قادم الاويكرمه ويضيفه وكان كثير البرو الصدقة واطعام الفقراء والمساكين مقتصرا فى ملبسه ولم يقتن فى عمره دابة قط الامرة واحدة اشترى بغلة فماتت قبل ان يركبها فكان اذا اضاف احدا من ارباب الدنيا جعل من ذلك الطعام جزأ وافرا يتصدق به على الفقراء فان ضاق الطعام عن ذلك استأنف طعاما للفقراء كانه يكفر بذلك ماانفقه لغير الله تعالى وكان يقوم الليل كثيرا ويصلى من المغرب الى العشاء الآخرة نافلة ويتلو القرآن الكريم فى غالب اوقاته ويصوم نافلة فى

(١) كذا ولعله واقتربوا (٢) كذا ولعله وترققوا فانه يقال ترقّق لفلان رقّ له قلبه
(٣) بلا نقط فى الاصل (٤) وقع فى الاصل «الخضر» (٥) فى الاصل «شنبت

كثير من الاوقات وكان متواضعا حتى انه كان يحمل طبق العجين من منزله الى الفرن بنفسه ﴿ ١٢٧ ب ﴾ فى بعض الاوقات و يلقاه من يسأله حمله عنه فيابى ذلك و يشترى الحاجة بنفسه و يحملها الى منزله وكانت له الحرمة الوافرة فى الدولة و اذا خلع عليه كان فى خلعتـــه طيلسان وكان لايخلع بطيلسان الاعلى قاضى القضاة و آحاد الاكابر و له المكانة العالية عند الخاص و العام و بقى فى القضاء مدة الى حين وفاته لم يؤخذ عليه فى حكم وكان متحريا عفيفا شديد التقوى سريـع الدمعة وكان لرقة حاشية طبعه يميل الى الصور الجميلة مع شدة العفاف و الشح بدينه و لاينال من ذلك الاالرؤية مع جمع من غير خلوة فكان [من] (١) لايعلم باطن حاله ينتقد عليه ذلك و لعل الذى يناله من الاجر بوقوع بعض التأسف فيه بسبب ذلك على مايلحقه من الاثم بسببه - و حكى لى انه قال مرة لزوجته اعملى لى صحنا من قطائف فعملته على ما اراد و توهمت انه يريد اطعامه لاحد من الشباب وكانت ليلة ثالجة شديدة البرد فجاء الى منزله بعد العشاء الآخرة واخذ الصحن ومضى فسيرت بعض الزامهـا فى اثره ليخبرها حقيقة الحال فذكرها بعد عوده انه لازال يمشى وراءه على بعد الى ان وصل الى مسجد مهجور داخل باب حمص من مدينة بعلبك، ففتحه و اذا فيه ثلاثة نفر فقراء غرباء من اثر المرض وهم ﴿ ١٢٨ الف ﴾ فى الظلمة فجعل الصحن بين ايديهم و بيده طوافة يريدبها الضوء عليهم وهم يأكلون الى ان اتوا على مافى الصحن فاخذه وعاد

(١) سقط من الاصل .

Marfat.com

الى منزله – وبالجملة فكانت مكارمه كثيرة وغالب افعاله لله تعالى وكان صحب والدى رحمه الله من حال صغره الى ان توفى الى رحمة الله فوجد والدى عليه كثيرا وحزن لفقده وسمعته يثنى عليه غير مرة فى حال حياته وبعد وفاته وكان للقاضى صدرالدين رحمه الله يد فى النظم والنثر واشتغل بالفقه على الشيخ تقى الدين بن الصلاح رحمه الله وغيره وفى العربية على والدى رحمه الله وعلى غيره وسمع على الشيخ تاج الدين الكندى وغيره ولم يخلف شيئا من الدنيا سوى دار عمرها وكان يسكنها وحصة يسيرة فى حوانيت ورثها من ابيه ولعل مجموع ذلك مع ثياب بدنه وفى بما عليه من الديون وفضل مقدار يسير لورثته رحمه الله وكانت وفاته ببعلبك فى تاسع ذى القعدة ودفن ظاهر بعلبك فى مقبرة الامير شمس الدين محمود رحمه الله بباب شطجا (١) وهو فى عشر السبعين تقريبا ورثاه غير واحد من اصحابه ومعارفه فمنهم الشيخ شرف الدين احمد بن احمد بن نعمة المقدسى رحمه الله تعالى ﴿١٢٨ ب﴾ قال:

لفقدك صدرالدين اضحت صدورنا تضيق وجاز الوجد غاية قدره
ومن كان ذا قلب على الدين منطو تفتت اشجانا على فقد صدره

وكتب اليه الصاحب شرف الدين عبد العزيز رحمه الله وكان بينهما مودة عظيمة:

رب الندى عبد الرحيم استمع مقالةً من مغرم صب
لولا بعادى عنك ما كان لى على صروف الدهر من عتب

(١) كذا.

Marfat.com

والقلب فى الصدر علمنا به وانت صدر حلّ فى القلب

ومن شعر القاضى صدر الدين فى مدح بعلبك :

لله عيش فى بعلبك قدمضى قضيت فيه مع الصبا غرضا
أيام جفن السرور منتبه منى وجفن الهموم قد غمضا
اسعى الى رأس عينها طربا اركض طرفا للهوما، ركضا
ومدلهم الشباب يونس ما اوحش منى سناه حين أضا
وروضة فى لجوجها أنف لومقعدٌ حلَّ ارضها نهضا
قصدتها والحبيب فى غلس وبارق الثغر منه قد ومضا
وسقم جفن قدصح منه لمحزو ن كئيب فى حبّه مرضا
لقيت من هجره وفرقته ماراح جسمى به لقىً حرضا
ولائم لى محرقى رمضا على هواه مجرعى مضضا

﴿١٢٩ الف﴾ فقلت انى اسلوه فى زمن

عادته السخط للانام رضا
وللاشرف الملك من به بسط الخصـ ـب لدينا والجذب قـد قبضا
واصبح عن مساءتنا منحرفا والسرور .... معترضا
وآض ما غاض من مسرتنا وانجاب غيم الغموم واندحضا

ووقفت على ورقة بخطه الى شخص من الفقهاء كان يميل اليه وفى صدرها ابيات وغالب ظنى انها من نظمه وهى .

يامجيبا جار لما ان منك لاتخيّب قصد من قد املك
كنتَ لاتصبرُ عنّا ساعة علموك الهجر حتى لذّلك

ايها البينُ الذى فرّقنا ايُّ ثار كان عند الصبّ لك
لا تزدنى فوق هذا ألمَا قد بلغتَ اليوم فيه املك
يا لمأسورٍ هوىً صيّره مع من قد مات شوقا و هلك
مستهام لم يزل يتبع (١) تابع من حبكم انّى سلك
لم يصغ سمعا الى العذل فلا تسمع اليوم به من عذلك
ما تبدّلنا بخل بعدكم أترى اى خليل بدّلك

ثم وقفت على مجموع بخط بعض الفضلاء وفيه مصاريع من مخمس و نسبه الى الباسلوى منها .

ياحبيبى بالذى قد ارسلك بشر الناس (٢) فى زى ملك
سا وبالوصل محبا سالك ايها المالك لى فيما ملك
من الى تعذيب قلبى ميّلك

﴿ ١٢٩ ب ﴾ ياعصيّا ليس ينوى طاعه
كنت لا تصبرُ عنا ساعه
لايرى لى اذنا علك سماعه فيك للعواذل و لامَر تاعه(١)
علموك الهجر حُتى لذّلك

عبد الرشيد بن محمد بن ابى بكر النهـا و نـدى الصوفى و يسمى مسعود توفى بدمشق فى رابع و عشرين شهر رمضان و دفن من يومه بمقابر الصوفية عن مائة و اربع عشرة سنة كما ذكر رحمه الله تعالى .

عبد العظيم بن عبدُ القوى بن عبد الله بن سلامة(٣) بن سعد بن سُعيد

(١) كذا (٢) ولعله للناس (٣) كذا فى طبقات الشافعية و نزوفى الاصل « سلام ».

Marfat.com

ابو محمد زكى الدين المنذرى الامام الحافظ الشامى(١)الاصل المصرى المولد والدار والوفاة الفقيه الشافعى مولده بمصر فى غرة شعبان سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، قرأ القرآن الكريم بالروايات على ابى الثناء(٢) حامد بن احمد بن حمد الارتاحى وتفقه فى مذهب الشافعى رحمة الله عليه على الامام ابى القاسم عبدالرحمن بن محمد بن اسماعيل القرشى وقرأ العربية على ابى الحسين يحيى بن عبد الله النحوى وسمع منهم ومن خلق كثير وحج وسمع بمكة شرفها الله تعالى وبمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ورحل الى دمشق فسمع ومشائخه مذكورون فى معجمه الذى خرجه لنفسه فى ثمانية عشر جزأ ودرس بالجامع الظافرى بالقاهرة مدة ﴿١٣٠ الف﴾ وعلق على التنبيه فى مذهب الشافعى كتابا نفيسا يدخل فى احد عشر مجلدا وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية التى بين القصرين بالقاهرة وانقطع بها نحو العشرين سنة عاكفا على التصنيف والتاريخ (٣) والافادة وصنف تصانيف مفيدة وخرج تخاريج حسنة واملى وحدث بالكثير الى حين وفاته واختصر صحيح مسلم ابن الحجاج والسنن لابى داود وتكلم على احاديثها(٤) وكان عديم النظير فى معرفة الحديث على اختلاف فنونه عالما بصحيحه وسقيمه ومعلوله وطرق مسانيده متبحرا فى معرفة احكامه ومعانيه ومشكله(٥) قيما بمعرفة عربيه واعرابه مختلف الفاظه ماهرا فى معرفة رواية جرحهم وتعديلهم ووفياتهم

(١) فى « الدمشقى » (٢) كذا وفى الطبقات « ابى عبد الله الارياحى » كذا (٣) كذا ولعله التأليف (٤) كذا ولعله احاديثهما (٥) وقع فى الاصل « تشكله » خطأ

ومواليدهم واخبارهم اماما حجة ثبتا ورعا متحريا فيما يقوله وينقله متثبتا فيما يرويه ويتحمله عدلا ورعا ظاهر اللسان مأمون الجانب سمحا كثير الايثار وكانت وفاته فى رابع ذى القعدة بالقاهرة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله قال انشدنى الاديب الفاضل ابو عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموى النحوى الكاتب لنفسه .

لعمرك ما ابكى على رسم منزل * ودار خلت من زينب ورباب
﴿ ١٣٠ ب ﴾ ولكننى ابكى على زمن مضى
تسوّد فيه بالذنوب كتابى
واعجب شئ انه لا يصدّنى عن اللهو شيب حال دون شبابى
وقد حل بازى المشيب بعارضى وما طار عن وكر الذنوب غرابى
فيا ربّ جد بالعفو منك فانني مريض حريص(١) بالذنوب لمابى
ولالى اهل فى بلاد ومعشر يعدّون ايامى لوقت ايابى
وان سرت عن دار فما من مشيّع ولا ملتق ان جئتها لركابى
ولا سكن اعتدّه لملمة ولا احد يرجى لدفع مصابى

وقد رثى الشيخ زكى الدين رحمه الله صاحبنا الموفق عبد الله ابن عمر الانصارى (٢) رحمه الله .

بالصحيحين مذ فقدتَ صحاح صحَّ معنى ولفظه ... الام (٣)
درست بعدك الدروس وصارت * ذكرات لفقدك الاعلام

(١) كذا ولعله حريض (٢) له ترجمة فى فوات الوفيات ولم يتعرض لما ههنا
(٣) كذا .

والمواعيد

و المواعيد بعد ما غبت عنها ليس فيها كما عهدت ازدحام
من سواك السماع لا يطرب السمـ ـع و فيـــه بعد السرور و جام
من لكشف النقاب عن غرر ال القاب يجلو الوجوه و هى وسام
من لضبط الاعراب(١) جزما باعرا بٍ فصيح ان أبهم الاعجام
من لفصل الخطاب يجلوبه الخط ب و يجلو بالسمع منه كلام
من لحفظ الانساب ضاع بنوها يا اباها (٢) فكلهم ايتام
هذه اعـين المحاجر تبكى بدموع جرت بها الاقلام
يالها من رزية ذهب الفضل بحذ الطروس منها سحام (٢)
﴿١٣١ الف﴾ فالمعالى عيونهن دوامٍ حيث لم يهنها لديك دوام
و المواليد بعد موتك امست وولود التاريخ منها عقام
و وفاة الرجال بعدك فاتت (٣) فجدير بها البكى و اللطام
و الفتاوى حلت عليك فروعا فاتها منك حلّها و الحرام
الامانى(٤) مذغبت ملّت بقاها و هى ان تفن حسرةً ما تلام
و عليك الصحاح تبدى انكسارا و كذا العين وحشة ما تنام
و اليك الغريب زاد حنينا اغراه بالفراق (٢) الغرام
و لدار الحديث عهد قديم مستجدّ على البلى مستدام
كم بها قد قعدت متعد صدق قمت فيه يا حبذاك القيام
حزبا (٢) لمحراب اصبح يشكو من اما ليك و وحشة(٥) يا امام

(١) وقع فى الاصل « الاغراب » (٢) كذا (٣) فى الاصل «فات» (٤) كذا و لعله مالى (٥) وقع فى الأصل « وحشك » .

لك منى الصلاة يا جامع الفضـ ـل كما عن سواك عندى صيام
اسند الحزن بعد موتك عنى من رجال الحديث قوم كرام
طوقتهم منك الايادى فلولا نوحهم معرب لقلت حمام
يا رجاى القطوع منه برغمى مرسل الدمع من جفونى سجام
دمع عينى إن جرح الجفن جورا فهو عدل وما عليه أثام
وكذا اضلعى اذا اورت النا رفعنها يورى (١) اللهيب الغرام
يازكيا عقلا ونقلا واصلا ليس يأتى بمثله الايام
يا طراز الزهاد يا عالى الاسنـــاد يا من له الايادى الجسام
يا ظليلا إليـــه بقلبى ذار وهى برد بادمعى وسلام
(١٣١ ب) لو افاد الفدى فدتك نفيســـات نفوس لها عليك هيام
إن نمت صورةً فذكرك حتى لم الا ملا به المام
طبت (٢) ذكرا وطاب تربك حتى حسدت مصر نا عليك الشآم
كيف استمطر الغمام لقبر حل فيه يابحر منك الغـــمام
باكرتك الصبا بنشر سلام لك تهديه فى النسيم السلام

ورثاه ايضـا الاديب ابو القاسم بقصيدة اولها

مصابُ زكى الدين ليس يهون لقد سكبت فيه العيون عيون
مصاب به الاجفان قرحى من البكى وكل كلام فيه فهو انين
لقد اقفرت منه المدارس وانقضت مجالس منها للحديث شجون

(١) وقع فى الاصل «يروى» خطأ (٢) وقع فى الاصل «فطابت» خطأ.

لك

لك الله يا علم الحديث فقدته فكم لك شوق نحوه و حنين
وكم حسرات للبخارى بعده وما مسلم الا عليه حزين
يمينا لقد ساء القلوبَ مصابُه اليـةَ بر ليس فيه يمين (١)
فلى بعده وجد بحر (٢) زفيره يعلّم صخر الصمّ كيف يلين
لقد حملوه و الامانات (٣) و التقى تزف (٤١) على نعش له و تبين
و راح و الاسلام فى كل مهجة بمصرعه داء عليه دفين
وقد كان للانوار فيه طليعة و للمجد منه طلعة و جبين
و يامحسرات للنفوس تأكدت لقد كان ما خفناه أن سيكون
و يا عبرات للعيون اذرفى دما فما كل طَرف فى البكاء طعين
ظِنناه للايَّام يبقى ذخيرةً على ان جود الدهر فيه ضنين ،
﴿١٣٢ الف﴾ لإن لم اقم حقّا بواجب حقه
بقيـــة عمرى انى لمخؤون
سقى الله صوب الغاديات ضريحه وروّاه غيث للسحاب هتون
ولو بخلت عنه السحائب بالحيا لروّته منا بالبكاء جفون

عبد الله الامام المستعصم بالله ابو احمد امير المؤمنين بن المستنصر (٥) بالله ابى جعفر المنصور ابن الظاهر بامر الله ابى نصر محمد بن الناصر لدين الله ابى العباس احمد بن المستضئ بامر الله (٦) ابى محمد الحسن بن المستنجد

(١) كذا فى الاصل و لعله فيها أمين - بمعنى اكذب (٢) كذا و لعله يحز (٣) سقطت او الحال من الاصل (٤) كذا و الصواب ترف (٥) وقع فى فوات الوفيات المطبوع قديما و حديثا « المنتصر » خطا (٦) فى طبقات ابن السبكى و نز « بالله ».

Marfat.com

بالله ابى المظفر يوسف بن المقتفى بامر الله (١) ابى عبد الله محمد بن المستظهر بالله ابى العباس احمد بن المقتدى بامر الله ابى القاسم عبد الله بن الامير الذخيرة ابى العباس محمد بن القائم بامر الله ابى جعفر عبد الله بن القادر بالله ابى العباس احمد بن الامير اسحاق بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر ابن المعتضد بالله ابى العباس احمد بن الامير الموفق ابى احمد طلحة بن المتوكل على الله ابى الفضل جعفر بن المعتصم بالله ابى اسحاق محمد بن الرشيد ابى محمد هارون بن المهدى بالله (٢) ابى عبد الله محمد بن المنصور ابى جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رحمه الله مولده سنة تسع وستمائة وبويع له بالخلافة لما توفى والده فى العشرين من جمادى الاول ﴿ ١٣٢ ب ﴾ سنة اربع وستمائة فكانت الخلافة خمس عشر سنة وثمانية اشهر وايام ومقدر عمره سبع واربعون سنة واستجاز له ولجماعة من اهله ابو عبد الله بن النجار فى رحلته الى خراسان جماعةً كثيرة منهم ابو روح عبد المعز بن محمد الهروى وابو الحسن المؤيد بن محمد الطوسى وابو بكر القاسم بن عبد الله ابن الصفار وام المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الشعرى وغيرهم وحدث فسمع منه صدر الدين شيخ الشيوخ ابو الحسن على بن محمد وحدث عنه واجاز الامام محى الدين ابى المظفر يوسف بن الامام ابى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى والشيخ نجم الدين ابى محمد عبد الله بن محمد البادرائى وحدثا عنه بهذه الاجازة وكان المستعصم بالله متدينا متمكنا متمسكا

(١) نز « بالله » (٢) كذا فى الطبقات ونز وفى الاصل « المهتدى ابى » خطأ.

بمذهب اهل السنة و الجماعة على ما كان عليه والده و جده رحمهما الله تعالى ولم يكن على ما كانا عليه من التيقظ و علوالهمة فان و الده المستنصر بالله كان ذا همة عالية و شجاعة وافرة و نفس أبيّة و عنده اقدام عظيم و استخدم من العساكر مايزيد على مائةالف و قصدت التتر بلاد العراق فى ايامه فلقيهم عسكره و انتصف منهم و هزمهم وكان للمستنصر بالله اخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه فى الشهامة و الشجاعة وكان يقول ان ملكنى الله تعالى امر ﴿١٣٣الف﴾ الامة لاعبرنَّ بالعساكر نهرجيحون و انتزع البلاد من يدالتتر و افنيهم قتلا واسرا و سبيا فلما توفى المستنصر بالله لم يرالدوادار و الشرابى وكانا غالبين على الامر ولابقية ارباب الدولة تقليده الخلافة خوفا منه و لما يعلمون من استقلاله بالامر و استبداده بالتدبير دونهم و آثروا أن يليها المستعصم بالله لما يعلمون من لينه و انقياده ليكون الامر اليهم فاتفق رأى ارباب الدولة على تقليد المستعصم بالله الخلافة بعدابيه فتقلدها و استبدوا بالتدبيرثم ركن الى وزيره مؤيد الدين بن العلقمى فاهلك الحرث و النسل و حسن له جمع الاموال و الاقتصارعلى بعض العساكر و قطع الباقين فوافقه على ذلك وكان فيه شح و حب لجمع المال فوافق ما اشار به الوزير و غيره عليه من ذلك ما فى نفسه فاجابهم و بذل الوزير جهده فى بوار الاسلام فبلغ قصده كما ذكرنا وكان المستعصم بالله قليل المعرفة و التدبير و التيقظ نازل الهمة محبا لجمع المال مهملا للامور يتكل فيها على غيره و يقدم على فعل ما يقبح و لا يناسب منصبه و لو لم يكن من ذلك الا ما فعله مع الملك

Marfat.com

الناصر داود فى امر الوديعة لكفاه ذلك عارا و شنارا حتى لو كان الملك الناصر من بعض الشعراء و قد قصده و تردد اليه على بعد المسافة و امتدحه بعدة ﴿ ١٣٣ ب ﴾ قصائد كان يتعين عليه ان ينعم عليه بقريب من قيمة وديعته من ماله فقد كان فى اجداد المستعصم بالله من استفاد منه آحاد الشعراء اكثر من ذلك الى غير ذلك من الامور التى كانت تصدر عنه مما لا يناسب منصب الخلافة و لم تتخلق بها الخلفاء قبله فكانت هذه الاسباب كلها مقدمات لما اراد الله تعالى بالخليفة و العراق و اهله و اذا اراد الله امراً هيأ اسبابه ـ و من الاتفاقات العجيبة ان اول الخلفاء من آل ابى سفيان اسمه معاوية و آخرهم معاوية و اول الخلفاء من آل الحكم ابن ابى العاص اسمه مروان و آخرهم مروان و الخلفاء العلويين بالغرب و الديار المصرية اسمه عبد الله(١) و آخرهم اسمه عبد الله و اول الخلفاء من بنى العباس عبد الله السفاح و آخرهم عبد الله المستعصم بالله و عددهم سبعة و ثلاثون خليفة و مدة ملكهم خمسمائة سنة و اربع و عشرون سنة منذ بويع السفاح بالخلافة الى هذه السنة فسبحان من لا يزول ملكه و لا يحول سلطانه ـ و قال القاضى جمال الدين ابو عبد الله محمد بن واصل رحمه الله اخبرنى من اثق بنقله يوم و رود الخبر بتملك التتر بغداد انه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته ان على بن عبد الله بن العباس بلغ بعض خلفاء بنى امية عنه انه يقول : ان الخلافة تصير الى ولده فامر به فحمل على جمل ﴿ ١٣٤ الف ﴾ و طيف به و ضرب و كان يقال

(١) كذا و فى هامش الفوات المطبوع حديثا « اسم اولهم عبيد الله الهدى »

Marfat.com

عنك ضربه هذا جزاء من يفترى و يقول ان الخلافة تكون فى ولده فكان على بن عبد الله رحمه الله يقول إى و الله لتكون الخلافة فى ولدى ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فوقع مصداق ذلك و هو و رودهولاكو ملك التتر من خراسان و ازالة ملك بنى العباس .

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام ابو زكريا جمال الدين الصرصرى الشيخ الصالح الحنبلى كان من العلماء الفضلاء الزهاد العباد و له اليد الطولى فى نظم الشعر و شعره فى غاية الجودة رحمة الله عليه .

امتدح رسول الله صلى الله عليه و سلم باشعار كثيرة قيل ان مدائحه فيه صلوات الله عليه وسلامه تقارب عشرين مجلد (١) واضر فى آخر عمره و استشهد ببغداد فى وقعة التتار بها فى اوائل هذه السنة عن ستة ست و خمسين و ستمائة و اظنه قد نيف على السبعين من العمر و الله اعلم و سأذكر من مديحه لرسول الله صلى الله عليه و سلم على سبيل التبرك و تشريف هذا الكتاب ما يتيسر إن شاء الله تعالى من ذلك قوله .

(١) وله ديوان ظفرنا منه باصل خطى محفوظ فى المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن الهند ، و رمزه « د » فى التعاليق الآتية وسننبه فيها على ما فى الاصل و الديوان الاختلاف مما فيه خفاء واما الخطأ الجلى فسنصححه فى الاصل تاركين التنبيه الكريم تحاشيا عن سآمة القارئ الكريم .

Marfat.com

زار وهنـاً ونحن بالزوراء في مقام خلا من الرقباء

﴿١٣٤ ب﴾ من حبيب القلوب طيف خيال

فجلا نوره دجى الظلماء

يا لهازورةً على غير وعْد بتُّ منها في ليلة سراء

نَعمتْ عيشتي وطابت حياتي في دجاها ياطلعة الغراء

ياطراز الجمال ياحلّة المجـ ـدو تاج الكمال للعلياء

يا هلال السرور ياقمر الا نس ونجم الهدى وشمس البهاء

يا ربيع القلوب ياقرّة العيـ ـن ورباب الاحسان والنعماء

يا لباب المعنى ونور المعاني ياشفاء الصدور من كل داء

إن يوما اراك فيه ليومٌ أرَج النشر ساطع اللألاء

كم الى كم اخفي الاشارة فيمن فضله ظاهر بغير خفاء

سيد حبّه فخار وتشريف وعز باقٍ لاهل الصفاء

احمد المصطفى السراج المنير الفاتح الخير خاتم الانبياء

ولعمري لولا تقدمه الاشرف يرويه سادة العلماء

أنه واجب على الكامل الايـ ـمان تقديم حبّه والولاء

لعلى الانفس العزيزة والمال جميعا والاهل والابناء

ارعدت دونه الفرائص اجلا لا حبيب الرحمن رب السماء

اكرم العالمين اصلا وفصلا وجلالا وسيد البطحا

خص بالخاتم العزيز وشرح الصدر والقرب ليلة الاسراء

والكتاب

Marfat.com

والكتاب المبين والنصر بالرعـ ـبء ريح الصبا عـلى الاعداء
ثم بالحوض والشفاعة فى الحـ ـشر لكل الورى ورفع اللواء
﴿١٣٥الف﴾ والمقام المحمود والسبق للنا
س دخولا فى الجنة الفيحاء
ثم يعطى وسيلة هى اعلى درجات الجنان دارالبقاء
يانبى الهدى عليك سلام يبقى غضا على (١) الآناء
وعلى صاحبيك ثمت صهر يـ ـك وعميك السادة النبلاء
والصحاب الكرام خير صحاب ناصرى الدين بالقنا النجباء
والحسين الشهيد والحسن المسـ ـموم والبضعة الرضا الزهراء
وجميع الازواج والتابعين الـ ـغر اهل الهداية النصحاء
انت جارى وعدتى ونصيرى وعمادى فى شدتى ورخائى
فلعلى على زمان فضيع الخـ ـطب فى اهله شديد العناء (٢)
اسال الله حين تعرض اعمالى عليك الغفران لى يارجائى
وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم .
سائق الركب لاتعجل فلى اربٌ فوق الرواحل حالت دونه الحجب
لعل بدر الدجى يرخى اللثام لنا عن عارضيه فيشفى الواله الوصِبُ
اذا على ظاعن شطّ المزار به لوأنه فى الدجى يدنو ويقترب
ربما وجدت برد ابـه كبدٌ حرى بنار الجوى والشوق تلتهب

(١) كذا ولعله سقط مدى وفى د « من اله الانام رب السماء » (٢) فى د

Marfat.com

احبا بَنا ان تكن ايدى النوى عبثت بشملنا فهو بالتفريق متهب
فان حبّكمُ وسط الحشاشة لا تناله غيرُ الايام والنوب
اولا (١) عطفتم على صبّ بكم فعلت به سُطا البين ما لا تفعل القضب
﴿١٣٥ب﴾ فؤاده نازح مستأنس بكم وجسمه وهو بين الاهل مغترب
ما هبّ من نحوكم فى الصبح ريحُ صبا الا وهزّ اليكم عطفَه الطرب
ولا ترنّم قمرىٌّ على فنن الا وظل من طالا شواق ينتحب
يحنّ نحو الحمى اذ تنزلون به وليسُ بينهما لولاكم نسب
وان جرى ذكر سلعٍ فى مسامعه فانه لدواعى وجده سبب
سحت غمائم انوار المزيد (٢) على فبابه البيض سحادونه السحب
فهى الشفاء لاسقامى وساكنُها هو الحبيب الذى ابغى واطّلب
هل تبلغنّى اليها جسرةٌ اُجُدٌ (٣) يحلولها فى الفلا الارقال والخبب
يا ناقتى لا يغشاك الضلال ولا مسّ القوائمَ منك الاينُ والنصب
وامتدّ خصبك من ورد ومن كلأ ولا تمكنَّ من اخفافك النقب
[سيرى الى ان تحلّى ارضَ افضل من فى الارض شدّ الى اقطاره القتب] (٤)
محمد خير مبعوث بمرحمة من خير بيت عليه اجمع العرب
عفٌّ كريمُ السجايا من سلالة ابـ راهيم اكرم خلق الله منتخب
مهذب طاهر طابت ارومته وطاب بين الورى امٌّ له واب

(١) كذا فى د وفى الاصل «لولا» وهو الصواب (٢) من د والاصل «مزية» خطأ
(٣) وقع فيها «حسرة احد» خطأ (٤) من د ولا بد منه ليرتبط الكلام بعضه ببعض

Marfat.com

هدى به الله قوما صدّهم سفها عن الهدى الخمرُ والازلام والنُّصُبُ
اتاهم بكتاب صدّق الصحف ال اولى كما صدّقت آياته الكُتُبُ
فيه بيان و ايجاز و موعظـــة و هو الشفاء لقلب شفّه الوصب
فاخرج الناس من ليل الضلال به الى صباح رشاد ليس يحتجب
دعا الى الله رب العرش و هو على بصيرة لا تغطّى نورها الريب
﴿١٣٦الف﴾ فمن اجاب فقد حاز الرضا و لمن
ابى و صدّ [الوها] (١) و الويل و الحرب
وجاهد المعتدين الناكثـــين عن الحـ ق المبين بعزم ليس ينقضب
و جنده السابقون الاولون اولو البأس الذى رهبته البيض والليب
و اصبحت زمر الاملاك نازلة لنصره و الصبا الحرقاء(٢) و الرعب
حتى استقل(٣) عماد الدين وارتفعت اعلامه و انجلت عن اهله الكرب
صلى عليه آله العرش ثم على اصحابه فهم الاعيـان و النجب
ازكى صلاة و انماها و ادومها و اجر ذلك عند الله احتسب
و ارتجى بمديحى فيه مكرمة

[من] (١) دونها الفضة البيضاء و الذهب
لكننى او قطعت الدهر ممتدحا للمصطفى ما قضى بعض الذى يجب
وقال يمدحه صلى الله عليه و سلم وكان يومئذ متوجها لى زيارة
ف الفارسى رضى الله عنه فعرّض بذكره و بذكر حذيفة رضى الله عنه .
الحجاز اذا مررت بركبه منى تحيّة مخلص فى حبّـــه

(٢) كذا فيهما و لعله الحرقاء (س) د « استقر » .

Marfat.com

و اسأله هل حيّا مر ابعه الحيّا وكما الربيع شعابه (1)
و استمل من خبر الصّبا لا خ الهوى ماصحّ من اسناده عن سحبه
فلنشر انفاس النسيم عبارةً فى رمزها معنًى يلذّ لقلبه
يغربه مسراها بايام الحِمى اذ كان منشأ عرفها من تربه
﴿١٣٦ب﴾ولعمرها ولا تذكر عهده فيها لما عبث النسيم بلبّه
هل لى الى ليلات مجتمع المنى بمنًى رجوعٌ استلذّ بقربه
و يضمنى و بنى الوداد بجوّه سربالُ وصل لا اراعُ بسلبه
حلو الجنى فيه الامان لمن جنى و به الكرامة و الرضا لمحبّه
بدر الكمال على بروج قبابه سامٍ يجلّ عن المحاق و حجبه
يزداد نورا كلما طال المدى بمحمّد فلك الجمال و قطبه
نالت يداه من المراتب منصبًا يعلو على عجم الزمان و عربه
جمعت له متفرق الفضل الذى فى المرسلين عنايةً من ربه
و له الخصائص حازها من دونهم فاستمل من لفظى مقال منبّه
منها نبوته و آدم طينةٌ فازداد نورا حين حلّ بصلبه
و رأى بعينيه على العرش اسمه فدعابه حين استقل بذنبه
و له المقام المرتضى و شفاعةٌ تنجى المخرق من بوائق كسبه
و له اللواء و حوضه العذب الذى يروى جميع المؤمنين بشربه
و له الوسيلة ما لخلق فوقها نزل تفرد فى علاه و قربه

(1) الاصل « شعبه » خطا .

Marfat.com

"لما علا عن مشبه مختارُه اضحى وليس لفضله من مشبه
هو خاتم للانبياء وفاتح للاولياء وشربهم من شربه
من اين للأمم الذين تقدموا طرّاً كأمّته الكرام وصحبه
ما كان منهم سيد فى موطن الا وكان هو الزعيم لحزبه

﴿١٣٧ الف﴾ منهم حذيفة ذوالامانة والرضا
سليمان حلّا بالعراق وشعبه

فهما به نور لمن رام الهدى وحمىً من الحدث الملمّ وخطبه
يا سيد البشر الذى هو غوثنا فى حالتى جدب الزمان وخصبه
زرنا صحابتك الكرام تعرّضا لننال من فضلٍ خصصتهم به
فافض علينا نعمة من ذاقها اضحى معافًى آمنا فى سربه
واتمّ عقباها بخاتمة الرضا والأمن فى يوم يصول برُعبه

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم

ما بال انفاس النسيم اذا سرت سحرا على ميّتٍ الصبابة انشرت
ما ذاك الا انها مرت علىٰ رَنْد الحجاز وبانه فتعطرت
حملت الى المشتاق منه رسالةً عن عَرف من تهوى بصدق اخبرت
بثت الأسى عنه فيالك نفحة دُأرت ثقيل الخطب عنه وما درت
ايامًا لايام يفوق نهارها ليلاتها الإلاّتى بحيي (١) اقمرت
تُهمَ بحمى تهامة آمنا تُهمَ العواذل عارفا ما انكرت

(١) في الاصل وفى د « لحى » .

Marfat.com

ولّت على عجل فكم قلب سها(١) بوداع جيرتها وكم عين جرت
لو انها ردت علىّ لابرأت جسد اباسقام الفراق له برت
أالام فى شغفى بمن شرفى بها جبرت بعطف أم بحتف اخبرت
أوبى جُناح [إن (٢)] سمحت بعبرة عما تضمنت الحوانح عبّرت
﴿ ١٣٧ ب ﴾ واذا القلوب اتت بصدق لم تبل بمقال واشٍ لاظهرت اوا ضمرت
يا سائق البكرات ما حنّت الى تحصيل بكر المجد الا بكّرت
تعتاض فى طلب العلى عن ريفها بمهامه اغبرت وبيدٍ اقفرت
تتجشم الاهوال لو لا نُور من جعلته غايَة قصدها لتحيّرت
تهوى الى الحرم الشريف ركابها عند الصباح هوى ربد نفرت
إنّما حللت بذلك المغنى الذى فيه عيون المكرمات تفجرت
فقل السلام عليك يا حرمَ الهدى من مهجة بك افلحت و تبصرت
يا منزِلا عكفت به غرر النهى وُ بقدس ساكنه القلوب تطهرت(٣)
هل لى بحضرتك العزيزة وقفة تحيي الذى بالبعد منى اقبرت
أحرزتْ غاية كل مجد كاملٍ وزكت اصول الفضل فيك وانثمرت
بمكرّم شهد الملائك فضله هذا وطئة آدم ماصورت
وتكور الشمس المنيرة جهرةً وشموس شرعة دينه ما كُورت

(١) كذا ولعله شها (٢) من د (٣) د « تبصرت » .

Marfat.com

وهو الذى ينشق عنه ضريحه وقبورُ سكّان الثرى ما بعثرت
وهو المشفّع يوم محتبس الورى واذا الجحيم على بنيها سعّرت
هو احمد الآتى بخير شريعة بيضاء عن وجه الهداية اسفرت
عبدا تخيره المهيمن مرسلا بشرًا بطلعته السماء استبشرت
تالله لوّان الوجوه باسرها، نظرت بايمان اليه ابصرت (١)
﴿١٣٨ الف﴾ لكنه من ذى المعارج رحمة
عظمى لامته الكرام تيسرت
رأت اليهود صفاته ثم امتروا فيه وامته رأته فما امترت
عين رأته وما اهتدت لرشادها لبياض سنة وجهه ما ابصرت
ومحاجر اكتحلت بنور وداده قرت بنيل مرادها وتظفرت
يامن ظلال(٢) المكرمات به صفت وصفت مشارب بالضلال تكدرت
وبنور بهجته انجلى غسق الهوى وبه السحائب فى الجدائب امطرت
والماء اصبحَ من اصابع كفه يهمى فاوردت الظماء واصدرت
وله لواء الحمد والحوض الروى وله المقام ومعجزات اغزرت
عطفا على نفس الى خلاقها
بك فى الخطوب توجهت واستنصرت (٣)
ليست تشكّ بان مدحك قربة بسناه اوزان القريض تنوّرت
ولقد درت وتيقنت ان او بغت حصرًا لبعض الفضل فيك لقصرت

(١) كذا فى الاصل وفى د «لا نضرت» (٢) كذا فيهما ولعله خلال (٣) كذا فى ل الاصل «استبصرت».

Marfat.com

لكنها لعظيم جاهك ترتجى فى حالتيها اقبلت او ادبرت
فكن الشفيع لها لتنجيها اذا علمت غداة معادها ما احضرت
فلأنت من اقسامها العظمى(١)اذا ما نابها قتر و امّا اقترت
فُجزيت افضل ما يُجازى مرسل عن امّة رُشدت به و تبررت
﴿ ١٣٨ ب ﴾ حيّت جنابَك نفحة قدسية
فى كل يوم اين حلت عطّرت
و نمت به من ذى العلا بركاته و زكت به صلواته و تكررت

و قال رحمه الله يمدحه صلى الله عليه وسلم و آله و اصحابه و ازواجه.

لمَن طللٌ دون الربا و التنائث (٢) يعفى بايدى العاصفات العوائث (٣)
و منخرق السربال يخترق الفلا و يقدم اقدام الشجاع الدلاهث
حسام طويل الساعدين شِرنبث
له بطش دلاهث هصور [شُرابث] (٤)
جرئ اذا لاقى يُرى خصمه الردى اذا صال فى انيابه و المضابث
تساوت وحوش البر فى الانس عنده فصيرها كالعاويات العوابث
يخوض اهاويل الدجى بمَلاعِد
امون السرى بادى النشاط جُثاجث (٥)
يحثحثه حتى ينال مراده فطالب اسباب العلى ذو حثاحث(٦)
نصحت له نصحا برئتُ من القذى اذا شاب قوم نصحهم بالعيائث

(١) كذا فى د وفى الاصل «تعطى» كذا (٢) فى د «التبائث» (٣) د «العوابث»
(٤) من د (٥) اى ضخم (٦) اى سرعة .

Marfat.com

فقلت له ان رمت امنًا وعزة فعذ من عوادى النائبات الكوارث
بافضل مبعوث الى خيرامّة بخير كتاب جاء من خير باعث
وايمن مولود وابرك مرضع يدرّله ثدى وانجب مارث
﴿١٣٩الف﴾ واكرم مأمول لرفد توجهت
اليه نجيبات المطايا الحثائث
ابى القاسم الهادى البشير محمد
سليل الكرام الاطيبين الملاوث
اعز الورى بيتا واشرف عنصرا واطهر عرضا من عميرة ماعث (١)
بنى لبنى سام منارا سموابه حمى آل حام فى الفخار ويافث
تسنم من غرّ المناقب ذروة ابى شاؤها ان يستكن لضابث
تخيّره الرحمن من آل هاشم صفيّا نبيّا وارثا خير وارث
وانزل املاك السماء لنصره على كل خوان السريرة ناكث
وآزره فى كل هيجاء بسلة باصحابه الشُّوس الكماة لمهارث(٢)
بكل كريم الاصل شهم مهاجر وانصاره الموفين عند النكائث
هم حفظوا ميثاقه فى حياتــه وفى موته لم ينقضوا عهد والث
ولما اتى الاحزابُ بدّد شملهم بريح وجند باهر للولايث
ويوم حنين حين جاءت هوازن بكل غوىّ ذى شذاة ملايث
فولوا على الاعقاب حين رماهم فاغشاهم (٣) من قبضة من كثاكث

(١) كذا فى الاصل وفى د « غميرة ماغث » لحرّره (٢) واحده ممرث اى
(٣) على الخصام (٣) ذ « اعشاهم » ولعله الصواب .

Marfat.com

﴿ ١٣٩ ب ﴾ هو الاول المختار افضل مرسل
هو الآخر المبعوث خير المباعث
اتى بصراط مستقيم من الهدى له نبأ بادى البيان لباحث
فصادف عميا يعمهون قلوبهم من الغى غُلفٌ تابعى كل عائث(١)
يتيهون فى ديمومة مدلهمّة يطوفون بالاحجار تطواف عابث
فاخرجهم من ظلمة الجهل نوره وانقذهم من موبقات الهثاهث(٢)
احلّ لهم ماطاب من كل مطعم وخصّ بتحريم جميع الخبائث
وعلّمهم سبعا مثانى آذنت بمحق مثانى لهوهم والمثالث
ونزّه رب العرش عن والدوعن قرين ومولود وثانٍ وثالث
وبلغ تبليغ النصيح وجاهد الـ ـعداة اولى التكذيب مأوى العثائث(٣)
واطفأ نيران الضلالة وامتحت (٤) معالمها وانجاب ليل الهنابث(٥)
واضحت شموس الحق مشرقة السنا قد اتضحت آثارها للباحث
ومازال محفوظا رضيعا وناشئا الى ان وقاه الله كيد النوافث
وقبلُ وقاه الله فى ارض مكةٍ اذى كل حلّاف من القوم حانث
الى ان رماهم يوم بدر اذلةً بقعر قليب للاساود مائث
واقبل يوم الفتح نحو ديارهم بجيش لاكباد المعادين فارث

---

(١) د «عابث» (٢) اى الفساد وفى الاصل « الهثانث » خطأ (٣) كذا فى الاصل وفى د « الغثائث » و لعله جمع غثيثة اى فساد عقل (٤) لغة فى امحت ضعيفة (٥) كذا فى ذوهو الصواب و فى الاصل « الهثانث » خطأ.

Marfat.com

﴿ ١٤٠ الف ﴾ سقى قبره الرحب الشريف و جاده

سحائب للرضوان غـــير دِ ثائث

و زفت(١) رياض الانس فى عرصاته فاربت على نبت الرياض الحثاحث(٢)

و صبحه الرحمن فى كل بكرة بنود رضابين الصفائح ماكث(٣)

و عمّ قبور الاكرمين صحابه بكل غمام بالمواهب غائث

و عترته و الطاهرات نساءه الـ لواتى جميعاكنّ غـــير خبائث

و تابعهم من كل أزهر طاهر لنفع الورى و الاخفياء الاشاعث

وقال رحمة الله عليه يسبح الله تعالى و يمدح رسول الله صلى الله عليه و سلم و يثنى على الصحابة رضى الله عنهم اجمعين .

سبحْ لربك فى الظلام الداجى واذكره ذكر مواظب لهّاج

سبحان من رفع السموات العلى سبعاوزان السقف بالابراج

و اطاح بالقمر المنير ظلامها واضاءها بسراجها الوهاج

و احلها زمر الملائك خضّعا لجلا له من ساجد و مناجى

و الارض مهّدها و ارسى فوقها الـ اطواد تمنعها من الاز عاج

فتذللت سُبُلا فجاجا مِنّةً منه على السُّلاك بين فجاج

و بدت شواهد صنعه فيهابما ابداه من مستحسن الازواج

﴿ ٢٤٠ ب ﴾ و لبحر سخره و لولا لطفه

لطغا بفرط تلاطُـــم الامواج

(١) كذا فى الاصل وفى د « رقت » و لعله رفت (٢) كذا فيهما و لعله الحثاجث

(٣) كذا فى الاصل وفى د « لابث » .

Marfat.com

وبامره البحران يلتقيان لا يبغى على عذب مرورا جاجُ
والفلك سخرها لمنفعة الورى فجرين فوق المُزبِد العجّاج
والليل يخلفه النهارُ ويخلف ال ليلُ النهارَ بغيهب متداج
ويطول هذا ثم يقصر ضُده متعاقبين بحكمة الايلاج
فيها وتصريف الرياح ومنشأ ال سحب الثقال ادلةٌ لمناجى
اعظم بها آياتٌ انقطعت بها اسبابُ كل معاند محجاج
والله احيا الارض بعد مماتها بجُدوبها بالوابل الثجّاج
فاهتزّ هامدُها فاخرجت الذى قد اودعت من نبتها البهّاج
فكسا الربيعُ بقاعَها من نشره حللا تفوق ملابس الديباج
من احمر قانٍ واصفرَ فاقعٍ نضرٍ وابيضَ ناصعٍ كالعاج
فتبارك الله المهيمن مخرج الـ اموات منها احسن الاخراج
واختارَ آدم من تراب بارئا اولاده من نطفة امشاج
ثم اصطفى منهم عبادا خصّهم بنبوة هى عصمة للّاجى
واختار منهم اجمعين محمّدا لظهور دين واضح المنهاج
وكأن كل الانبياء لسره تاجٌ واحمدُ درّة للتاج
وهو المسمى فى القرآن بشاهدٍ وبمنذرٍ ومبشّر وبسراج
اسرى من البيت الحرام به الى قصى مساجده بليل ساج

﴿ ١٤١ الف ﴾ فعلا على ظهر البراق معظّما
ورأى عجائب ليلةَ المعراج

Marfat.com

كشف الحجاب له وكلّمه فما اشتق معارض فضله بحجاج
لازال يمتد المزيد مواصلا بصلاته صلة بغير خداج
فلقد شفا سقم الصدور وعالج الاد واء بالتبليغ خير علاج
واختار امته وفضلها على ماضى القرون وسالف الافواج
واختار منها آله وصحابه
للنصر عند كريهة وهياج
واختار اربعة هم خلفاؤه فحموا شريعته من الاعلاج
منهم ابو بكر عتيق سيّد الصحاب افضل مخبت نشّاج
صديقه الاتقى الوقور ومنفق المال الجزيل عليه عند الحاج
واختار عائشة الطهور لوصله بكرا سمت شرفا على الازواج
وانيسه فى الغار عند تتبع الاعداء بالطلبات والارهاج
واقام فى يوم اليمامة دينه بقواضب وبعامل (١) وزجاج
وخليفة الصدق الامام المرتضى عمر المفتّح قفل كل رتاج
جمّاع كل خليقة مرضيّة قمّاع كل مجاهر ومداجى
ولطالما زل الكتاب بوفق ما يقضيه فيما يعترى ويفاجى
وبحفصة اختصّ النبىّ المصطفى صوّامة قوّامة بدياج
والبر عثمان الذى فى ركعة لله بالقرآن كان يناجى
لصابر الثبت الشهيد قتيل اهل البغى فى الالجام والاسراج

(١) كذا فى الاصل وفى د «وذ وابل».

(١٤١ ب) هجموا عليه و ما رعوا فى قتله

الّا فاصبح شاخبَ الاوداج
ولقد رآه لابنتيه محمدٌ كفؤا حليما لم يُعب بلجاج
ثم الامام علىٌّ العَلَم الرضا حلّالُ مشكل كل امرٍ داجٍ
كشّاف كل ملمة بحساده اكرم به من كاشف فرّاج
وسقته(١) كفّ وداده كأس العلى باخائه صِرفا بغير مزاج
وحباه بالطُّهر البتول فزاده شرفاً على شرفٍ بخيرِ زواج
وكفاه بالحسنين فخرا لم يَخب راجيهما ولنعم ذخر الراجى
ومن الصحابة ستة لم تعترض شبهُ الشكوك مقامَهم بخلاج
سعد وطلحة والزبير وباذل البكرات بالاحمال والاحداج
وابو عبيدة وابن زيد واعتقد فضل ابن صخر واعص ذا ارهاج
ولاهل بدر والحديبيّة اعترف بالفضل واحذر من يسئ ويداجى
والفضل فى كل الصحابة فاعتقد فلأنت ان اضمرت ذلك ناجى
ثم الذى اعتقد ابنَ حنبل اتبع تأمن غداً فى الحشر من ازعاج
حبرٌ تمسك بالحديث فلم يزغ عنه الى من عاجَ شرمعاج
واستخرجَ الاخبار فى السنن التى ثبتت وصحّت احسن استخراج

(١٤٢ الف) نصر الآله به القرآنَ فلم يكن
فى نصره بالعاجز اللّجاج

(١) كذا فى د وفى الاصل « وسقاه ».

Marfat.com

وهو فى الحياة وسيلتى وذخيرتى لهجوم موت للأنام مفاجى

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم .

ربع المنى بمنى نَعِمتَ صباحا وتبلجت فيك الوجوه صباحا

وسقتك اخلافُ الغمام عشيّة دَرّا يروّى من حماك بطاحا

وعلا سحيق المسك نشرك كلّما نشر الربيع على ثراك جَناحا

ولبست من زهر الرياض ملاءه (١) وعقدت فوق الجيد (٢) منه وشاحا

قد طالما شامرت فى جنح الدجى اقمار حسنك لا اخاف جُناحا

وحلبت (٣) من ريّاك روحَ حشاشتى وشربت فيك من المحبّة راحا

لله أيام مضت محمودة طابت بحّوك غدوةً ورواحا

آنست فيها نورَ عطف احبّتى ونشقت عطر رضاهم النفّاحا

ياموسم الاحباب يا عيدَ المنى وهلال سعد بالبشارة لاحا

هل لى عليك مع الاحبة وقفــة

وجه النهـار تجدّد الافراحا

بالله يامن عزمه اهدى لنا طَرَفا الى نيل العلى طمّاحا

فصلٌ (٤) السُّرى بعد السُّرى بنجائب يطوين اكناف الحجاز مراحا

بلغ الى ذات الستور رسالة عمن اذا ذكرتْ صَبا وارتاحا (٥)

يارتبةَ الحرم الممنع كم دمٍ لبنى الامانى دون وصلك طاحا

(١) د «وكسيت... ملا بسا» (٢) كذا فى د وفى الاصل «الخد» خطأ (٣) كذا
(٤) سقط البيت من ب ولعله وجليت (٤) قد سقط هذا البيت من د (٥) كذا
الاصل وفى د «صبا ارتاحا» .

Marfat.com

﴿١٤٢ ب﴾ كيف السبيل الى لقائك و الفلا

قد حفّ دونك (١) ذبّلا و صفاحا

و اذا وصلت قباب سلع جادَها صوبُ المواهب هاطلا سحّاحا

فاجلس (٢) باشرف موطن علقت به غرر المعالى لا تروم براحا

فلقد نزلت من البسيطة منزلا رحب الجوانب للوفود فساحا

جمع المفاخر كلّها بمحمّد اوفى الورى حلما واكرم راحا

اضحى به عَلماً لكل هداية ولِبابِ كل فضيلة مفتاحا

طابت باحمد طيبة فاريجها (٣) اذكى واطيب من عبير فاحا

وسمت به انوارها فلقد غدت لمن استضاء بنورها مصباحا

هوسابق الاعيان اذ كتب اسمه بالعرش ثمت أُودع الالواحا

و هو الذى ختم النبوة فهى عن اكتافه العطرات كن سراحا (٤)

و دعا اليها الخلق لا يألوهم نصحا و اوضحها لهم ايضاحا

فمن استجاب له فقد (٥) حاز الرضا والأ من و التأييد والا صلاحا

و من اعتدى ظلما و خالف امره كانت عقوبته ظُبا ورماحا

ماضى الاوامر لامردّ لحكمه فيما نهى عن فعله واباحا

هو طاهر الانساب لم يجتمع (٦) ابوان فى وقت عليه سفاحا

من عهد آدم لم يكن آباؤه يرضون الا بالعقود نكاحا

اكرم به بشرا ونبيا مرسلا طلق المحيا بالندى نفّاحا

---

(١) د « فيها » كذا (٢) د « فاجس » (٣) كذا فى د وفى الأصل « فاريحها »

(٤) د « اكنافه ... لن ترتاحا » (٥) د « لامره » (٦) د « ما اجتمعت له »

ثبتا

ثبتا قويّا فى الجهاد مؤيدا ثقة أمينا فى البلاغ نصاحا
(١٤٣ الف) يسمو على الشمس المنيرة وجهه
والبدر (١) يحسد ثغره الوضاحا
ولبعض معجزه لتسبيح الحصا والماء من بين الاصابع ساحا
والشرح والمعراج والذكر الذى اعيا الّباء القلوب، فصاحا
وله اللواء وحوضه وشفاعة تكفى المرهق جماحا لواحا (٢)
ولسوف يعطيه الآله مقامه المحمود جلّ مهيمنا منّاحا
ياخير من وقف المطىُّ به ولو جعل الوَجى اجسامَها اشباحا
واحق من بذل الورى فى حبّه ومزاره الاموالَ والارواحا
انى وان بعد المدى اشتاقه (٣) اهدى السلام عشية وصباحا
واودّ لوانى بحضرتك التى شرفت فامنحك السلام كِفاحا
اعددت مدحك فى الحوادث جُنّة وعلى الذنوب الموبقات سلاحا
فامنن علىّ بنظرة يحيى بها قلبى ويصبح راضيا مرتاحا
فلأنت ملجأونا الذى ما امّه منا فتىً الا ونال نجاحا
واسأل لى الرحمنَ ثم لعترتى صونا وجاها شاملا وفلاحا (٤)
وسلامة طول الحياة وراحة بعد الممات وفى المعاد رباحا (٥)
واسأل لامتك الحيا غدَقا فقد فقَدَ المزارعُ ماءَها السحّاحا
والأمن والعيش الرغيد ونصرةً كاما قهم (٦) ومعونة وصلاحا

(١) كذا فى د وفى الإصل «والبدر» كذا (٢) كذا (٣) كذا فى د وفى الاصل «مابيننا» (٤) د «صلاحا» (٥) د «فلاحا» (٦) كذا فى الاصل وقد سقط البيت =

Marfat.com

واسأل الهك ان يكون بقهره لعدوّهم مستأصلا مجتاحا
فلكم تملك جيشك المنصور من ملك وجدك فارسًا جحجاحا
﴿١٤٣ ب﴾ صلى عليك الله ما سرت الصبا
وشدا حمام فى الغصون وناحا

وقال يمدحه صلوات الله عليه وسلم .

لمن المطايا فى رباها تنفخ كالفلك تعلو فى السراب وترسخ (١)
فسل الذى لاينثنى اخفافها عن سريخ الأتعوّض سريخ (٢)
حملت على الاكوار كل مشمّر للمجد عن طلب العلى لايريخ
بلغت به اسبابُ همته الى مادونه يقف الاعز الابلخ
من دون موماة الفراة وبابل والقادسية والعذيب ومَرْبَخ
لكن رامة والعقيق وبانة وقباب سلع قصده المترسخ
فبماله شجن (٢) تملك قلبه فى مثله ذو الشجو ليس يوبّخ
مأواه جنات القلوب فلا ابٌ يحتلّ موضعهُ العزيز ولاأخ
هو حاكم الحسن المطاع وعنده (٢) للحبــة ثابت لاينسخ
شمخ الملاح جميعهم بجماله (٢) وجماله على الورى لايشمخ
من كل معنًى عنده لذوى الحجى عين بمكنون الحقائق تنضخ
علم وجود كالخضمّ عن امره (٢) وتقى وحلم من ثبير ارسخ
سامى المرام عزيزة انصاره وافى الذمام عقوده لاتفسخ

= من د ولعله تأتيتهم (١) هذه القصيدة لم نجدها فى الديوان وفيها تحريفات وسقطات كثيرة فليتنبه لها القارئ الكريم (٢) كذا .

ترجب الجناب نسيمه متوضع فكأن (١) ثراه بالعبير مضمخ
ربع يجود على العفاة برفده وبه يغاث العائذ المستصرخ
ولعزه التيجان تخضع ذلةً وبعطفه روع المخوف يفرخ
ياسيد البشر الكريم نجارُه يامن بنسبته سما متوشلخ
﴿ ١٤٤ الف ﴾ اصبحت فى رأس النبوة تاجها
وطراز حلّتها التى لا تسلخ
وبجاهك الجاه المديد على المدى ولك المقامات التى لا تبذخ
يشكو اليك مروّع قلق له (٢) بادناس الهموم ملطخ
يمسى ويصبح وهو يخشى فتنة صماء للصعب اللواتى تدنخ
اذكت ضراما محمود قــده يغشى تلهبها القلوب فتطخ(١)
قد حومت منها على اهل القرى للعرب عقبانٌ كواسرفنّخ
ابليس ملتهج بها مستبشر بوعيدها فى كل وادٍ يصرخ
مجمت على ارض العراق فاصبحت كالسيل يذهب بالغثاء ويلدخ
قــد شتت شمل الانام فبين من
قد كنت لكفه (١) وبنى برزخ
لولا جنودك قابلوها حجرة فكأنهم صبرًا جبالٌ رسخ
لوهت عرى الاسلام لكن وعدك الـ ميمون واضح رسمه لا يمسخ
البت بيتك والحريم حريمك الـ منصور يعلو من بغاه ويشمخ
اعطف علينا واسئل الرحمن فى عفوٍ به عناء الذنوب تسبخ

(١) كذا فى الاصل (٢) سقط هنا كلمة ولعلها قلب .

ويكفّ عنا فِتنة كادت لها منا عرى ايماننا تتفسخ
اصبحت فردا فى الديار مروّعا وحليلتى عنى نأت والأفرخ
فاجزْ مديحى بالرضا وكفاية لهمُ ولى فى كل عام يرطخ
لاتلقنى [من] (١) بعد صونى واقفا بجنابه بادى القطوب موبخ
واسأل [لى] (١) الله العظيم سلامة ولهم وسترا (٢) شاملا لايسلخ

﴿١٤٤ ب﴾ وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم .

ما ذا أثار بقلبى السائقُ الغرد لما غدت عيسه نحو الحمى تخد
وددت لو انى اصبحت متّبعا آثارها ارد الماء الذى ترد
اهوى الحجاز ولولاحب ساكنه لماحلا لى به التهجير واللحد (٣)
ولا لهانى (٤) برق فى ابارقه لأنه صارم فى متنه زبد
هل من سبيل الى ذات الستور ولو ان القنا والظُبا من دونها رصد
ففى هواها قليل ان يطلّ دمى وكم لها من قتيل ماله قوَد
وبالعقيق حبيب لوبذلت له روحى لكان يسيرا فى الذى اجد
تراب مربعه الرحب المنير به شفاء عينى اذا ما شفّها الرمد
ياراكبا تطس البيد القفار به هوجاء عيس امون جسرة أجد
اذا وصلت حمى سلع وطاب به نك المقيل وزال الأين والعنَد
فقف بتلك القباب البيض دام لها من ذى اجلال السنا والقرب والمدد

(١) سقط من الاصل (٢) كذا فى الاصل (٣) كذا فى الاصل وفى د « النجد »
(٤) كذا فى دوفى الاصل « ولا اطنابى » خطأ .

Marfat.com

وماد بعد سلام نشره عطرٌ عنى قصيدة مثن و هو مقتصد
وقل فقد امكن التبليغ فى وطن ما خاب عبد اليه قاصدا يفد
اشكو اليك رسول الله ما اجد من الخطوب التى اعيابها الجلد
عمر اناف على الستين (١) خالطه سقم لاعبائه و سط الحشى كمد
﴿ ١٤٥ الف ﴾ ضعف اضيف الى ضعف وبعضهما
يوهى قوى الجسم منى وهو منفرد
شهدت أنك خير الناس ما ولدت انثى نظيرك فى الدنيا و لا تلد
ولم يمنا فسك (٢) فى اصل سما بشرٌ ولم ينل رتبة نالت يداك يد
نقلت من كل صلب طاب محتده الى بطون زكت ما شانها نكد
حللت صلب ابينا عند مهبطه وصلب نوح وقد غشى الورى الزبد
وكنت فى صلب ابراهيم مستترا و نار نمرود اشقى الخلق تتقد
وحاز نورك اسماعيل يودعه ابناءه الغرُّ حتى حازه أُدد
ونال عدنان فى الانساب منزلة عليا بذكرك لم يخفض لها عمد
ولم يزل فى معدّ ثم فى مضرٍ وهاشم بك تاج الفخر ينعقد
الى تسلم عبد الله منصبه من شيبة الحمد لما استوسق الأمد
مذ حملت بدا فى وجه آمنة آ نوار وهى لثقل الحمل لا تجد
اشرقت مذ ولدت الارضُ وابتهج ا بيت الحرام وحاز الجنَّة المرد
كنت خير نبي عند خالقنا و روح آدم لم ينهض بها الجسد

(١) المعجمين (٢) د « يناسبك » كذا .

Marfat.com

فابصر اسمك فوق العرش مكتتبا وتلك منزلة لم يُعطها احدُ
فحين تاب دعا ربَّ العباد به فتاب حقاعليه الواحد الاحد
﴿١٤٥ ب﴾ وانت يوم نشور الناس سيدهم
اتباعك الغر لا يحصى لهم عدد
وانت فيه بشير القوم ان يئسوا ، وانت فيه خطيب القوم انْ وفدوا
وفى يديك لواء الحمد ثم لك الـ حوض الروىّ اذا ما اعوز الثمد
لك الشفاعة عند الكرب والعرق الطـاغى وعند جحيم حرها يقد
وبالوسيلة تحظى وهى منزلة عليا حباك بها ذو العزة الصمد
وان حبّاك من ايماننا سبب من دونه النفس والاموال والولد
فبالذى اجزل النعما عليك الى يوم المعاد فلانقص ولا بدد
انعم علىّ برؤيا منك تنعشنى وتنقذ القلب منى فهو مضطهد
واشفع الى الله فى احسان خاتمتى فانني بك بعد الله اعتضد
وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :
قِفا بحمى سلع فساكنه الذى من الحادث المرهوب اصبح مُنقذى
حبيب اذا ما جاد منه بنظرة نعمت برؤياه وطال تلذذى
وان غاب عن عينى انكرت عيشتى وضاق علىّ الرحب من كل منفذ
وكيف اصطبار القلب عن وجه سيدٍ جميل بآيات الكتاب معوّذ
بنفسى شموس الصحو فى رونق الضحى على غصن بالسلسل العذب قد غذى
﴿١٤٦ الف﴾ رضيت بان يرضى بأنى عبده
وليس على ذى الصدق هذا بمأخذ

Marfat.com

وما فخر عبد لا يكون ولاؤه لاكرم خلق الله حافٍ و محتذى
واحسنهم وجها واحلى شمائلا اذا ما تثنى فى رداء و مِشَوذ
ابى القاسم المختار افضل مرسل وازكى امين للاوامر منفذ
هو الرحمة المهداة و النعمة التى بها حبّ(١) الرحمن كل موقذ
و ذو النقمات الموبقات عدوّه بكل حسام ذى غرار مشحذ
عطفه برد (٢) وروح، وراحة على كبد حرى و قلب مفلّذ
اغراضه (٣) ترمى فتصمى حشى الفتى من الضر و البلوى بسهم مقذذ
مشربه عذب لورّاده روى تقدس واستعلى عن المشرب القذى
الحوض يوم الحشر يفضل (٤) ماؤه على عسل للشارب المتلذذ
كوكبه مثل النجوم و سبقه لكل حفىّ متق متبذذ
خرج من نار الجحيم بجاهه من العصب العاصين كلّ محنّذ
سعدوا بعد الشقاء وكم له من النار من مستخلص متنقذ
كن من اضحى مطيعا لامره قبابا من الياقوت اومن زمرذ
انّه حازوا وحسن اتباعه عطاءً من الرحمن غير مجذذ
المصطفى من ولد آدم كلهم برغم عَمٍ عن رشده حائر بذى
من بشيث الى متوشلخ ونوحٍ وسام نجله وارفخشذ،
(ب) الى صلب ابراهيم و الصادق ابنه
واصبح من عدنان فى خير أنفذ

(١) فى الاصل « خبر » كذا (٢) كذا فى د وفى الاصل « لعطفه برد »
(٣) « محطا (٤) كذا فى د و وقع فى الاصل « يقصد » كذا .

Marfat.com

وخيم فى علياء كنانة وانتهى الى هاشم جار الفتى المتعوّذ
الى شيبة الحمد المعظم وابنه الـ ـذبيح الكريم بن الكريم المنجّذ
مناسب (١) فى العلياء طاب نجارها ومن يبتذر ذا اللحد (٢) بالسبق يبذذ
له معجزات ليس يدرك شأوها تتابع فيها كل ازهر اوحذ
اتى بصريح الحق ليس بكاهن وليس بسحّار ولا بمؤخّذ
بدعوته فى المحل حُلت حيا (٣) الحيا فجاد بغيث مغدق غير مشحذ
ولما دعا بالصحو اقلع غيّها (٤) واجفل اجفال النعام المفذّد
ولاح لكسرى القهر عند ولاده ومَن حوله من مرزبان وهربذ
فيا قلبُ ان رمت الغداة سلامة من الفتن الصمّ الصلاب به عذ
وان رمت عزا شاملا وصيانة وعونا على الدنيا بجانبه لذ
وان شئت ان تحيي سعيدا مهذبا بسنته الزهراء ذات الهدى خذ
عليك بها فاشدد يديك بحبلها ومن يطّرحها نابذا فله انبذ
وذر كل شيطان يخالف امرها غوىّ على احزابه متحوذ (٥)
وتابع على تحصيلها كل ناقد بصير بآفات الكلام مجرّف
يؤم احاديث الرسول فيهتدى بانوارها نحو الرشاد ويحتذى
وكن مستقيما للجماعة تابعا ومن لم يتابع سنة الله يشذ

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم .

حيّتكِ السنة الحيا من دار وكستكِ حلّتها يد الازها

(١) كذا فيهما ولعله « منابت (٢) كذا فى الاصل وفى د « اللحد » ولعله
(٣) كذافيهما ولعله حبا (٤) كذا فيهما ولعله غيمها (٥) كذا .

Marfat.com

﴿ ١٤٧ الف ﴾ و تعطرت نفحات تربك كلما

فضّ النسيمُ لطيمةَ الاسحار

لله ما ابقى الاحبة مودعا بثراك للمشتاق من آثار

لاصرّحن اليوم فيك بلوعة (١) كفلت بما فى الطلول و نار (٢)

ما كنت مبدعا فى الصبابة و الأسى حتى أوارى زفرتى وأُوارى

ما الحبُّ الاحرقة تلج الحشى اوْمدمعٍ جار لفرقة جار

ومصونة حوت البهاءَ ستورها سمراء يُطرب وصفها سمّارى

عربية الانْساب قام بحسْنها عذرى وطاب عليه خلع عذارى

زارت على بعد المسافة بعدما هوت النجوم ولات حين مزار

انّى طوت شعب الفلا وديارُها بحمى الحجاز و بالعرأق ديارى

اهلا بطيف زائر اهدى لنا ريّا ممنَّعة الحمى معطار

جادت بوصل و انثنت و محبُّها عارى المعاطف من ملابس عارى

هل وقفة للركب فى عرصاتها وله جوار فى اعز جوار

فاقبّل الحصباء منها مطفيا جمرَ الجوى (٣) منى برمى جمار

فهناك لاحَجر ولا عارٌ على ذى الحِجر فى التقبيل للاحجار

ام عائد زمنى باجدر تربة بالقصد فى اكناف خير جدار

ربعا به غرر العلى مبذولة للمشترى واللّارى للمشتار

وبه تبين للقلوب حقائق الـ اسرار بدر لم يُشن بسرار

هو أحمد المختار احمد مرسل قتّال كلّ معاند ختار

(١) كذا فى د وفى الاصل « قبل باوغه » كذا (٢) كذا (٣) د « الهوى »

Marfat.com

ندب اذابث الجياذ مغيرةً علقت بحبل للثبات مغار

﴿١٤٧ ب﴾بيمينه فى الحرب حتف الممترى

وحياتها فى السلم للمتبار

غمر الندى (١) بجلاء اعمار الورى متكفل وهداية الاغمار

جعل المهيمن فى مسامع خصمه وقراً وزان صحابه بوقار

وهو المظلل بالغمائم من اذى الـ ا سفار والمنعوت فى الأسفار

وبه تنشر حين سار مهاجرا للغار ذكر فاق نشر الغار (٢)

وانهل اكراما له صوب الحيا والقطر محتبس عن الأقطار

فضل البرية كلها ورسا به طود العلى فى هاشم ونزار

ياهاديا شدّ الآله بدينه ازرى وشدَّ على العفاف ازاري

يامن به ان عذت من سَنة حمى او زار فى سِنة محا اوزارى

يامن حِباء يديه محلول الحُبا لسناء سارٍ اولفك إسارى

لو لم يكن مدحك من عددى لما اضحى شعارى صنعة الاشعار

نشر الثناء عليك اطيب نفحة من مسك دارىّ يضوع بدارى

ملأ المهيمن مذقصدتك مادحا بيَساره يمناىَ ثمّ يسارى

ونفى بجاهك يا اعز وسائل قتر الهوى عنى مع الاقتار

وغدوت محروس الحمى من صفقة الـ اعسار عندتواتر الاشعار

حسبى رجاءً أننى من امـة بك اصبحت موضوعة الآثار

(١) كذا فى دوفى الاصل «نجم الندى» كذا (٢) الغار الثانى شجر عظام له دهن كثير المنافع واحدته غارة .

Marfat.com

انت الزعيم لها وانت سفيرها ان اقبلت من اطول الاسفار
ويزيد فيك رجاء قلبي قوةً أن صاربي نسب الى الانصار
﴿١٤٨ الف﴾ قوم حللت بدارهم فتدرّعوا
ببدارهم لرضاك ثوب فخار
فاسأل الهك لى بعشر محرّم جبرا لقلب واجف الأعشار
وشهادتى حقّ عقيب شهادة فيها الوفاق لاهلك الاطهار
وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم .
سلوان مثلك للحبّ عزيز وعليك لوم الصبّ ليس يجوز
قلبي ذلول فى هواك ومسمعى فله عن العذال(١) " فيك نشوز
يامن شأى بجماله شمس الضحى ولقدّه دان القنا المهزوز
هل للتيم فى وصالك مطمع فلعله بالقرب منك يفوز
انا عبدك الراضى برقّ فارضنى عبدا فلى فى ذلك التمييز
لاابتغى مولى سواك من الورى انى وجانب من ملكت حريز
لاعار يلحق فى هواك لعاشقٍ ومحبّ غيرك عِرضه مغموز
لا ادعى فيك الغرام مغمغما فى مثل حبك يُكشف المرموز
يا سيد الاشراف يا من حبّه فى كل قلب صادقٍ مغروز
يا خاتم الرسل الكرام ومن به حلل النبوة زانها التطريز
ذلّ المخالف على عداتك ظاهر ومطيع امرك بالقبول عزيز
ابدا وليّك لايوال مقمّصا عزا وضدك داحض معروز

(١) الأصل « اللوام ».

Marfat.com

نظم القريض بمدح غيرك نقده زَيْف و نظم مديحك الابريز
كل العروض بحسن مدحك كامل يحلى بـه المقصور و المهموز
انت المصفى من قبائل هاشم بك اصبحت للمكرمات تحوز
﴿١٤٨ ب﴾ انت الذى رفع المهيمن قدره
و عدوّك الواهى العُرى المُلموز
انت الذى بصرّتنا بعد العمى فبنور رشدك نهتدى و نميز
انت المخصص بالشفاعة للورى طرّا و انت على الصراط مجيز
برّزت فى نيل المقامات العلى و لمثل مجدك يثبت التَّبْريز
و لقد خشيتَ الله اعظم خشية فلصدرك العطر (١) الرحيب أزيز
و نصحت اذ بلغت نصحا شافيا ما فيه لا وهَن و لا تعجيز
حتى استقام الدين و ارتفعت عُمُدٌ لها فى الخافقين بُروز
فاجاب و اقترب المنيب المتقى ونأى وُصد الخاسر (٢) المحجوز
كسرت جنودُك قاهرا سلطانُها كسرى و أُنفق ماله المكنوز
و لحَزبك الاعلَون حتى يخرج ال طاغى و يمنع درهم و قفيز
و لسوف يبعثك المهيمن مقعدا فيه لك التقريب و التعزيز
اشكو اليك جماح نفس ترتمى فى الغىّ و هى عن الرشاد ضموز
مخدوعة بخداع دنيا شهدُها سمٌّ و تبدى الدُّر وهى عزوز
فتنت قلوب الخلق وهى فتيّة و دهتهم بالخدع و هى عجوز

(١) د « الرحب » (٢) د « الخائب » .

Marfat.com

انا فى حبائلها رهين الاسراذ انأ للضرورة نحوها مكزوز (١)
فاعن ضعيفا يتقى بك كيدها فلنبلها وسط القلوب حزوز
بك استجير واستغيث وارتجى أنى بجاهك فى المعاد افوز

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم

﴿١٤٩ الف﴾ ظال فى شرَ لهٔ (٢) المضايق حبسى
واستقالت (٣) من العوائق نفسى
إن ارادتْ الى المعالى نهوضا نكستها حظوظها اىّ نكس
وبعينىّ للحقيقـــة شرب عزّ وردا على حوائم خمس
ونفيس من الجواهر غال سومه جلّ ان يُباع ببخس
وارى عنه كل شئ حجابا(٤) لى ولو ناظرى وسمعى وحسى
اىّ وقت تدور كأس المعانى فى رياض البشرى بنفحة قُدس
ويهبُّ القبول من جوّه الرحـ ـب لمستوحش برَوح وأنس
وتجول الاسرار فى حَلبَـــة(٥) العلا م فتجلو من الهوى كل لَبس
ما الى ما وصفته من سبيل لأخى فطنة [بحذق] (٦) وحس
بل بماضى عناية وبعزم صادق واجتناب غير الجنس
واقتداء بشيخ صدق علىم سالك قد بنى على خير أس
قلّدته ايدىْ الولايـــة سيفاً لم تباشره كفُّ قين بمسّ

(١) كذا فى دو فى الاصل « مبروز » كذا (٢) كذا فى الاصل وفى د « دارة »
(٣) كذا فى الاصل وفى د « استقامت » (٤) كذا فى الاصل وفى د « مجابا » خطأ
(٥) وقع فيهما « حلية » كذا (٦) من د .

Marfat.com

بعد ان البسته من خلع القر ب مُلاً تعلو ملاَ الد مقس
هو عين السعد التى اين حلت من عراص(١) الدُّنيا نفت كل بخس
تابع سنة الرسول بهايصـ بح مستمسك اليدين ويمسى
[هى فى صنجة الرجال محل . لايضاهى الدُّنيا نقدا بفلس](٢)
نقد من بهرجته زيف ولوكا ن كبشر زهداً ونطقًا كقُسّ
سنة المصطفى سراج اضاءت فعلى نورها ضياءَ الشمس
﴿ ١٤٩ ب ﴾ جاء بالنور و الطهارة و الشر ع المصفّى من كل غِش ورِجس
ان اردت الزهد الصريح فمنه يقبس المتقى عفاف النفس
حين ردّ الكنوز علما بان الـ ـمال يلهى عن المعاد ويُنسى
او اردت الصبر الجميل ففيه للصبور الشكور حسن التأسى
حين آذاه اقربوه واقصو ه وهموا بقتله او بحبس
لوجزاهم بفعلهم [فلقد] (٣) كا ن عليهم جبال مكة يُرس
وهو الاصل فى التقى لم يباشر ايديا(٤) للبا ئعات بلمس
وله الصوم والوصال (٥) ولا يف تُتر فى الليل عن قيام ودرس
وله الحلم والندى و ندى القطرِ ضنينٌ فى عام محل ويبس
وله الفقر والتوكل اذلا يوجد اليوم عنده زادُ أمس

(١) كذا فى الاصل وفى د « غرام » كذا (٢) من د ويظهر ان له ارتباطا
(٣) من د (٤) كذا فى الاصل وفى د « ابدا » كذا (٥) كذا فى الاصل وفى د « الصلاة »

معدن الخوف والرعاية والخشـــية والشكر والرضا والأنس
وهو المؤثر الوجيه اذا قا ل كرام الأنام نفسى نفسى
غرس الخير للورى فلقد فا ز محبٌ جنى ثمار الغرس
فعليهِ من المهيمن ازكى صلوات برمسه خير رمس

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم:

قمْ فبادر قبيل رفع النعوش حَلْبة (١) السبق ذا إزارٍ كميش
وتدبّر خلقَ السماء ففيها عبرٌ جمةٌ لذى التفتيش
كيفَ قامت بلا عماد وفكّر فى معانى ديباجها المنقوش
زُينت بالنجوم تزهر فيها كالقناديل او كخطّ رقيش
﴿ ١٥٠ النب ﴾ جلّ من شادهن سبعا طباقا
ليس فى خلقهن من تشويش
جعل النيرين فيها سراجا وحماها من الرجيم الغشيش
وتفكّر فى خلقه الارض تنظر عجباً فى مهادها المفروش
بث فيها من كل زوج من النا س وما طار من ذوات الريش
سرحت الأنعام من رائحات سارحات ونافرات الوحوش
ضروب الزروع والنخل والاعـــناب من مهمل ومن معروش
ارسا الجبال فيها الى يو م تراها كعهنك المنفوش
اللواقح بُشرىً بسحاب بادى الوميض خشيش (٢)

(١) الاصل وفى د « حلية » خطأ (٢) كذا فيها ولعله جشيش.

Marfat.com

وكسا الارض بعد محل بُرودا من ازاهير غضّةٍ وحشيش
وإعـدّ الفلك المواخر تجريـن بنا فوق زاخر مستجيش
وهدانا بعد العمي فاتعشنا بالنّبي المبجّل المنعوش
والمصفّى من الخليل ومن سّام بن نوح وقينن(١) بن أنوش
وهو عند الطوفان صاحب نوح والخليل الرضا بنار بن كوش
وله فى المعاد رفع لواء الحـ ـمد اذ أنـه زعيم الجيوش
وهو اللأمة المجيزِ على مـتن الصراط منزلة المخدوش
كل من لم تنشه ثمّ يداه زلّ فى النار وهو غير منوش
وهو الشافع المنجى ذوى العصـ يان من قعر جاحم مخشوش
احمد الهاشمى افضل خلق اللـ ـه عبد صفا من التغشيش
﴿ ١٥٠ ب ﴾ جامع المنقبات (٢) ذوالخلق الحـ
ـمود من بعضه حـديث الجيوش
فاتح الخير والمؤيد بالاما لاك وهو العزيز فوق العريش
جاهد الجاحدين حتى أنابوا واستكانوا كالأنف المخشوش
فاستتبّ الاسلام فى الشرق والغر ب الى ان علا جبال شريش(٣)
يا غياث الملهوف يا كاشف الكر ب ويا مرشد البليد الدهيش
قيّدتنى فاوثقتنى الخطايا ورمانى الهوى بسهم مريش
حصر الكاتبان قولى وفعلى فى كتاب محبّر مرقوش

(١) كذا فى الاصل وفى د «قين (٢) وقع فى الاصل المنقبيات بلا نقط وفى د «المنقات»
(٣) كذا فيهما وفى معجم ياقوت «سريش اسم موضع» ولم يذكر «شريش»

Marfat.com

ـــــــ

اذا قيل فيك الشعر جاء مهذّبا حلى المدح ليس به تحويض
ووصفك يعطى الفهم نورا كأنه على الدُّر فى البحر الخضم يفيض
وذكرك يا مولاى ينفع (١) غُلّتى وللقلب من رجس الشكوك يموض
ويؤنسنى فى وحدتى وتفرُّدى اذا ضمّنى لحد على لحيض
اغثّى فانى فى زمان خطوبه لها بين احناء الرجال قصيص

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :

نعم إن للبرق اليمانىّ لوعةً لها بين احناء الضلوع غموض (٢)
وان لخفّاق النسيم اذا سرى على الزهر المطلول وهو مريض
لروحًا يهز الصبّ حتى كأنه يطير اشتياقا والجناح مهيض
سألتك يا من اصبحت عزماته لها فى طلاب المكرمات نهوض
تسامت مراميه فاصبحت عزماته لها
ركاب به تجوب بحر (٣) الفلا وتخوض
﴿١٥١ب﴾ اذا ما وردت الماء ماء مجنّة
وطلت عليه المطى تخوض (٤)
فعرِّض لاهليه بصبّ غرامه طويل بسكان الحجاز عريض
وقل هل لمشتاق يهيم بذكركم تمادت به الايام فهو حريض
سبيل الى عيش يقضى بقربكم وماضى شباب فات ليس يئيض
لقد شفّ قلبى الوجد نحو احبتى ومالى عنهم عائض فيعوض

(١) كذا فيها ولعله « ينقع » (٢) هذه القصيدة لم نجدها فى الديوان فبقيت فيها اخطاء فليتنبه لها القارئ الكريم (٣) كذا ولعله نحر والبيت كما تراه (٤) كذا.

فليت

Marfat.com

ولو بسطت دون الفلاة أروض (١)

قباب تغشّتها المهابة بيض

وروض لأرباب القلوب أريض

بها زمر الاملاك ليس تحيض (٢)

عراص كأن المسك فيه يفيض (٣)

وسدّد سهم الرشد فهو رميض

ومرّ الى ذات النخيل يُفيض

بكل سبيل فى الفلاة تنوض

وظل على الباب الحمام يبيض

وعندهم الأمر الحميد يَغيض

لضعف العقول الواهيات بعَوض

واجرد مأمون العثار ركوض

صقيل وقوس بالسهام مَروض

(١٥٢ الف) فكم فى عراص المعركات لخيله

صريع باطراف الرماح دحيض

واصبح روض الدين وهو غضيض

نمى الغيث خصبا و الزمان عضوض

نهرا يجرى (٣) فليس يغيض

(١) كذا ولعله العروض (٢) اى تميل و تنحرف ووقع فى الاصل « يحيض »

(٣) كذا.

Marfat.com

و الجيش (١) حقاً من اصابع كفه تدفق ما في الانام غريض
روّى الصدى من درّ عجفاء (٢) حائل تمكّن منها الهزل فهي رفيض
و ذلت له الآساد حتى اوبسا (١) على باب البقيع ربوض
فيا كاسر العدوى وجابر من سطت بسه غير الايام فهو وهيض
تجمع فيك الفضل و الفقر كله فلم يغلُ في وصف لديك قريض
صفاتك عقدٌ في القوافي مفصّل تحلى به ضرب و زين عروض
مديحك ذخر في حياتي و عدةٌ اذا حال من دون القريض جريض (٤)
علوت به في رأس ارعن شامخ فلا يطّبيني (٤) بعد ذاك حضيض
وكن لي مجيراً من خطوب لذي الحجى الكريم الى العمر الليئم تؤوض (١)

و قال يمدحه صلى الله عليه و سلم :

إن بان من تهوى و انت مثبّط و صبرت لا تبكي فانت مفرّط
فاحلل عقود الدمع في دار الهوى فلها البكاء عليك حقا يشرط
طَلُّ الدموع على ثرى الاطلال في شرع الغرام فريضةٌ لا تسقط
دار عكفت (٥) بها و فودك فاحم افتنتني عنها و رأسك اشمط

﴿ ١٥٢ ب ﴾ و اذا تمكنت الصبابة من فتىً
لم يلو عطفيه مزاحٌ يشحط
كيف التسلي عن هوى قمر له في القلب مني منزل متوسط

---

(١) كذا (٢) وقع في الاصل « هجفاء » خطأ (٣) اي الغصة والريق يغص به وهو مثل مشهور (٤) اي يستميلني (٥) كذا في د و في الاصل « علقت ».

ارضى

Marfat.com

ارضي بما يختاره طوعا ولو اضحى بما ارضى به يتسخط
لم انسه يوم التقينا باسما والصدر بالاشجان منى ينحط
فعهمت من ذلى لديه وعزه أن الجمال على القلوب مسلط
والحسن جند لايفك اسيره وقتيله بدم الجوى (١) متشحط
ومبكر جدت به عزماته نحو العلى فاغذ لا يتثبط (٢)
ورفيقه الادنى الموازر صعدة يرنه (٣) او صارم يتأبط
يطوى به شعب السباسب جلعد أجد القرى عبل السنام عملط
مرح يمور ويرتمى فى سيره مور السحاب مرعد متخمط
يطفو به آل الضحى فكأنه فلك على متن الخضم مجلفط
وإذا بدا عند الصباح لعينه قصر بذات النخل ابيض اعيط
ورأى القباب البيض دام سناؤها وانحل عنه سيره المخروط
ارسى بطيبة للاقامة كلكلا فلنعم مرساه ونعم المربط (٤)
حلت مطيته باشرف منزل منه المكارم والتقى يستنبط
فضل البقاع وشادها (٥) بمحمد فضلا كبيرا ساميا لا يضبط
هو افضل الرسل الكرام وانه لخطيبهم وهو الامام المقسط
هو خير مأمول واكرم شافع يوم القيامة جاره لا يهمط (٦)
نضبت (٧) عيون الشرك والطغيا به وغدا به بحر الهدى يتغطمط (٨)

(١) «القرى» (٢) وقع فى الاصل «يتعيط» خطا (٣) كذا فيهما بلا نقط ولعله يزنية
(٤) كذا فى الاصل وفى د «المهبط» (٥) كذا فيهما ولعله سادها (٦) اى لا يظلم
(٧) هكذا ولعله نضبت (٨) اى يضطرب ووقع فى الاصل «يتعطمط».

Marfat.com

﴿ ١٥٣ الف ﴾ وافى وشيطان الغواية فاتح

باب الضـــلال لحزبـــه متخبّـــط

يلقى زخارفـــه على اشياعـــه ويلفق القول الهراء (١) ويلغط

فكأنـــه ولفيفه فى غيّهم عشواء فى غسق الدجنّة تخبط

فمحا بنور الرشد ظلمة مكره الـ واهى فادبر خاسئا يتلبّـــط

وعلا بقهر النصر شامخ كيده فهوى وذلّ قرينه المتحمّط

كم قدّ بالبتّار من قدٍّ وكم شحطت بسهم نحوٍ (٢) طاغ شوحط

فسما به الايمان بعد خموله حتى تسنّم ذروة لاتهبط

وحباه مرسله بازكى امة اختارها النمط الاغر الاوسط

ما فيهم (٣) الاولىّ عارف او زاهد او عالم مستنبط

وغداً يكون بحوضه فرطا لهم وشفيع عاص يعتدى ويفرط

وهم الشهود على عيوب سواهم يوم المعادو عرضهم لايهبط (٤)

وهم غدا ثلثا صفوف الجنة الـ فيحاء فى سند صحيح يضبط

ازكى الورى نسبا واكرم عنصرا وامدّ كفـا بالنوال وابسط

واتمّ حلما لايجازى من أتى بالسوء عدل منصف لايفرط

ولقد تعمّق فى أذاه وكاده بالسحر خَبٌّ من يهود عشنّط

فاعيذ من كيد النوافث فاثنى فكأنما هو منْ عقال ينشط

---

(١) وقع فى الاصل «الهذاء» (٢) كذا فيهما و لعله نحر (٣) كذا فى الاصل وفى د «منهـم» (٤) كذا فى د و لعله يعبط وفى الاصل «اذ كذبوا واجورهم لا تحبط».

Marfat.com

هذا ولم يعبس له وجها ولم يُسمع له يوما كلام يسخط
وابتّ بعض المعجزات فنظمها درٌّ ثمين بالمسامع يلقط
﴿١٥٣ ب﴾ شرح الملائك صدره فى اربع
يا حبّذا ما ضمّ منه المخيط
وكذاكَ فى عشر و فى معراجه نقل الثلاثة حافظ لا يغلط
وانشق اكراما له قمر الدجى وجموع مكة بالبطاح (١) تعطعط
بقعيقعان النصف منه ونصفه بابى قبيس لامحالة يسقط
ولقد شكا يوم الحديبية الصدى جيش فتاه (٢) صريخهم لا يوهط
فسقاهم حتى رووا وتطهّروا بالماء من بين الاصابع ينبط
واتاه وفد فزارة وبلادهم بالجدب اضحت تقشعرُّ وتقحط
فنفى قنوطهم بدعوته ومن كان الرسول سفيره لا يقنط
ودعا فسحّت ديمة حتى دعا بالصحو فانجابت كثوب تكشط
وله الشفاعة فى المعاد وحوضه الـ عذب الروا وله اللواء الاحوط (٣)
وله المقام الاكبر المحمود الز لفى به يوم القيامة تغبط
هذا لعمر الهك الفضل الذى لا ريب فيه والثناء الاقسط
لمنظورة الرحمن من كل الورى يا من به فى الخطب جاشى يربط
الى رب العلى متوجه بك عند كل ملمة تتمغّط
ومن يلوذ من الورى بعظيم جاهك قدره لا يُغمط
أل لامتك الضعيفة نصرة ورخاء عيش ثم أمنا يبسط

(١) فى الاصل وفى د « بالصياح » (٢) كذا فيهما ولعله فبات (٣) كذا.

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :

عُدّتى للحياة والموت والحشـــر ونار سوداء ذات شواظ
احمدُ الشافع الوجيه ابوالقا سم ذوالحظ فوق كل الاحاظى
﴿١٥٤ الف﴾ من به بُشّر المتوّج سيفٌ
وتلاه قسٌّ بسوق عكاظ
وأتاهم بمحكم الذكر منه فنسا الوعظ حاذق الوعاظ
هو محى القلوب ماحى الخطايا قرّة العين روضـــة الحفّاظ
جاء بالحق والشيطـان تسعى بين حزب الضلالة الاوْشاظ
[دخل الشرك فى قلوبهم الغلـــف دخول النصول فى الارعاظ](١)
فاراهم ليهتـــدوا معجزاتٍ كافيـات للصبر والايقاظ
وهـــداهم الى صراط سوىٍّ مورث زينة (٢) القلوب الفظاظ
فدنا منه كل عبـــد منيب ونأى كلّ فـاجر خوّاظ (٣)
فلقد فاز من اناب وطالت حسرات المنـافق الجعّاظ (٤)
لم يزل يحسن البلاغ الى ان عُبد الله فى الذُّرى والشناظ (٥)
وشسوع الفلاة والسّيف والرمـ ـح وبثّ الصفاء بعد الكظاظ
فسمـا الدين مقبلا وتولى الـ كفر حيران رامقا بلحاظ
يا حبيب الرحمن ياشـامخ البنـــيان فى المجد يا منيع الحفاظ

(١) من د وقد سقط من الاصل (٢) كذا فى الاصل، وفى د «لبة» (٣) كذا فيهما ولعله جواظ (٤) كذا فى الاصل وفى د «الجنعاظ» (٥) كذا فيهما وكلاهما بمعنى واحد.

ياجميل

يا جميل الاخلاق ياحسن الاء راض والصفح عن ذوى الاحفاظ
ياكريم الاعراق يا افصح النا س لسانا يا اعذب الالفاظ
يا رؤفا بالمؤمنين رحيما ولأهل الفجور ذا إغلاظ
يا شفيع الأنام يا منقذ العا صّين من بطشه الشداد الغلاظ (١)
يا مغيث العطاش فى الظمأ الاكـ ـبر والناس فى صدىً وكظاظ
فى مقام فيه الجحيم اكفهرّت ثمّ ابدت تنفّس المغتاظ
﴿١٥٤ب﴾ يا نبى الهدى اغث مستجيرا بك فى الخطب دائم الالظاظ
من زمان فيه القبول (٢) لذى الجهـ ـل و وقت لذى الحجى لفّاظ
فيه للغمر نعمة وثراء واخو العلم عاجز عن لماظ
تحمّل العارفون فيه كما حمّل مستوثق البرى والشظاظ
واسئل الله لطفه فى حباء (٣) فاليه صبابتى (٤) وحفاظى
واذا ما قبرت (٥) فردا وحيداً غائب الشخص عن حديد اللحاظ
واذا النفس بالمنية فاظت بانتهاء الحياة اىّ فواظ
لاعداك السلام فى كل يوم من حبيب مواصل ملظاظ

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر عقيدته، وكان قد رآه صلى الله عليه وسلم فى النوم، وقال فقبّلت فاه وقلت اشهد أن هذا الفم الذى انزل عليه الوحى، وقال لى عليه افضل الصلاة والسلام: وانا اشهد انك ميت على الكتاب والسنة، ذكره صلى الله عليه وسلم بلفظ الماضى.

(١) كذا (٢) كذا فى الاصل وفى د «الفلول» (٣) كذا فى الاصل وفى د «فى» (٤) كذا (٤) وقع فيها «صبانتى» (٥) كذا فى الاصل وفى د «قبضت».

Marfat.com

تواضع لربّ العرش علّك تُرفع لقد فاز عبد للهيمن يخضع
وداوِ بذكر الله قلبك إنه لأعلى دواء للقلوب وانفع
وخذ من تقى الرحمن أمنا وعُدَّة ليوم به غير التقى مروّع
وبالسنة المُثلى فكن متمسّكا فتلك طريق للسلامة مهيع(١)
هى العروة الوثقى وحجة مقتد نبتُّ بها اسباب من هو مبدِع

﴿١٥٥ الف﴾ رأيت رسول الله انصح مرشد

وانجح ذى جاه كريم يشفع
واصدق رؤيا المرء رؤياه إنها لمن شبه الشيطان تُحمى وتُمنع
فقبّلت فاهُ العذب تقبيل شيّق وما كنت فى تقبيل ممشاه(٢)اطمع
وقلت له هذا الفم الصادق الذى بوحى آله العرش كان يمتّع
فبشّرنى خير الانام بميتتى على سنّة بيضاء بالحق تشرع
فها أنا تصديقا لبشراه (٣) ثابت عليها بحمد الله لا اتتعتع
بمعتقد الثبت الامام ابن حنبل ادين فهو الناقل المتورع
لئن لم اتابع زهده وتقاه فانى له فى صحة العقد اتبع
أُمرُّ احاديث الصفات كما اتت على رغم غِمر يعتدى ويشنع
فلا يلج التعطيـــل قلبى ولا الى
زخارف ذى التأويل ما عشت ارجع
اقرّ بأن الله جلّ ثناؤه آله قديم قاهر متـرفـــع

(١) كذا فى الاصل وفى د «ترجع» (٢) كذا فى الاصل وفى د «ممساه» كذا
(٣) كذا فى الاصل وفى د «لمرآه».

سميع

Marfat.com

سميع بصير ما له فى صفاته شبيه يرى من فوق سبع ويسمع
وخلق الطباق السبع والارض واسعٌ وكرسيّه منهن فى الخلق اوسع
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه وعلمه لم يخلُ فى الارض موضع
ومن قال إن الله جلّ بذاته بكل مكانٍ جاهلٌ متسرع
اليه الكلام الطيّب الصدق صاعدٌ واعمال كل الخلق تُحصى وترفع
﴿١٥٥ب﴾ فما لم يشاه الله ليس بكائن وما شاءه فى خلقه ليس يدفع
يُضلّ ويهدى والقضاء بامره مضى نافذا فيما يضرّ وينفع
وللشر والخير المهيمن خالق وابليس من أن يخلق الشرّ أوضع
ولكنه للشر اخبثُ محدث بوسواسه فى موبق الإثم يُوقع
علا عن مُعين ربُنا ومظاهر على الملك او كفوا على الغيب يُطلع
لقد برأ الخلق ابتداء من الثرى بلا مسعد فيما يسوّى ويصنع
وقال لهم ذرًّا ألست بربكم فقال بلى منهم عصىٌّ وطيّع
وسوف يناديهم جميعا اذا اتوا حفاةً عُراةً فى المعاد فيسمعوا
ويسمع سكان السموات وحيه فهم لسماع القول صرعى وخضّع
وكلّم موسى والكلام حقيقة بتوكيده بالمصدر الخصم يُقطع
ومعتقدى أن القرآن كلامه قديم كريم فى المصاحف مودَع
وقد سبق (١) الوعد للمصدّق أنه اذا جاءت الاشراط منها سيرفع
واودع حفظا فى الصدور وإنه لبالعين مرئىٌّ وبالأذن يُسمع

(١) كذا فى الاصل وفى د « صدق » .

Marfat.com

بالسنة القراء يُتلى و إنه بحرف وصوت(١) ضلَّ من يتنطع
هو السور الهادى الى الحق نورها وآيات صدق للنبيين تنفع
به نزل الرُّوح الامين مصدقا على قلب عبد كان بالحق يصدع
وليس بمخلوق و من قال عكس ما ذكرتُ له فى الناس بالكفر يقطع
﴿١٥٦ الف﴾ ولا محدث قد جاء عن سيّد الورى
حديث لمعناه اسوق واوضع
لقد قرأ الرحمن طه جميعها وآيس ايضا والملائك تسمع
ولم يخلق السبع الطباق ولا الثرى وهذا دليل ما لهم عنه مدفع
وقولهم خلق فظيع وقول من يشير اليه بالعبارة افظع
ومن كان فيه واقفيّا محيرا(٢) فذلك واللفظُ كل مبدَّع
وفى كتب الله القديمة كلّها اقول بهذا القول لا اتفزّع
ومعتقدى أن الحروف قديمة وان حار فى قولى غوىٌّ متعتع.
تبارك ربى ذو الجلال صفاته تجلّ عن التأويل ان كنت تتبع
يداه هما مبسوطتان تعاليا عن المثل يعطى من يشاء و يمنع
والواح موسى خطَّها بيمينه مواعظ تشفى من ينيب ويخشع
وكلتا يديه جلّ عن مشبه له يمين الى خير البرية يرفع
وينزل فى الاسحار فى كل ليلة كما جاء فى الاخبار و الناس هجَّع
ينادى اولى الحاجات والثوب طالبا(٣) فهل راهب او راغب متضرع

(١) كذا فى الاصل وفى د « وانه لحق وصدق » كذا (٢) كذا فى الاصل وفى د « موافقا ومخبرا » كذا (٣) كذا فى الاصل وفى د « طالعا » كذا ...

ومن

Marfat.com

﴿١٥٦ب﴾ ومن قال اثبات الصفات شناعة

فجرأته اذ عارض النصّ اشنع

وينظره الابرار يوم معادهم ويحجب عنه من الى النار يوزع

كما ينظرون الشمس لا غيم دونها لقد خاب محجوب هناك ممنّع

ولم يرْفى الدنيا من الناس ربَّه بعينيه الّا الهاشميُّ المشفَّع

محمد المخصوص بالرؤية التى غدا الطور اجلالا لها يتقطّع

وان نعيم القبر ثم عذابه لَحق فمسرور به ومروَّع

يخالف ضيقا بين اضلع من طغى ويفسح فيه للتقىّ ويوسع

ويسأل فيه الميت الملكان عن هداه فمرحوم وآخر يُقمع

ويعرف من فى القبر من زاره وإن يُسلم على الاموات فى القبر يسمعوا

ومن يقرأُ القرآن لليت مهديا يصله وبالاطعام والبر يُنفع

وقد يَسأل الاموات من ماتَ بعدهم عن الاهل من منهم مقيم ومقلع

وربى احصى خلقهم (١) ويميتهم ويبعثهم بعد الممات ويجمع

وينفخ اسرافيل فى الصور نفخةً فكل من الاجداث للحشر مُهطع

﴿١٥٧ الف﴾ وتدعى البرايا للْحساب جميعهم

فلا ظلم والميزان للعدل يوضع

وذلك يوم، فيه نور نبينا يُرفع لواء الحمد يعلو، ويسطع

ويظهر فيه جاهه بشفاعة اليها لكرب، الموقف الخلق يهرع

وينقذ فى يوم القيامة من لظى من الامّة العاصين اذ هو يشفع

(١) كذا فى الاصل وفى د « احيى ».

Marfat.com

وينصب فيه حوضه كاشف الصدى ... وذلك حوض الرواء المترع
وان له فيه مقاما مقربا ... ومقعد صدق نوره يتشعشع
ويسبق كل العالمين مبادرا ... لحلقة باب المنزل الرحب يقرع
فيدخل والشعث الخماص كأنما ... وجوههم شمس الضحى حين تطلع
وينزله الله الوسيلة رتبة ... له ليس فيها للخلائق مطمع
وقد خلق الله الجنان معدة ... لاربابها فيها ظلال ومرتع
وحور حسان ناعمات كواعب ... بها كل اوّاب حفيظ ممتّع
وقد خلق الله الجحيم لاهلها ... لبأس أذاها عنهم ليس ينزع (١)
لهم ظلل منها عليهم وتحتهم ... لامعائهم شرب الحميم يقطّع
وبعد التقاضى يُذبح الموت بينهم ... فمستبشر راض وآخر يجزع
واعتقد الايمان قولا مسددا ... واعمال صدق فى الصحائف تودع
﴿ ١٥٧ ب ﴾ يزيد بفعل الخير من كل مؤمن
وينقص بالعصيان فهو ممزع
وايماننا بضع وسبعون شعبةً ... حديث صحيح النقل لا يتضعضع
وانى اذا ما قلت إنى مؤمن ... ولا شك عندى بالمشيئة اتبع
وليس كبير الذنب مخلد مؤمن ... بنار بلى فيه النبى سيشفع
ولست ارى رأى الخوارج بل اذا ... رعى امرنا والٍ اطيع واسمع
وان جهاد المسلمين عدوهم ... لفرض وقرن الشمس فى الغرب مطلع

(١) كذا فى الاصل وفى د « ينزع ».

Marfat.com

وأمسح فوق الخفّ والمسح سنّة الى مدّة معلومة ثم اخلع
وللسحر تأثير ولا بأس بالرُّقى بامّ الكتاب او دعاء يرفّع
ولست لميّت المسلمين بشاهد أيُسقى رحيقا ام حميما يُجرع
بلى ارتجى للمحسنين سلامة وإخشى على من يعتدى اويضيّع
ولاريب عندى فى ثبوت كرامة الـ ـولى ولواضحى على الماء يُسرع
وبالحمدلله افتتاح صلاتنا لما صحّ من نقل المحقّين اتبع
ولا ارى الفجر القنوت ولا أرى علىّ اذا أذّنتُ أنى ارجّع
وانْ مرّ فى شعبان عشرون ليلة وتسع وغُمّ(١) البرج بالصوم اقطع
ومذهبنا الوسطى هى العصر فاستفد مسائل خمسا من فروع تفرّع
﴿١٥٨ الف﴾ ولست لمن فيها يخالف مانعا
ولكن خلاف فى الاصول ممنّع
وما شاع فيه من خلاف لمسلم فانى لمن يُفتى به لا ابدّع
وأشهد أن الانبياء جميعهم ومعجزهم حقٌّ وذلك يُقنع
وأن رسول الله احمد خيرهم وافصحهم عند البلاغ وابرع
على عرشه خطّ اسمه ولقد عفا لآدم اذ اضحى به يتضرع
وكان صفىُّ الله آدم طينة ،وفيه لاقمار النبوة مطلع
وأودعت التوراة غرّ صفاته فمن نعته الاحبار آمن تبع
أودعت الرهبان سلمان وصفه فكان الى اخباره يتطلع
صر برهانْ العلامات عنده فاضحى بحلباب الهدى يتلفع

(١) كذا فى الاصل ووقع فى د « عمر » خطأ.

وقد كان حملا والجباه منيرة به وسمت انواره وهو مرضع
تنكّست الاصنام عند ولاده كما نكّستها منه فى الفتح إصبع
وشبّ شبابا للنواظر ناضرا وفيه لسر المجد (١) مرأى ومسمع
لقد شرحت منه الملائك صدره وكان له من ابرك العمر اربع
وكان ابن خمس والغمام تظله وفى العشر نور الشرح فى الصدر يلمع

وفى الخمس والعشرين سافر تاجرا بمال رزان للفاوز يقطع
رأه بحيرا والغمامة فوقه ومسيرة والحر للوجه يسفع
وابصرت الكبرى فتاة خويلد ومن فوقه ظلل الغمام مرفع
﴿ ١٥٨ ب ﴾ الى ان أرته الاربعون اشدّه
فاضحى بسربال الهدى يتدرّع
ولما تحلّى بالنبوة وانتهى الى مستوٍ عنه الملائك توزع
اتى وعلى عطفيه افخر حلّة وتاج بدر المكرمات مرصّع
رأى ليلة المعراج امرا محققا ومنكر هذا الامر يخفى (٢) ويردع
وفيها قبيل الرفع اكمل صدره بشرح منير نشره متضوّع
به اظهر الله المهيمن دينه فاصبح وجه الدين لا يتبرقع
واحكامه فى الامر والنهى والشرى وفى البيع تبقى والجبال تصدّع
ومعجزة القرآن ظلت لحسنه وترتيله فى نخلة (٣) الجنّ تخضع
وللقمر المنشق نصفين معجز عزيز على من رامه متمنع

(١) كذا فى الاصل وفى د «لبر الحمد» (٢) كذا فيهما. لعله يجفى (٣) وقع فيهما «نحله»

و نادى

ونادى فلبته بمكة دوحةٌ تخدّ اليه الارض خدًّا وتُسرع
ولما دنا منه سراقةُ طالبا على فرس كادت له الارضُ تبلع
فعاذ به مستأمنا فاجاره واطلقها حتى غدت تتقلّع
وحنّ اليه الجذع عند فراقه كما حنّ مسلوب القرين مفجع
وخرّ له الناب المهدّد ساجدا ، واجفانهُ خوفا من النحر تدمع
فاطلقه من اهله فبجاهه نجا من اليم الذبح هذا الجلنقع(١)
فكيف بنا اذ نحن عذنا بجاهه من الحادث المغرى بنا فهو مرجع
﴿١٥٩ الف﴾ وخرّ له سانى الاباعر ساجدا
وكان شرودا فانثنى وهو طيّع
وعاذت به رِيمٌ ففكّ إسارها فمرت على الخشفين تحنو وترضع
ومدّ يديه والرّبى مقشعرة فما زام الّا والسحائب تهمع
فدام الحيا سبعا فمدّ لكشفها يدا غمرت جودا فظلت تقشّع
وردّت له فى الجدب عجفاء حائلٌ وبكر على نزو الفحول تمنّع
وقد كان من مدّ من التمر اومن الشـ ـعير بجوع(٢) الجحفل الجمّ يشبع
ومن لبن فى القعب اشبع كل من حوت صُفّة الاسلام والقوم جوّع
وآض ابوهرّ وقد كان آيسا من الرّى وهو الشارب المتضلّع
فاشتكوا يوم الحديبية الصدى غدا الماء من بين الاصابع ينبع

(١) كذا فى د وفى الاصل « الحايقع » ولعله الجنافع اى المسن وفيه بقية (٢) كذا لعله لجوع .

وقداصبح الماء (١) الأجاج بريقه يروّى غليل الظامئين وينقعْ
وساحت به بئر ومقلة حيدرٍ شفاها فلم يرمد لها الدهرَ مدمع
وكلّمه الصمّ الصوامت مثلما يكلمه بادى الفصاحة مصقع
وكان على شهر له الرعب ناصرٌ وريح الصبا للنصرهوجاء زعزع
وان رُمت من اخلاقه ذكر بعضها فتلك من المسك المعنبر اضوع
اتته مقاليد الكنوز فردّها وقال اجوعَ اليومَ والغدَ اشبع
﴿ ١٥٩ ب ﴾ فصحّ له الزهد الصريح بقدرة
وعلم فمن ذا منه أغنى وأقنع
وفى الحلم ما جاز مسيئا بفعله ألم يعف عمن للسّمام (٢) تجُرع
وعن ساحر جزيان(٣) رام بكيده أذاه فلم يجزه بما كان يصنع
فقال لقوم عند دِرْكِلة (٤) لهم رأوه ففرُوا آلَ ارفدة ارجعوا
ليعلم اعداء الهدى أن ديننا هو الحق فيه الامر سهل موسّع
ويستنشد الاشعار مستحسنا لها وقد كان من حسّان للمدح يسمع
ولابن ابى سُلمى اجاز وقد دعا على المدح للعبّاس نعم المشرّع
وكان له حسنُ التواضع شيمةً حباه به الرحمن لا يتصنّع
ففى بيته قد كان يخصف نعله وكان اذا ما انهج الثوبَ يرقع

(١) كذا فى د وفى الاصل «الملح» كذا (٢) كذا فى د ووقع فى الاصل «للسهام» خطأ (٣) كذا (٤) فى القاموس والتاج «هى لعبة للعجم او ضرب من الرقص او هى حبشية معربة ومنه الحديث انه مر على اصحاب الدركلة فقال جدوا يا بنى ارفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة».

ويجلس

ويجلس فوق الارض لا فرش تحته ومطعمه ايضا على الارض يوضع
دعاه يهودي اجاب دعاءه وعن دعوة المملوك لا يتمنّع
وفي الجود فاسئل عن حباء يمينه ائمة اهل النقل يا متتبع
ألم يهب الشاء الكثير عدادها لهافٍ أتاه يعتريه ويقنع
اما فضّها سبعين الفا بمجلس فلم يبق منها درهم يتوقع
وفي البأس فاسأل عنه يوم هوازن أما انهزموا وهو الكميّ السميدع
﴿١٦٠ الف﴾ وما التقت الاقران يوم كريهة
على الطعن الا وهو اقوى واشجع
لهم منه يوم السلم شرع وسنة وفي الحرب نصر والأسنة تشرع
وامّته خير القرون وخيرهم صحابته ازكى الأنام واورع
وخيرهم الصدّيق اذ هو منهم الى السبق في الاسلام والبرّ اسرع
وفي ليلة الغار افتداه بنفسه حذارا عليه من اراقم تلسع
وقاه من الرقش العوادي برجله فبات يعاني السم والطرف تدمع
واتحفه بالبكر عائشة التي براءتها في سورة النور تُسمع
وكان له صهرا وصلّى وراءه الـ نبي صلاة الصبح والصحب اجمع
وردّ فريق الردّة الزائغ الذي لفرض زكاة المال اصبح يمنع
الى ان اقام الدين بعد اعوجاجه واضحى حِمى التقوى به وهو ممرع
رجيا به بعد النبي خليفة على عقده كل الصحابة اجمعوا
بعده الفاروق مظهر ديننا باسلامه والأمرُ خافٍ مبرقع
العدويّ العبقريّ المفهّم المبصر والباب الحديد الممنع

Marfat.com

﴿١٦٠ ب﴾ خلافته صحت بعقد خليفة على فضله حزب الصحابة بمجمع
ورؤيا النبي المصطفى أنـــه على قليب غزير الماء بالغرب ينزع
و تأويل هذا ما سمعت فتوحه وعدل له بين الانام موزع
له العلم و الحكم السديد و صحة التـــوكل وصف و التقى و التورع
و عن زهده فاسئل خبيرا ألم يقم خطيبا عليهم و الازار مرقـــع
و من بعده عثمان من كان فى الدجى يرتل آيات الكتاب و يركع
يرتله فى ركعة و هو الذى له كان فى رق المصاحف يجمع
و زوجه الهادى ابنتيه كرامةً ولو كنَّ عشرا لم يكن بعد يمنع
و اعطاه سهما يوم بدر و لم يكن و بايع عنه نائبا حين بويعوا
و سبَّل بئرا ماؤها ينقع الصدى و جهز جيشا و هو بالعسر مدقع
و قمصه الرحمن ثوب خلافة بوعد النبي المصطفى ليس يخلع
و من بعده الهادى علىّ بقوله الســـديد اذا ما اشكل الامر يقطع
اذا ذكر الراوون صحب محمد يكون له فيهم خصائص اربع
إخاءٌ مع المختار و هو ابن عمه وسبطاه و الزهراء فضل منوَّع
و اعطاه خير الناس اشرف رأية وكان له بالفتح و النصر مرجع
و لو شاء ان يرقى السموات اذ له على كتف الهادى البشير ترفع
امام بطين فى العلوم و إنه من الشك و الشرك الخفى لأنزع
﴿١٦١ الف﴾ ومن بعدهم خير الصحابة ستة لهم بالجنان المصطفى كان يقطع
فذكرك منهم طلحة الخير شائع وقولك فيه طلحة الجود اشيع

ويعرف

Marfat.com

ويعرف بالفياض اذ جود كفه اعمّ من البحر الخضمّ و انفع
فكم مائتى الف على الناس فضّها عليهم بها فى الضائقات يوسّع
ويمناه شلت يوم احد لدفعه بها عن نبى الله لا يتزعزع
و ان الزبير الفاتك الشهم منهم لشد رجال الحرب بأسا و امنع
و فارس بدر و ابن عمة سيد الـ ورى و الجواد المنفق المتطوّع
حواريّه و هو الذى باختياره لرأيته العلياء فى الفتح يرفع
و منهم امير الحرب سعد بن مالك و افضل من رام عن القوس ينزع
و ثالث ارباب الهدى و دعاؤه اليه من الله الاجابة تسرع
و كان له خالا و اول (١) من رمى بسهم له فى عصبة الشرك موقع
و منهم سعيد خصّه سيد الورى و اخّره عذر عن الغزو يمنع
بسهمٍ و أجرٍ يوم بدر و قد غدا كمن هو فى بدر كمىٌّ مذرّع
و ان ابن عوف منهم المنفق الذى بانفس مال لم يزل يتبرع
﴿١٦١ ب﴾ ومنهم امين الامة الثبت عامر فيا لفتىً فيه غناء و مقنع
و ابطال بدر فضلهم غير منكر بافخر ثوب فى الجهاد تدرّعوا
و فى بيعة الرضوان فضل لأهلها و تفضيل اهل البيت ماليس يُدفع
و ازواجه فى جنة الخلد عنده بهنّ مع الحور الحسان يمتع
و للفضل ايضا فى معاوية اعتقد ردافته تفضيلها ، لايضيع
هو الكاتب الوحى الحليم و اخته مع المصطفى فى جنة الخلد ترتع
و كلّ صحابى رآه ففضله على غيره فى نيله ليس يُطمع

(١) كذا فى الاصل و فى د « افضل » .

Marfat.com

ولا ابتغى التفتيش فى ذكر ماجرى لاصحابه خاب الغوىّ المشنع
فيا طالباً ارض الحجاز اذا انطوى له اجرعٌ منها تعرَّض اجرع
يحاول اسباب العلى فى طلابه فيوجِف فى البيد الركابَ ويوضع
اذا بلغت سلعا مطاياك غدْوةً ولاح لها من ارض طيبة مرتع
فذلك مأوى العلم و الحلم و الهدى و فيه لمكنون الحقائق منبع
لأن به خير الانام محمدا له كل (١) الفضائل تجمع
فقل يا رسول الله انت نصيرنا على فتن فُتّ وقتنا تتقرع
﴿١٦٢ الف﴾ بك السنَّة المثلى عرفنا وانكرت قلوب عليها بالغباوة يطبع
بتسليمنا فيها وَعينا وفرقة الـ ـهوى قلَّدوا فيها العقول فلم يعوا
فسل ربك الرحمن أن لايزيلنا عن السنة المثلى وانت مشفع
عليك سلام الله ما اعقب الدجى صباح وما لاحت بوارق تلمع

وقال رحمه الله يمدحه صلى الله عليه وسلم بالاشارة:

نفسى الفداء لبدر تمٍّ بازغ سامٍ على غصُن الجمال النابغ
لايعترى نقصُ المحاق كماله كلّا وليس قوامه بالزائغ
يهتز فى حلل المواهب مائسا فى ظل قرب للجلالة سابغ
غصن النضارة نشره متعطر ريّان من ورد المزيد السائغ
اهدى له الرحمن احسن صبغة فتبارك الرحمنُ احسن صابغ
بلغت عنايته به دما لم يكن احد اليه من الانام ببالغ
صفت القلوب بوده اذ أطفات انوارُه نار العدوّ النازغ

(١) سقط هذا البيت من د« و لعل الساقط انواع » او نحوه.

قعمت جيوشُ النصر تحت لوائه بالقهر كلَّ مبارز ومراوغ
يا منْ تجمعت المناقب كلها فيه فلم يدركه وصف مبالغ
ومن ا لتسى ثوب البهاء محبّة تبّا لقلب من ودادك فارغ

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم:

اليك رسُول الله اشكو تخلّفى ، وشدّة تقصير بقلبى مُجحف
وفقد خشوع للفوائد جالب وأعظم من فقد يه فقد تأسفى
﴿١٦٢ب﴾ اذا لمعت للرشد فى القلب لمعةٌ تغمدّها سدفُ الحجاب فتختفى
إلام وقد اكملت ستين حجةً الوث على ذلّ النقيصة مِطرفى
وحتّام انهى النفس عن شهواتها وتَضمن لى ان لاتعودْ فلاتفى
وأزجرها عَن غيّها وجِماحها فتخدعنى منها بوعدٍ مسوّف
اغالى بها فى سَومها فتردّنى ، الى ثمنٍ بخسٍ زهيد مطفّف
اغثنى فقد ضاقت علىّ مذاهبى وانت ملاذ للرَوع المخوّف
اجرنى اجرنى ياحِمى كل عائذ ويامِلجأ الجانى وغوث الملهّف
قصدتك ياخير البريّة كلها وافضل مبعوث واعدل منصف
واكرم مقصود وانجح شافع وارحم خلق الله بالمتعطف
تسأل فىّ اللهَ فارحم تضرعى وذلَّ خضوعى واستعار(١) تلهفى
قصدتكَ علما أنِ جاهك كانفٌ لجارك قصد الهاتف المتخطّف

(١) كذا.

Marfat.com

فخذ بيدى يا عُدَّتى عند شدّتى وصلّ وتعطف يا كريم التعطّف
وكن لى فى الدنيا شفيعا فانّنى لأرجوك فى الاخرى لحشرى وموقفى
ألست سليل الغرّ من آ ل هاشم اولى الكرم الهامى على كل معتفى
بك اكتست الآباء فوق فخارهم فخارا و من يفخر بمثلك يكتف
وكنت نبيّا قبل آدم مصطفى كريما لحقّ انت خيرُ من اصطفى
و منك اكتست اعطاف طيبة حُلَّة من الفخر لا اهداب برد مفوّف
ففاقت جميع الارض نورا و بهجة وعَرْفا به لولاكَ لم تتعرّف
و لولاك ماحنّت اليها على الوَجى ركائبُ تطوى نفنفا بعد نفنف (١)
﴿١٦٣ الف﴾ ضوامر من طول السرى برّحت بها
البرى وبراها الحثُّ من كلّ مُوجفْ
عليها رجال فارقوا خفض عيشهم فماصدفتهم عنك زهرةُ زخرف
يؤمون ربعاً منك بالنور آهلا يرومُون منك الفضل ياخير مُسعف
و ادركت الانصار اوسٌ وخزرج بك النصر لا بالسمهرىّ المثقّف
لك المنّة العظمى عليهم اذ اهتدوا بنورك للدين القويم المخفّف
بدت ليلة السبعين انجم سعدهم بيدر تمامٍ منك غير مكسّف
و حازبك الاعيانُ من نقبائهم مناقبَ عزٍّ نورها ليس يختفى (٢)
دعوتهم نحو الرشاد فبادروا سِراعا لما تدعو بغير توقّف

(١) سقط هذا البيت من د و وقع فى الاصل «ثقيفا بعد ثقيف» خطأ (٢) كذا فى الاصل وفى د «ينطفى».

فاضحوا

Marfat.com

فاضحوا جميعا قد تألف شملهم على طاعة الرحمن خير (١) تألف
وامتك المرحومة الوسط التى سمت قبل(٢) اجتازت كمال التشرف
اتيتك ياخير البرايا بمِدحـــة اطاعت قوافيها بغـــير تكلّف
عليها بَهاءٌ من ثنائك باهر شهىّ الى قلب المحبّ المشغف
ولو لم تكن جاءت بمدحك سنّةٌ لقصّر عنه هيبةً نظمُ وُصّف
مدحتك ابغى الفضل منك واجتدى نوالك فاجبر كسر يحيى بن يوسف
فلى حرمةُ الاسلام والشيب والذى ادين به من ســـنّة لم تحرّف
ورؤياك فى الدنيا واخراى يالها منًى إن انل اسبابها اتشرف

(١٦٣ب) وحجّ الى البيت المعظم فى غنًى وعافية واضمم عيالى واكنف
وتجديد تسليمى عليك مواجها وتعفير خدّى فى الثرى المترشف
وخاتمة الاعمال بالفوز والرضا ومن يُكف عقبى السوء فيها فقد كفى
عليك سلام الله غضّا مجددا منوطاً بتسليم جديد مضعّف
لعترتك الغرّ الكرام وصحبك الـ افاضل أهل السبق فى كل موقف
وازواجك اللاتى كملن طهارةً وبرّأهن الله من إفك مُرجف

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :

لولا شذًا من نشركم ينشق ما حنّ نحو المُتهم المُعرق (٣)
ولا صبا فى الصبح نحو الصبا ولا اثارت شجوَه الاينق
فالربوع بعدكم بهجة ولا لروض ناضر رونق

---

(١) كذا فى الاصل وفى د « اى » (٢) كذا فى الاصل وفى د « فيك » ولعله بك .
(٣) فى دوفى الاصل « نحوك مستهام معرق » كذا .

Marfat.com

انتم معانيها فان غبتموا فليس فيها حسن يرمق
لولاكم ما هاجنى بارق ولا شجانى بالحمى ابرق
ولا لوى لى عنقا فى الفلا عيسٌ اذا جدَّ السرى العنق
ما عرَّض الحادى بذكراكم الا وسمعى نحوه يسبق
ولا سرى ركبٌ الى ارضكم الا تلاه قلبى الشيِّق
فُكُّوا اسيرا لكمُ مُوثَقا عليه فى حفظ الهوى مَوثِق
فؤاده قيّده حبُّكم وجسمه بين الورى مطلق
قد كنت من قبل النوى إن جرى فراقكم فى خاطرى افرق
﴿١٦٤ الف﴾ وكنتمُ نصبا لعينى فهل طيفُ خيال منكمُ يطرق
احببتكم طفلاً وقد اخلقت شيبتى والودّ لا يخلق
أنّى اشوب الآن (١) صفو الهوى وعارضى قد شاب والمفرق
يليق بى صبرى على حكمكم ولكن (٢) العطف بكم اليق
هل عائد لى والمُنى ضلّةٌ ظلّ وورد سائغ رنّق
يا أرضَ نعمان ووادى مِنى والخيف لو ان المنى تصدق
وهل بذاك الشعب لى وقفةٌ فى حرم انواره تُشرق
وربّة الستر لنا تُجتلى وعودٌ وصلى مثمرٌ مورق
واكبر الآمال لو ضمّنى بسفح سلع مَربعٌ مونق
فبالقباب البيض لى مطلب عرف الرضا من تربه ينشق

(١) كذا فى دو فى الاصل « الا رض » كذا (٢) كذا.

نحجب بالعزّ لا بالظُبا به سناه لا القنا مُحدق
تقطع بالاشواق ارواحُنا اليه ما لاتقطع السبَّق
حاز كنوز الفضل بالمصطفى ذاك الجناب العَطِر المشرق
وكُلّ فجٍّ أرجٍ بالتقى فانه من طِيبه يُعبق
اتى بدين قيّم واضحٍ بين ضلال وهدى يُفرق
ينمى ويزداد ودينُ العِدى أئمة الزيغ به تمحق
كذلك الحقّ اذا ما علا على محالٍ باطل يَزهق
طوى الطباق السبعَ حتى انتهى الى مقام قطُّ لا يُلحق
قام مقاما لو دنا غيره منه لأضحى بالسنا يُحرق
﴿١٦٤ ب﴾ وعادليلا وأساريرُه بنظرةٍ قدسيةٍ تبرُق
يا ويل من كذّبه بعد ما كان أمينا فيهم يَصدق
لو لم يقل إنى رسول أما شاهدُه فى وجهه يَنطق
سبحان من صوّره صورةً اكمل معناها الذى يَخلق
كأن فاه باسما ناطقا بجوهر الغوّاص مستحدَق
فالشفة الياقوتُ واللؤلؤ الـ رطب الثمين الثغر والمنطِق
جبينه الصبحُ ومن فوقه الفرع الدجىّ والفلك المفرَق
كأنما قد صِيغ من فضّة بنانُه والكفُّ والمرفق

وخصّه بالخُلُق المرتضى سمحٌ حليم خاشع مُشفِق
يسمو ويعلوه بهاء اذا ما قال والتوقير اذ يَطرق
كان على الاعداء ذا قوّة وبالذى يبغى الهُدى يَرفُق
فى صلب نوح كان مستودعا فهو على الامواج لايغرق
وصلبُ ابراهيم من اجله له ضرام النار لاتحرق
[وكان من معجزه أن غدا ماء رِوًا من كفّه يدفق] (١)
كما حوى كفّاه تَمرا بـــه اشبع جيشا ضمّه الخندق
ومرود (٢) الدوسىّ فاعجب له اذ زودت من تمره الاوسق
فرسانُه اخنت على فارسٍ فزال عنها التاجُ والمنطق
وجاهه متصلٌ بعد ما يصعق بالنفخة من يصعق
غداً له الحوض وفى كفّه لواء حمدٍ شامل يخفق
وهو شفيع منقذ فى غـــدٍ مَن بالخطايا فى لظًى موثق
﴿١٦٥ الف﴾ يامن له فى منصّات العُلى وفى البرايا نسبٌ مُعرق
وتَعرف الخضراء آثاره وتعرف الغبراء والمشرق
ووصفُه يعجز عن حصره نظما ونثرا ماهرٌ مُفلق
قد مسنى الضرُّ وما لى سوى جاهك اسباب بها اعلق
كن لى مجيرا فى زمانٍ به قوارعُ اسهمها ترشق

(١) من د ولابد منه ليرتبط بما بعده (٢) كذا فيهما والصواب مربد والقصة مشهورة.

Marfat.com

وَاسأل لى الرحمن رَوحا اذا ضمَّ عظامى برزخ ضيّق
ورَحمةً توصلنى جنَّة لِبأسُها الفاخر استبرق
لا زال فى ربعك املاكــه سبعون الفا حوله تَحدق
تهدى الى تربك طول المدى توافح المسك به تفتق

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم:

يارّبة الستر لا انجابت غواديكى عن جومغناك اويخضرُّ واديكى
وزدت فى كلِ صُبح عزةً وسناً ولا خلا من رجال الحىّ ناديكى
لازال مربعك الدانى الظلال حمًى رحباً لعاكفك الناوى(١) و باديكى
وانت ياعذبات البانى لابرحت تهيج اشواقنا الحانُ شاديكى
وماس من كل غصن منك من طرب عِطف وتهت دلالا فى تهاديكى
ويا هياه الحمى لازلت طيّبــة يروَى بشرب الزلال العذب صاديكى
ويانسيم صبا نجد لقد عرفت روحى بمسراك وهناً عرف مهديكى
﴿١٦٥ب﴾ويالياليناَالله عيش هوىً مع البدور تقضَّى فى دياريكى
ويا فوارط ايامى بخيف منًى لو كان يُفدى زمانٌ كنت افديكى
ويارسائل وجدٍ لا ابوح بها الى الاحبة عنّى من يؤديــكى
اخفيك من عذَّلى صونا ومكرمة بل المدامع والانفاس تبديكى
ويا ركاب الحجاز القُود لانقبت من السرى ابدا اخفافُ ايديكى
ولا عدلت عن النهج القويم ولا مالت الى غير احبابى هواديكى

(١) كذا فى دو فى الأصل البأوى و لعل الصواب الثاوى.

Marfat.com

كم ذا التمادى دعى التعليل وابتدرى ... الى الحمى فعنائى(١) فى تمادينكى
و يا قباب حمى سلع حويت علىً ... وفى بما اسلفت عندى ايادينكى
فتحت بالرشد لى عينى بعد عمىً ... واسمع السرمن قلبى مناديكى
حق علىّ أوالى من بك اعتلقت ... اسبابه و اعادى من يعاديكى
انى و ان تك اضحت عنك نازحة ... دارى لأ رعى بظهر الغيب وُاديكى
لازال سكانك القُطّان (٢) فى دَعة ... وفاز رائحك السارى و غاديكى
و انت لاتجزعى يانفس من بدعٍ ... مضلّةٍ و رسولُ الله هاديكى
اجارك الله لو لا درع سنّته ... لكان سهم الهوى الفتان مرديكى
لا تخلفى مو عدى فى حفظ منهجها ... فلست اخلف فى حفظيه و عدَيكى

﴿ ١٦٦ الف ﴾ و قال يمدحه صلى الله عليه و سلم .

ياحُداةَ الركب الحجازىّ ميلوا ... فبنعمان للركاب مقيل
فاريحوا فيها المطايا قليلا ... من وَجاها فقد براها النحول
و انزلوا الخيف من مِنًى فيه ظلٌ ... للامانى للنازلين ظليل
و استقلوا نحو الاباطح إن كا ... ن الى رَبّة الستور سبيل
بابى ذلك الجناب فوجدى ... و غرامى به عريض طويل
داره طال ما تبلّج فيها ... للحبين وجهُ عطفٍ جميل
عشت فيها مع الاحبة حينا ... لم يَرُعْ مسمعى لديها عذول
ثم غارت يد الجلال فصانت ... عزّة (٣) ربعها فعزّ الوصول

(١) كذا فى د و فى الاصل «فعتابى» خطأ (١) كذا فى الاصل و فى د « الاقطاب».
(٣) كذا .

Marfat.com

غير أنّى على المودّة لا الطر ف نسىء و لا الفؤاد مَلول
اتمنّ الدنو منها وقد حا ل عن القرب وعرُها و السهول
ليس منا سمراءَ دون حماها ذبّل السمر شرّعا و النصول
ذاتُ خدٍ رِلها البهاء وِشاحٌ ولها العزُّ و السنا اكليل
ليس فى تربها لذى العزّ و السلـ ـطان الا الخضوعُ و التقبيل
هل لظمأن نحو منهلها العذ ب وِردٌ بـه يبُل الغليل
يوم تضحى وُ للنياق حنين فى رُباها و للجياد صهيل
واذا ما سرت لها نحو سلعٍ خببٌ تارةً و طوراً ذميل
ترتمى فى الفلا لهاالشوق حادٍ ولها نشرُ من تحب دليل
فلها اليمنُ و السعادة والنصـ ـرة و البشر و الرضا و القبول
(١٦٦ب) بجناب رحبٍ حوى كل فضل و فخار مذحلّ فيه الرسول
احمد الهاشمى اكرم خلق الـ ـله اصلاً اذا تعدّ الاصول
شيبة الحمد جدّه هطل الغيـ ـث به و الربيع وانٍ كليلُ
رُسّل من هاشم بن عبد مناف كاسر الجوع و الجدوبُ تصول
نسب حلّ فى قريش ذراها دون مرساه شامةٌ و طفيل
فاز فيه بنو كنانة من عد نانُ مجـدًا بناه اسمعيل
لقد طابَ و المهيمنِ ربى منبتٌ (٤) اصله الخليل الجليل
لعمرى به قُريشٌ استفادت شرفا لم ينله قبلُ قبيل

(٤) فى نسختهما « منيب » خطأ .

Marfat.com

وصفه المرتضى لموسى وعيسى بيّنته التوراة والانجيل
وبه احسن البشارة شعيا وعزير وبعده حزقيل
واهتدى تبّع بما بيّن الاحـ ـبار من نعته الذى لا يحول
وتصدّى كعب لآل لؤىّ ولديه شبّانها والكهول
قبل خلق النبى بالحقب الخمـ ـس خطيباً وهو اللبيب النبيل
ذاكراً مبعث النبى وودّ النـ ـصر لوكانت الحياة تطول
وجلاه لشيبة الحمد سيفٌ لحلاه وما اليه يؤول
ولقد قام فى المواسم قُسٌّ شاهداً أنه نبى رسول
ورأى الراهب النبوة قد لا حت عليه كأنها قنديل
اذ رأى فوقه الغمامة ظلًا ويميل الظلال أنّى يميل
﴿١٦٧ الف﴾ ولنعت الرهبان افضل عهادٍ كان سلمان فى البلاد يجول
فرأى عنده العلامات حقًّا فاغتدى وهو قابل مقبول(١)
وكفاه من الفخار مقام كان فى القرب دونه جبريل
وهو الخاتم المخصّص بالتكـ ـليم والرؤية الحبيب الجليل
ياحبيب الرحمن انت المرجّى والوجيه المشفّع المأمول
قد قصدناك فى حوايج فاسأل ربك اليسر فهو نعم الوكيل

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :

الا يارسول الله ياخيرَ مرسَل تخيّرك الرحمن للرسل خاتما

(١) كذا فى دوفى الاصل « قاتل مقتول » .

Marfat.com

وريا من اذا المشتاق ابصر وجهه فان له البشرى وان كان نائما
تعطف على ضعفى برؤية وجهك الـ كريم فرؤياه تحطّ المأثما
ولست باهل لاجتلاء جماله ولكن فقير يسأل البرّ راحما
وهذا ربيع ابرك الاشهر الذى ظهرت به فى طالع السعد قادما
كساك به الله المهيمن حلة الـ جمال وقلّدت المهابة صارما
فهب لىَ فيه خلعة الفوز والرضا برؤياك يا من كان بالحق حاكما
وسل لى رب العرش منه (١) معونة من الله تغنينى اذا كنت عادما (٢)
﴿١٦٧ب﴾ وسل لعيالى صونهم وصلاحهم عسى ان يكونوا صالحين اكارما

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :

اذا صار قلبُ العبد للسرّ معدنا تلوح على اعطافه بهجة السنا
وان فاته المعنى علته كثافة (٣) واصبح فى افعاله متلوّنا
وعُدِت بامر ليس عندى رِيبةٌ ، ولاشكَّ فيمن قاله متيقنا
وكنت اظن الاربْعين مَظِنة اوعدى فجازتنى ولم ابلغ المنى
واربت على الستين مدةُ عيشتى . كذلك لم اعرف لنفسى موطنا
ان كان ما ارجو قداصبح (٤) واقعا فكل الذى لاقيت اصبح هيّنا
والاّ فيا حزنى وطول ندامتى وحقٌّ لمثلى ان يهيم ويحزُنا
وما عاقنى الاهوىً يحجب الفتى عن الخطّة المثلى ويورثه العنا
لكان يمحو العذر زلتى التى حرمت بها الأمَر الذى لى عينا

(١) كذا فى دوفى الاصلى « فى هذا الخميس» (٢) كذا فى د وفى الاصل «عازما»
(٣) كذا فيهما ولعله كآبة (٤) كذا فى لاصل وفى د «وأمل» خطأ .

فها انا منها تائب متنصل الى الله ذى السلطان والعز والغنى
وإنى اليه خاضع متوجه باحمد ازكى شافعٍ لفتًى جنى
محمد المختار من آل هاشم نبيا رسولا للصواب مبيّنا
﴿١٦٨ الف﴾ له الجاه والزلفى اذا قيل من لها فقال مجيبا دون كل الورى أنا
فينجى جميع الخلق من كرب موقف به كلّ وجه للهيمن قد عنا
و تنقذ من نار الجحيم عصاتنا شفاعته ممن اسرّ واعلنا
و فى هذه الدنيا فان بجاهه علينا لظلًا شاملًا طيّب الجنى
و فى كل يوم اثنين يُعرض كسبنا عليه وفى يوم الخميس مدوّنا
فما كان من خير فيحمد ربه وما كان من سوء فيسأله لنا
فياخير مبعوث الى خير امة به اصبحت فى الخلق شامخة البنا
اجرنى فمالى غيرك اليوم ناصرٌ على كيد غاوٍ شره قد تبينا
طليعته نفسى و سلطان جيشه علىّ هوًى يلقى اللبيب مفتنا
فخذ بيدى يا امنع الناس معقلا واعظمهم جاها واقوى تمكّنا
ولا تدعنّى نهبة لجنوده وكن لى بحسن الحفظ منه محصّنا
فانت عمادى فى حياتى وعُدّتى لموتى و ذخرى فى المعاد اذا دنا
سقى جدثًا رحبا حللت بجوّه فاصبح للاحسان والحسن معدنا
﴿١٦٨ ب﴾ غمائم قربٍ تكسب الروح والرضا فينبت روض الأنس فيه فيجتنى

و قال يمدحه صلى الله عليه و سلم :

الا يا رسولَ المليك الذى هدانا به الله من كل تيه

Marfat.com

سمعت حديثا من المسندا ت يسرُّ فؤاد الفقيه النبيه
رواه ابن ادريس شيخي الذي اس تقام على منهج يرتضيه(١)
باسناده عن شيوخ ثقاً تٍ نفوا عن حديثك زُور السفيه
ومعناه أنَّك قلت اطلبو ا حوْايج عند حسان الوجوه
ولم اراحسن من وجهك ا، بكريم فجدلى بما ارتجيه
فجاهك جاهٌ عظيمٌ ولم يخب من رجاجاهَ مولىً وجيه
وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :
اقلّ عثراتى واعفُ ياحسنَ العفو عن العمد(٢) من مسطور ذنبي والهفو
وصفِّ من الاكدار قلبي و اهدنى من البرّ و التقوى الى المورد الصفو
فكم لى من سوء اجتراح نسيته واحصاه محروس الحفاظ من السهو
شقيت به ايام امرح فى الصَّبا و اسحب اذيالَ البطالة و اللهو
فيا ملكا زان السماء بانجم على الفلك الأعلى طفت احسن الطفو
وسخَّرَ ما بين السماء و ارضه سحائبَ يخفو برقُها احسن الخفو
﴿١٦٩ الف﴾ وابقى على شمس النهار ضياءها و خصّ بنقص آية الليل بالمحو
ولما دحى الارض اقتدارا وحكمة على الماء ارسى الشَّم فى أثر الدحو
اغثني بتوفيق ينوّر باطنى ويَنحو الى الخيرات فى ارشد النحو
فانى مقرّ أنك الله ربنّا تعاليت عن شرك الطغاة اولى العدْو
برأت جميع الكائنات بقدرة على غير امثالٍ تُضاهَى و لا حذو

(١) كذا و لعله ارتضيه ولم اجد هذه القصيدة فى د (٢) وقع فى د « الغمد » خطأ
البيت فى الاصل مخبوط .

Marfat.com

تميت و تحيي و المقادير كلُّها بامرك فى مُرّ الصروف و فى الحُلوْ
و اعددت جنات النعيم لأهلها لترحمهم و النار اعددت للسطو
و أرسلت بالحق المبين محمدا اجل الورى من حاضرين و من بدو
و شرّفت فضلا آله و صحابه فبعدا لقلب من محبّتهم خلو
فلا تُخزنى يوم الحساب ونجّنى بفضلك من نار تلظّى بلاخبو

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم:

علّلْ العيسَ و حَثحثها قليلا علّها تُدرك من سلع مقيلا
و اجلْ ذكر الحمى فى سمعها فبه تَطوى الفلا ميلا فميلا
سرْ بها القصد اذا ما قترت فاذا ارتاحت فسيرّها الذّميلا
﴿١٦٩ب﴾ فهى ان حنّت الى اوطانها مدّت الاعناق تأتمُّ الدليلا
حلّت البيد مراحا بدنا فكساها طول مسراها النحولا
عدها الزجر و عِدها إن ونت من شعاب المنحنى ظلاّ ظليلا
بابى ما حملت اكوارها من رجال تحمل الخطب الثقيلا
كل شهم ثاقب الفهم اذا حلّ ربعا للعُلى رام الرحيلا
يطلب الغاية منها لا يرى دونها مرمًى و لا عنها عُدولا
ايها المزجى رِكابا و اصلت بكرةً قطعَ الفيافى و اصيلا
كلّما خافت كلالاً جرّدت سيف عزم لا ترى فيه كُلولا
حتى بالبطحاء حيًّا اصبحوا بدوام الذكر فى قلبى نُزولا
و اذا وافيت سلعا و بدا نورُ ذاك العَلَمُ الهادى السّبيلا

Marfat.com

عفّر الخدّ وقبّل تُربة حلّ فيها اكرم الناس قبيلا
حجة الرحمن مفتاح الهدى احمد المبعوث بالحقّ رسولا
جُدِّد الايمان اضحت جَدَدا بسنا انواره بيضا سهولا
ونجوم الدين زهرا لاترى ابدَ الدهر لساريها أُفولا
هديه يهدى التقى للمهتدى ، وهداه يورث العِلمَ الجهولا
لم تزل انسابه ساميةً فى قرون سلفت جيلا فجيلا
من لدن آدمَ حتى هاشمٍ فهو خير الناس ان عَدُّوا الاصولا
خصّه الله باصحاب فَنوا (١) بالقنا فى نصرة المجد الاثيلا (٢)
ذبحوا (٣) الكفر فاضحى بهم كُلّ صعب من بنى الشرك ذلولا
(١٧٠الف) لبسوا درع التقى سابغةً وانتضوا للمجد صمصاما صقيلا
غرر الاحياء ضاهوا بالنوا لَ الحيا طَولا وجازوا النجم طُولا
منهم الصدّيق اولاهمْ به اذ هو السابق قوّالا فعولا
لو اراد المصطفى من صحبه خِلّا اختار ابابكر خليلا
ثم لوكان نبيّا بعدهْ اصبح الفاروق بالأمرِ كَفيلا
وارتضى عثمان من اصحابه لابنتيه كفؤا برا (٤) نبيلا
وكسى عِطفى علىّ جُلّة لا تُضاهى حين اعطام البتولا
ولاهل البيت منه شرف وهو فى الآيات باقٍ لن يزولا

(١) كذا فى الاصل وفى د« قنوا »(٢) كذا فيهما(٣) كذا فى الاصل وفى د«وجوا» لعله وجأوا اى ضربوا (٤) كذا .

Marfat.com

وبه آمنةٌ نالت من الفضـ ـل والفخر منالا مستطيلا
يا رسول الله يا من مدحُه في القوا في اقومُ الالفاظ قِيلا
مسّني ضرّ غطـاء ساتر من ذنوب عادرت قلبي كليلا(١)
انا منها تائب مستغفر فاسأل الرحمن لي صفحا جميلا

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :

يرى صوبُ الحَيا الهـامي فاحيا مرابع بالحمى غزّت عليّا
مررت على رباها بالعشايا فيكسوها من الازهار وشيا
اذا نُشرت مطارفُه عليهـا طوت عنها (٢) برود الجدب طيّا
تعلّق حبها قلبي فاضحت احبَّ الارض فيَ الدُّنيا إليّا
وساكنها احبُّ الناس طرًّا الى قلبي واحظاهم لديّا
فقلّ لعيشة قضيَّت فيها فداء كل شيء في يديا
﴿١٧٠ب﴾ شربت بها من المُعنى كؤوسا يصول بها الوقار على المُحيّا (٣)
اذا ما خالطت سرّا مصونا سمت عزماته فوق الثريّا
وما حيّا نديمُ الشَّرب ميّتا بها الّا غدا في الحال حيّا
مبرقعة المحاسن ما اجتلاها بخيلٌ عدَّ رشد الجُود غيّا
وتأنف ان يُلمَّ بها جبانٌ يرى احجامه في الحرب بُقيا
ولكن مَن رأى الامساك فقرا وعدّ الموت في العلياء حيا

---

(١) وقع هذا البيت في الأصل متأخرا عما بعده خطأ فقد مته عليه كما في دليستقيم الكلام (٢) كذا في الاصل وفي د «عنا» كذا (٣) كذا في الاصل ووقع في د «الحميا» خطأ .

Marfat.com

حقائق ليس فيها من نصيب لمن لم يتبع السَّنَن المُهيّا
شرائع سنّها خير البرايا واحكم عَقدها امرا ونهيا
فبكيف يزيغ عنها ذوتقاةٍ وقد نزلت من الرحمن وحيا
على المختار احمد خير هادٍ وازكى الناس اخلاقا وهديا
حوى قصب السباق الى المعالي فرتبة فضله فى السبق عَليا
تبيَّن فضله والناس ذرٌّ الى أن شاع عن موسى وشَعيا
وقلّد فخره مضرا وأعطى لواء المنصب السامى لؤيّا
واعلى كعب كعبٍ فى البرايا واقصى الفخر بلغه قصيّا
وشاد لهاشم اعلى منارا فاضحوا اشرف الأحياء حيّا
واشرق نوره اذ كان حملا على الجبهات للابصار رِئيًا (١)
وزاد البيت ذو الحرمات نورا به لما بدا يمتصُّ ثديا
وتمّ شبابه الريان (٢) يجرى الى حلبات اقصى الفخر جريا
وسلم كل مخلوق صموت عليه عند مبعثــه وحيّا
﴿١٧١ الف﴾ ونال بليلة المعراج شأوا لمن رام المصير اليه أعيا
ابرّ الناس فى قول وفعل واثبت عزمةً وتُقًى ورأيا
واطول بالحسام العضب باعا واطعن بالقنا واشد (٣) رميا
حليم صابر راض وفىّ جواد باسمٌ طلق المُحيا

(١) اى منظرا كما فى قوله تعالى (هم احسن اثاثا ورئيا) ووقع فيها «رأيا» خطأ
(٢) كذا فى د وفى الأصل « الديان » خطأ (٣) كذا فيها ولعله أسد .

Marfat.com

فلم يحدث لامرٍ فات لوّا ولم يمزج بوعد منه ليّا
كريم طيب الأعراق سهل يذيق محبه بالبشر أريا (١)
فان ظهرت بسالته لقوم تجرّع خصمه بالبأس شَريا (٢)
له كفّ على العافين غيث وصاعقة على من صد بغيا
و قلب من قلوب الأسد اقوى وجه من ذوات الخدر أحيا
يموت ببأسه فى الحرب حزبٌ وآخر بالندى فى السلم يحيى
اتى بالحق و الشيطانُ يسعى بباطلٍ كيده فى الناس سعيا
فاسمع بالهدى و الذكر صُمّا و قاد الى سبيل الحق عُميا
و اوجب طاعة و نفى خلافا فتمّ الامر ايجاباً و نفيا
و اضحى الدين مذكورا شهيرا به من بعد ما قد كان نِسيا
الا يا فاتح الخيرات فتحاً و بانى قاعدات الشرع بنيا
و من نرجوه فى سر و جهر لكل امورنا دِينا و دُنيا
سل الرحمن فى يسر وحج اموت على تقاضيها و احيا(٣)
زيارةَ ربعك المعمور سقيا له من مربع رحب و رعيا
و رؤيةَ وجهك الميمون طوبى لمشغوف جلتك عليه رؤيا
﴿١٧١ب﴾ و خاتمةً متوّجةً بحسنى يفوز بها عُبيد البرّ يحيى
يرى نظم المدايح فيك ذخرا اذا حُثى التراب عليه حثيا

(١) اى عسلا (٢) اى حنظلا (٣) كذا فى د وهو كما تراه وفى الاصل « لى يسر خارج : اموت على بيضاء نقيا» وهذا ابعد مما قبله فحرره .

فذكرك

فذكرك فى قريض الشعر مسك ووصفك يُلبس الاوزان حليا
عليك من المهيمن كلَّ وقت سلام لايحاول عنك نأيا
ولازالت لك الانوار تُهدى وفى الاخرى لك الزلفى تُهيّا

وقال رحمه الله وكتب بها الى والدى رحمه الله :

الا ياحليف البيد يخترق الفلا يخوض نواح الاحتياب(١) المفاوز
اذا جئت ارض الشام ابرك بقعةً وافتك جندا بالعدوّ المناجز
فقف بالفقيه الحنبلى محمد حليف المعالى (٢) والخلال الغرائز
امام لحسن البشر والبرّ باذل وللزهد والاخلاص والذكر كانز
فبلغ سلام العبد يحيى بن يوسف ولاتكُ عن حمل السلام بعاجز
وسلم عليه عن قديم وداده علىّ بن وضّاح تكن خير فائز

وقال وقــد بلغه أن والدى رحمه الله حصل له مرض وبرئ فكتب اليه :

يا من غدا فهمه بالعلم مدّرعا وعقله برداء الحلم مقتنعا
وقلبه بشمال الدين مشتملا وصدره باللها والرحب متسعا
﴿١٧٢ الف﴾ ووجهه بسنا الانوار مبتهجا
وكفه باللُّهى والجود مُتَّرعا(٣)
ان التقى والحجى والعلم والعمل الـ مبرور والزهد والخيرات والورعا
من بعض اوصاف من اخفيت سنن وابديت بدع قد اخفا البدعا (٤)

---

(١) كذا فى الاصل ولعله لاجتياز (٢) وقع فى الاصل « المعانى» (٣) وقع فى الاصل « مسرعا » خطأ (٤) كذا .

Marfat.com

وابدأ السنة الغراء مجتهدا لله (١) حين اضحى الحق منقشعا
بمنصل كان شرع الله صيقلَه وما انتضى بدعة الاّ لها قطعا
لما سمعتُ بداء قدّ عراك اذا وجدته فى حشاى موِلماوَجِعا
خوفا على المذهب الهادى لمرتشد ان لايرى بعد اهليه قد انصدعا
فشتت البدعة الظلماء حين ترىٰ نجما من السنة الغراء قد وقعا
لانها قمر سارٍ وانت لها فلك ومنك سُنا انوارها طلعا
كذلك العلم روض زهره ثمرٌ وانت تجنى المعانى منه ممترعا
قد كنت من قبلَ نظم الشعر فيك اذا يممت نظما أرانى مفتحا (٢) لكعا
فحين ما جال فكرى فيك خلت بأ نّ كل نظم و نثر قد حويت معا

يوسف بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن جمادى بن احمد بن محمد بن جعفر ﴿١٧٢ ب﴾ الجوزى ابن عبد الله بن القاسم بن نصر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضوان الله عليه ابو المظفر محى الدين القرشى التيمى البكرى البغدادى الحنبلى المعروف بابن الجوزى، مولده فى ليلة السبت ثانى عشر ذى القعدة سنة ثمانين وخمس مائة تفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله وسمع من ابيه الامام ابى الفرج جمال الدين عبد الرحمن ومن ابى القاسم يحيى ابن اسعد بن بوش وابى الفرج عبد المنعم بن كليب وجماعة آخرين

(١) كذا ولعله سقط من هنا «من» (٢) كذا ولعله مفتخا .

وترسل

وترسل عن الديوان الى مصر والروم والشام والشرق والموصل والجزيرة وغير ذلك عـــدة دفوع فى الايام المستنصرية والايام المستعصمية وتولى استاذية الدار (١) ببغداد مدة، وكان اماما عالما فاضلا رئيسا احد صدور الاسلام وفضلائهم واكابرهم واجلّائهم ومن بيت الفضيلة والرواية والدراية ؛ وحدث ببغداد ومصر وغيرهما من البلاد ، ووالده الإمام جمال الدين اوحد علماء المسلمين وحفاظ المحدثين صاحب التصانيف المشهورة والفضائل المذكورة فى فنون العلم وشهرته تغنى عن الاطناب فى ذكره .

وكان وصل محى الدين المذكور رسولا من المستنصر بالله الى حلب ﴿١٧٣ الف﴾ سنة اربع وثلاثين وملكها يومئذ الملك العزيز فتوفى فى شهر ربيع الاول من السنة ثم توجه الى الروم رسولا ، فمات الملك علاء الدين سلطان الروم فى شوال من السنة ثم توجه رسولا الى الملك الاشرف ابن العادل واخيه الملك الكامل فتوفى الاشرف فى المحرم سنة خمس وثلاثين ، وتوفى الكامل فى شهر رجب منها فعمل الامير ابو القاسم بن محمود بن الارشد بن الحسين بن محمود بن ابراهيم السنجارى المولد الحنفى المذهب :

قل للخليفـــة رفقا لك البقـــاء الطويل
ارسلت فيهم رسولا سفيره عزرئيـــل
لم يبق من رعا البلاد الّا القـــليـــل (٢)

(١) كذا وفى نز « استاداره » وقد تقدم فى صفحة ١٢٣ (٢) كذا ولعله كان هكذا « ومن رعاة البلاد لم يبق الا القليـــل »

Marfat.com

تلقاه حيث استقلت بـــه الركاب عويل
فليت شعرى هـــذا مغسل ام رسولُ
سموه باسمين كانا صدّيق فيمـــا يقول
محي تصدّى مميتـــا ويوسفا وهو غول

وللملك الناصر داود بن المعظم عيسى فى هذه الواقعة :

يا امام الهدى ابا جعفر المنـ صور يا من له الفخـار الطويل
ماجرى من رسولك الشيخ محى الـ ـدّين فى هـــذه البلاد قليل
جاء والارض بالسلاطين تزهو واثنى والقصور منهم طلول
﴿١٧٣ب﴾ اقفر الروم والشآم ومصر أفهـــذا مغسل ام رسول

كان محى الدين المذكور قد ولاه الامام الناصر لدين الله حسبة بغداد وانعم عليه انعاما عظيما ورزق منه حظا، ولم يزل فى ترق الى ان ولى استاذية الدار (١) للخليفة وترسل عنه الى ملوك الاقاليم وحصل له الوجاهة التامة ووعظ ، وله علم بالتفسير والحديث والفقه ونظم الشعر وله المدايح فى الخلفاء خاصة ، قال المبارك بن ابى بكر بن حمدان فى قلائد الفرائد قدم إربل رسولاً من ديوان الخلافة الى خوارزم شاه منكيرنى بن محمد بن تكش فاجتمعت به بعد عوده من الرسالة باربل فى اواخر شعبان سنة سبع وعشرين وست مائة ، وذكر لى ان مولده فى ذى القعدة سنة ثمانين وخمس مائة ، وان له عدة تصنيفات فى الخلاف والجدل والمذهب والوعظ وانه قرأ القرآن الكريم

(١) راجع ماتقدم فى صفحة ٣٣٣ من هذا الكتاب .

بالقراآت

Marfat.com

بالقراآت على ابى بكر الباقلانى ، وله كتاب سماه معادن الابريز فى تفسير الكتاب العزيز ، ومما قرأت عليه لنفسه من قصيدة لمدح بها الناصر لدين الله رحمه الله :

واذا طرف المشوق كبا لم تُقل والله عثرته
ومماتُ الصبّ صدّكم وغداة الوصل بغيته
(١٧٤ الف) قصة المحزون سطّرها فى ظلام الليل غصته
صفحة الخدين رقّتها ودواةُ الصبّ مقلته
ويَراعُ الوجد يعربها من مداد الشوق مُدّته
والى المحبوب يحملها من صبا الاسحار نسمته
واذا حنّ الحزين أسىً كحنين العِيس حنّته
وسلاف الحبّ تُطربه فتذيع السر نشرته
مثل ما فى النظم يُطربنى لامام العصر مِدحته
لوفود الجود قد كفلت بالامانىّ أريحته
من ندى كفيه تابعه حجة الاحسان عمرته
فعلت بالحقّ دولتُه فعلت فى الخلق دعوته
يخجل الوطفاء هاميةً حين تهمى الجود مُزنته
وأُسود الغاب خاسئة قد كساها الخوفَ سطوته
فاذا ما البحر قيس به اشبه الغدرانَ لجّته
ومن الطين الورى خُلقوا ومن العلياء طينته

Marfat.com

ولنا منه الندى وله من اله العرش نصرته
وله رِقُّ الورى وله من رسول الله بُردته
ومنانا ان يدوم لنا لتنال السول دولتـــه

إنّ ميت الجود عاشَ به بعد ما ضمته حفرته
واذا ما الله عمّره كملت للجود بغيـــته
(١٧٤ب) فلمن عاداه نارُلظىً ولمن والاه جنّته

وقال ايضـا :

يانفس ويحك قد دهاك قهرالغيرُهداكحين دهاكى(١)
فكأنى بك قد انال (١) يلقاك منهالذل اذ يلقـاكى
فلئن ركنت الى سرور زائل فلقد رضيت بخادع افّاك
ولئن نظرتِ مرّة لمسرّة فلتنظرن غداً بمقلة باكى
اتراك مالك عبرة فيمن مضى ممن علمت من الورى اتراكى
انالذين بنوا مشيدا وانثوا يسعون سعْى القاهر الفتاك
منكل من ضاق الفضاء بجيشه وسمته همته على الافلاك
نقلوا الىضيق اللحود وقدغدوا فىالاسرليس لهم سبيل فكاك
ولقد علمت بأن سبلك سبلُهم فعلام لاتتاهبين(؛) فما اشقاك
جدى فايام الحياة قصـــيرة وكأنى بالموتِ قد فاجأكى
العز ذُلٌّ والحياة منيّةٌ والقرب بعدٌ هكذا دنياكي
لاتحسبى المأخوذ فى يوم الجزا اخذا بما كسبت يداك سواك

(١) كذا فى الاصل .

Marfat.com

فتزودي ماشئت من حسن و من سوء فذلك كله يلقاك
ويلاه من نصب الصراط ووضعه و شهادة الاعضاء والأملاك
قدطال ماوافقت رأيك فى الهوى وعصيت عقلى طائعا لرضاكي
﴿١٧٥ الف﴾ ورأيت اعدا صاحب لى ناصحا و اخى الموافق لى على بلواك
فالآن حين مضى الشباب بشرخه و اتى المشيب مبادرا ينعاكى
وابيضَّ من فودى مالو يُفتدى لفديته بكرائم الاملاك
ادعوكِ الامر الرشيد فتنفرى بدّلت غيرك قبل يوم هلاكى
لاتجعلينى قائلا لك فى غدٍ كم كنتُ من هذا البلا انهاكى
وارى شقيا من اطاعك جاهلا ولو اهتدى لرشاده لعصاك
فاستغفرى الله العظيم لما مضى وعليكِ فيما فات باستدراك

وذكر ابن المستوفى فى تاريخ إربل ان محى الدين المذكور تولى حسبة بغداد وعقد بها مجالس الوعظ، وقيل إنه كان يعمل فى كل اسبوع قصيدة يمدح بها الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين.

وقال قاضى القضاة شمس الدين ابو العباس احمد ابن خلكان رحمه الله تعالى فى كتابه الموسوم بوفيات الاعيان: حكى لى الوجيه ابوعبد الله محمد بن على بن ابى طالب المعروف بابن سويدالتاجر االتكريتى قال كان الشيخ مجى الدين ابو المظفر يوسف بن الجوزى ﴿١٧٥ ب﴾ رحمه الله قد توجه رسولا من بغداد الى الملك العادل بن الكامل بن العادل ابن ايوب سلطان مصر فى ذلك الوقت وكان اخوه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محبوسا فى قلعة الكرك يومئذ،

Marfat.com

فلما عاد محى الدين راجعا الى بغداد وقدم دمشق وكنت بها فدخلت عليه انا و الشيخ اصيل الدين ابوالفضل عباس بن عثمان بن نبهان (١) الأربلى وكان رئيس التجار فى عصره و جلسنا نتحدث معه فقال حلفت الملك الناصر داود صاحب الكرك أن لايخرج الملك الصالح نجم الدين من الحبس الاّ بامر اخيه الملك العادل، قال فقال له الاصيل يا مولانا هذا بامر الديوان العزيز فقال محى الدين و هل هذا يحتاج الى اذن؟ هذا اقتضته المصلحة لكن انت تاريخ يا اصيل الدين فقال، يعنى مولانا انى قد كبرت و ما ادرى ما اقول و انا احكى لمولانا حكاية فى هذا المعنى اعرفها من غرائب الحكايات! قال هات فقال: كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل فى كل شهر حملا من واسط (٢) و هو ثلاثون الف دينار لايمكن ان يتأخر يوما عن العادة، فتعذر فى بعض الاشهر كمال الحمل فضاق صدره لذلك و ذكره لنوّابه فقالوا له: يا مولانا هذا ابن زبادة (٣) عليه من الحقوق اضعاف ﴿١٧٦ الف﴾ ذلك و متى حاسبته قام بما يتم الحمل وزيادة فاستدعاه و قال له: انت لم لاتؤدى كما يؤدى الناس فقال انا معى خط الامام المستنجد بالمسامحة قال: فهل معك خط مولانا الامام الناصر؟ قال: لا، قال قم واحمل ما يجب عليك، قال ما التفت الى احد ولا احمل شيئا، ونهض من المجلس فقال النوّاب لابن رئيس الرؤساء انت صاحب الوسادتين

(١) كذا فى الاصل وفى وفيات الاعيان «شهاب» (٢) كذا فى وفيات الاعيان وفى الاصل «حمل واسط» كذا (٣) كذا فى وفيات الاعيان ووقع فى الاصل هنا و فيما يأتى «زيادة» خطأ.

Marfat.com

وناظر النظار وما على يدك يد ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول ولو كبست داره واخذت ما فيها ما قال لك احد شيئا وحملوه عليه حتى ركب بنفسه واجناده، وكان ابن زبادة يسكن قبالة واسط وقدموا لابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر اليه واذا بزبزب قد قدم من بغداد فقال ما قدم هذا إلاّ في مهم ننظر ما هو ثم نعود الى ما نحن بسببه، فلما دنا من الزبزب فاذا فيه خدم من خدام الخليفة فصاحوا به الارض الارض! فقبّل الارض وناولوه مطالعة وفيها قد بعثنا خلعة ودواة لابن زبادة فتحمل الخلعة على رأسك والدواة على صدرك وتمشى راجلا اليه وتلبسه الخلعة وتجهزه الينا وزيرا فحمل الخلعة على رأسه والدواة على صدره ومشى اليه راجلا، فلما رأه ابن زبادة انشده ابن رئيس الرؤساء .

﴿١٧٦ب﴾ اذا المرء حي فهو يرجى ويتقى وما يعلم الانسان ما في المغيب

واخذ يعتذر اليه فقال له ابن زبادة (لا تثريب عليكم اليوم) وركب في الزبزب الى بغداد وما علم أن احدا ارسلت (١) اليه الوزارة غيره فلما وصل الى بغداد اول ما نظر فيه ان عزل ابن رئيس الرؤساء عن واسط وقال هذا ما يصلح لهذا المنصب، ثم قال الاصيل (٢) المصلحة يا مولانا ان تخرج الملك الصالح وتملك وتعود اليه ويقع وجهك في وجهه وتستحي منه فانشده محيي الدين :

حتى يؤب القارظان كلاهما وينشر في الموتى كليب لوائل

---

(١) وقع في الوفيات «سلمت» (٢) وفيات «ولا يأمن مولانا ان يخرج يملك ويعود اليه رسولا ويقع .

Marfat.com

فما كان الّا مديدة حتى خرج الملك الصالح من حبس الكرك وملك مصر و قبض على العادل ، فخرج محي الدين للقائه وكان بها رسولا الى العادل (١) .

قلت و مولد قوام الدين ابوطالب يحي بن سعيد بن هبة الله بن على بن زبادة الشيبانى يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من صفر سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة و توفى ليلة الجمعة السابع و العشرين من ذى الحجة سنة اربع و تسعين و خمسمائة ببغداد رحمه الله .

و اما جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن ابن محي الدين يوسف المذكور فمولده سنة ست و ستمائة سمع و وعظ و ترسل عن الديوان الى مصر و ولى الحسبة ببغداد و درس بالمدرسة المستنصرية ﴿ ١٧٧ الف ﴾ على مذهب الامام احمد رحمه الله تعالى وكان رئيسا معظما من اعيان الدولة و اماثلها وله ديوان شعر ، حدث بمصر و ببغداد و قتل ببغداد شهيدا فى صفر سنة ست و خمسين و كان والده بكّر به فاسمعه من الشيخ ابى محمد عبد العزيز و غيره من شيوخ بغداد و من شعره فى النبى صلى الله عليه و سلم من ابيات :

فضل النبيين الرسولُ محمد شرفا يزيد و زادهم تعظيما
درٌّ يتيمٌ فى الفخار وانما خير اللآلى ما يكون يتيما

(١) فى وفيات الاعيان « هكذا ذكر لى الوجيه هذه الحكاية وفيها غلط إما من الوجيه واما من الاصيل فان ابن زبادة ما ولى الوزارة ولا تولى الا ما ذكرته فى أوائل ترجمته فان كان هذا صحيحا فيكون ذلك لما طلب للانشاء كما شرحته »

ولقد

Marfat.com

ولقد شاى الرسلَ الكرام فكلُّهم قد سلّمو لجلاله تسليما

واما اخوه شرف الدين فهو الذى كان ارسله المستعصم بالله الى هولاكو لما قصد بغداد يبذل له الاموال وكان من الرؤساء الاعيان الفضلاء، واما اخوه تاج الدين فكان رئيسا فاضلا عالما متدينا من اعيان رؤساء بغداد فقتل الجميع شهداء بعلى يد التتر ببغداد فى شهر صفر رحمهم الله .

Marfat.com

السنة السابعة و الخمسين وستمائة

دخلت هذه السنة و الملك الناصر صاحب الشام و غيره فى اوائلها رحل بالعساكر متتبعا آثار البحرية فاندفعوا بين يديه الى الكرك فنزل بركة زيزاء(١) ﴿١٧٧ب﴾ ليحاصر الكرك وصحبته الملك المنصور صاحب حماة فجاء الى الملك الناصر رسل المغيث و دار القطبية ابنة(٢) الملك المفضل قطب الدين بن العادل يتضرعون اليه و يطلبون رضاه عن المغيث، فشرط عليه ان يقبض على من عنده من البحرية فاجاب الى ذلك و قبض عليهم و جهزهم الى الملك الناصر على الجمال و هو نازل بركة زيزاء فحملوا الى حلب و اعتقلوا بها، و لما احس الامير ركن الدين البندقدارى بما وقع عليه الاتفاق هرب من الكرك فى جماعة من البحرية و وصل الى خدمة الملك الناصر فتلقاهم و احسن اليهم و عفا عنهم و لما تم الصلح رجع الملك الناصر الى دمشق و صحبته الامير ركن الدين البندقدارى و توجه صاحب حماة اليها .

و فيها دخل هولاكو ديار بكر قاصدا حلب و نزل على آمد و بعث رسله الى الملك السعيد نجم الدين ايلغازى صاحب ماردين يستدعيه، فسير اليه ولده الملك المظفر قرا ارسلان و قاضى القضاة مهذب الدين محمد بن مجلى و الامير سابق الدين بلبان و كان اكبر امرائه و على ايديهم

---

(١) بهامش نز «زيزاء من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها سوق وفيها بركة عظيمة [عن معجم البلدان لياقوت] ». (٢) كذا وفى نز « و كان مع رسله الدار القطبية ابنة » .

Marfat.com

هدية و حملهم رسالة تتضمن الاعتذار عن الحضور بمرض منعه الحركة
و وافق وصولهم اليه أخذه لقلعة اليمانية و انزاله من بها من حريم الملك
صاحب ميافارقين ﴿ ١٧٨ الف ﴾ رحمه الله و اولاده و اقار به و هم
ولده الملك الناصر صلاح الدين يوسف جفتاى (١) و الملك السعيد عمر
و ابن اخيه الملك الاشرف احمد و ابن تاج الملوك (٢) على بن الملك العادل
و ينعت بالصالح نجم الدين ايوب فلما رأوهم هلعوا و جزعوا و ادوا
الرسالة فقال (٣) ليس مرضه بصحيح و انما هو متمارض مخافة (٤) الملك الناصر
فان انتصرت عليه اعتذر الى بزيادة المرض و ان انتصر علىّ كانت له
اليد البيضاء عنده اذ لم يجتمع بى، فلو كان للملك الناصر قوة يدفعنى لم يمكّنى
من دخول بلاده، و قد بلغنى انه بعث حريمه و حريم امرائه و كبراء
رعيته الى مصر و لو نزل صاحبكم الى رعيت له ذلك ثم امر برد
القاضى وحده، فعاد و اخبر الملك السعيد بصورة الحال و عرفه انه رأى
عند هولاكو عز الدين و ركن الدين ملوك الروم فتألم و ندم على
ارسال ولده و بعث رسلا الى البرية الى الملك الناصر يستحثه على
الحركة الى حلب و يعرفه انه متى وصل اليها رحل اليه برجاله و ماله،
فسير الامير عز الدين يوسف السماع رسولا فى الظاهر الى هولاكو
و الى ولده و الى ولدى غياث الدين صاحب الروم باطنا يحرض
ولده على الهروب و ينكر على ولدى صاحب الروم ﴿ ١٧٨ ب ﴾ فى مجيئهما

(١) كذا فى نز و وقع فى الاصل «جقطاى» هنا و فيما بعد (٢) كذا و فى نز «تاج الدين
(٣) اى هولاكو (٤) كذا فى نز و فى الاصل «محافظة للملك».

Marfat.com

فيكما، فاوسعا الحيلة فى الانفصال عنه والحذر منه فشكراه و قال عز الدين و الله ما خرجت البلاد عن ايدينا الّا بتخاذل بعضنا عن بعض فلوكانت الكلمة مجتمعة لم يجر علينا ما جرى .

و فيها توفى محمد بن ملى (١) بن محمد بن الحسن [بن عبد الله] (٢) ابو عبد الله بهاء الدين القرشى الدمشقى العدل المعروف بابن الدجاجية الصالحى، مولده فى ثانى شعبان سنة احدى و تسعين و خمسمائة و توفى فى ثانى المحرم و قيل فى رابعه من هـــذه السنة بدمشق و دفن من الغد بمقابر باب الصغير، كان فاضلا شاعرا حسنـا مطبوع الشعر و والده يلقب حفظ الدين كان فقيها شافعيا نظم المهذب قصيدة و درس ببصرى، و مولده ثامن المحرم سنة ثمان و خمسين و خمس مائة بدمشق و مات بها ليلة الخميس ثانى عشر ذى الحجة سنة خمس و عشرين و ستمائة رحمه الله، و للبهاء المذكور يقول :

عن حبكم قط لا احول ولو برى جسمى النحول
جمالكم قال انى مهما فعلتم بى هو الجميل (٣)
دَلا لكم ما خفى علينا بانه للجفا دليـــل
يا كاحلا بالسهاد طرفى يتمنى طرفك الكحيل
تنكسف الشمس حين تبدُو و يخجل الغصن اذ تميـــل
﴿١٧٩ الف﴾ لا تسمعوا فى المحب قولا زوّره المبغض العذول
واحيرتى و انقطاع ظهرى ان لم يكن لى بكم وصُول

(١) كذا فى الاصل و فى نز « مكى » (٢) ليس فى نز (٣) كذا و لعل بى زائد

Marfat.com

وله ايضا :

من اين لقدّك ذا الهَيفُ قد حار الواصف ما يصف
الرمح الاسمر يحسده والغصن الاخضر والألف
فتبارك من انشاك لقد فى الخلق تفاضلت الطيف
قسماً بهواك وما احلا قسم العشّاق اذا حلفوا
وبمن خاضوا غمرات مِنىً وحصى الجمرات بها حذفوا
لاحُلتُ عن المشتاق ولو اودى بحشاشتى التلَف
يلحانى قوم ما فهموا ما شأنى فيك ولا عرفوا

وله يمدح الملك الناصر يوسف :

دعوا دماً ضيّعه اهله لا ستمر (٢) الجزع ولا أثله
ولا لُيناه ولا ميّته ولا سليماه ولا جمله
لو غضّ طرفا ما ارتقت له بم دما وِرى قتله (٢)
احبابنا لئن توسعوا عذرا لمن ضاقت به سبُله
وطرفه ان كان لما رنا جنى فقد حاق به فعله
ويلاه يا اهل الحمى لم يكن يعهد منكم ذا الجفا كلُّه
صار طفيليّا على وصلكم من شاب فى حبكم طِفله
لك يوم الضال جمعى بكم الّا خيالا زائلا ظِلُّه
(١ ب) حلو التثنى و التّجنّى لوى عنَى دَينَاه لم يجز مَطله

(٢) كذا ولعله لاسمر (٢م) كذا :

Marfat.com

ان كان قــد احزننى هجره فطالما افرحنى وصــله
كفرحة الدنيا بسلطانهاا ناصر من عمّ الورى عدله

وله دوبيت :

بالله قفوا بعيسكم فى الربع كى نسأل عن سكّان وادى الجزع
انْ لم أرهم او استمع ذكرهم لاحاجــة لى فى بصرىْ اوسمعى

وقال :

يا آيهاالصاحب الصدر الكبير ومَن اليه قد طالْ ايرادى واصدارى
تركتَ قولى و محض الشرع فهو معى و ملتَ عنى الى قول ابن بندار
ما انت الّا كما قد قال بعضهم وما علىّ بهــذا القول من عــار
[المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار]

وله دوبيت :

ما عــذرقىً ما مدّ للهو يــدًا والرُّوح قد اكتسى ثيابا جددا
مالت طربا اغصانه راقصــةً لمــا صــدح الطير عليها و شدا
عرته غرّتــــــه لما سرى ظنّ بــان الصبح قــد اسفرا
اقبل يسعى خفرا خائفــا على ذِمام الوعد ان يخفرا

زار محّبا باتَ مُستطولا من ليله ما راح مستصغرا
يحقُّ يا قوم لمن قدّه الـ خطاران لايرْهب الاخطرا
ضمته اذ قد نام سمّاره كما يضمّ البطل الاسمرا
﴿١٨٠الف﴾ بتناومافى ليلنامن كرىً كأنما النوم غدا منكرا

وقال

Marfat.com

و قال :

الى سَلَمَ الجرعاء اهدى سلامه فماذا على من قدلحاه ولامَه
غريم الأَسى امسى فلاتمنعوه أن يبثَّ اذ ذكر (١) الحبيب غرامه
تجلّد حتى لم يدع معظم الجوى لرائيهِ الاّ جلده و عظامـه
ولا عجبا من فرط سقم بجسمه ، وصحة ودّ المرء يبدى سقامه
أاحبابنا الشاكين جدبَ وهادهم وعهدى به يروى العهادُ إكامه
اذا لم يَجُد قطرا (٢) على منعناكم (٣) دمعا يقوم مقامه
ترى هل يعيد الله للصبّ وصلكم بذاك الحمى من قبل يلقى حمامه
ليهدى (٤) بكم قلبٌ اطلّم خفوقه و ينظركم طرف سلبتم منامه
وأبى ظالم فى الحكم لو أن وجهه تجلّى بجنح الليل جلّى ظلامـه
يقوم بعذرى فيه عند عواذلى اذا ما اثنى تِيهاً يهزُّ قوامه
تزوّد (٥) خوفا سالفاه للحظه بأنهما لا يأمنان سهامه

و قال :

(١٨٠ب) الا مالقى قلبى وياما بكم يلقى ، فيا ليتنى ماعشت لم اعرف العشقا
أت داركم من بعد قرب عن الغضا فلى دمع عين لايَفيض (٦) و لا يرقى
وقال الاعادى انى قد سلوتكم لعمرى لقد قال العدوّ و ما ابقا
روى من كسانى السقم غيرهواكم و فرقه من قد شبيت منى الفرقا (٨)

(١) كذا ولعله الى ذاك (٢) كذا ولعله قطر فاعل يجد (٣) كذا ولعل
اقط : فان به (٤) كهذا ولعله ليهدأ اى يسكن (٥) اى حلف (٦) وقع فى
« يفيض » خطأ (٧) كذا .

Marfat.com

و والله لو لم ينزلوا برق الحمى لما شِمت من تلقاء ساحتِه بُرقا

المظفر بن محمد بن الياس بن عبد الرحمن بن على بن احمد بن عبدالله ابن على ابوغالب نجم الدين الانصارى الدمشقى المعروف بابن الشيرجى مولده بدمشق فى شهر رمضان سنة سبع و ثمانين و خمسمائة، و سمع من ابى طاهر(١) الخشوعى و ابن طبرزد و حنبل وغيرهم و حدث وكان من العدول الاكابر الاعيان الرؤساء ولى الحسبة بدمشق و نزل الجامع بها و توفى ليلة سلخ ذى الحجة رحمه الله و بيته مشهور بالرئاسة و التقدم و العدالة .

يوسف القمينى كان مأواه القمامين(٢) و المزابل بدمشق وغالب اوقاته ﴿١٨١ الف﴾ يكون بقمين حمام نورالدين رحمه الله بسوق القمح و يلبس ثيابا طوالا تكنس الارض وهو حاف مكشوف الرأس طويل الصمت قليل استعمال الماء و لكثير من الناس فيه عقيدة جميلة، و يحكون عنه أنه يكاشفهم فى كثير من الاوقات و كان بعض من يعتقد فيه يحضر له شيئا من المأكول و المشروب و يجتهد به فيتناول منه قدرا يسيرا ولازم هذه الطريقة الشاقة الى ان توفى فى سادس شعبان بدمشق و دفن بسفح قاسيون فى تربة المولعين رحمه الله، و كانت له جنازة حافلة لم يتخلف عنها الا القليل و كان من غرائب العالم يترنح فى مشيته و لا يلتفت الى احد و لا يعبأ به .

---

(١) بركات بن ابراهيم كما فى نز (٢) كذا، و لعله القمامات و جمع القمامة جمع تكسير قمام .

Marfat.com

ابو بكر بن الملك الاشرف ابى الفتح محمد بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذى رحمه الله مولده بمصر فى النصف الآخر من شهر رمضان سنة سبع و تسعين و خمسمائة سمع بحلب من ابن طبرزد و حنبل و دخل بغداد و سمع بها من اصحاب ابي الوقت السجزى (١) و حدث بدمشق وغيرها و كانت وفاته فى الثانى و العشرين من ذى الحجة باليا روقية بحلب رحمه الله .

﴿١٨١ب﴾ السنة الثامنة و الخمسون و الستمائة

اولها يوم الخميس فيها كثر الارجاف بوصول التتار الى البلاد فجفل الناس من بين ايديهم الى الديار المصرية و الجبال و الاماكن المتوعرة؛ و فى منتصف صفر ورد الخبر الى دمشق باستيلاء التتار على بلاد حلب بالسيف و كان نزولهم على حلب فى ثانى صفر و استولوا عليها فى تاسعه و أمنوا اهلها ثم غدروا بهم فقتلوهم ، و لما اتصل ذلك بالملك الناصر رحمه الله سار عن دمشق بامرائه نحو القبلة و كان رُسل التتار بقرية حرستا فأدخلوا دمشق ليلة الاثنين سابع عشر صفر و قرئ فى يوم الاثنين بعد صلاة الظهر فرمان جاء من عند ملكهم يتضمن الأمان لاهل دمشق و ما حولها و شرع اكابر البلد فى تدبير امرهم معهم ، و فى سابع عشر ربيع الاول وصل الى دمشق نواب التتار فلقيهم كبراء البلد احسن ملتقى و قرئ ما معهم من الفرمان المتضمن الامان بالميدان الاخضر ، و وصلت عساكرهم من جهة الغوطة مارين وراء

(١) اسمه عبد الاول وله ترجمة فى نز .

Marfat.com

الضياع الى جهة الكُسوة و اهلكوا فى ممرهم جماعة كانوا قد تجمعوا و تخرموا (١) و عدم بسبب ذلك ﴿١٨٢ الف﴾ جماعة من غيرهم و فى السادس و العشرين منه جاء منشور من هولاكو للقاضى كمال الدين عمر بن العديم(٢) بتفويض قضاء القضاة اليه بمدائن الشام و الموصل(٣) و ماردين و ميافارقين و الاكراد و غير ذلك و تفويض جميع الاوقاف الى نظره و وقف الجامع و غيره، وكان القاضى قبله صدر الدين احمد بن سنّى الدولة من جمادى سنة ثلاث و اربعين وكان كمال الدين ينوب عنه فى الحكم بدمشق و فى ربيع الآخر رجعت عساكر التتار التى كانت عبرت على دمشق بعد ما عاثت فى بلاد حوران و ارض نابلس و ما حولها وكان الامير محى الدين ابراهيم بن ابى زكرى بنابلس فقاتلهم قتالا شديدا و ابلى بلاء حسنا بحيث قتل بيده منهم عشرة نفر ثم قتل رحمه الله فلما بلغ الملك الناصر رحمه الله ذلك و هو بغزة توجه نحو الديار المصرية فنزل العريش ثم قطيا ثم تفرق عسكره عنه فتوجه معظم العسكر الى الديار المصرية مع الاثقال و عاد الملك الناصر فى طائفة من خواصه لشىء بلغه عن ملك مصر[ونزل بوادى موسى] (٤) ثم نزل بركة زيزاء فكبسه التتار بها و تفرق عنه معظم اصحابه ﴿١٨٢ ب﴾ ثم

(١) كذا ولعله تحزبوا كما فى نز (٢) كذا فى الاصل وفى نز «ابن بندار التفليسى» وبهامشه «فى الاصلين «عمر بن العديم» والتصويب عن عيون التواريخ والذيل على الروضتين وسيذكر المؤلف وفاته فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى سنة ٦٧٢ هـ» (٣) نز «الى الموصل» (٤) من نز.

استأمن

Marfat.com

استأمن له بعض اصحابه و صار اليهم فكان معهم فى ذلّ و هوان الى ان قتل على ما نذكر ان شاء الله تعالى .

و اما العساكر التترية فبلغت غارتهم ارض غزة و بلد الخليل صلوات الله عليه [و الصلت و بركة زيناء و موجب الكرك و نحو ذلك](١) فقتلوا الرجال و سبوا النساء و الصبيان و استاقوا من الاسرى و الابقار و الاغنام و المواشى شيئا كثيرا و اخذوا من الاسلاب و الاثاث ما لا يحصى فلما وصلوا دمشق اشترى من الاسرى شىء كثير و اطلقوا و هرب بعضهم و استصحبوا معهم من بقى و قد كانت قلعة دمشق امتنع بها الامير بدر الدين محمد بن فريجار واليها و جمال الدين ابن الصيرفى نقيبها فى جمع كثير بها و احتيج الى حصارها فجاءها من التتر خلق كثير و صلوا يوم الاحد ثانى عشر جمادى الاولى ، فما ياتوا تلك الليلة حتى قطعوا من الاخشاب ما احتاجوا اليه فكانوا استصحبوا معهم اكثر من عشرين منجنيقا تجرّها الخيل و هم ركّاب عليها و قدموا قبل ذلك باسلحة تجرها البقر على العجل و اصبحوا يوم الاثنين يجمعون الحجارة لرمى المجانيق فاخربوا ﴿ ١٨٣ الف ﴾ حيطانا كثيرة و اخذوا حجارتها من اساسها و اخربوا طرفا من القنوات بسبب الحجارة ، و هيؤها للرمى و نصبت المجانيق ليلة الثلاثاء و اصبحوا يرمون بها رمياً متتابعا فاخربوا كثيرا من القلعة من غربيّها فما امسوا حتى طلبوا الامان، فأمنوهم و خرجوا من الغد و نهب ما فى القلعة و احرق

(١) ليس فى ز .

Marfat.com

فيها مواضع كثيرة و هدم من ابراجها و اعاليها ثم ساروا الى بعلبك وكان قبل ذلك حضر عند هولاكو تقى الدين الحديثى الحشائشى وكان هذا تقى الدين اصله من قرية حديثا من بقاع بعلبك و ربى ببعلبك بين اهلها كأحدهم ثم سافر الى الديار المصرية و فاق اهل عصره فى معرفة الحشائش و الاعشاب و خواصها و منافعها و مضارّها و تقدم عند الملك المعز ايبك التركمانى واعطاه اقطاعا جيدا ثم جهزه الى الملك الناصر فى بعض مهماته فاتفق قتل الملك المعز و هو بالشام فاقام بدمشق فورد كتاب هولاكو على الملك الناصر رحمه الله يطلب جماعةً التقى احدهم فسيّرهم اليه فحصل له منه اقبال فلما حصل الاستيلاء على حلب سأل من هولاكو فرمان لاهل بعلبك و شحنة من التتر فاجابه الى ذلك، فوصل المذكور و معه الفرمان و الشحنة ﴿١٨٣ ب﴾ و دخل بعلبك و اجتمع به اهلها و كلهم معارفه و معظم اصحابه و تحدث معهم فى الدخول فى الطاعة و قبول الأمان وكان سائر اهل البلاد الّا القليل قد صعدوا الى القلعة باموالهم وحريمهم مصممين العصيان وكان نائب السلطنة بالاعمال البعلبكية الامير ناصر الدين محمد بن البتينى رحمه الله فعند ما بلغ اهل البلد منازلة التتر لحلب سألوه المقام عندهم و الذبّ عنهم و تدبير امورهم فاجابهم و اصعد الى القلعة شيئا كثيرا فلما بلغه اخذ حلب و توجه الملك الناصر من دمشق رجع عن الصعود الى القلعة و سافر الى جهة بانياس و الصبيبة و كانت تحت نظره وولايته وسافر معه جماعة من اهل بعلبك فلما اتفق بعد ذلك قدوم التقى

Marfat.com

فحالت العزائم وجنحت الى قبول الأمان فقال لهم ينزل معى جماعة من اعيان البلد الى دمشق لاحضرهم عند نوّاب الملك و اعرفهم بدخولهم فى الطاعة فتوجه صحبته جماعة من الاعيان قريب خمسة عشر نفرا فلما وصلوا دمشق انزلوا فى مدرسة الامير ناصرالدين القيمرى و رتب لهم راتب متوفر من الطعام و الحلواء و الفاكهة و غير ذلك و احسن اليهم غاية الاحسان و خلع عليهم ﴿ ١٨٤ الف ﴾ خلع سنيّة و هذا لم يجر لغيرهم مع التتر فرجعوا الى بعلبك صحبة التقى على ان تسلموا القلعة و ينزل الناس الى بيوتهم ، فاتفق يوم وصولهم الى بعلبك وصول بدرالدين يوسف الخوارزمى(١) الى بعلبك من عند هولاكو و معه فرمان بولاية بعلبك و اعمالها ، و كان هذا بدر الدين رحمه الله قد ولى مدينة بعلبك فى الايام الناصرية و رفق باهلها و عاملهم اجمل معاملة و صادق كثيرا منهم و عاشرهم ثم عزل و ولى ولايات أخر ثم عزل عنها و اعتقل بدمشق و انقضت الدولة الناصرية و هو بالاعتقال فخرج من الحبس و قصد هولاكو و كان عنده شهامة و توصل(٢) و معرفة بسائر الالسن ، و هو مقبول الصورة و له معرفة بابن كشلو خان وكان ابن كشلوخان مع التتر و له صورة عندهم ، فلما حضر بدر الدين المذكور عند هولاكو ذكر حركته ببعلبك و اهلها و تكفل بتسهيل ما تعسر منها وكان لبلعبك التر صورة كبيرة لحصانة قلعتها و نجدة رجالها فكتب له فرمان بها فاتفق وصوله على ما تقدم فتحلل لقدومه معظم العزائم و دخل

(١) ذكر نز بدرالدين وانما ذكر ما بعده(٢) كذا ولعله ترسل .

Marfat.com

البلد و امر و نهى و انس به الناس لقديم المعرفة و تمسك ﴿١٨٤ ب﴾ بالعصيان شجاع الدين ابراهيم و الى القلعة و من عنده من المستخدمين و قريب نصف اهل البلد، و قد كان كتب شجاع الدين الى الملك الناصر رحمه الله يعرفه صورة الحال و استأذنه فيما يفعل و سير الكتاب مع شخص يعرف بالمقرىء ابراهيم فوجده ببركة زيزاء فاعطاه المطالعة فقرأها و قال داروا عن انفسكم و كتب الجواب بمثل ذلك .

حكى لى المقرىء ابراهيم المذكور قال لما قرأ المطالعة و امر بكتب الجواب حصل له فى خلال ذلك رعاف يسير فمسح أنفه بمنديل كان فى يده و رماه و طلب غيره، فلم يكن عنده غيره فغسل بيده موضع الدم منه و حمله قال و لم اجد معه الا نفرا يسيرا جدا ان فى ذلك لعبرة .

و اما اهل القلعة فتمسكوا بالعصيان و انتظار ما يرد به جواب الملك الناصر فعادكتبغا نوين بالعساكر وكان عند توجهه الى دمشق اجتاز ببعلك و لم يتعرض لقتالها ، فلما عاد بعد اخذ قلعة دمشق احضر معه بدر الدين محمد بن قريجار و جمال الدين بن الصيرفى ليتحدثا مع اهل القلعة فتحدثوا فلم يفد، و حضر ابراهيم بجواب الملك الناصر فحلل ما بقى من العزائم غير ان الوثوق بأمان التتر غير محقق، فلما رأى كتبغا (١) اصرارهم نازل القلعة ﴿١٨٥ الف﴾ و نصب عليها عدة مجانيق فى يوم الاحد و جميعها تضرب فى ٢٠ ج و أحد لعله من احصن الابراج بحيث فتحت فيه المجانيق طاقة كبيرة ، كالباب الكبير فاذعن اهل القلعة بتسليمها و طلبوا

(١) كذا و لعله كتبغا نوين المتقدم آنفا .

الامان

الاحسان بطاماتهم كتبغا(١) على انفسهم و ان يخرج كل انسان بما يستطيع ان يحمله من ماله، فخرجوا على هذه الصورة بعد عصيان يوم واحد و وفى لهم بذلك و لم يرق لأحد محجمة دم، ثم بعد خروج الناس من القلعة دخلها كتبغا (١) فرآها و صعد قلّتها و نهبها التتر و اخذوا ما وجدوا فيها، و رحلوا و قد بقى فيها من القمح و الشعير و الحبوب و الدبس و اللبن و غير ذلك من الطعومات شىء كثير، فتلطف بدر الدين يوسف الخوارزمى و احسن السياسة فيه بحيث شاور كتبغا (١) و تلطف به حتى اجاب الى ان يقرر عن هذا الطعم درهم معلوم، فقرر على ذلك قريب خمسين الف درهم بحيث ناب غرارة القمح عشرين درهما و غرارة الشعير عشرة دراهم و قنطار الدبس الشديد عشرين و قنطار اللبن (٢) ثلاثون(٣) درهما فحصل للناس بذلك رفق كثير.

ثم ان كتبغا (١) امر باعتقال شجاع الدين ابراهيم والى القلعة ببعلبك و ديوانها فاعتقلوا خلا شاهد القلعة ﴿١٨٥ب﴾ فانه كان خرج منها قبل حصرها و طلع الى جبل الكسروانيين، فاعتقلوا ثم استدعوا الى مرج يرغوث و ضربت رقابهم و ضربت رقبة ولد الشجاع و صهره معه و لذلك ضرب هناك رقبة بدر الدين محمد بن فريجار و ابن الصيرفى نقيب قلعة دمشق و جرى بالطاف الله تعالى باهل بعلبك ما لم يكن فى الحساب فلله الحمد على ذلك.

وفى غرة شعبان حضر الملك الاشرف موسى ابن صاحب حمص

(١) كذا و لعله كتبغا نوين المتقدم (٢) فى الاصل «الملبن» (٣) كذ و الظاهر ثلاثين

Marfat.com

الى بعلبك و قد استقر نائب هولاكو فى الشام باسره و سلم اليه حمل و الرحبة و تدمر و تل باشر بقلاعها فاقام بظاهر بعلبك يومين و توجه الى دمشق .

و فيها توجه قاضى القضاة محى الدين يحيى بن الذكى (١) و اولاده و اخوه لامه شهاب الدين و قاضى القضاة صدر الدين احمد بن سنّى الدولة الى ارد(٢) و هولاكو فادركوه دون الفرات قبل قطعها ، ثم عادوا الى طريق بعلبك فوصلوها سادس جمادى الآخرة او سابعه بكرة الخميس و محى الدين فى تجمل عظيم و هو راكب فى محفة و معه من الحشم و الغلمان و الاولاد والحاشية ما لا مزيد عليه ، وصلى الجمعة فى شباك قبة المدرسة الامينية المجاورة جامع بعلبك و احضر منبر الى صحن ﴿١٨٦ الف﴾ الجامع قبالة الشباك المشار اليه ، و قرئ عليه تقليده و هو تقليد عظيم جدا بسط فيه القول و المبالغة فى تفخيم القاضى محى الدين بحيث لا يخاطب فيه الا بمولانا و هو يتضمن فيه تفويض القضاء اليه بسائر البلاد والشامية من قنسرين الى العريش و نائبه اخوه لامه شهاب الدين اسماعيل بن اسعد ابن وحيس ، وكذلك الاوقاف و غيرها و ان يشارك النواب فى امورهم بحيث لا يخرجوا عن رأيه و لا يستبدون دونه بامر وكان عليه حال قعوده فى الشباك فرجيّة عظيمة سوداء منسوجة بالذهب ، قيل انها الخلعة التى خلعت على الملك الناصر يوسف رحمه الله من جهة الخليفة اخذت من قلعة حلب و على رأسه بقيار صوف بغير طيلسان ، ثم توجه

(١) كذا وفى هامش نز «محى الدين محمد بن يحيى المعروف بابن الزكى» (٢) كذا

Marfat.com

الى دمشق واقام القاضى صدر الدين ببعلبك فى منزل الى حين توفى تغمده الله، وسنذكره ان شاء الله تعالى .

ثم وصل محى الدين الى دمشق وقرئ الفرمان بتوليته يوم الاربعاء اربع عشر جمادى الآخرة تحت النسر بجامع دمشق وحضر قراءته ايلبان نائب ملك التتر وكان من المغل وحضرت زوجته ﴿١٨٦ب﴾ معه وقعدت على طراحة بسطت لها بين زوجها والقاضى الى جانب العمود الشرقى فى الباب الكبير الاوسط من ابواب النسر بالجامع ثم اضاف القاضى محى الدين الى نفسه واولاده واهله عدة مدارس كالعذراوية والسلطانية والفلكية والركنية والقيمرية والكلاسية والصالحية ولاها عماد الدين بن عزى والامينية ولاها ولده عماد الدين عيسى مع مشيخة الشيوخ وباشر اخوه شهاب الدين عنه نيابة الحكم مع تدريس الرواحية والشامية البرانية مع ان شرطها ان لايجمع المدرس بينها وبين غيرها وبقى الامر كذلك الى ان ملك المسلمون فى اواخر شهر رمضان من هذه السنة فبذل اموالا جليلة على ان يستمر على حاله فاجيب الى ذلك نحو شهر ثم امر بالسفر مع السلطان الملك المظفر رحمه الله الى مصر فتولى القاضى نجم الدين ابو بكر محمد بن سنى الدولة وقرئ تقليده بشباك الحكم بالجامع بدمشق يوم الجمعة الحادى والعشرين من القعدة .

وفيها لما استولى التتر على القلاع ابقوا بلاطنس على ابن واليها الدين بن قايماز الظاهرى فلما كسروا ﴿١٨٧ الف﴾ استفسد

Marfat.com

مظفر الدين عثمان بن منكورس صاحب صهيون من كان بها من الاجناد على نجم الدين و اليها فسلموها اليه فى العشر الاول من ذى القعدة سنة ثمان و خمسين و بقيت فى يده الى أن سلمها لولده عز الدين احمد فبقيت فى يده مدة حياة ابيه و بعدو فاته الى أن سلمها الى نواب الملك الظاهر فى سنة سبع و ستين و سنذكر ذلك ان شاء الله تعالى .

و فيها و صل الخبر باستيلاء التتر على عدة قلاع منها الصلت و عجلون و صرخد و بصرى و الصنيبة و هدموا الجميع حسب ما امكنهم .

و فيها و صل الخبر ان طائفة التتار وقعوا على العرب عند زيزاء و حسبان فهزموهم و غنموا من اولادهم و نسائهم و انعامهم شيئا كثيرا و استاقوا الجميع و هرب الملك الناصر رحمه الله الى البرارى فساقوا خلفه فاخذوه و قد بلغ شربة الملء نحو مائة دينار و اتوا به الى كتبغانوين فوقفه بين يديه و اهانه و قرعه ثم أتوا به دمشق مع من قدم من الكرك من الدمشقيين الذين كانوا هربوا اليها و كان كتبغا(١) سير القاضى كمال الدين التفليسى رحمه الله برسالة منه ﴿١٨٧ ب﴾ الى الملك المغيث صاحب الكرك يلتمس منه الدخول فى الطاعة فاجاب بجواب ظاهره الطاعة و باطنه المراوغة و انتظار ما تجرى به المقادير فلما عاد القاضى كمال الدين الى الكرك صحبه جماعة ممن كان التجأ اليها من الدمشقيين بعد مشقة شديدة و جدوها من تتردهم مع التتار كيف ما داروا نحوا من خمسة و ثلاثين يوما و كان وصولهم سادس شهر رجب و سار الملك الناصر رحمه الله

(١) كذا و لعله كتبغا نوين المتقدم آنفا .

Marfat.com

منع جماعة من التتار الى هولاكو فى رابع عشر شهر رجب ومعه ابنه الملك العزيز واخوه الملك الظاهر على والصالح اسماعيل بن صاحب حمص وغيرهم .

وفيها فى يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الاولى طيف بدمشق برأس مقطوع مرفوع على رمح قصير معلق بشعره وهو فى قطعة شبكة زعموا انه رأس الملك الكامل محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب رحمه الله صاحب ميافارقين وتلك النواحى ودام فى حصار التتار اكثر من سنة ونصف ولم يظاهر(١)عليهم الى ان فنى اهل البلد لفناء زادهم فوجد مع من بقى من ﴿١٨٨ الف﴾ اصحابه موتى او مرضى فقطع رأسه وطيف به البلاد ثم علق على باب الفراديس الخارج فقال قائل فى ذلك .

ابن غاز غزا وجاهد قوما اتخنوا فى العراق والمشرقين
ظاهرا غالبا وفات شهيدا بعد صبر عليهم عامين
لم يشنه ان طيف بالرأس منه فله أسوة برأس الحسين
وافق السبط فى الشهادة والحمـ ـل لقد حاز اجره مرتين
جمع الله حسن ذين الشهدي ـن على فتح ذينك (٢) القلعتين
شهدوا فى مشهد الرأس ذلك الـ ـرأس فاستعجبوا من الحالين
وارتجوا انه يجئ لدى البعـ ـث رفيقا الحسين فى الجنتين
ثم وقع من الاتفاق العجيب ان دفن فى مسجد الرأس داخل

(١) كذا ولعله ويظهر (٢) كذا ولعله تينك ولم يظهر لى معنى البيت .

باب الفراديس فى المحراب فى اصل الجدار و غربى المحراب فى طاقة يقال ان رأس الحسين رضى الله عنه دفن بها .

و فى نصف شعبان اغارت العرب على جُشارات التتر بتل راهط و ماحوله فاستاقوها و خرج الملك الاشرف صاحب حمص و من بدمشق من التتار ثم رجعوا ولم يقعوا عليها وكان الملك الاشرف قد وصل قبل ذلك الى دمشق و نزل فى داره و قرئ فرمانه ﴿١٨٨ب﴾ بأن تكون البلاد تحت نظره و فى ثانى رمضان وصل الخبر الى دمشق باستيلاء التتار على صيداء من بلاد الفرنج و نهبها و خلاص ثلاث مائة اسير منها .

و فيها خرج الملك المظفر سيف الدين قطز رحمه الله بعساكر الديار المصرية و من انضاف اليهم من عساكر الشام الى لقاء التتار و دفعهم عن البلاد الشامية وكان كتبغا نوين بالبقاع فبلغه الخبر فاستدعى الملك الاشرف (١) و قاضى القضاه محيي الدين(٢) و استشارهم فى ذلك فمنهم من اشار بعدم الملتقى و الاندفاع بين يدى الملك المظفر و من معه من العساكر الى حيث يجيئه مدد من هولاكو ليقوى على ملتقى الشعاكر الاسلامية(٣) و منهم من اشار بغير ذلك و تفرقت الاراء فاقتضى رأى كتبغانوين الملتقى و توجه من فوره على كره ممن اشار عليه بالاندفاع لما اراد الله تعالى من اعزاز الاسلام و اهله و اذلال الشرك و حزبه فحصل

(١) هو موسى بن المنصور صاحب حمص (٢) اى المتقدم آنفا (٣) فى «المصرية»

Marfat.com

التقاء العساكر على عين جالوت (١) فى يوم الجمعة خامس و عشرين شهر رمضان فانكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة ، فحمل الملك المظفر رحمه الله فى طائفة عظيمة من المسلمين اول البصائر (٢) فكسرهم كسرة ﴿ ١٨٩ الف ﴾ عظيمة اتت على معظم اعيانهم و اصيب كتبغانوين ، قيل قتله الامير جمال الدين آقوش الشمسى فولوا الادبار لايلوون على شئ و اعتصم منهم طائفة بالتلّ المجاور لمكان الوقعة فاحدقت بهم العساكر و صابروهم حتى افنوهم قتلا واسرا و نجا من نجا بحشا شته و اهل البلاد يتخطفونهم ، وفى حال الفراغ من المصافّ حضر السعيد [حسن] (٣) ابن الملك العزيز عماد الدين (٤) بن الملك العادل بين يدى الملك المظفر رحمه الله تعالى وكان التتار لما ملكوا قلعة البيرة و جدوه فيها معتقلا فاطلقوه واعطوه بانياس و قلعة الصُّبيبة و بقى معهم و قاتل يوم المصافّ [المسلمين] (٣) قتالا شديدا فلما ايّد الله المسلمين بنصره و حضر [الملوك عند الملك المظفر فحضر] (٣) المذكور فلم يقبله الملك المظفر رحمه الله و امر به فضربت عنقه صبرا ، و ورد كتاب المظفر الى دمشق فى سابع و عشرين شهر رمضان يخبر بالفتح و كسرة العدوّ و يعدهم بوصوله اليهم و نشر المعدلة فيهم فثاروا العوام بدمشق و قتلوا الفخر محمد بن يوسف ابن محمد الكَنجى فى جامع دمشق وكان المذكور من اهل العلم لكنه فيه شر ، ميل الى مذهب الشيعة و خالطه الشمس القمى الذى

---

(١) فى نز « بليدة لطيفة بين نيسان و نابلس من اعمال فلسطين (٢) كذا فى ف (٤) كذا و فى نز « عثمان » .

Marfat.com

كان حضر الى دمشق ﴿١٨٩ ب﴾ من جهة هولاكو و دخل معه فى أخذ اموال الغُيّاب عن دمشق فقتل و من نظمه فى على رضوان الله عليه .

وكان على ارمـــد العين يبتغى دواء فلما لم يُحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلةٍ فبورك مَرقيّاً و بورك راقيا

و قال سأعطى الراية اليوم(١) فارسا كميّاً شجاعا فى الحروب محاميا .
يحب الآله و الآلهُ يحبه به يفتحُ الله الحصون كما هيا
نخص (٢) دون البرّية كلها عليّاً و سماه الوصىّ المواخيا

و قتل بدمشق ايضا من اعوان التتار الشمس ابن الماكسينىّ و ابن البغيل(٣) و غيرهما و كان النصارى بدمشق قد شمخوا و تجرؤا على المسلمين و استطالوا بتردد ايلبان و غيره من كبار التتار الى كنائسهم و ذهب بعضهم الى هولاكو و جاؤا من عنده بفرمان يتضمن الوصيّة بهم و الاعتناء بامرهم و دخلوا به البلد من باب توما و صلبانهم مرتفعة وهم ينادون حولها بارتفاع دينهم و اتضاع دين الاسلام و يرشّون الخمر على الناس و فى ابواب المساجد فحصل عند المسلمين من ذلك هم عظيم فلما هرب نواب التتار حين بلغهم خبر الكسرة اصبح الناس الى دور النصارى ينهبونها و يخربون(٤) ما ﴿١٩٠ الف﴾ استطاعوا منها و اخربوا كنيسة اليُعاقبة و احرقوا كنيسة مريم حتى بقيت كوماً و الحيطان حولها تعمل النيران فى اخشابها و قتل منهم جماعة و اختفى الباقون و لما عبر

(١) كذا و لعله الغد (٢) كذا و لعله نخصصه ليستقيم الوزن (٣) فى نز «النفيل» و بها مشه عن ذيل الروضتين البغيل كما هنا (٤) وقع فى نز «يأخذون» كذا

Marfat.com

الصلوى من باب توما قاصدين درب الحجر و قفوا عند رباط الشيخ ابى البيان رحمه الله و نادوا بشعارهم و رشّوا الخمر فى باب الرباط و فعلوا مثل ذلك على باب مسجدى درب الحجر الكبير و الصغير و الزموا الناس فى دكاكينهم بالقيام للصليب و مَن لم يقم اخرقوا (١) به و اهانوه و شقوا السوق على هذا الوجه الى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم فقام بعضهم على الدكان الوُسطى من الصف الغربى بين القناطر و خطب و فضّل دِين النصارى و وَضع من دين الاسلام ثم عطفوا من خلف السوق الى الكنيسة التى خربها الله تعالى و كان ذلك فى ثانى و عشرين شهر رمضان و فى الغد صعد المسلمون مع قضاتهم و شهودهم الى ايلبان بالقلعة فاهانوهم و رفعوا قسيس النصارى عليهم و اخرجوهم من القلعة بالضرب و الاهانة و فى غده حضر ايلبان الى الكنيسة و فى غده كانت المكسرة و لله الحمد والمنّة .

وهمّ بعض الناس ﴿١٩٠ ب﴾ بنهب اليهود فنهب شىء يسير ثم كفوا عنهم و فى يوم الجمعة ثانى شوال خطب بجامع دمشق الاصيل الاسعردى فبقى متوليا الخطابة والامامة بجامع دمشق الى سلخ شوال من سنة ثمان و خمسين و ستمائة .

وحكى ابن الجزرى فى تاريخه عن والده ابراهيم بن ابى بكر الجزرى رحمه الله قال خرجت من جامع دمشق بعد صلاة الجمعة وهى ثانى جمعة مرت من شهر رمضان من تحت الساعات و دخلت فى

(١) هامش ن كذا فى الاصلين ولعله « احدقوا » وهذا الترجى غير ظاهر .

Marfat.com

الخضراء الى نحو دكانى بسوق الرماحين فوجدت جميع دكاكين الخضراء فيها الخمور والنصارى فيها يبيعون الخمر وبعض المسلمين القليلين الذين معهم وهم يشربون ويرشون الخمر على من عبر عليهم من المصلين وغيرهم قال فما ملكت نفسى الا والدموع تسيل على خدى وحصل لى نحيب وبكاء كثير ومازلت كذلك الى حيث وصلت الى دكانى بسوق البر بالرماحين (١) وانا على ذلك فى البكاء والنحيب واذا قد جاء شخص يقال له الحاج عبد العزيز من اهل دمشق وقد جاء من المكان الذى جئت منه وقد حصل له حال مثل الحال الذى قد حصل لى فقعد كل واحد منافى ناحية واخذ المنديل على وجهه يبكى وينتحب قال فبينا نحن نبكى واذا بالشيخ محمد الخالدى قدس الله روحه قد عبر علينا وقال لى ياملیح لاجل اى شىء تبكى الذى رأيت يزول الساعة ابعث اليك محمد العطّار ﴿١٩١الف﴾ يبشرك وانا انما اقدر اقف ثم مشى وتركنى وكان الشيخ محمد مدة مقام التتر بدمشق ليس للشيخ محمد الخالدى شغل سوى انه يمشى من باب الجابية الى الباب الشرقى قال فلما كان بعد ساعة واذا بالحاج محمد العطّار قد جاءنى وقال لى الشيخ محمد يبشرك والمسلمين ويخبرك ان فى اول ليلة جمعة مرت من هذا الشهر وهو رمضان اجتمعت اشباح الانبياء والاولياء جميعهم وابراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم اجمعين على صخرة بيت المقدس وسألوا الله تعالى ان يكشف عن المسلمين ما هم فيه من دمار التتار فلم يجبهم

(١) كذا وقد تقدم آنفا بسوق الرماحين .

Marfat.com

فلما كان البارحة وهي ليلة الجمعة اجتمعوا ثانية و سألوا الله تعالى فاجابهم وما يخرج شهر رمضان الّا وهم مكسورين وما تعيد انت والمسلمين بدمشق الّا بسلطان جديد مسلم قال والدى رحمه الله فكان الواقع كما قال الشيخ محمد قدس الله روحه .

وفيها فارق الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى الملك الناصر من دمشق مهاجرا الى مصر الى خدمة الملك المظفر سيف الدين قطز فلما وصل الى غزة اتفق هو والشهرزورية (١) وتزوج منهم وبعث الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى الى الملك المظفر لتحليفه له فاجابه المظفر الى ما طلبه منه واقترحه عليه فسار اليه ودخل القاهرة يوم السبت ثانى وعشرين ربيع الاول [سنة ثمان وخمسين] (٢) فركب المظفر للقائه وانزله فى دار الوزارة واقطعه قصبة ﴿١٩١ ب﴾ قليوب لخاصته واشار عليه بملاقاة التتار وقوى جاشه وحرك عزائمه وحرضه على التوجه للقائهم وتكفل له بحصول الظفر من تلقائه، فخرج يوم الاثنين خامس عشر شعبان بجميع عساكر مصر مع ما انضاف اليهم من العرب وغيرهم لقصد التتار الذين بالشام، فلما وصل الى مرج عكا اتصل بكتبغانوين مقدم عسكر التتر بالشام خروج الملك المظفر وكان فى بلد حمص فتوجه الى الغور وبعث الملك المظفر للامير ركن الدين البندقدارى فى عسكر ليتجسس خبر التتر فلما وقعت عينه عليهم كتب الى

(١) كذا فى نزج ٧ ص ١٠١ وبها مشه « نسبة الى شهرزور ووقع فى الاصل الشهرورية» خطأ (٢) من نز .

Marfat.com

الملك المظفر ليعلمه بوصولهم ثم انتهز الفرصة فى مناوشتهم ليكون له اليد البيضاء عند الاسلام، فلم يزل يستدرجهم تارة بالاقبال وتارة بالاحجام حتى وافى بهم الى الملك المظفر على عين جالوت فكانت الوقعة التى ايّد الله بها المسلمين على التتر، وأخذ بها منهم ثار اهل الوبر، والمدر وحاق بهم مكر السيف، وحكم فيهم الحتف بالحيف، وقتلوهم واخذوهم ومعهم ملكهم كتبغا نوين (١) فقتل واخذ رأسه وأسر ابنه، وكانت الوقعة بين التتر والمسلمين على عين جالوت يوم الجمعة خامس وعشرين من شهر رمضان المعظم ووصل الخبر الى دمشق فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فانهزم تلك الليلة من كان بدمشق من التتار وايل سبان نائب الملك واتباعه وتبعهم الناس واهل الضياع ينهبونهم ويقتلون من ظفروا به فلله الحمد والشكر ﴿ ١٩٢ الف ﴾ وجرّد الملك المظفر خلف التتر الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى فتبعهم الى حمص وقتل واسر منهم خلقا كثيرا ورجع الى دمشق ودخل السلطان الملك المظفر الى دمشق يوم الأحد رابع شوال فاقام بها الى ان خرج منها طالبا للديار المصرية ووصل الى دمشق الى خدمة الملك المظفر الملك الاشرف صاحب حمص والملك المنصور صاحب حماة فانعم عليهما واكرمهما غاية الاكرام وممن قتل بعد المعركة الملك السعيد [حسن] (٢) بن الملك العزيز [عثمان] (٢) ابن العادل صاحب الصّبيبة وبانياس بقى محبوسا بقلاع الشام بعد موت الملك الصالح ايوب وابنه المعظم توران شاه

(١) وقع فى الاصل « كتبغا » (٢) من نز وقد تقدم نظيره آنفا.

وكسرت

Marfat.com

وكسرت الفرنج بالديار المصرية سنين كثيرة آخرها بقلعة البيرة على الفرات، فلما وصل التتر اليها اخرجوه وصار معهم ثم قدم مع مقدمهم كتبغانوين الى دمشق وحضر فتح قلعتها وتسلم بلاده فلما قدم العسكر المصرى فى هذه الكرة قاتل مع التتار فلما وقعت الكسرة عليهم جاء الى الملك المظفر فلم يقبله وقال له لولا الكسره ماجئت الىّ وامر به فقتل، ووصل كتاب السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز الى دمشق من طبرية تاريخه يوم الاحد السابع والعشرين من شهر رمضان وهو اول كتاب ورد منه الى اهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونة العظيمة وبوصوله اليهم بعدها .

ومن العجائب أن التتار كسروا واهلكوا بابناء جنسهم من الترك وعمل الشيخ ﴿١٩٢ ب﴾ شهاب الدين ابو شامة فى ذلك شعرا:

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركىّ يجود بنفسه
بالشام بدّدهم وفرّق شملهم ولكل شىء آفة من جنسه

ولبعض شعراء دمشق ايضا:

هلك الكفر فى الشآم جميعا واستجدّ الاسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر [الملك - ١] الار وع سيف الاسلام عند نهوضه

---

(١) سقط من الاصل (ص ١) وهو فى نزوفى نسخة الذيل المحفوظة فى خزانة جامعة كمبوزج التى استنسخها المستشرق كرنكو الالمانى للدائرة وفيها مخالفة لنسخة ليدن صوفيا بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان وهى ناقصة الاوائل وابتداؤها من هذا الموضوع من اثناء سنة ٦٥٨ وسنأخذ منها ما ظفرنا به مما يفيدنا فى تصحيح =

[ملك جاء نا بعزم و حزم فاعتززنا بسمره و بيضه] (١)
اوجب الله شكر ذاك علينا دائما مثل واجبات فروضه

وممّا حكى ابن الجزرى فى تاريخه عن الملك المظفر قطز قال لما كان فى رق ابن الزعيم بدمشق بالقصاعين اتفق أن استاذه بعض الايام غضب عليه و لطمه على وجهه و لعن والديه وابوه و جده فقعد يبكى و ينتحب كثيرا و حضر الطعام فلم يأكل منه شيئا و بقى ذلك اليوم طول نهاره يبكى ثم ان استاذه ركب بين الصلاتين الى الخدمة واوصى به الى الفراش و قال له اطعم قطز واعتبه واسترضه هذه صورة ما حكى الحاج على الفراش قال فجئت اليه بعد ركوب استاذه فقلت له ما هذا البكاء العظيم من لطمة او لطشة تعمل هذا العمل كله لوضربت الف عصاة او الف دبوس اوجرحت بالسيف ما عملت هذا كله ولا بعضه فقال والله ما بكائى و غيظى من اجل لطشة انما غيظى من لعنته ابوأى و جدى و ابواى خير منه و من ابوه و جده فقلت له من انت و من ابيك ﴿١٩٣ الف﴾ قطعة مملوك تركى كافر بن كافرين (٢) فقال و الله ما انا الا مسلم ابن مسلمين (٣) انا محمود ابن ممدود (٤) ابن اخت خوارزم شاه من اولاد الملوك، قال فسكت و طابيته (٥) و تقلبت به الاحوال الى ان ملك مصر والشام و لما ملك دمشق احسن الى الحاج على الفراش و اعطاه خمسمائة دينار مصرية .

=نسخة اياصوفيا (١) من نز واكسفورد (٢) وفى نز « فقلت من ابوك واحد كافر » (٣) نز « ابن مسلم» (٤) بهامش نز« فى عقد الجمان« محمود بن مودود » (٥) كذا وفى نز« فسكته وترضيته » .

وحكى المذكور ايضا قال حكى لى الحاج ابو بكر المعروف بابن الدريهم الاسعردى الحاج (١) زكى الدين ابراهيم [الجزرى المعروف بالجيلى] (٢) استاذ الفارس اقطاى قال كنا عند الامير سيف الدين قطز لما ملك استاذه المعز فقد حضر عنده منجم قد ورد من بلاد الغرب وهو موصوف بالحذاقة والمعرفة فى علم الرمل وعلم الفلك فامر اكثر حاشيته بالانصراف فانصرفوا وكنا نحن من اكابر اصحابه واتباعه فجئنا حتى نقوم فامرنا بالقعود وما ترك عنده الا من يثق اليه فى خواصه ..... انه صرف اكثر مما ليكه وقال للمنجم اضرب فضرب وعمل صناعته وحدثه باكثر ما كان فى نفسه ثم آخر ما قال له اضرب وأبصر من يملك بعد استاذى ومن يكسر التتر ومن يكون هلاكهم على يديه قال فضرب وبقى زمانا يحسب وهو مفكر يعدّ على اصابعه فقال له ياخوند يطلع معى خمس حروف بلا نقط وابو هذا ايضا خمس حروف بلا نقط واسمك ياخوند ثلاث حروف وكذلك ولد السلطان على وفى الضرب خمسة بلا نقط فقال له لم لا تقول محمود بن ممدود فقال له المنجم ياخوند ولايقع (٣) غير هذا الاسم فقال له انا محمود ابن (١٩٣ب) ممدود وانا الذى اكسر التتر وآخذ بثار خالى خوارزم شاه قالوا فتعجبنا من كلامه وفرحنا وقلنا ان شاء الله تعالى يكون هذا ياخوند ثم اننا استكتمنا هذا الامر واعطى المنجم ثلاث مائة درهم وصرفه

(١) كذا وفى نز «الاسعردى وآلزكى ابراهيم استاذ الفارس اقطاى قالا كنا».
(٢) ليس فى نز (٣) وقع فى نز «لاينفع» كذا.

Marfat.com

ثم قدر الله تعالى تملكه وكسره للتتر خذلهم الله تعالى .

وفيها توجه الملك المظفر الى مصر وترك الامير علم الدين سنجر الحلبي نائبا بدمشق وبحلب الملك المظفر على بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ثم رجع طالب الديار المصرية فى يوم الثلثاء سادس وعشرين شوال وقد نقل الصاحب عز الدين بن شداد فى سيرة الملك الظاهر ان الملك المظفر لما ملك دمشق كان عازما على التوجه الى بلد حلب ليغسل عنها بالتفقد لها وضر التتر فوشى اليه واشٍ ان الملك الظاهر تنكر له ..... عليه وانه عازم على مسكه فصرف وجه توجهه عن قصده وعزم للتوجه الى مصر مضمرا للظاهر سوءا اسره الى بعض خواصه فاطلع عليه الامير ركن الدين البندقدارى فخرجوا من دمشق يوم الثلثاء سادس عشر شوال ولم تزل الضغائن والحقود تتراءى فى صفحات العيون والخدود وكل منهما يحترس من صاحبه بجنة الخداع ، ويترقب فرصة تقف الروح من الجسد بانتهازها على ثنية الوداع ، الى ان اجمع رأى الظاهر على قتله واتفق مع الامير سيف الدين بهادر المعزى والامير بدر الدين بكتوت الجوكندارى المعزى والامير سيف الدين بيدغان ﴿١٩٤ الف﴾ الركنى والامير سيف الدين بلبان الهارونى والامير علاء الدين انس (١) الاصبهانى فلما قارب القصير بين الغرابى والصالحية(٢) انحرف عن الدرب للصيد فلما قضى وطره وعاد الى الدهليز سايره

(١) كذا وفى نز « سيف الدين انص من مماليك نجم الدين الرومى الصالحى »

(٢) فى نز « الى ان وصل الى القصير وبقى بينه وبين الصالحية مرحلة واحدة »

Marfat.com

الظاهر و اصحابه و يطلب منه امرأة من سبي التتر فانعم له بها فاخذ يده ليقبلها، و كانت تلك اشارة بينه و بين من اتفق معه فلما رآه قد قبض على يده بادره الامير بدرالدين بكتوت على عاتقه بالسيف فابانه ثم اختطفه الامير عـــلاء الدين انس (١) و القاه عن فرسه ثم رماه الامير سيف الدين بهادر بسهم اتى على روحه و ذلك يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة ثم ساروا الى الدهليز فاجالوا قداح الرأى بينهم فيمن يملكوه عليهم و يسلموا اليه قيادهم و يصونوا بمواضى عزمه حريمهم و اولادهم فوقع إتفاقهم على الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى فتقدم الامير فارس الدين اقطاى المستعرب المعروف بالاتابك فبايعه و حلف له ثم الامير سيف الدين بلبان الرشيدى ثم الامراء على طبقاتهم و نعت بالملك القاهر ثم فى الحالة الراهنة قال له الامير فارس الدين الاتابك لايتم لك الملك الا بدخولك الى قلعة الجبل فركب هو و الامير فارس الدين الاتابك و الامير بدرالدين بيسرى الشمسى و الامير سيف الدين قلاوون الالفى و الامير بدرالدين بيليك (٢) الخزندار (٣) و جماعـــة من خواصه قصد قلعة القاهرة ليسبق اليها من يطمع نفسه ﴿١٩٤ ب﴾ بالملك و رتب مسيره الى القاهرة الامير جمال الدين آقوش التجيبي استاذ دار والامير

(١) راجع ص ٣٧٠ نمرة (١) من هذا الكتاب (٢) مثله فى نز و بهامشه «كذا فى السلين و السلوك (ص ٤٣٦) و ابن اياس (ج ١ ص ٩٩) و ذيل مرآة الزمان و فى ل الصاف و كترمير (ج ١ ص ١١٧) «بيلبك» بالباء الموحدة قبل الكاف» و «لبجازندار».

Marfat.com

عزالدين الافرم امير جندار و الامير حسام الدين لاجين الدرفيل والامير سيف الدين بلبان الرومى فى الدواداریة و اقرالامير بهاء الدين على عادته اميراخور ولقيه فى طريقه الامير عزالدين الحلى نائب السلطنة عن الملك المظفر وكان قد خرج للقاء الملك المظفر فاعلمه بصورة الحال وعرض عليه ان يحلف له فحلف ثم تقدم بين يديه الى القلعة فلم يزل على بابها ينتظره حتى وصل اليها فدخلها و تسلمها و الطالع السرطان وكانت القاهرة قد زينت لقدوم الملك المظفر و الناس فى جذل وسرور وفرح وحبور فلما اسفر الصبح وطلع النهار لم يشعر الناس الا والمنادى ينادى يا معشرالناس رحمكم الله ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس فوجموا الناس لما به دهموا خوفا من عود دولة البحرية اليهم و القاء كلكلها عليهم ثم سرى عنهم ما لحقهم بموا عيد برزت اليهم لان الملك المظفر كان قد احدث على اهل مصر حوادث كثيرة فى هـــذه السنة سنة ثمان وخمسين منها تسقيع الاملاك و تقويمهـا و زكاتها و اخذ ثلث الزكاة و اخذ ثلث الترك و دينار عن كل انسان و مضاعف الزكاة و مبلغ ذلك فى السنة ستمائة الف دينار فاطلقه لهم الملك الظاهر وكتب بذلك توقيع و فرحوا ﴿١٩٥الف﴾ غاية الفرح و لمـا اسفرت الليلة التى وصل فيها عن يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة جلس فى ايوان القلعة حيث تجلس الملوك وكان الوزير يومئذ زين الدين (١) ابن الزبير وكان فاضلا فى الادب و الترسل

(١) فى «يعقوب بن الزبير» وبهامشه «هو يعقوب بن عبدالرفيع بن زيد بن مالك

Marfat.com

وعلم التاريخ وغيره فاشار بتغيير هذا اللقب وقال ما لقب به احد فافلح لقب به القاهر ابن المعتضد فلم تطل امامته(١) وخلع وسمّل ولقب بـــه الملك القاهر بن صاحب الموصل فسمّ ولم تزد ايامه فى المملكة على سبع سنين فابطـــل اللقب الاول الملك القاهر ولقب نفسه بالملك الظاهر وكتب الى الملك الاشرف صاحب حمص والى الملك المنصور صاحب حماة والى الامير مظفر الدين عثمان بن منكوس صاحب صهيون والى الاسماعيلية والى المظفر علاء الدين [على بن لؤلؤ] (٢) بن بدر الدين بحلب والى الامير علم الدين الحلبى النائب بدمشق، ولما بلغ الامير علم الدين سنجر الحلبى النائب قتل المظفر وتملك الظاهر للبلاد رغبت نفسه عن الانقياد فجمع من كان عنده من الامراء الذين رتبهم معه الملك المظفر واعيان دمشق من ذوى الحل والعقد والزمهم بالحلف له على ان يكونوا فى طاعته فاجابه بعض الامراء ظاهرا ووافقه الباقون فلما استتب له مراده نعت نفسه بالملك المجاهد فكتب الى النواب المسلمين القلاع الشامية وطلب تسليمها منهم اليه فمنهم من اجاب ومنهم من ابى وبعث الى الاشرف صاحب حمص والى المنصور صاحب حماة ﴿ ١٩٥ ب ﴾ والى الامراء العزيزية بحلب يستميلهم اليه ويرغبهم فى طاعته .

وفى العشر الاخير من ذى القعدة رسم (٣) الامير علم الدين الحلبى بتجديد عمارة قلعة دمشق وزفت بالمغانى والطبول والبوقات وفرح اهل دمشق بذلك وحضر امراء الدولة وخلع على الصنّاع والنقباء

---

(١) من ولد عبد الله بن الزبير (١) نز« مدته » (٢) من نز (٣) نز« امر ».

Marfat.com

وعمل الناس فى البناء حتى النساء وكان يوم الشروع فى تجديد عمارتها يوما مشهودا وفرحا عظيما لاهل دمشق .

وفى سادس ذى الحجة من هذه السنة خطب على منابر الجوامع بدمشق للملك الظاهر ركن الدين بيبرس وذكر بعده الذى تولى دمشق الملكُ المجاهد علم الدين سنجر الحلبي وضربت الدراهم باسمهما على الوجه الواحد الملك الظاهر ركن الدنيا والدين والآخر الملك المجاهد علم الدنيا والدين .

ذكر ما جرى بحلب

لما ملك الظاهر مصر والملك المظفر ابن صاحب الموصل متوليا حلب اساء السيرة وظلم وعسف الرعية واستجبى من اهلها خمسين الف دينار اجحفت بهم، ولما وصلت الاخبار بوفاته كان بحلب الامير حسام الدين لاجين الجوكندارى العزيزى فاتفق من بها من العزيزية والناصرية والمصرية على قبض الملك المظفر ابن صاحب الموصل واخذ ما اخذه فى المصادرة وحبسوه فى قلعة الثغر وقدم الامير حسام الدين الجوكندارى وفوضوا اليه نيابة السلطنة وذلك فى سابع ذى الحجة .

وكان الامير حسام الدين ﴿١٩٦ الف﴾ المذكور قد اخذ اذنا من الملك المظفر وتوجه الى حلب لاستخلاص ما تبقى له من الاقطاع والودائع والذخائر من الايام الناصرية، فلما اتفق بحلب ما اتفق اجمعوا على تقدمته فلما صار اليه ما صار من امر حلب كتب اليه الامير علم الدين

Marfat.com

سنجر الحلبي يرغب اليه ان يخطب له على ان يقطعه اقطاعا عينـــه له زيادة على ما كان فى يده من الآيام الناصرية فابى الا القيام على طاعة صاحب الديار المصرية .

وفيها وصلت التتر الى حلب يوم الخميس سـادس وعشرين ذى الحجة ظهرا فخرج منها الامير حسام الدين لاجين ومن كان فيها من الامراء بكرة اليوم المذكور وكان مقدم التتر بيدرة ونادوا فى شوارع البلد وعلى المأذنة بالأمن والسلامة ونادوا فى ظاهرها كذلك واقروا اهلها فى منازلهم ثم خرجوا منها وشحنوا فى بلادها، ولمـا وصلت الامراء الذين كانوا بحلب الى حماة بعثوا الى الملك المنصور صاحبها فحذروه من التتر ويشيروا عليه بالخروج اليهم وموافقتهم فظن ذلك حيلة منهم عليه فلما تحقق امرهم وما قالوه صحيح خرج اليهم ولحق بهم وسار معهم الى حمص ووصلت غارة التتر الى حمـاة وسنذكر ما تجدد من اخبارهم فى حوادث سنة تسع وخمسين وستمائة .

وفيها فى هذه السنة كثر تغير الدول ومتولي الحكم بالشام فكان من اول السنـــة الى نصف صفر فى مملكة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب وهو آخر ﴿١٩٦ ب﴾ من ملك من بنى ايوب رحمهم الله وايانا ثم صار فى مملكة التتار الى الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم ثم صار فى مملكة الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى صاحب الديار المصرية الى انه قتل فى ذى القعدة ثم صار فى مملكة الملك الظاهر ركن الدين، بيبرس البندقدارى وعلم الدين سنجر الحلبى وهى اول سنة

Marfat.com

صار امر الشام الى ملوك الديار المصرية فلاجل ذلك عملت الخطبة فى اول سنة ثمان و خمسين و ستمائة وكان القضاء فى اول السنة تولاه بدمشق صدر الدين بن سنى الدولة مستقلا به من خمسة عشر سنة الى ان ملكوا التتار فولوا كمال الدين عمر (١) التفليسى ثم سافر محى الدين بن الزكى و القاضى صدر الدين ابن سنى الدولة الى هولاكو فولاهما القضاء و توفى صدر الدين فى بعلبك فاستقل محى الدين بالقضاء وحده الى ان تولى الملك المظفر سيف الدين قطز الشام فولى القاضى نجم الدين بن صدر الدين بن سنى الدولة .

و فيها ابتلى الناس بالشام بغلاء شديد عام فى جميع الاشياء من المأكول و الملبوس و غيرهما و بلغ رطل الخبز درهمين و رطل اللحم خمسة عشر درهما (٢) و اوقية القيبريس (٣) درهما و الجبن درهما و نصفا و الثوم اوقية بدرهم و العنب رطلا بدرهمين و من اكبر اسبابه ما احدثه الفرنج من ضرب الدراهم المعروفة باليافية وكانت كثيرة الغش قيل انه كان فى المائة نحو خمسة عشر درهما فضة و الباقى نحاس و كثرت فى ﴿١٩٧ الف﴾ ايدى الناس و تحدث فى ابطالها [مرارا فبقى كل من عنده شىء حريصا على اخراجه خوفا من بطلانها فتراه يدأب فى شراء اى شىء كان] (٤) فيتزايد فى السلع بسبب ذلك الى ان بطلت فى اواخر هذه السنة فعادت

---

(١) نر ابن بندار وفى ذيل الروضتين « محمود بن بندار» (٢) ذيل الروضتين « خمسة دراهم » (٣) فيه ايضا« القنبريس» (٤) من ذيل الروضتين وبه يستقيم معنى العبارة .

Marfat.com

تباع كل اربعة دراهم منها بدرهم ناصرى مغشوش و افتقر لسببها خلق كثير و انتفع آخرون .

و لما ملكوا التتار دمشق كان الملك الاشرف بن صاحب حمص توجه صحبة الملك الناصر فخلاه من بعض البلاد وراح الى التتار الى حلب الى خدمة هولاكو اخذ منه فرمان فرسم له ان يكون من جملة نوابه بالشام المحروسة و اقطعه مائة فارس و من جملة ما اقطعوه معربا و التل و منين من حبه اعسال (١) التى كانت اقطاع الملك المجاهد جده و بقى مقيما بدمشق يعمل النيابة مع نواب التتار الى ان كسروا فهرب مع نواب التتار الى الرحبة فلما ملك الملك المظفر دمشق سير الملك الاشرف صارم الدين ازبك و حسام الدين لؤلؤ اليه طلبوا له الأمان و حلفوه انه مايؤذيه فحضر اليه فركب للقائه و احسن اليه و اعطاه حمص و الرحبة و زاده تل باشر و توجه الاشرف الى حمص و طلع القلعة و اقام بها الى ان توفى رحمه الله فى الايام الظاهرية و عند وفاته سيّر الامير جمال الدين التجيبى الامير بدر الدين بيليك (٢) العلائى الكبير وشرف الدين ابن الوزان الى حمص احتاطوا على حواصلها و حملوا المال و الجوهر و القماش الذى خلفه و الخيل و البغال و الجمال الى الديار المصرية و اقاموا بها الى ان حضر اليها الامير علم الدين سنجر الباش قردى (٣) نائبا بها فحضروا ﴿١٩٧ ب﴾ المذكورون الى دمشق المحروسة .

(١) كذا (٢) تقدم مافيه قريبا (٣) ز «الباشقردى» و بهامشه «و يقال الباشغردى و يقال الباشجردى نسبة الى باشقرد بلاد بين القسطنطينية و بلغار» راجع معجم البلدان ج ٢ ص ٣٧ .

Marfat.com

و فيها توفى السلطان الملك السعيد نجم الدين ايلغازى ابن الملك المنصور ناصر الدين (١) ارتق ارسلان بن نجم الدين ايلغازى ابن البي ابن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق [السلطان ابو الفتح] (٢) صاحب ماردين و اعمالها و ذلك فى سادس عشر صفر و قيل فى ذى الحجة وهو الاصح نقله الله الى رضوانة و وفر حظه من غفرانه بسبب و باء وقع فى اهل القلعة فاهلك اكثرهم و وصل الخبر الى التتر بموته من رجل يسمى احمد بن الفارس على الشافصنى رمى بنفسه من القلعة الى التتروهم على حصار القلعة كما تقدم ذكره و لما اتصل بهم و فاته بعثوا رسلا الى ولده الملك المظفر و طلبوا منه الدخول فى الطاعة فبعث اليهم عز الدين يوسف ابن السماع ليتعرف له منهم ما اضمرت نفوسهم فلما اجتمع بمقدميهم و هما قطزنوين و جرموغ قالا له ان بين الملك المظفر قرا أرسلان و بين ايل خان يعنون ملكهم هولاكو و عدا أن و الده متى مات و تسلم الملك بعده دخل فى طاعته فقال لهم عز الدين هذا صحيح لكن انتم اخربتم بلاده و قتلتم رعيته فبأى شىء يدخل فى طاعته حتى يدارى عنه فقالا قد علمنا ذلك و نحن نضمن له ان ايل خان متى اتصل به و فات الملك السعيد و ان ولده الملك المظفر دخل تحت طاعته على ما كان تقرّر بينهما عوضه عما خرب من بلاده بلادا عامرة مما تجاوره

---

(٣) فى ز « ابى المظفر ارتق بن ارسلان» و بهامشه «فى المنهل الصافى و السلوك» الملك السعيد ايلغازى ابن المنصور ارتق بن ايلغازى . . . . الخ باسقاط كلمة « ابن ارسلان»(٢) من ز .

فلما

فلما عاد عز الدين الى الملك المظفر و اخبره بما داربينهما و بينه ردّه اليهم برسالة مضمونها ﴿١٩٨الف﴾ ان اردتم ان اسيّر رسلى الى ايل خان فابعثالى رهائن من جهتكما تكون عندى الى ان يرجعون و تردّدت الرسل بينه و بينهم الى ان استقر الحال بينهم ان بعث قطزنوين و لده و بعث جرمون ابن اخيه ، فلما صعدا القلعة الى عند الملك المظفر بعث نور الدين محمود بن كاجار اخا الملك السعيد لأمه و اصحبه قطزنوين من جهته الامير سابق الدين بلبان فوصلا إلى هولاكو و هو بمراغه فأدّيا الرسالة و كان مضمونها ما تقدم فاجاب الى ما ضمناه قطزنوين و جرمون و كتب لهم بذلك بفرامين و بعث بها مع قصّاد من جهته و ابقى الرسل عنده و امرهما بالرحيل عن ماردين ، فرحلا فى شهر رجب الفرد من سنة تسع و خمسين و ستمائة ثم بعث هولاكو الرسولين و اصحبهما كوهداى من اكابر امرائه و مقدميه فوصلوا الى ماردين و انتظم الصلح و الهدنة بين هولاكو و الملك المظفر واسلم بعد ذلك المقدم كوهداى على يد الملك المظفر و ازوجه اخته من ابيه، كان الملك السعيد شهما بطلا جوادا كريما حازما امره و عنده حسن سياسة و احتراز وافر .

و فيها قتل الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله مملوك الملك المعز عز الدين ايبك بن عبد الله الصالحى التركمانى بين الغرابى و الصالحية كما تقدم ذكره كان بطلا شجاعا هماما و له سطوة و عنده بطش و جرأة و اقدام فى جميع الامور كان مدة ملكه منذ قبض على ابن استاذه الملك المنصور على بن الملك المعز ﴿١٩٨ب﴾ الى ان قتل نحو من سنة حكى

Marfat.com

انه لما سافر من القاهره الى الشام كان فى درجة سيره حيث اتجه يفتح عليه و ينتصر لكنه لايرجع الى مستقر ملكه ابدا و تصديق ذلك ما حكاه النجم النحاس المنجم بـــدمشق فى شهور سنه خمس و ثمانين وستمائـــة قال كنت بالقاهرة لما اراد الملك المظفر الخروج الى لقاء التتر قال فجمعونا فكنا خمسة عشر منجما قال فبقينا فى قلعة الجبل ثمانية ايام والراتب يجيئنا و قالوا لنا ابصروا طالع سعيد لسلامة السلطان و رجوعه سالما، قال فاتفقنا جميعنا على ان نأخذ طالعا يكون فيه سلامة المسلمين و النصر على العدو المخذول و لم نفكر بسلامة الملك المظفر و لا رجوعه فكان من امره ما كان .

و قال الشيخ قطب الدين اليونينى (١) كان الملك المظفر سيف الدين قطز بطلا شجاعا و لم يكن يوصف بكرم ولاشح بل كان متوسطا و اول من اجترأ على التتر وكسرهم بعد علاء الدين خوارزم شاه كسرة عظيمة جبر بها الاسلام و ذكر ايضا قال حكى عنه أنه قتل يوم المصاف جواده بعين جالوت و لم يصادف فى تلك الساعة احد من الاوشاقية (٢) الذين معهم جنائبه فبقى راجلا ورأه بعض الامراء الشجعان فترجل عن حصانه و قدمه له ليركبه فامتنع و قال ما معناه ما كنت لآخذ حصانك

(١) قد ذكر هذه القصة صاحب النجوم الزاهرة و نسبها الى الشيخ قطب الدين اليونينى ج ٧ ص ٨٦ وسنشير الى تحقيق نسبة ذلك الى الشيخ قطب الدين اليونينى فى المقدمة (٢) كذا فى نز وبهامشه ... «وهو الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير و الرياضة ووقع فى الاصل « وشاقسه » .

فى

فى هذا الوقت و امنع المسلمين الانتفاع بك و اعرضك للقتل و حلف عليه أن يركب فرسه فامتثل امره و وافاه الوشاقية (١) بالجنائب فركب فلامه بعض خواصه ﴿١٩٩ الف﴾ على ذلك (٢) و قال ياخوند لوصادفك و العيأذ بالله بعض المغل و انت راجل كنت رحت و راح الاسلام فقال، أما انا فكنت اروح الى الجنة ان شاء الله تعالى و اما الاسلام فما كان الله ليضيعه، فقدمات الملك الصالح [نجم الدين ايوب] (٣) و قتل الملك المعظم و الامير فخر الدين بن الشيخ مقدم العساكر [يوم ذاك] (٣) و نصر الله الاسلام بعد اليأس من نصره يشير الى نوبة المنصورة (٤) و لما قدم الى دمشق بعد الكسرة اجرى الناس كافة على ماكانوا عليه آخر الايام الناصرية فى رواتبهم ومقرراتهم و اطلاقاتهم و لم يتعرض الى مال احد ولا الى ملكه ثم توجه بعد تقرير قواعد الشام و ترتيب احواله على اجمل نظام الى الديار المصرية فرزقه الله الشهادة فقتل مظلوما .

و حكى الشيخ قطب الدين اليونينى (٥) عن المولى علاء الدين على بن غانم حرسه الله قال حكى لى فى غرّة شوال سنة احدى و تسعين وست مائة ببعلبك قال حدثنى المولى تاج الدين احمد بن الاثير الحلبى ما معناه ان الملك الناصر [صلاح الدين يوسف] (٣) لما كان مقيما على برزة فى اواخر

(١) راجع الصفحة الماضية (٢) الظاهر ان المشار اليه هو الركوب المفهوم من ركب وهو مخالف لما فى النجوم عن الذيل وعبارته « لكنه اى اليونينى اراد بأن قال فلام المظفر بعض خواصه على عدم ركوبه (٣) من نز (٤) فى نز يعنى عن نوبة اخذ الفرنج دمياط] و فى اكسفورد « والقصة معروفة تحتاج الى شرح » (٥) راجع الحاشية المارة ص (٣٨٠).

سنة سبع و خمسين و ست مائة وصله قُصَّاد من مصر بكتب يخبرونه فيها ان قطز تسلطن بالديار المصرية و قبض عـلى ابن استاذه قال تاج الدين فطلبنى السلطان قرأت عليه الكتب و قال لى خذ هذه الكتب و رح (١) بها الى الامير ناصر الدين القيمرى و الامير جمال الدين ابن يغمور و اوقف كلا منهما عليها قال فأخذتها فخرجت فلما بعدت عن الدهليز لقينى حسام الدين البركة خانى فسلم ﴿١٩٩ ب﴾ عـلىّ و قال جاءكم بريد (٢) او قصّاد من الديار المصرية فوريت عنه فقلت ماعندى علم بشىء (٣) من هذا قال قطز تسلطن و تملك الديار المصرية و يكسر التتر قال المولى تاج الدين فبقيت متعجبا من حديثه فقلت ايش هذا القول و من اين لك هذا القول قال و الله هذا قطز هو خشداشى كنت انا و اياه عند الهيجاوى من امراء مصر و نحن صبيان و كان عليه قمل كثير فكنت اسرح رأسه على اننى كلما اخذت منه قملة آخذ منه فلسا اوصفعته فلما كان فى بعض الايام اخذت عنه قملا كثيرا و شرعت اصفعه ثم قلت فى غضون ذلك و الله ما اشتهى الاّ ان الله يرزقنى امرة خمسين فارسا فقال لى طيب قلبك انا اعطيك امرة خمسين فارسا قال فصفعته و قلت مالك انت تعطينى امرة خمسين قال نعم فصفعته فقال لى والك علّة ايش يلزم لك الاّ امرة خمسين فارسا انا و الله اعطيك قلت والك(٤)

---

(١) كذا فى نز و وقع فى الاصل «و روح» (٢) كذا وفى نز «بريدى» (٣) كذا فى نز و وقع فى الاصل «ايش» (٤) كذا وفى نز «ويلك» وبهامشه «فى الاصلين هاهنا وفيما سيأتى بعد قليل (وقبل قليل) والك وما اثبتناه عن شذرات الذهب»

كيف

Marfat.com

كيف تعطينى قال انا املك الديار المصرية فانى رأيت النبّى صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال لى انت تملك الديار المصرّية و تكسر التتر و قول، النبّى صلى الله عليه وسلم لاشك فيه، قال فسكت و كنت اعرف منه الصدق فى حديثه وعدم الكذب و تنقلت به الاحوال و ارتفع شأنه إلى ان صار هو المتحكم فى الدولة و ما اشك، انه يملك الديار المصرية و يكسر التتر كما اخبره النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال المولى تاج الدين فلما قال لى هذا قلت له و الله قد وردت الاخبار انه تسلطن ﴿٢٠٠ الف﴾ فى الديار المصرية قال لى و الله يكسر التتر فما مضى عن هذا الامر الا مدة يسيرة حتى خرج وكسر التتر على ما تقدم ذكره، قال المولى تاج الدين رحمه الله فرأيت حسام الدين البركة خانى الحاكى لى ذلك بالديار المصرية بعد كسرة التتر فسلّم على و قال يا مولنا (١) تاج الدين تذكر ما قلت لك فى الوقت الفلانى قلت نعم قال و الله حال ما عاد الملك الناصر من قطيا و دخلت انا الديار المصرّية اعطانى امرة خمسين فارسا كما قال رحمه الله لا زائدا على ذلك قال المولى تاج الدين فتعجبت من هذه الصورة .

وذكر ايضا قال حكى لى الامير عزّ الدين محمّد بن ابى الهيجاء ما معناه ان الامير سيف الدين بلقاق (٢) رحمه الله حدثه ان الامير بدر الدين بكتوت الاتابكى حكى له قال كنت انا و الملك المظفر قطز و الملك الظاهر [بيبرس] (٣) ركن الدين رحمهما الله فى حال الصبا

(١) نز « مولاى » (٢) كذا و فى نز « بلغاق » وفى اكسفورد « يلقاق » .
(٣) من نز .

كثيرا ما نكون مجتمعين فى ركوبنا و غير ذلك، فاتفق ان رأينا منجما فى بعض الطرق بالديار المصرّية فقال له الملك المظفر أبصر نجمى فضرب بالرملْ و حسب و قال له انت تملك هذه البلاد و تكسر التتار فشرعنا نهز أبه ثم قال له الملك الظاهر فابصر نجمى فضرب بالرمل و حسب و قال له و انت [ايضا] (١) تملك الديارْ المُصرية و غيرها فزاد الاستهزاء به ثم قالا لى لابد ان تبصر نجمك فقلت له ابصرلى فضربْ و حسب فقال لى و انت يحصل (٢) لك امرة مائة فارس يعْطيك هذاْ و اشار الى الملك الظاهر ﴿ ٢٠٠ ب ﴾ فاتفق ان الامر وقع كما قال لم يخرم منه شىء، و هذا من عجيب ألا تفاق .

الامير حسام الدين ابو على بن محمد بن باساك بن ابى على الهذبانى كان من اكابر الامراء و له المنزلة العلية عند ملوك بنى ايوب و ولى مرتين نيابة السلطنة بدمشق زمن الملك الصالح نجم الدين ايوب كان شجاعا مهيبا و قورا وكانت وفاته فى شهر رمضان بمصر و دفن بتربة والده بالرصد بمصر مولده سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة، و له نظم حسن فمن ذلك قوله :

اهوى رشأ من خالص الترك رشيق فى الصحو معربد و فى السكر مفيق
فى فيْه لعاشقيه دُرٌّ وعقيق ما احسنه عندىْ عدوّ و صديق

و له ايضا :

لبّيت داعى هواكُم حين نادانى وقلت شأن الهوى العذرىّ من شأنى

(١) من نز (٢) وقع فى نز « تخلص » كذا .

حفظى لعهد الهوى دينى مع (١) ايمانى وحبكم صاحبي فى طىّ ا لكفانى

رحمه الله و ايانا .

صـــدر الدين التغلبي ابو العبـاس احمـــد بن قاضي القضاة شمس الدين ابو البركات يحيي بن هبة الله بن الحسن بن يحيي بن محمد بن على [بن يحيي] (٢) بن صدقة الشـافعى المعروف بابن سنّى الدولة توفى ببعلبك يوم الجمعة ثامن جمـادى الآخرة وعمل عزاؤه يوم الثلثاء ثالث عشر، جمادى الآخرة بدمشق بجامعها مولده سنـــة تسعين وخمس مائة سمع من الخشوعى و ابن طبرزد و حنبـل و الـكندى والحرستانى وغيرهم و حدث ودرس فى عدة مدارس بدمشق﴿ ٢٠١الف ﴾ وافتى وكان عالمـا بعلوم شتى و عنده مكارم اخلاق و رياسة و عنده مداراة و يصفح عمن يسىء اليه و ولى وكالة بيت المال بدمشق ثم ناب فى الحكم عن قاضى القضاة محى الدين مدة ثم و لى مستقلا قاضى القضاة بدمشق و اعمالها لما فتـــح ابن الشيخ دمشق للملك الصالح نجم الدين ايوب فى جمادى الاولى سنة ثلاث و اربعين و ستمائه و لم يزل مستقلا فى الحكم الى اوائل دولة التتر سنة ثمان و خمسين و ستمائة .

الشيخ مخلص الدين المبارك بن يحيي بن معقل الغسانى الحمصى كان فاضلا اديبا و له معرفة تامة بالانساب و هو احد مشايخ الشيعة توفى فى ربيع الآخر بجبل لبنان و كان قد هرب من حمص من التتر فادركه اجله ، و له معرفة بالادب و له نظم فمنه :

(١) كذا ولعله و ايمانى (٢) من اكسفورد .

Marfat.com

بدا لى و قد خطّ العذار بوجهه حبيب له منى (١) علىّ رقيب
كمثل هلال العيد لاح وقد دنا من الافق مرماه وحان مغيب

و له فى غلام اهدى له تفاحة من يده :

اتى يهزّ قضيب البان حين مشى من تحت طلعة بدر فوق جيد رشا
حيا (٢) بتفاحة من خده اكتسبت لونا و من ريقه طعما و طيب نشا
لاتعجبوا و هى من اوصافه خلقت ان العليل اذا ما شمها انتعشا

و له غير ذلك وكان من العلماء فى فنون كثيرة، رحمه الله و ايانا .

الشيخ نجيب الدين محمد بن العلى الخلاطى كان عالما بتعبير الرؤيا و غيرها من علوم شتى و تواريخ الناس واخبارهم، حكى ابن الجزرى ﴿٢٠١ب﴾ عن والده قال حكى لى الشيخ نجيب الدين حكاية عن سفيان الثورى قال دخل سفيان على جعفر بن محمد الصادق فقال يا سفيان ماجاء بك؟ فقال يا ابن رسول الله جئت اتعلم منك فقال يا سفيان انت رجل يطلبك السلطان و انا اهل بيت اعين الناس الينا سراع فاذا انعم الله عليك بنعمة فقل الحمدلله و اذا استبطأت الرزق فقل استغفر (٢) و اذا خفت شيئا فقل لاحول و لاقوة الاّ بالله ارجع راشدا قال سفيان فلما وليت اتبعنى بصره ثم قال يا سفيان ثلاثا و اىّ ثلاث، و روى ايضا انه خرج سليمان بن داود عليه السلام يستسقى فمرّ بنملة مستلقية رافعة قوائمها الى السماء تقول اللهم انا خلق من خلقك ليس بنا غنىً

(١) كذا ولعله منه (٢) كذا ولعله حبا اى اتحف كما يدل عليه السياق (٣) كذا ولعله سقط على الكاتب لفظ الجلالة .

عن

عن سقيك و رزقك فلا تهلكنا بذنوب بنى آدم فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم، و فى رواية قائمة على رجليها رافعة يديها تقول فانزل علينا غيثك و لاتؤاخذنا بذنوب عبادك فرجعوا يخوضون الماء الى الركب، و توفى فى شهور سنة ثمان و خمسين وستمائة، رحمه الله و ايانا و دفن بقاسيون .

الامير مجير الدين ابراهيم بن ابى بكر ابن ابى زكرى توفى مقتولا بنابلس كان من اكابر الامراء و شجعانهم بطلا هماما كريما كثير الاحسان الى الناس، و له المنزلة العلية عند الملك الصالح نجم الدين ايوب قدم فى صحبته الى الشام و ترقى عند الملك الناصر و كان حظيا عنده و كلمته مسموعة و شفاعته لاترد و عنده كرم و فضيلة و له نظم فمنه قوله :

﴿٢٠٢ الف﴾ جعل العتاب الى الصدود سبيلا

لما رأى سقمى عليه دليلا

فظللت اورده حديث مدامعى عن شرح جفنى مسندا منقولا

وله ايضا :

قضى البارق النجدى فى حالة اللمح بفيض دموعى اذ ترا أى على السفح

ذبحت الكرى ما بين جفنى و ناظرى فمحمر دمعى الآن من ذلك الذبح

قيل انه لم يقتل حتى قتل من التتر سبعة عشر نفرا و انكسر سيفه فقاتل بدبوس فتكاثروا عليه فقتلوه، رحمه الله و ايانا .

الصدر شرف الدين عثمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبدالله بن على بن المطهر بن ابى عصرون التميمى الدمشقى الشافعى مولده

Marfat.com

بدمشق فى ثامن عشر ذى الحجة سنة احدى وثمانين وخمسمائة كان. رئيسا جوادا كبير الهمة مفرطا فى الكرم يستقل الكثير فى العطاء وانفق من الاموال جملا عظيمة وتوفى وهو فقير من فقراء المسلمين.

يحكى عنه فى كرمه وسعة صدره غرائب كثيرة من جملتها انه توجه الى الديار المصرية ومعه هدية نفيسة لاولاد شيخ الشيوخ وغيرهم وكان بينه وبين اولاد شيخ الشيوخ قرابة فان والدتهم ابنة عمه فلما سير للامير فخرالدين نصيبه من الهدية استعظمها وقال بم نقابل هذا الرجل واتفق حضور الهدية سكر عال مكرر للامير فخرالدين بالقصد من بعض اقطاعاته فسير له منه حملا وقال هذا يشربوه غلمان الشيخ شرف الدين ﴿٢٠٢ ب﴾ فلما جاء السكر عمله حلوى منوعة. وكان فى خدمته حلّاوى من الشام ماهر فى صناعته وسير الحلوى للامير فخرالدين فلما اكل منها اعجبته اعجابا كثيرا ورأى لها طعما غريبا لم يعهده فى غيرها فاحضر الحلّاوى الذى فى مطبخ نفسه واطعمه من تلك الحلوى ورام منه ان يعمل مثلها فقال ما ادرى ماهذه ولااعرف كيف عملت ثم سال الحلّاوى لمن ساعد حلاوى شرف الدين على عملها عن كيفيتها فذكر انها ليست بشيرج وانما هى بدهن لوز استخرج وطبخت به مع كثرة الفستق والمسك وغيره ولعلها ارادت (١) ارادب عدة قلب لوز فاخبر الحلّاوى الامير فخرالدين بذلك فاستهالها وقال هذا جنون.

(١) كذا.

حكى الشيخ قطب الدين عن المذكور قال حكى لى الجمال نصر الله وكان فى خدمته قال خلف له والده من الاموال و الا ثاث و القماش والخيول والبغال والجمال والمماليك والجوارى والخدام ما لا يحصى كثرة و من الا ملاك كذلك، و خلف له والده سطل بلور ا كبر من المد الشامى له طوق ذهب و علاقة ذهب وهو ملآن جواهر نفيسة لو وضع عليها حبة واحدة سقطت فاذهبت الجميع بيعا و هبـــة ، كانت وفاته فى العشرين من صفر بديار مصر مغتالا لأنه كان قد اجتمع بالملك المظفر و اراه كتابا ان بمصر دفائن وانها لا تحصل الآ بخراب اما كن كثيرة و اصغى اليه السلطان فكأن بعض من كان يتحصل له الضرر بخراب ملكه اغتاله والله اعلم .

﴿٢٠٣ الف﴾ الشيخ الصالح محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر [ابو عبد الله] (١) البيطار المعروف بالا كال(٢) اصله من جبل بنى هلال مولده بقصر حجاج خارج دمشق سنة ستمائة و توفى بها خامس شهر رمضان [فى هذه السنة] (١) وكان رجلا صالحا دينا كثير الايثار للارامل والايتام والفقراء وعمارة المساجد و بنى منارة مسجـــد قصر حجاج وكان لا يدخر شيئا و لا يأكل لاحد شيئا الآ باجرة وكان ضريبة الصحن الحلوى خمسة دراهم و قدح الشراب خمسة دراهم والطعام فعلى مقداره عشرين درهما و ثلاثين درهما الى المائة وكذلك الملبوس .

حكى ابن الجزرى عن والده عن الشيخ محمد الا كال قال حكى

(١) من اكسفورد (م) ترجمته فى اكسفورد فى بضعة عشر سطرا.

Marfat.com

لى الامير فخر الدين بن ملكيشو و زين الدين محمود الخيمى قال كنا فى سماع قد عمله النقيب بهاء الدين نقيب الاشراف بداره و عنده الامير السيفى والامير ركن الدين البندقدارى و اكثر البحرية الذين كانوا فى خدمة الملك الناصر فجرى حديث الشيخ محمد الاكّال فقال السيفى انا احضره و اطعمه بغير اختياره و ما اعطيه شيئا ثم من ساعته سيّر خلفه و احضره فلما حضر احضر له صحن خلارة و قال له كل فقال ما آكل الاّ بخمسين درهما فشرع السيفى يبربس عليه فقال له الشيخ محمد والله ما آكله الا بخمسين درهما لك و للفقراء بخمسة دراهم فاحضر له خمسين درهما وأكل من الصحن ثم طلب ﴿٢٠٣ ب﴾ منه ان يطعمه شيئا آخر فلم يقبل، و اشتغل اهل السماع به و لم يزالوا حواليه يسألوه فما انقضى السماع حتى اخذ من السيفى نحو ثلاثمائة درهم و من الملك الظاهر خمسين درهما و من باقى البحرية و اهل السماع تكملة ستمائة درهم و بقى السيفى و اكثر البحرية بعد ذلك يترددون اليه ويطلبون بركته، وكان يتفقّد الحبوش (١) فوقتا يبرّهم و وقتا يخلص بعضهم و يرضى غرماءهم و لايخلى احدا يبوس يده الاّ بشىء وكان فى شهر رجب و شعبان و رمضان يطلق يديه يبوسها الناس بلاش فيجىء بعض الناس فيكثر التقبيل فيقول اغبن، وكان كثير الحج و السفر الى الحجاز وكان اذا قدم من الحج يطلق للناس يديه يبوسوها بلاش وكان اكثر الناس ينكر على من

(١) كذا فى الاصل و فى اكسفورد «المحابيس وغيرهم من المحاويج والارامل والمنقطعين».

Marfat.com

يعامله [بهذه المعاملة] (١) و ينسبه الى التهور فاذا اجتمع به انفعل له في كل ما يختار ولا يكاد يخالفه فيما يطلب منه وكان مجاورا لابن الجزري في درب الاسدية .

حكى ابن الجزري عن والده قال لما تزوجت بوالدتك اولمت و طلبت اصحابي و اهل الحارة فحضروا فقيل لي عنه فقلت للجماعة انا ما اعطيه شيئا و انا جاره و نزيله و انا رجل غريب فان حضر فلا كلام و ان لم يحضر فلا حيلة ، فراح اليه زين الدين الخيمي وذكر له ما قلت فقام وحضر و قال لي انت مشرقي غلبتني كنت اريد ان احمل لك شيئا لأجل انك ﴿ ٢٠٤ الف ﴾ جاري و الآن فقد اطلقتك ايش عندك قلت ثلاث برانى شراب فقال ثلاثين درهما قلت و الله ثلاث فلوس حمر ما اعطيك ، فقال هات من كل واحدة قدحا فشرب و لعق منهم بالملعقة ثم احضرت له حلاوة و هريسة فستق فقال والله هذا مأكول خشن يا مشرقي و الله ما غلبني احد غيرك فلا تخبر على مشترى ، قال و بقي بعد ذلك كل واحد منا يهادي صاحبه الى ان مات رحمه الله ، قال وكان دائما يبعث الي مما يجيئه و انا ابعث له من غير اجرة و كان لا يقبل لاحد هدية الا بشئ فكان كثير من الناس يبعث له شيئا فيضعوه في سفل داره او في الباب و يهربون فلا يدخل منه شيئا الى داره بل يفرقه للفقراء الحاضرين و جواره في الدرب رباطين فيسيره اليهم و الى غيرهم من المحتاجين ، وكان من عجائب الدهر و غرائبه لم يسبقه احد قبله بهذا

(١) من اكسفورد.

Marfat.com

الفعل ولاجاء بعده مثله ، رحمه الله وايانا والمسلمين اجمعين .

الفخر محمد بن يوسف الكَنجى كان رجلا فاضلا اديبا وله نظم حسن ، قُتل فى جامع دمشق بسبب دخوله مع نواب التتر ، ومن شعره فى امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه وعلى آله :

وكان علىّ ارمد العين يبتغى دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقيّا وبورك راقيا
﴿ ٢٠٤ ب ﴾ وقال سأعطى الراية اليومَ فارسا
كميا شجاعا فى الحروب محاميا
يحب الآله والآله يحبه بـــه يفتح الله الحصون كماهيا
فخّص به دون البرية كلها عليا وسماه الوصى المواخيا (١)

رحمه الله وايانا .

الشيخ الامام الناسك الربانى العارف القدوة الزاهد العابد الورع القطب ابوبكر بن قوام بن على بن قوام (٢) بن منصور بن معلى بن حسن ابن هارون بن قيس بن ربيعة بن عمار بن هلال بن قصى بن كلاب الراسبى الزاهد ، احد مشايخ الشام رضى الله عنهم اجمعين ولد بمشهد صفين سنة اربع وثمانين وخمسمائة ثم انتقل الى بالس وبها ربى ، وكان شيخا زاهدا عابدا قانتا لله تعالى عارفاً بالله عديم النظير اما ما عالما عاملا ، له كرامات واحوال حسن الاخلاق لطيف الصفات وافر الادبْ والعقل

(١) تقدمت هذه الابيات فى ص ٣٦٢ والقصةُ مشهورة فى السيرة وقعت فى فتح خيبر (٢) هذه الترجمة بطولها سقطت من اكسفورد فى هذا الموضع .

دائم

Marfat.com

دائم البشر مخفوض الجناح كثير التواضع شديد الحياء متمسكا بالآداب الشرعية معظما لاهل العلم و الدين كثير المتابعة للسنة محبا لسالكى طريق الآخرة مع دوام المجاهدة ولزوم المراقبة الى ان توفاه الله تعالى فى سنة ثمانين وخمسين وستمائة بقرية يقال لها علم بالقرب من مدينة حلب المحروسة ، ودفن هناك فى تابوت ثم نقل منها الى دمشق المحروسة فى شهرذى ﴿ ٢٠٥ الف ﴾ الحجة سنة تسع وستين وستمائة ، وقدموا به الى دمشق فى يوم الخميس ثامن شهر الله المحرم سنة سبعين وستمائة ودفن من الغد بالزاوية المعروفة به بسفح جبل قاسيون .

وقد جمع له حفيده هو شيخنا السيد الجليل ابو عبد الله محمد بن عمر بن الشيخ الجليل الكبير ابو بكر بن قوام المذكور جزأ كبيرا ذكر فيه اشياء نذكر منها ،بتسير (١) ان شاء الله تعالى ، قال شيخنا أبو عبد الله محمد بن عمر اخبرنى والدى رحمه الله ، قال اوصانى الشيخ قدّس الله روحه ان ادفنه فى تابوت وقال لى يابنىّ انا لابدّ لى ان انقل الى الارض المقدسة وكان كما قال فانه نقل بعد موته باثنتى عشرة سنة الى جبل قاسيون ، وكنت فيمن حضر خروجه من قبره و سرت معه الى دمشق و شهدت دفنه وذلك صبيحة يوم الجمعة تاسع المحرم سنة سبعين وستمائة و رأيت فى سفرى معه عجائب منها انا كنا لانستطيع الليل ان نجلس عنده لكثرة تراكم الجن عليه و زيارتهم له ، و قد منا فى الطريق على قرية بعلاه (٢) الطعرة يقال له شمسين (٢) فخرج اهلها الى زيارته

(١) كذا ولعله يسيرا (٢) كذا .

و فيهم رجل كبير فقال من هذا فقلنا الشيخ ابوبكر بن قوام فحصل له اضطراب كثير و انزعاج ، فلما افاق قال له و الدى اى شيء اوجب هذا الانزعاج ؟ قال كنت اتردّد الى زيارة هذا الشيخ فى بلده فدعوته مرة الى قريتى هـذه فقال لا بدّ ان ازورك ﴿ ٢٠٥ ب ﴾ فى قريتك ، و توفى رحمه الله و بقى عنـدى من قوله شئ فلما قلتم انه هذا ذكرت قوله و وفاه بعهده بعد موته ، و قـدمنا حماة فتلقانا خلق كثير من العلماء والمشايخ وجاء الناس الى زيارته ارسالا ، و قدمنا بعلبك فتلقاه جماعة من المشايخ والصالحين منهم الشيخ الامام عبد الله بن الشيخ الجليل محمد بن الشيخ العارف القدوة عبد الله اليونينى و انزلوه فى مكان وعزموا ان يقيم عندهم اياما و صنعوا طعاما فلما اكل الطعامُ حضر قوّال و استأذن أن يقول شيئا فلما قال قام المشايخ رضى الله عنهم ، قال ابن الجزرى فحصل لوالدى انزعاج كثير فلما خرج ليتوضأ لصلاة العصر قال له بعض من حضر يا سيدى رأينا اليوم منك شيئا لم نره منك و لا نعرفه فقال رأيت الشيخ و هو واقف مع المشايخ و تقـدم الى و قال يا ولدى عجل بنا الى الصالحية فقمنا و سافرنا من ساعتنا ولم يشعربنا احد من الجماعة حتى صرنا بقرية فصه فادركنا منهم جماعة و قالوا كيف سافرتم و لم نشعر بكم ، فاخبرهم والدى بما رأى من الشيخ فتعجبوا لذلك و قدمنا دمشق ثامن المحرم ، قال و اخبرنى الصاحب محى الدين بن النحاس رحمه الله قال كنت بحلب فى سنة ثمان و خمسين و ستمائة و بها الشيخان ابو بكر بن فتيان و ابو بكر بن قوام فسيّر الشيخ ابو بكر بن فتيان الى الشيخ

الشيخ ابى بكر بن قوام ﴿٢٠٦ الف﴾ ان اخرج بنا من هذا البلد الى بعض القرى فان متنا دفنا فى البر فقال للرسول قل له تربتنا فى ارض دير مرّان فكان كما قال ، دفن احدهما شرقىّ الدير و هو الشيخ ابو بكر بن قتيان و الآخر غربىّ الدير و هو ابو بكـــر بن قوام رحمهما الله و ايانا، و حضر دفنه خلق كثير من المشايخ و العلماء و الصالحين منهم الشيـــخ مجد الدين بن الخليلى والصاحب محى الدين بن النحاس والشيخ قطب الدين ابن عصرون و خلق كثير لم اعرف اسماءهم، و قبل ان يوضع فى قبره كشف عنه و رآه الحاضرون و حصـــل وقت عجيب من الرقة و البكاء و حضر فى الجماعة رجل من اهل حماة حال قدومه منها و قال رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام و انا فى حماة و قال لى يا فلان قم و امض الى دمشق و احضر دفن رجل من الاولياء فحضر دفنه و عاد على عقبه الى حماة و لم يدخل دمشق .

ذكر بداية امره قال رضى الله عنـه كانت الاحوال تطرقنى فى بداية امرى فكنت اخبر بها شيخى رضى الله عنه فينهانى عن الكلام فيها وكان عنده سوط يقول متى تكلمت فى شئ من هـذا ضربتك بهذا السوط ، و يأمرنى بالعمل و يقول لا تلتفت الى شئ من هـــذه الاحوال فمازلت معه كذلك حتى كنت عنده فى بعض الليالى وكانت له ام ضريرة وكنت بارّا بها و لم يكن لها ﴿٢٠٦ ب﴾ من يخدمها غيرى فاستأذنت الشيخ فى المضىّ اليها ، فاذن لى و قال انه سيحدث لك فى هذه الليلة امر عجيب فاثبت له و لا تجزع فلما خرجت من عنده و انا مارّ

Marfat.com

الى جهة امّى سمعت صوتا من جهة السماء فرفعت رأسى فاذا نور كأنه سلسلة متداخل بعضه فى بعض فالتفت (١) على ظهرى حتى احسست ببردها (٢) فى ظهرى ، فرجعت الى الشيخ فاخبرته بما وقع لى فقال الحمد لله و قبلنى بين عينىّ وقال يا بنىّ الآن تمت النعمة عليك اتعلم يابنىّ ما هذهُ السلسلة فقلت لا فقال هذه سُنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و اذن لى فى الكلام وكان قبل يُنهانى عنه .

و سمعنا نحن من غير و احد ممن صحبه انه كان يقول اذن لى فى الكلام و لو لم يؤذن لى ما تكلمت بشىء ولا فى شىء .

ذكر ما اظهره الله تعالى له من الكرامات و الاحوال: سمعته يوما و قد دخل الى البيت و هو يقول لزوجته ولدك قد اخذه قطاع الطريق فى هذه الساعة و هم يريدون قتله و قتل رفاقه ، فراعها قول الشيخ رضى الله عنه فسمعته يقول لها لا بأس عليك فانى قد حجبتهم عن أذاه و أذى رفاقه غيران ما لهم يذهب و غدا ان شاء الله تعالى يصل هو و رفاقه فلما كان من الغد و صلوا كما ذكر الشيخ وكنت فيمن تلقاهم و انا يومئذ ابن ست سنين و ذلك سنة ست و خمسين و ستمائة .

﴿٢٠٧الف﴾ قال و سمعت الشيخ الصالح اسماعيل بن ابى سالم بن ابى الحسن المعروف با بن الكردى يقول حججت مع ابوى فلما كنا بارض الحجاز و سار الركب فى بعض الليالى وكان ابواى راكبين فى مجادة(٣) وكنت

(١) كذا و فى دائرة المعارف للبستانى ج ٢ ص ٢٥ « فالتف » (٢) فيه ايضا « بير ده »(٣) كذا ولعله المحارة وهى شبه الهودج .

Marfat.com

امشى تحتها فحصل لى شىء من القولنج فعدلت الى مكان و قلت لعلى استريح ثم الحق الركب، فنمت فلم اشعر بنفسى الاّ و الشمس قد طلعت و لم ادر كيف اتوجّه ففكّرت فى نفسى و فى ابواى فانه لم يكن معهما من يخدمهما و لا من يقوم بشأنهما غيرى فبكيت عليهما و على نفسى، فبينما انا ابكى اذ سمعت قائلا يقول ألست من اصحاب الشيخ ابى بكر بن قوام فقلت بلى و الله قال سل الله تعالى به فانه يستجاب لك قال فسألت الله تعالى به كما قال فوالله ما استتمّ الكلام الاّ و هو واقف عندى و قال لا بأس عليك، و وضع يده فى عضدى و سار بى يسيرا و قال هذا حمل ابويك فسمعتهما و هما يبكيان علىّ فقلت لا بأس عليكما و اخبرتهما بما وقع لى .

قال (١) و حدثنى ايضا قال كنا جلوسا مع الشيخ فى تربة الشيخ رافع رضى الله عنهما و نحن ننظر الى الفرات اذ لاح على شاطىء الفرات رجل، فقال الشيخ أترون ذلك الرجل الذى على شاطىء الفرات فقلنا نعم قال انه من اولياء الله تعالى و هو من اصحابى و قد قصد زيارتى من بلاد الهند و قد صلى العصر فى منزله و قد توجه الىّ و قد زُويت له الارض، فخطا من منزله خطوة الى شاطىء الفرات و بقى يمشى من الفرات الى ههنا ﴿ ٢٠٧ ب ﴾ تأدبا منه معى و علامة ما اقول لكم انه يعلم انى فى هذا المكان فيقصده و لا يدخل البلد فلما قرب من البلد

(١) اى محمد ابن قوام وهو ابو عبد الله محمد بن عمر المتقدم فى صدر الترجمة وهو شيخ جامع هذا الكتاب كما صرح به هناك .

Marfat.com

عرّج عنه و قصد المكان الذى فيه الشيخ و الجماعة، فجاء و سلّم و قال يا سيدى أسألك ان تأخذ علىّ العهد ان اكون من اصحابك، فقال له الشيخ و عزّة المعبود انت من اصحابى فقال الحمدلله لهذا قصدتك و استأذن الشيخ فى الرجوع الى اهله فقال له الشيخ و اين اهلك؟ قال فى الهند! قال متى خرجت من عندهم؟ قال صليت العصر و خرجت لزيارتك، فقال له الشيخ انت الليلة ضيفنا فبات عند الشيخ و بتنا عنده، فلما اصبحنا من الغد طلب السفر فخرج الشيخ و خرجنا فى خدمته لوداعه فلما سرنا فى وداع الشيخ وضع الشيخ يده بين كتفيه و دفعه فغاب عنا و لم نره فقال الشيخ و عزّة المعبود فى دفعتى له وضع رجله فى باب داره بالهند او كما قال .

قال (١) و سمعت الامير الكبير المعروف بالأخضرى و كان قد اسن يحكى، قال كنت مع الملك الكامل لما توجّه الى الشرق فلما نزلنا بالسّن قصدنا زيارة الشيخ مع فخر الدين عثمان و كنا جماعة من الامراء، فبينما نحن عنده اذ دخل رجل من الجند فقال يا سيدى كان لى بغل و عليه خمسة الآف درهم فذهب منى و قد دُلّيت عليك فقال له الشيخ اجلس و عزّة المعبود قد حصرت على آخذه الارض حتى ما بقى له مسلك الّا باب هذا المكان و هو الآن يدخل، فاذا دخل و جلس ﴿٢٠٨الف﴾ اشير اليك بالقيام فقم و خذ بغلك و مالك فلما سمعنا كلام الشيخ قلنا لا نقوم حتى يدخل هذا الرجل فبينما نحن جلوس اذ دخل الرجل فاشار

(١) اى حفيده المتقدم ذكره آنفا .

Marfat.com

اليه الشيخ فقام و قمنا معه، فوجدنا البغل و المال بالباب فأخذه صاحبه فلما حضرنا عنـــد السلطان اخبرناه بما رأينا من الشيخ فقال اجب ان ازوره فقال فخر الدين عثمان ان البلد لا يحمل دخول مولانا السلطان فسيّر اليه فخر الدين عثمان فقال له ان السلطـان يحب ان يراك و ان البلد لايحمل دخوله ، فهل يرى سيدى الشيخ ان يخرج اليه ليراه فقال له الشيخ يا فخر الدين اذا رحت انت الى عند صـاحب الروم يطيب للملك الكامل فقال لا فقال فكذلك انا اذا رحت الى عند الملك الكامل لايطيب لأستاذى و لم يخرج اليه .

قال (١) وحدثنى الشيخ الامام الخطيب شمس الدين الخابورى قال سألت الشيخ عن قوله تعالى « انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون » و قد عبد عزير و عيسى بن مريم ، فقال تفسيرها « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون » فقلت له ياسيدى انت لاتعرف تكتب ولا تقرأ فمن اين لك هذا ، فقال يا احمد و عزة المعبود لقد سمعت الجواب فيها كما سمعت سؤالك » .

قال (١) و حدثنى بعض التجار من اهل بلدنا قال خرجنا مسافرين الى حماة و كان قد بلغنا ان الطريق مخيف و وافينا الشيخ فى خروجنا ﴿ ٢٠٨ ب ﴾ فقلت له يا سيدى قد بلغنا ان الطريق مخيف و نشتهى ان لا تغفل عنا و لا تنام و تدعولنا فقال ان شاء الله تعالى ، فلما بلغنا حماة و انا راكب على دابة و قد أخذنى النعاس و اذا انا بشخص قد وضع يده

(١) اى حفيده المتقدم ذكره آنفا .

فى عضدى و قال نحن ما نمنا فلا تنام انت ففتحت عينى فاذا انا بالشيخ فسلّم علىّ و مشى معى و قال قد بلغنا الى حماة و تركنى و مضى ، و حدثنى الشيخ تمام بن ابى غانم قال كنا جلوسا مع الشيخ ظاهر البلد فى زمن الربيع و حوله جماعة من الناس فقال و عزة المعبود انى لأنظر الى ساق العرش كما انى انظر الى وجوهكم .

و سمعت الحاج مسلم بن حامد قال سئل الشيخ مرّة عن الشيخ حياه و كان من خواص اصحابه و هو بمصر فقال هاهو جالس بخان مسرور و قد طبخ ليمونية و هو يأكل و رفاقه و هذه يدى معه فى القصعة و هو قد أحسّ بها و علم انها يدى ، و سئل عنه مرّة اخرى و كان بمصر ، فقال هاهو راكب على دابته و يتلو فى سورة كذا و هذه يدى فى عضده و قد رميته عن الدابة و قد علم انى انا الذى فعلت به هذا .

ذكر ما كان عليه من المجاهدة و العمل الدائم: كان كثير العمل دائم المجاهدة فى نفسه و يأمر اصحابه بذلك و يلزمهم بقيام الليل و تلاوة القرآن و الذكر دأبه لا يفتر عنه و فى كل ليلة جمعة يجعل لكل انسان منهم وظيفة من الجمعة الى الجمعة و كان يحثّهم على الاكتساب ﴿٢٠٩ الف﴾ و اكل الحلال و يقول اصل العبادة أكل الحلال و العمل لله فى سنته شديد الانكار على اهل البدع لا يأخذه فى الله لومة لائم .

قال (١) و اخبرنى الشيخ ابراهيم بن الشيخ ابو طالب البطائحى قال قدمت على الشيخ فوجدته يعمل فى النهر الذى استخرجه لأهل بالس .

(١) اى حفيده المتقدم ذكره آنفا .

و وجدت عنده خلقا كثيرا يعملون معه، فقال لى يا ابراهيم انت لا تطيق العمل معنا و لا احبّ ان تقعد بلاعمل فانى لا احبّ ان ارى الفقير بطّالا من شغل الدنيا فاذهب الى الزاوية و صلّ ما قدّر لك فهو خير لك من قعودك عندنا بلاعمل (١) ولامن عمل الآخرة، و كان يحثّ اصحابه على التمسّك بالسنّة و يقول ما افلح من افلح و سعد من سعد الّا بالمتابعة فان الله تعالى يقول: (قل ان كنتم تحبّون الله فاتبعونى) و قال: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) و قال: (و ما آتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا) و كان يقول ما اتخذ الله وليّا صاحب بدعة قطّ قيل له فان اتخذه؟ قال يصلحه، و كان يقول رجال الشام امكن من رجال العراق واعرف، وكان لايمرّ على احد الا ناداه بالسلام حتى على الصبيان وهم يلعبون و يداعبهم و يتنازل اليهم و يحدثهم وكنت اكون فيهم و كان يتفقد اصحابه و يعود المرضى و يسأل اصحابه من عنده مريض حتى يعوده، فيتفقد الارامل بنفسه و يقضى حوائجهم و يحمل ما عنده من نفقة وكسوة وغيرها، وكان ﴿٢٠٩ ب﴾ يسرع الى اجابة دعوة الفقراء والمساكين اكثر من اجابة دعوة الاغنياء والامراء، وكان دأبه جبر قلوب الضعفاء من الناس، قال وسمعت والدى رحمه الله يقول كان اذا عطش الشيخ وهو جالس فى المجلس مع الناس قام فشرب بنفسه يريد بذلك تربية المريدين وكان عنده فى الزاوية رجل كبير مسنّ وكان به قطار البول فأخذ تحته شيئا يقطر فيه البول فكان يقوم و يريقه بنفسه و يغسل

(١) كذا ولعله سقط «لامن عمل الدنيا».

ما اصاب الحصير منه، وكان يعلّم المريدين كيفيّة الدخول على المشايخ والجلوس بين يديهم وكان لايمكن احدا من تقبيل يده ويقول اذا مكّن الشيخ احدا من تقبيل يده نقص من حاله شيء.

وكان شديد الحياء لايقطع على احد كلامه ولايخجل احدا بما يقول، واذا جلس على طعام طأطأ رأسه لئلا ينظر الى احد ولاينظر احد اليه، وكان كثير الورع يتحرّى فى مطعمه وملبسه ويقول الدين الورع وهو اصل العبادة، وكان يتورع عن اموال السلاطين والجند وكان عن مال العرب اشد تورّعا لايأكل لهم طعاما ولايقبل لهم هديّة وكان للعرب عادة يمرّون كل سنة بارضنا مرّتين فاذا مروا لا يأكل مما يباع فى السوق لا لحما ولا لبنا ولا غيرهما بل يتأدم بالزيت وما كان من الأدم فى البيت، وكان فى بدوّ امره لايأكل الّا من المباح يجمع الاشنان بيده وتارة يحصد فلما كبر واسنّ كان يأمر من حوله من الفقراء والاصحاب فيخرجون الى الصحراء فيزرعون ﴿٢١٠ الف﴾ زرعا ويحصدونه فاذا حصل قال لهم لاترفعوه حتى تدفعوا الى السطان نصيبه منه وكانوا يفعلون ذلك، قال واخبرنى الشيخ ابو المجد بن ابى الثناء قال حدثنى الشيخ طالب الحلّى قال حضرت مع الشيخ فى وليمة فلما حضر الطعام قدّم بين يدىّ قصعة طعام وكان لى بصيرة فنظرت فاذا الطعام الذى فيها حرام فتوقفت عن اكله فقال الشيخ للخادم يا فلان امض الى ذلك الفقير وارفع القصعة التى بين يديه فان بينه وبينها خصومة، فجاء الخادم ورفع القصعة من بين يدىّ وجاء بقصعة غيرها.

Marfat.com

وصنع له بعض اصحابه فى بعض الايّام طعاما فيه جزر فلما وضعه بين يديه قال له الشيخ من اين اشتريت هذا الجزر فانه حرام فقال من السوق فقال امض اليه واسأل عنه من اين اشتروه فمضى و سأل عنه فوجده قد اشترى من طعمة المكاسين.

قال و اخبرنى الشيخ معالى بن رسلان قال كنت عند الشيخ فدخل عليه رجل فقال له الشيخ اىّ شىء أكلت فذكر طعاما فقال الشيخ انه حرام إنى ارى يخرج من فيك دخان فذهب الرجل و سأل عن ذلك الطعام فوجده كما قال الشيخ فاستغفر الله تعالى منه .

وكان رضى الله عنه زاهدا فى الدنيا كثير التقلل منها بكل ممكن فمن ذلك ما حدثنى الشيخ ابو المجد بن ابى الثناء قال حضرت ﴿٢١٠ب﴾ عند الشيخ فى المرض الذى مات فيه فقال لى يا بنىّ انا فى هذا المرض اموت فبكيت فقال ما يبكيك أتظن انى اجزع من الموت لا و الله يابنى و ذلك انى عاهدت الله عهدا و انا القاه به فقلت يا سيدى ما هو فقال أن لا اموت و عندى من الدنيا شىء، وكان كما قال رضى الله عنه فانه مات وليس عليه زيق ولا عمامة لكن ملتحف بعباءه وكان عندنا بعضها نتبرّك به و نجد اثر بركته، ولم تزل عندنا الى فتنة التتار فذهبت فيما اذهبه الله تعالى، قال وسمعت والدى رحمه الله يقول قدم على الشيخ جماعة ولم يكن عنده ما يقدم لهم وكان بعض اخوتى صغيرا و فى يده شىء من السكر يعلل به كما جرت بـه عادة الصغار فاخذه و ذقه (١)

(١) كذا ولعله ودقه .

Marfat.com

وضعه بين ايديهم وقال هذا الذى حضر عندنا فى الوقت وكان من عادته لابد ان يضع للضيف ما تيسّر احضاره .

قال وحمل اليه مرّة الملك الكامل على يد فخر الدين عثمان خمسة عشر الف درهم فلم يقبلها ولكن قال لاحاجة لنا بها انفقها فى جند المسلمين .

وحكى لى بعض الفقراء قال حضرت مع شيخى فى زاوية الشيخ ابراهيم التيمى بحلب وحضر عنده صاحب شيزر (١) واحضر معه اربعة آلاف درهم فلم يقبلها الشيخ قال وكنت قد املكت على امرأة وامرها موقوف على ستين درهما فمدّ الشيخ يده وعدّ ستين درهما وقال قم يا فلان وخذ هذه الستين ﴿ ٢١١ الف ﴾ ودفع الى آخر ثلاثين درهما كانت عليه دين وقال لصاحب المال خذ مالك .

قال وسمعت الشيخ ابراهيم بن الشيخ ابى طالب البطائحى قال كان الشيخ رضى الله عنه لايقبل خمسين درهما جملة واحدة ويقول خمسين درهما غنى فقير .

قال وسمعت والدى يقول حمل بعض الاغنياء الى الشيخ ثلاثة آلاف درهم فدعانى وقال يا بنىّ فرّقها على الفقراء والضعفاء من الناس ففرّقتها كما قال ولم يبق منها شيئا لاهله وكانوا على حاجة رضى الله عنه، يؤثر الخشن من اللباس والطعام ويقول ما للفقير الطيّب من الطعام واللباس انما ذلك للاغنياء المترفّهين وكان غالب قوته خبز الشعير .

قال واخبرنى الشيخ عمر بن مريريك الجعبرى قال عزمت على

(١) هوتمس الدين آق سنقر الاشقر الفارقانى كما فى نز .

الحج ولم يكن معى شىء فجئت الى الشيخ لاودعه فقال لى عزمت على الحج فقلت نعم يا سيّدى غيران و قتى فقير فقال لى خذ هذين الدرهمين واجعلهما معك و لا تنفقهما فاخذتهما و فعلت كما قال ، و جئت الى دمشق ففتح الله تعالى على فيها بزاد و راحلة و بمائتى درهم فلما حججت و عدت الى بالس بدأت بالسلام على الشيخ فلما سلّمت عليه قال ما فعلت بالدرهمين فاخبرته بما فتح الله تعالى علىّ ببركتهما فقال قد قضيت بهما حاجتك فهاتهما فقلت لا و الله لا ادفعهما الى احد فتبسم و تركهما ﴿٢١١ب﴾ و مازالا منى التمس بركتهما حتى اذهبهما الله منى .

قال و حدّثنى الشيخ سيف الدين ابو بكر الجرديكى من اصحاب الشيخ ابى الفتح الكنانى قال خرجنا مع شيخنا الشيخ ابى الفتح الى زيارة الشيخ فلما قدمنا عليه اقمنا عنده شهرا وكنا ثمانية عشر رجلا فلما اردنا السفر استأذناه فلم يأذن لنا و قال لنا لم نجدلكم ثقلا و لا كلفة انه من حين قدمتم علينا و ضعت تحت السجادة فلوسا هى ثلاثة دراهم و نحن ننفق منها و هى الى الآن لم تفرغ اوكما قال .

قال و اخبرنا الصاحب محى الدين بن النحاس قال كان لى بستان وكان فيه تين ما سونى كبار وكنت أوخره الى آخر السنة فقدم علينا الشيخ فى آخر السنة فاهديت له من ذلك اربعين تينة وكان و زنها اربعة ارطال بالحلبي و حملها معى اليه و لدى يوسف وكان الشيخ فى مشهد قرية علم و الناس عنده و هم خلق كثير فقال لى يا محمد ما هذه الهدية فقلت له تين فقال هذا اليوم طرفة و هو يشتهى و قال للخادم عدّ الناس

Marfat.com

كم هم فعدهم فاذا هم مائتان و اربعون رجلا، فقال للخادم اعط كل واحد منهم واحدة و لاترفع المنديل عن الطبق فاستحييت منه لعلمى ان التين اربعون ،و احدة فمديده و وضعها على فخذى قال طيب قلبك لو كانوا ما عسى ان يكونوا لكفاهم ففرقه الخادم على النابس واحدة ﴿٢١٢ الف﴾ و احدة و دفع الى الشيخ و احدة واخذ الخادم و احدة و دفع الى و احدة و الى و لدى واحدة فلم اراكثر بركة منه

و عنه ايضا قال بلغني ان الشيخ فى قرية تويدم فخرجت الى زيارته فمررت بسوق الفاكهة فوجدت بطيخة باكورة السنة تباع فيه فاشتريتها بسبعة دراهم و قلت لعل الشيخ يراها فيدعو لنا و للمسلمين بالبركة، فلما جئت بها و رأها قال اللهم بارك لنا و للمسلمين فى سنتنا و بلدنا و صاعنا و مدنا الحديث وطلب سكينا فخزها فكنت اراها تربو بين يديه و تزيد و فرقها على اهل القرية كلهم الرجال و النساء و الولدان و فضل منها و كان لا يضع يده فى شيء الا اكل منه الجم الغفير، رضى الله عنه، قال و حدثنى الشيخ عبد الله الكفر بلاطى قال دعونا الشيخ الى قريتنا و جاء معه، خلق كثير و لم يكن عند نا ما يكفى الناس فاجتمع جماعة القرية يفكرون فى امرهم فبيناهم مجتمعون في المسجد اذ جاء خادم الشيخ فقال الشيخ يدعوكم فجئنا اليه و هو فى المسجد فقال امضوا و احضروا ما عندكم فان فيه بركة و كفاية و يكفى الناس و يفضل ان شاء الله تعالى فاحضرنا الذى كان عندنا فاكل الناس و فضل منه كما قال رضى الله عنه، قال و حدثنى غير واحد من اصحابه انهم شهدوا

غير

Marfat.com

غير مرّة ﴿٢١٢ ب﴾ الطعام يوضع بين يديه فيأكل منه الخلق الكثير ثم يرفع و هو كما كان او ازيد مما كان و كان عندنا نحن عكازته فكنا نضعها فى الشىء اليسير من مؤنتنا فنأكل منه نحن و من يرد علينا من الفقراء و غيرهم السنة الكاملة و يفضل منه، و لم تزل عندنا نلتمس بركتها الى ان اذهبها الله تعالى فى غتنة التتار سنة تسع و تسعين و ست مائة .

قال و اخبرنى و الدى قال سمعت الشيخ يقول كنت معتكفا فى مسجد فى شهر رمضان فدخل علىّ بعض اولياء الله تعالى فلم اعرفه لعلو مقامه فلما كان وقت الافطار لم يكن عندى سوى خبز من شعير و لبن حامض افطر عليه، فقلت فى نفسى اذا صليت المغرب اتركّع بعدها لعل بعض الجماعة يعزم عليه فيطعمه اصلح من طعامى قال فتركعت طويلا ثم التفت فلم اجد احدا فى المسجد غيرى و غيره فقلت فما بقى الّا ان اعزم عليه فقلت له ياسيدى قد حضر ههنا شىء نفطر عليه عن اذنك نحضره فقال بل انت فى ضياقتي، فلما تكلم كشف لى عن مقامه و اذا هو القطب، فنهضت و تمثلت بين يديه فقال اجلس فجلست فمدّ يده و تناول شئيا من الغيب و وضعه بين يدى و قال كل فاكلت فاذا هو خبز حار و سمن و عسل فأكلنا ﴿٢١٣ الف﴾ و فضل منه شىء فقال خذه و اذهب به الى اهلك و عد الىّ بسرعة ففعلت ما قال و عدت اليه فقال لى قد أمرت فى هذه الساعة بالمسير الى العراق فقام و قمت معه فلما اقبلنا على باب البلد انفتح و خرجت معه و ودّعنى و قال لى يا ابابكر ابشر انه لن

تموت حتى تبلغ هذا المقام و غاب عنى فلم اره رضى الله عنه .

و مما اظهره الله تعالى له من الكرامة بعد موته ان بعض التجار من اصحابه خرج مسافرا الى مصر للتجارة فى اوائل سنة اثنتين و تسعين (١) و ست مائة فقتله قطاع الطريق فبلغنا الخبر بدمشق و لم نعلم له قاتلا فاهمنا ذلك فبينما نحن كذلك اذ رأى بعض الفقراء من اصحابه الشيخ فى المنام فقال له يا فلان الذين قتلوا فلانا قد جمعناهم بمكان كذا وكذا بدمشق فامضوا و خذوهم و هم اربعة نفر، فمضينا الى ذلك المكان فوجدنا منهم اثنين فاخذوا و احضروا بين يدى نائب السلطان و هو يومئذ الامير علم الدين الشجاعى فقال لهم اين رفاقكم قالوا دخلنا فى هذا اليوم الى هذا البلد و نحن اربعة فمضى منا اثنان الى الصالحية و هم فى مكان كذا وكذا فمضينا نحن الى ذلك المكان فوجدنا فيـــه واحداً ﴿٢١٣ ب﴾ فاخذناه، وكانت هذه الواقعة يوم السبت ثامن صفر من السنة المذكورة فلما كانت ليلة الاحد من الاسبوع الثانى رأى بعض الفقراء ايضا الشيخ و هو يقول له يا فلان قد جئنا بالغريم الرابع و قد حصرناه ببئر بجبل الصالحية فى مكان كذا وكذا معروف بالصالحية فمضينا نحن و اعوان السلطان الى ذلك المكان و اخذناه من البئر كما قال الشيخ رضى الله عنه و صلب الغرماء الاربعة يوم الاثنين، وكان يوما مشهودا مشهوراً بدمشق وكانت قصته طويلة فاختصرنا منها هذا القدر خشية التطويل و فى هذه القصة انشد الشيخ الامام العالم المفيد شمس الدين محمد بن عبد القوى

(١) كذا و لعله و سبعين .

Marfat.com

المقدمي لنفسه :

انْ كنت تهوى ان تعيش مسلّما و تفوز فى الاخرى بدار سلام
فدع التعرّض للرجال ذوى النهى و الجدّ و الاحوال كابن قوام
او ما ترى كيف استقصّ لواحد من صحبه من اربع بتمام
لا تحسبنّ الموت يوهن جاههم كلاّ و لكن زيد فى الاعظام

و من ذلك ان بعض اصحابه التجّار كان بدمشق و قد اجتمع عنده ثلاثون الف درهم فى قيسارية فرآه بعض السراق وكان فى اعلى القيسارية فاخذ حبلا و تدلّى به من اعلى المكان الى اسفله و معه ما يقطع به القفل فقطعه ﴿٢١٤ الف﴾ و فتح الباب و أخذ المال و ربطه بحبل و صعد الى دائر المكان و اراد ان يستقيه (١) فانقطع الحبل بالمال و قصر عن المكان و عجز السارق عن النزول فرأى بعض اصحاب الشيخ فى الساعة و هو نائم فى القيسارية أن الشيخ دخل عليه و قال له يا فلان قم الى الحاج احمد ابن صالح و قل له ان السارق قد اخذ ماله و انى تعلقت فى الحبل حتى قطعته فليقم و ليأخذ ماله و ليتصدق منه بكذا وكذا، و قال ايضا للرائى وانت يا فلان قد سقط منك مائة دينار منذ ايّام فى قيسارية المعتمد قدام دابتك ولى ايّام احجب عنها الناس لكيلا يأخذوها فقم و خذ مالك. فقام الرجل من ساعته و اخبر بالرؤيا فقام الجماعة فوجدوا الامر كما اخبر به رضى الله عنه.

و من ذلك ان بعض اصحابه سافر من مصر الى دمشق فانقطع

(١) كذا.

Marfat.com

له جمل بوادى نجمة وعليه حمل قماش ومضى الرفقة وتركوه فجعل يسأل الله تعالى بالشيخ فقام الجمل وسار حتى لحق القافلة فسألوه عن سبب قيامه فقال ما عملت غير انى سألت الله تعالى بالشيخ فقام فرأى بعض اصحاب الشيخ وهو بدمشق الشيخ فى منامه وقال له يا فلان قل لفلان انه لما سأل الله تعالى بى اوجدنى الله عنده فاقمت الجمل باذن الله تعالى (٢١٤ ب) والحقت به القافلة .

قال ومن ذلك ما اخبرنى به الحاجّ علىّ بن حامد بن مسلم قال كنا فى البحر وهاج حتى اشرفنا على الغرق فسألت الله تعالى ببركة الشيخ فبينما انا اسأل الله تعالى اذ رأيت الشيخ وهو مارّ فى الهواء فسكن البحر باذن الله تعالى وسلمنا والحمد لله، فهذا ما شهد (١) منه (٢) بعد الموت رحمه الله تعالى .

قال واخبرنى الامام الصدر الصاحب محى الدين بن النحاس رحمه الله قال خرجت من حلب الى زيارة الشيخ رضى الله عنه فلما قدمت بالس وجدته فى تربة الشيخ رافع رضى الله عنه فسلّمت عليه وجلست بين يديه فقال لى يا محمد اذا كان لك صاحب وهو ولىّ الله ووقعت فى امر فاسأل الله تعالى به فانه يستجاب لك ثم قال يا بنىّ سل الله تعالى بى فانه يستجاب لك ولا تعتقد أن ذلك فى حياتى فقط لكن فى حياتى وبعد موتى بشرط ان تكون مظلوما لا ظالما ثم قصدت من بعده زيارة الشيخ ابى بكر بن قتيان رضى الله عنه فقال لى من اين جئت

(١) كذا ولعله شوهد (٢) وله ترجمة قصيرة جدا فى الفوات .

فقلت

Marfat.com

فقلت من عند سيّدى الشيخ ابى بكر بن قوام فقال اى شيء سمعت منه فاخبرته بما قال فقال و الله يا بنى انا (١) ممن يسأل الله تعالى به فى حياته و بعد موته يقسم بذلك ثلاثا قال الصاحب ﴿ ٢١٥ الف ﴾ محى الدين رحمه الله تعالى لقد سألت الله تعالى به فى مواطن كثيرة فاستجيب لى .

هذا ما وقع عليه الاختيار من مناقب سيدى الشيخ الجليل الكبير القدوة العارف الربّانى ابوبكر بن قوام البالسى قدّس الله روحه و نوّر ضريحه و نفعنا والمسلمين ببركاته و ببركات عباد الله الصالحين من اهل السموات و اهل الارضين و الحمد لله رب العالمين .

سراج الدين احمد الارزنكانى المتصوف ، كان بديع زمانه فى علم صناعة الموسيقى يصنف النوب الكاملة فى طرائق الشهوة الشوه الخراسانية القول و الغزل و التراناه و السبسر (٢) و أنه أخذ الطرب عن عجيب الزمان و عجله عجيب الزمان اخذه عن محمود بن مكرم ، حضر المذكور الى دمشق فى ايام الملك الاشرف بن الملك العادل الكبير و طلب الى مجلسه و هو بزىّ الفقراء بقبع طويل فاكرمه و تقدّم اليه بالمشاركة فيما هم فيه من تناول الشراب فامتنع و لم يجبر على ذلك و جلس الى جانب شمس الدين سرنير الجغايبى و الفخر البلبل الجغايبى و كمال الزمان الشيركوه .

و غنى شيئا من تصانيفه و وقّع بيديه على اوتار المذكورين فاعجبهم تصانيفه و توقيعه فمنها فى الرست ﴿ ٢١٥ ب ﴾ :

سلام على اهل ناديكم ... و من حلّ يوما بواديكم

(١) كذا ولعله انه (٢) كذا .

Marfat.com

سلام من خزائن لطف ربى على من ساكنى روحى وقلبى
جُنّنا بليلى وهى جنّت بغيرنا و اخرى بنا مجنونة لانريدها

و له قول فى الدركاه :

يا من بدائع حسن صورته تثنى اليه اعنّة الحدق

و خلع عليه السلطان الملك الاشرف و رسم له ان يلبس العمامة و يقلع القبع ففعل ذلك و اقام بدمشق يتردّد اليه اهل الطرب يتعلّمون عليه و يأخذون عنه ، فلما مات الملك الاشرف فى سنة خمس و ثلاثين و ستمائة سافر و اقام بمدرسة حمص الى سنـــة خمسين و طلبه الملك المنصور صاحب حماة اليه و انزله بمدرسة داخل باب حمص ليشتغلوا المطربين (١) الذين فى خدمته عليه و رتب له راتب معلوم فاقام الى سنة ثمان و خمسين و ستمائة بها و توجه مع الجفّال الى دمشق فتوفى بها ، رحمه الله تعالى و ايانا ، و توفى البديع الطنبورى بكفرطاب فى هذه السنة المذكورة و من جملة ايراده لما اجتمعا للوداع :

و لمـا اجتمعنا للوداع و قلبها و قلبى بيتا (٢) للصبابة و الوجدا
بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعى عقيق (٣) فصار الكل فى نحرها عقدا

الشيخ العالم الفاضل جلال الدين [ابو الحسن] (٤) على بن يوسف ﴿٢١٦ الف﴾ [ابن محمد بن عبد الله] (٤) بن شيبان النميرى الماردينى المعروف بابن الصفار ، مولده فى سنـــة خمس و تسعين (٥) و خمسمائة

(١) كذا و الظاهر المطربون (٢) كذا (٣) كذا و لعله عقيقا حال من مدامعى (٤) سقط من الفوات و نو (٥) كذا فى الاصل و فى اكسفورد و الفوات و دائرة البستانى « سبعين » .

Marfat.com

بماردين و نشأ بها وكتب الانشاء للملك المنصور ارتق بن البى بن ايل غازى بن ارتق ثم عزل عن الكتابة و تولى الاشراف بديوان دنيسر(١) ثمانى عشر سنة و توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان و خمسين و ستمائة بدنيسر ودفن بها ، وهو شاعر فى فنّه بارع ، نجمه فى سماء الشعر طالع ، له المعانى الغريبة ، و الالفاظ العجيبة ، يترامى الى صناعة البديع ، و من نظمه فى غريق (٢) .

يا ايها الرشأ المكحول ناظره بالسحر حسبك قد احرقت احشاءى(٣)
ان انغماسك فى التيار حقّق ان الشمس تغرب فى عين [من](٤) الماء

قلت هذا مأخوذ من قول ابى عمر عثمان التكريتى ،و يعرف بابن المغربى وهو قوله فى غلام مليح يسبح فى نهر باناس و هو احد انهار دمشق حرسها الله و سائر بلاد الاسلام يدخل الى قلعتها و يخرج منه فرع جيد للجامع :

يا ايها الرشأ المكحول ناظره بالسحر حسبك قد ضاعفت بلواى
ان انغماسك فى باناس حقّق ان الشمس تغرب فى عين [من](٤) الماء

و لجلال الدين من قصيدة :

انا ما سلوت و برق فيه خلّبُ اسلو و عارضه أمامى سائل
﴿٢١٦ب﴾ رشأ جللت عقاله فأعادنى فى مثله فاذا كلانا عاقل

(١) بهامش نز «دنيسر بلدة عظيمة مشهورة من نواحى الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان» (٢) فى فوات الوفيات «فى غلام مليح غرق فى الماء» (٣) فيه ايضا «انى اعيذك من نار باحشاءى» (٤) من الفوات و اكسفورد و دائرة البستانى و قد سقط من الاصل .

Marfat.com

يسعى بابريقين ذا من ثغرة يحيي و ذامن مقلتيه قاتل
عينان انساناهما من لحظه ذا سائف و بهد به ذا نابل
فمتى تقوم قيامتى بوصاله و يضم شملينا معاد شامل
و اكون من اهل الخطايا خدّه ناري وصدغاه علىّ سلاسل

و اول القصيدة :

اين السلو و ما يروم العاذل ممن له بهواك شغل شاغل

و له ايضا :

شوق اذا مرتاح (١) هيّجه الحب و صبّ لوبل الدمع فى خده صبّ
اذا نفحته من صبا الشوق نفحة صبا نحوها والمدنف الصبّ قد يصبو
و ان لاح وهنا برقه منه ينتشى و فى جفنه للدمع فى خده غرب
بروحى ريم قد رمتنى جفونه باسهم لحظ كان برجاسَاها (٢) القلب
نضا عضب (٣) جفنيه على عذاره فمن مهجتى جفن ومن جفنه (٤) عضب
يعذب قلبى ظالما عذبُ ظلمه و لكن تعذيبى لمرشفه عذب
نصبت لضيف الطيف منه حبائلا من النوم لما عزّ فى اليقظة القرب
وما كنت ادرى انه رافضى الهوى ينفره عن زورتى ذلك النصب
تجمعت الاضداد فيه و لم يكن ليجتمع الايجاب فى الشىء والسلب

(١) كذا وفى فوات الوفيات «مشوق اذا ما ارتاح» وهو الصواب (٢) كذا فى فوات الوفيات وهو بالغمم غرض فى الهواء على رأس رمح يرمى به وهو مولد عند الجوهرى ج براجيس ووقع فى الاصل « برجاء سهمى » خطا (٣) كذا فيه ايضا ووقع فى الاصل « تضاعف » خطأ (٤) وقع فيه ايضا « لحظه ».

ففى

فنى خدّه نار و فى الثغر جنة وفى لفظه سلم و فى لحظه حرب
وفى قده لين و فى القلب قسوة
وفى خصره جدب (١) وفى ردفه خصب

﴿ ٢١٧ الف ﴾ و قال ايضا :

اذا نظرت عينى وجوه حبايبى فتلك صلاتى فى ليالى الرغائب
وجوه اذا ما اسفرت عن جمالها ، اضاءت لها الاكوان من كل جانب
حمتها حماة الحىّ عن كل ناظر و صانوا ظباها بالقنا و القواضب

، ، ، و منها ايضا :

وفى حود مطا (٢) حللنا قبابها سكارى حيارى تحت ظل الغياهب
تبدّت لنا عند الصباح طليعة من الترك مُرد فوق جرد سلاهب
بايديهم سمر طوال كأنما اسنّتها تبغى التقاط الكواكب
تثنّوا غصونا فى السروج واطلقوا سهام لحاظ من قسىّ الحواجب
والقوا القنا المران(٣) عنهم وقوّموا قدودا اعدّوها لقرع الكتائب
ولو كشفوا بيض العوارض فى الوغى لاغنتهم عن سل بيض القواضب
ترى كل عين منهم عين قينة(٤) تنادى اسود الحرب هل من محارب
فظلّت موالينا (٥) اسارى محاسن من القوم صرعى لا اسارى المضارب
فما ملك الّا اسير لمالك ولا حاجب الّا اسير لحاجب

(١) كذا فى الفوات وفى الاصل « جذب » خطأ (٢) كذا و قد سقط هذا البيت من الفوات (٣) كذا ولعله قنى المران ووقع فى الفوات المطبوع حديثا « قسى المران » خطأ (٤) كذا فى الاصل وفى الفوات « فتية » (٥) كذا وفى الفوات « تو الينا »

وله من قصيدة:

ياهاجرا تهت فى طرفى اليه فلا اهدى على انه فى حسنه علم
﴿٢١٧ب﴾ كم بت ادعوك حتى خلت انك بد
رالتم لا مسمع يصغى ولا كلم
اقسمت يا مقلة (١) النجلاء مجتهدا وانها ليمين برة قسم
لامال سمعى الى عذل العذول ولا قلبى الى سلوة ما دام فى فم

وله ايضا:

حديث وجدى عليك السقم يوضحه وفص (٢) شوقى اليك الدمع يشرحه
وغايتى منك حال لست ادركها وسلوتى عنك باب لست افتحه
يا من نظرت اليه فابتهجت به وكدت فى خده باللحظ اجرحه
ما ان عرضت لسلوان ولا برحت للحب عندى اسباب ترجحه
انهاج عزمى حديث السفح او بنا الـ ـوادى عن الاجرع الماهول ابطحه
فاجزعى (٣) يوم بين ذقت جرعته وحدى ودمعى سفح بت اسفحه
اذا تذكرت اياما تسمح لى فيها وما كان من يرجى يسمحه
وجدت ابرح شوق فى الوجود الى لقائه واشد الشوق ابرحه

وله فى الخمر:

هات اسقنيها فصبرى اليوم مغرور بموعد فى غد بل فيه تأخير
تلك المواعيد ما ابقت لها اثرا مما تأدت ولا تبقى الاعاصير
فعاطنيها فانى جئت اشربها بشاهدين صحيح العقد معذور
لى يا ابن عمران فيها وابن ابنته شهادة حقها ما شابها زور

(١) كذا ولعله بالمقلة (٢) كذا ولعله ونص (٣) كذا ولعله فاجزعى.

﴿١٢٨ الف﴾ فسقّنى طلقة (١) فى الكأس صافية

من قبل يوم عبوس فيه تكديرٌ

ظلُّ الغمامة ممدود علىّ و وجه الشمس عن اختها فى الكأس مستور

و الريح تلعب بالعيدان نسمتها و العندليب يغنّى و الشحاريرُ

ولؤلؤ القطر فى سلك السحاب على عرائس الروض منظوم و منثور

وعسجد الراح فى الراووق يخرج مف تول الشريط و خيط الماء مظفور

رقّت و دقّت معانيها فداخلت ال اجسام حتى لها من نورها نور

يسعى بها مخطف الاحشاء ريحته (٢) الصّبا فهو صاحى القلب مخمور

ساق لديه اليد البيضاء و القبس الهادى و من خلفه الثعبانُ والطور

خوفا على خصره من ردفه فرضت على الخصور فشدّتها الزنانير

فداونى بجنى فيه و خل نحو ل الخصر فهو من التدقيق تخصير

و له فى غلام نصرانى :

برق بدا أم ثغرك المنعوت ام لؤلؤ قد ضمّه ياقوت

وضيا (٣) سيوف جرّدت من لحظك الفتّاك (٤) أم هاروت أم ما روت

يا للنصارى برقعوا شمّاسكم (٥) قبل الضلال فانه طاغوت

ما قام قيّوم (٦) الجمال بوجهه الّا و فى ناسوته اللاهوت

(١) كذا (٢) كذا و لعله رنحه (٣) كذا و فى فوات الوفيات و دائرة البستانى «وظبى» وهو الصواب (٤) فى فوات الوفيات « القتال » (٥) هو دون القسيس وهو سريانى معناه خادم جمعه شمامسة (٦) كذا فى الاصل وفى الفوات و دائرة البستانى « أقنوم » وهو الصواب .

Marfat.com

يشتاقــه قلب اليــه طـائر صبّ وطرف حائر مبهوت
احسن فان الحسن وصف زائل واصنع جميــلا فالجمال يفوت
﴿٢١٨ ب﴾ واستبق من اهل الغرام ولا تجر
فُيقــلدوك دماءهم ويموتوا (١)

وله فى فحم يوقد :

كأن بقيع الفحم (٢) خوف شراره اذا النــار مسّت جرمــه فتلوّنا
تذكر ايّام الشباب الذى مضى بمنبتــه لمـا ترنّح اغصنا
فازهر منــه الآبنوس بنفسجـا واثمر عنّـابا واورق سوسنا

وله فى غلام يلقب بالسيف :

اعلّل آمالى بزور وصاله وما لمحبّ فى حديث المنى نفع
وكيف يجود السيف يوما بوصله على عاشق والسيف عادته القطع

وله فى يوم شديد البرد :

ويوم قُرِيد (٣) أنفـاسه يمزّق الاوجه من قرصهـا (٤)
يوم تودّ الشمس من برده لو تجذب النـار الى قُرصهـا

قلت وهذا مأخوذ من قول القـاضى الفاضل فى بعض رسائله

(١) كذا وفى الفوات «واستبق ابناء الغرام فانهم سيقلدوك دماءهم ويموتوا»
(٢) كذا وفى اكسفورد « كأن وقيد الفحم » وهو الصواب (٣) كذا وفى الفوات « برد » وهو الصواب (٤) كذا وفى الفوات « قرصها » بفتح القـاف وعق عليــه مصححه « فصيح العربية يقتضى ان يكون لمجز البيت قرسها بالسين اى من شدة برد انفاس يوم القر ولكنه أتى بالصاد على العامية ليتم له الجناس».

يصف

يصف ليلة و يوما هما باردان فقال :

فى ليلة جمد خمرها و خمد جمرها الى يوم تودّ البصلة لوازدادت (١)
قميصا الى قمصها والشمس لوجرت النار الى قرصها .

و له فى التشبيه :

ما برحت يوم وداعى لها تضمنى ضمّة مستأنسى
حتى تثنّى الغصن فوق النقا و انتثر الطلّ على النرجس

و له ايضا دوبيت :

﴿٢١٩ الف﴾ لا تحسب ماخيل للآماقى
فى وجنتيه و ردًا على الاطلاق
لكن شعاع الكأس لما مزجت القت شفقا على خدود الساقى

قلت و هذا مأ خوذ من قول بعضهم حيث يقول :

لا تعتقدوا ما فاض من آماقى دمعا كدموعى سائر العشاق
لكن ملئت اذناى من ذكركم درّا فتناثرت به آماقى

قلت و ايضا هذا مأ خوذ من قول الزمخشرى رحمه الله حيث رثى شيخه ابا مضر و لم يسبقه اليه احد :

و قائلة ما هذه الدرر التى تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت لها الدر الذى كان قدحشا ابومضر [اذنى] (٢) تساقط من عينى

قلت و هذا المعنى من مبتكرات الزمخشرى .

---

(١) كذا و فى الفوات « لوازدت الى قمصها » كذا (٢) سقط من الاصل و بدونه لا يستقيم الوزن .

Marfat.com

و لجلال الدين :

ما احسن ما رأيته منذ ليال يدعو شبحى الى عناق ووصال
فارتحت و قلت للجفون انتبهى تحظى فاذا الخيال قد زارخيال

و له ايضا :

أحيا الغوادى أم حياة الانفس و الزَّهر ام زُهر النجوم الكنّس
زمن تلقّانا بوجه للثرى طلق و آخر للغمام معبّس
فالروض يضحك عن ثغور أقاحه و الطّل ينظر من عيون النرجس
﴿٢١٩ ب﴾ فكأنما الاغصان فى اوراقها قضبُ الزمرد فى قُصاصة سندس

و البان كالمثل المرنّح عطفه يختال بين شقائق كالأكؤس
فاشرب على زهر و رنّة مزهر كأسا تنير بكفّ ساقٍ كنّس
رشأ و لكن فى حبائل لحظه ما شئت من رشأ وليث أشوس
رقّت جواهر جسمه و تلطّفت فكأنها مخلوقة من أنفس

و له من قصيدة :

ان رمت تسكين الحشا قلقت وإن سلّيتها وكففت دمعى سالا
لولا اعتدال فى قوامك قلت من سحر بطرفك قد هويت غزالا
و لذاك لولا ثم فيك لقلت لي لة لاح وجهك لى رأيت هلالا

ومنها قوله :

هيهات كانت لى ليال كنت أسأمها اذا عزّ الوصال وصالا

قصرت

Marfat.com

قصـــرت وما كانت قصـارا انمـا
كانت مسراتى على ماشئت قولا اواردت فعالا(١)

حتى اذا بدلت من لعب الصبى جدا و من جدّ المشيب خيالا
و نظرت من عيشى و فيما كان منه و ما اليه من التغير زالا
فاذا ضلال شبيبتى كان الهدى ، و هدى نذير الشيب كان ضلالا

و له ايضا :

نوىً أخيال فى الكرى، ما اتهّمته وهل من خيال فيه يشبهه كلّا
﴿٢٢٠ الف﴾ اراد سكون القلب منى فزاده
خفوقا و انساه طريقته المثُلا
و يوم وداعٍ منه قلت وعِيسه مقلدة الاعناق ترمى به الرملا
و طائر وشك البين يخفق بيننا جناحيه مهلا انه واقع مهلا
رويدك إن الجدّ فى لعب الصبى نخذمن جديد العيش من قبل ان يبلى
اذا امكن اليوم المقيم من الذى تريد فلا تقعد الى الليلة الأخرى

وله ايضا :

ان كان حلّ بقلبى غيره وحلا حسنا فلا بلغت روحى بـه أملا
غزال انس أنست السقم من كلفى فى حبّه و خلعت اللهو و الغزلا
فلا فؤادى بنار الشوق معتمد لما تزوّد منه جفوة و قلى
نبىّ (٢) حسنٍ دعا كلّ القلوب الى اتبـــاعـــه فاجابت قال او فعلا
و قام فى فترة الاجفان يتبعه اهل الهوى اذ غدت اصداغه رسُلا

---

(١) كذا والبيت غير مستقيم الوزن (٢) وقع فى الاصل « بنى » خطأ .

Marfat.com

يا صاحِبَّ اعجبا من رمح قامته وكيف علّ غصن البانة المَيَلا
عسّال قدّ حوى معسول ريقته فاعجب لمن قد حوى العسّال والعسلا
لولا مفصل وصل من محاسنه مارحت اذكر من وجدى به جُمَلا
ايضاُح حالى فيه غير مفتقر لديه تكملة تملى بكيل ملا
يافارغ القلب من حزنى ومن كلفى سل عاشقا قلبه بالوجد منك ملا
﴿ ٢٢٠ ب ﴾ لا فرّج الله عن قلبى بلا بله
إن كان من عشق هذا الحال منك خلا
عذّب بما شئت من قول ومن عمل ومن عتاب وأما بالصدود فلا

وله فى غلام غريق:

غريق كأن الموت رقّ لحسنه فلان له فى صفحة الماء جانبه
ابى الله ان يسلوه قلبى فانه توفّاه فى الماء الذى انا شاربه

وله فى العذار:

مذعقربت صدغاه واستجمع الـــنمل على ذاك (١) اللّمى الاشنب
تقدّم الحاجب للعارض أن يكتب بالأدهم فى الاشهب
[وقام فى جيش الهوى معلنا وصاح و العشاق فى الموكب] (٢)
يا امراء الحسن لاتركبوا فالقمر الأرضىّ فى العقرب

وله ايضا:

الّم بى طيفـــكم وحيّانى وظن أنّ الكرى من بعض سُلوانى

(١) كذا وفى فوات الوفيات « شهد » (٢) من الفوات ولابد منه ليرتبط الكلام بعضه ببعض وقد سقط من الاصل .

ولم

ولم انم غير أنى مت من كلفى بكم فلما ألمّ الطيف أحيانى
نبتم(١)فجاءت بودى الحداة بكم من قلبى الصخر بالوادى فأبكانى
لكن عجيب وراء الركب كيف نجا من عارض ممطر فيها لأجفانى
اذا عدمت اصطبارى عنك اول يو م غبت فيه فكيف الحال فى الثانى
وآحرّ قلباه من نار تشبّ به ، وآه من طرفى الجانى بك الجانى

وله ايضا فى الخمر :

خمر ألا تندرى(٢)من العنب الذى عرفت به عصرت من (٣)العنا ب
﴿ ٢٢١ الف ﴾ شجّت فسال لها دم خضبت به ا
ايدى فنابت عن ذبيح اناب
حتى اذا ترك الكؤس خليطها ضربت له زبدا تها بقباب

وله فى قصر النهار :

ويوم حواشيه ملمومـــة علينا . تحاذر ان تفرجـا
قنصت غزالته و التفـــت اريد اختها فاحتمت بالدجى

وله ايضا :

قلب يدوب جوى فيقطر ذوبه من مقلتى العبرى نجيعا محرّقا
وخيال جسم فيه نفس بعوضة كادت تطير بـه اليك تشوّقا

وله رحمه الله و ايانا :

وغريرة سكرى اللواحظ كلما فترت تنشط لوعتى أجفانها
واذا رنت فاصاب قلبى طرفها غضّت فاخطأ مهجتى سلوانها

(١) كذا ولعله « بنتم » (٢) كذا ولعله فلا ندرى (٣) كذا ولعله أم .

Marfat.com

و له عفا الله عنا و عنه :

اما و جفنيك انه قسم ما دام لى بالسلوّ عنك فم
ولا طوانى البعاد الاّ عـــلى نار اسىً فى الفؤاد تضطرم
سرّ المحبين لا يكاد اذا ما امتحنته الصدود ينكتم
يحفونه والضنا ينمّ به والحبّ مما يذيعه السقم
فهل لمن ضلّ فى هواك الى وصلك نهج يبين او لقم
ام هل لنا عودة شعب الشتيات وشعب السفاه ملتئم
﴿ ٢٢١ ب ﴾ و عقد شملى الشتيت مثل شيب (١)
الثغر فوق العقيق منتظم
ما انا بالبدع فى الغرام ولا اول خلق اضلّه صنم

و له ايضا :

اذا هبّ النسيم بطيب نشر طربت وقلت ايه يا رسول
سوى انى اغار (٢) لأن فيه شذاك وانه مثلى عليل

وله ايضا :

أمن هلال انت يا وجهه البادى بهذا المنظر المقمر
وجه من الروم ولكن له فى الخدّ خال من بنى العنبر
بعنى . باغلى ثمن نظرةً احيا بها يا طلعة المشترى

و له ايضا :

كأنما مقلتى لما بكيت دما جراحة فى منها الجسم مجهود

(١) كذا ولعله شنب (٢) كذا فى اكسفورد ووقع فى الاصل « اغال و » خطأ .

أسوتها بابتسام الثغر فامتلأت ملحا تمضى به للوجد تجديد
كحلت بالحسن اجفانى فما اغتمضت و مزود الحسن فى الاجفان تسهيد
يا حائرا قبله لم اكف من غصن مهفهف لبّه المنحوت جلمود
شكواى من جفنك الصاحى الذبول وإن تنكر فناظرك السكران عربيد
ولائم فى هواكم ربما شهد البلوى وكم لى يوم فيه مشهود
لسائل الدمع نهر منه مطرد من اجله النوم عن جفنى مطرود

﴿٢٢٢ الف﴾ وله ايضا

طاف بها فى الظلام بدر دجى حتى احتساها فصار شمس ضحى
مد من خمرين من يد و فم مغتبقا منهما و مصطبحا
حلا بافواهنا مقبله وانما فى عيوننا ملحا
يدير من خده و من يده و فيه من كل واحد قدحا

وله ايضا:

أنصفته من مهجتى لو انصفا و ودت لو راعى و دادى او وفى
و طمعت مغترّا بجوهر خدّه فصفا و كدّر من حياتى ما صفا
أريت خدا لا يزيد تلهّبا فيزيدنى الا عليه تلهفا
خادعته بحديث لين قوامه فجفا و هزّ علىّ منه مثقفا
و هربت من يده الى اجفانه فرقاً فسلّ علىّ منها مرهفا
احببته متجنبا و وددته متحببا و عشقته متعطفا
فاخترت للجسم الضنا و جلبت للقلب العنى و رضيت للنفس الجفا

Marfat.com

وله لغز فى فهد :

ومتصف بالفتك (١) يوم اكتسابه على ظفره اثر الدماء ونابه
كأن مهاة الفلك لما انتهى بها مداه الى سرب المها وانتهابه
رمته بنهب الجوخوف انتقامه فاطفأها فى عسجد من اهابه

الصاحب موئد الدين ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم

﴿ ٢٢٢ ب ﴾ المقدسى (٢) الشافعى تفقه وبرع ودرس وكان احد الفقهاء المشهورين بدمشق سمع من ابى عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدى وغيره وحدث، وتوفى بدمشق ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخر ودفن من الغد بمقابر الصوفية وكانت له جنازة حفلة رحمه الله تعالى .

عيسى بن طاهر بن نصر الله بن جهبل ابو محمد الحلبى الحاسب ﴿ ٢٣٠ ب ﴾ بن(٣) عبد الواحد بن موسى بن احمد الشيبانى المعروف بابن القفطى الحلبى الوزير كان من الرؤساء الاكابر الفضلاء مولده ببيت المقدس سنة اربع وتسعين وخمسمائة وسمع من الافتخار الهاشمى وغيره وحدث وتولى نظر حران فى ايام وزارة اخيه القاضى الاكرم جمال الدين

(١) كذا فى اكسفورد ووقع فى الاصل زيادة «فى» خطأ (٢) من هنا الى قوله آخر هذه الترجمة «رحمه الله تعالى» سقط من نسخة ايا صوفيا رقم [٣١٤٦] ورمزها «ص ١» مع ما سقط بعده فيما تقدم من ص ١٩ الى ص ٣٣ رقم (١٢ ب) واثبتناه هناك من نسخة ايا صوفيا رقم [٣١٩٩] ورمزها «ص ٢» وحيث انا اثبتناه هناك احتجنا الى حذفه هنا فسقطت مع المحذوف ارقام اوراقه من رقم (٢٢٢ ب) الى ترجمة « عيسى بن طاهر .. بن جهبل .. الحاجب (كذا) رقم (٢٣٠ ب) فليتنبه له القارئ (٣) اكسفورد « ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن ابى

Marfat.com

ابى الحسن على بن يوسف بحلب ، ولما توفى نقل من حران الى وزارة حلب فى الأيام الناصرية وكان امر الاموال والولايات عائدا اليه خاصة ونائب السلطنة بحلب الملك المعظم توران شاه يتحدث فى الجيش والحرب خاصة ويركب الوزير فى ايام الموكب من داره الى باب يعرف بباب قنسرين والغاشية مشتالة قدّامه الى ان يلتقيه الملك المعظم والامراء فيخدمهم ويخدمونه ويسيرمعهم ويعود ولم يصحبه فى توجهه وعوده احد الا مماليكه وغلمانه مشاة من الباب فى خدمته الى باب داره وينفذ الاشغال فى داره تحضر النظار والمستوفيين كل يوم باكر الى خدمته ويقعدون بين يديه ويرتبوا ويفصلوا القضايا ويتحدثون الى ساعة جيدة وقد اشار اليهم بالتوجه الى مستقرهم فمنهم الديوان العالى يعنونه النواحى البرانية لهم ديوان كبير يقيعة الناظر وصاحب الديوان والمقابل فى وجهه الايوان بغير مشد والمستوفيين كل واحد منهم على باب ﴿ ٢٣١ الف ﴾ خزانته ولكل منهم معاملات معلومة يلازموا اشغالهم فى الحسابات الى نصف النهار ويتوجه كل منهم الى منزله لايعود الى الغد ، ومنهم الديوان السامى وهى جهات المدينة لهم مشد يسمى امير الديوان يقعد فى مدرسة تحت القلعة ،يستخرجون ويصرفون ويتحيلوا ويقرروا الى نصف النهار وينصرفوا الى منازلهم والوزير مؤيد الدين من نصف النهار يأمر بغلق بابه المشهور ولا يقربه احد من ارباب الاشغال الى ثانى يوم كالعادة ولم يكن للديوان مشد ولامقدم ولارجاله الا لامير الديوان وحديثه مع ضمان جهات المدينة خاصّة وكان ببابه

Marfat.com

كاتب درج بين يديه يعرف بعين الدين بن صقر من اهل حلب لايذكر احدا بخير ولايتوسط لاحد بحسنة و هو الذى قال فيه الشاعر :

يا ابن صقر قـــد اتتك هديتى فانعم فـــديتك محسنا بقبولها
وكذا لأهل البيت عندى مثلها فى قـــدّها و بعرضهـا وبطولها .

ولم يزل موئد الدين فى الوزارة الى ان قصد هولاكو حلب و حاصرها و طلع الوزير من القلعة فلما اخذت بعد المدينة بالأمان نزل الى خدمة هولاكو فعرفوه منزلته فاقرّه فى الوزارة اقام اياما يسيرة و توفى فى سنة ثمان و خمسين و ستمائة رحمه الله و ايانا .

نجيب الدين هبة الله المعروف بالحمصى الشاعر كان من (٢٣١ ب) الشعراء المجيدين و من نظمه قوله :

كم قـــد حلفت بأنى لا اشرب وأرى المدامة و النديم فاكذب
انا إن حلفت .فعودتى عن توبتى لا شىء ... منها ... اقرب (١)
انا ما تركت الراح و قت شبيبتى أفكيف اتركها و رأسى أشيب
اليوم احوج ما اكون الى التى تنشى باعضائى القوى و تركّب

و له فى ارمد :

لما سللت سيوف لحظك فى الورى عمدا لقتلة كل صبّ مغرم
و جحدت فعلتهـا التى فعلت بنا ظلما و من يعطى(٢) اقتدارا يظلم
ظهر احمرار فى جفونك شاهد بـــدماء من قتلت و اوّل هادمى

كانت و فاته بدمشق فى هذه السنة و قيل فى اواخر سنة سبع

(١) كذا و لعله (لا شئ لى منها الى اقرب) (٢) كذا و لعله يعط فعل الشرط .

وخمسين

Marfat.com

و خمسين و ستمائة رحمه الله و ايانا .

توران شاه الملك المعظم ابو المفاخر بن السلطان الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب آخر من بقى من اخوته ولد سنة سبع و سبعين و خمسمائة و سمع بدمشق من يحيى الثقفى و ابن صدقة الحرانى و اجاز له عبد الله بن برى النحوى و غيره و انتقى له الدمياطى جزأ و حدث بحلب و دمشق و كان كبير البيت الايوبى و كان الملك الناصر و هو ابن ابن اخيه يحترمه و يتأدب معه و كان يتصرف فى الخزائن و الاموال و الغلمان و الجند و لما استولوا التتر على حلب ﴿٢٣٢ الف﴾ اعتصم بقلعتها و حماها ثم سلمها بالامان فادركه اجله على أثر ذلك .

رسلان شاه الامير اسد الدين بن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان شجاعا شهما حسن الشكل كريما وكان ابوه اشبه الناس بابيه و شقيق الملك الظاهر غازى و سلطان البيرة فتوفى بها فى سنة اثنتين و ثلاثين و تملك البيرة بعده الملك العزيز صاحب حلب و اقام نساؤه و اولاده بحلب عند ابن عمهم و قتل اسد الدين هذا فى اول الوقعة بحلب رحمه الله و ايانا .

محمد بن ابى الحسين (١) بن احمد بن عبد الله بن عيسى بن ابى الرجال احمد بن على الشيخ الفقيه ابو عبد الله شيخ الاسلام الحافظ ولد فى رجب

(١) كذا فى الاصل وفى اكسفورد ما نصه « محمد بن احمد بن عبد الله بن عيسى ابن ابى الرجال ابو عبدالله بن ابى الحسين اليونينى الحنبلى والدى رحمه الله» وترجمته هنا كما تراها و ترجمته فى اكسفورد فى خمس عشرة صفحة من القطع الكبير .

Marfat.com

سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة بقرية يونين و لبس الخرقة من الشيخ عبد الله البطائحى صاحب الشيخ عبد القادر و لزم الشيخ عبد الله اليونينى وكان يشفق عليه و يربيه لانه ربى يتيما و تعلم الخط المنسوب و اشتغل بدمشق على الشيخ الموفق فى المذهب و على الحافظ عبد الغنى فى الحديث و سمع منهما و من ابى طاهر الخشوعى و حنبل و ابن طبرزد و الكندى و الحرستانى و جماعة و روى الكثير بدمشق و بعلبك وكان مليح الشكل و الصورة زاهدا و قورا ظريف الشمائل مليح الحركات حميد المساعى بشوش الوجه ﴿٢٣٢ ب﴾ وكان من المقبولين المعظّمين عند الملوك وكان له قبول تام و عليه جلالة و هيبة توفى فى تاسع و عشرين رمضان ببعلبك و دفن عند شيخه الشيخ القدوه عبدالله اليونينى رحمهما الله تعالى .

محمد بن غازى بن محمد (١) بن ايوب بن شاذى السلطان الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالى محمد بن الملك المظفر بن الملك العادل صاحب ميافارقين تملك البلد بعد وفات ابيه فى سنة خمس و اربعين (٢) ذكره الشيخ قطب الدين فى تاريخه قال كان ملكا جليلا دينا خيرا عالما عادلا مهيبا شجاعا محسنا للرعية كثير التعبد و الخشوع لم يكن فى بيته من يضاهيه فى الدين و حسن الطريقة استشهد بايدى التتار بعد اخذ ميافارقين منه و قطع راسه و طيف بـــه البلاد بالمغانى و الطبول ثم علق بسور باب الفراديس و لما انكسروا دفنوه المسلمون بمسجد (٣) الرأس

(١) كذا وفى اكسفورد « ابن ابى بكر محمد » (٢) كذا وفى اكسفورد « اثنتين واربعين وستمائة »(٢) كذا وفى اكسفورد « بمشهد » .

داخل

Marfat.com

داخل باب الفراديس وكان اولايدارى التتار فلما خبرهم انقبض منهم ولما راهم على قصده قدم دمشق مستنجدا بالناصر وعلى جسده مسح صوف اسود فاكرمه وقدم له تقادم جليلة ووعده بالنجدة فرجع الى ميافارقين ولم يمكن الناصر ان ينجده ثم ان هولاكوسير ابنه اشموط لمحاصرته فنازله نحوا من عشرين شهرا رصابر الكامل القتل حتى فنى اكثر اهل البلد وعمهم القتل ﴿ ٢٣٣ الف ﴾ والغلاء والوباء المفرط ثم ان التتر بنوا عليهم مدينة بازاء البلد بسورو ابرجة ، واما اهل ميافارقين فنفدت اقواتهم وجاعوا حتى كان الرجل يموت فى البيت فيأكلون لحمه وفنى اهل البلد وآخر الامر خرج بعض الغلمان الى التتر فاخبرهم بحلية الحال فما صدقوه ثم قالوا هذه خديعة ثم تقربوا الى السور فبقوا عنده اسبوعا لايجسرون على النزول الى البلد وكان قد بقى فيها سبعون نفسا بعد الوف من الناس ثم دخلت التتار على الكامل داره وأمنوه وعذبوا اربعين رجلا على المال كانوا قد اشتروا امتعة كثيرة وذخائر ونفائس من الغلاء استصفوهم ثم قتلوهم وقدموا بالكامل على هولاكو وهو بالرهاء وهو قاصد حلب ، فاذا هو يشرب فناول الكامل كأسا من الخمر فامتنع وقال هذا حرام فقال هولاكو لامرأته ناوليه انت والتتار امرنسائهم فوق أمرهم فناولته فأبى وسب هولاكو وبصق فى وجهه وكان قبل ذلك قدسار الى التتار ورأى القان الكبير وعندهم فى اصطلاحهم من راى وجه القان لايموت فلما قابل هولاكو بهذا الفعل ، استشاط غضبا وغيظا وقتله وكان الكامل شديد

Marfat.com

البأس قوى النفس آلت به الحال الى ما آلت ولم ينقهر للتتار بحيث انهم اتوه باولاده و حريمه الى تحت السور وكلموه ان ينزل بالأمان فقال مالكم عندى الا ﴿٢٣٣ ب﴾ السيف و اشباه ذلك بلغنى انه اشترى رأس غنم بنحو ثلاثة الآف درهم و شواه و رماه بالمنجنيق الى التتر يوهمهم أن عنده اشياء كثيرة اعدّها لحصارهم توفى فى سنة ثمان وخمسين و قيل فى سنة سبع و خمسين، و ستمائة رحمه الله و ايانا .

الفقيه المحدث الاديب المنعوت بالبدر المعروف بابن الغنائم عبد الواحد بن عبد الصمد بن عبد الله بن ابى جرادة بن العديم الحلبى قتل فى وقعة التتر بحلب سنة ثمان و خمسين و ستمائة كان فاضلا اديبا فقيها محدثا روى عنه شيخنا شرف الدين الدمياطى قال انشدنا عبد الواحد بن العديم لنفسه ببغداد من قصيدة :

يا واحدا فى الحسن ما ابقى هواه على احد
لم ينعطف غصن النقا لكن لقامته سجد
لما تبسم فى الدجى انشقّ الصباح من الحسد
ما ذاب الّا غيرة من درّ مبسمه البرد

قال و انشدنا ايضا لنفسه :

و مهفهف لولا جديد (١) عذاره ما بات عاشقه خليع عذار
طرفى و قلبى منزلاه لانه قمر وتلك منازل الاقمار

(١) كذا و لعله مديد

Marfat.com

قال و انشدنا لنفسه فى دمشق :

و مهفهف قسم الجما ل فنال منه اجلّ قسم
﴿٢٣٤ الف﴾ يرمى بأسهم لحظه عن قوس حاجبه فيُصْمى
واها لعقرب صدغه لو لم تكن للماه تحمى (١) ،
و لعقدْ خط عذاره لوبتّ اعجمه بُلثمى

مولد عبد الواحد فى الثامن و العشرين من جمادى الاخرى سنة اثنتين و عشرين و ستمائة بحلب و فقد فى وقعة التتار خذلهم الله تعالى فى صفر سنة ثمان وخمسين و ستمائة رحمه الله تعالى .

الامير الكبير علاء الدين على بن عبد الله بن على بن ابى الحسن الهكارى الامير المعروف بابن الشجاع الاكتع قتل شهيدا فى وقعة التتار بنابلس فى ربيع الاوّل سنة ثمان و خمسين و ستمائة انشدنا شيخنا شرف الدين الدمياطى قال انشدنا الامير على بن عبد الله الهكارى لنفسه بدمشق :

لاتعتقدوا شامته من يد قد زخرفها تعمدا عن قصد
ذا خالقه لما برى حاجبهْ نونا جعل النقطة فوق الخدّ

قال و انشدنا ايضا بدمشق :

قالوا نسخ العذار ما كنت تريد من بهجة و جهه وذاك التوريد
قلت اتئدوا الآن بدت عشقته شيبى و عذاره خليع و جديد

امين الدولة الحسن بن احمد بن هبة الله الحلبى الحنفى الفقيه الفرضى

(١) كذا و لعله يكن للماه يحمى .

Marfat.com

المعروف بابن امين الدولة قتلوه التتر فى صفر سنة ثمان و خمسين و ستمائة.

بحلب انشدنا شيخنا الدمياطى قال ﴿٢٣٤ ب﴾ انشدنا الحسن بن احمد لنفسه:

كأنّ البدر حين يلوح طورا و طورا يختفى تحت السحاب.
فتاة كلّما سفرت لخلّ توارت خوف واشٍ بالحجاب

و له ايضا:

عليك بصحبة الاخيار و الزم سبيلهم وكن فطنا نبيها
و اهل الشرّ لا تقرب اليهم فهم كالنار تحرق ما يليها

و له ايضا:

يا ويح طالب دنيا ظلّ يخدمها و ينفق العمر فى همّ و فى حزن
العمر اشرف قدرا ان يضيّع فى فانٍ يزوّد منه المرء بالكفن

السنة التاسعة والخمسون وستمائة

دخلت هذه السنة و ليس للمسلمين خليفة و صاحب الديار المصرية الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى و بدمشق(١) الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبى و الخطبة و السكة بينه و بين الملك الظاهر (٢) و فيها كانت كسره التتر على حمص قد تقدم وصول التتر فى السنة الخالية و خروجهم منها الى حماة، فلما دخلت هذه السنة و صلوا الى حمص فوجدوا عليها من كان بحلب من الامراء و صاحب حماة المنصور و صاحبها (٣) الاشرف و هم فى الف و اربعمائة فارس و كان التتر فى ستة آلاف فارس، فاستعان.

(١) زاد نز «و بعلبك و بانياس و الصبيبة» (٢) قد تقدم هذا الكلام قريبا
(٣) كذا اوفى نز «و صاحب حمص و تدمر و الرحبة الملك الاشرف».

Marfat.com

المسلمون بالله على قتالهم ﴿٢٣٥ الف﴾ و سألوه النصر عليهم و سوق الخير اليهم على يديهم ثم حملوا عليهم حملة رجل و احد حقّق الله بها سؤالهم و حسن عاقبتهم و مآلهم، وكانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه فهرب بيدرة مقدمهم ولم يلووا و وقع القتل فى التتر ولم يفلت منهم الّا الذى شرد ؛

حكى لى الامير بدر الدين محمد بن عز الدين حسن القيمرى رحمه الله وكان صدوقا و عنده دين و صلاة و صيام و عبادة كثيرة قال كنت مع صاحب حماة قال و الله لقد رأيت بعينى طيورا بيضا و هى تضرب فى وجوه التتر قال و كان من لطف الله تعالى بالمسلمين ان التتر صفوا فى اول طلب الف فارس و باقى عسكرهم خلف الطلب الاول تكملة ثمانية اطلاب و عبّى صاحب حمص المسلمين طلبا واحدا فجعل صاحب حماة فى الميمنة و عسكر حلب ميسرة، و هو و عسكر حمص فى القلب فامتدّ عسكر المسلمين و حملوا حملة واحدة و الطيور و الهوى و الضباب فى وجوههم فانهزم التتر و قتلوا و مزّقوا كل ممزّق و يقال ان هذه الكسرة قتل فيها من التتر البهادرية اكثر من وقعة عين جالوت و الذى سلم من التتر فانهم عادوا الى حلب فاخرجوا من فيها من الرجال و النساء و لم يبق فيها الّا من ضعف عن الحركة و اختفى خوفا على نفسه ثم نادوا فيهم، من كان من اهل حلب فليعتزل ﴿٢٣٥ ب﴾ فلم يعلم الناس ما يراد بهم فظن الغرباء النجاة لاهل حلب و ظن اهل حلب النجاة للغرباء فاعتزل بعض الغرباء مع اهل حلب و اعتزل بعض اهل حلب مع الغرباء فلما تميّز الفريقان اخذوا الغرباء و ساروا بهم الى ناحية بابلى فضربوا

Marfat.com

رقابهم وكان فيهم من اهل حلب جماعة من اقارب الملك الناصر [ومن الفقراء ومن مشاهيرهم امين الدين ابو العز بن تاج الدين اسحاق المعروف بابن الحموى و القاضى امين الدين مسلم بن منير] (١) ثم عدوا من بقى من اهل حلب و سلموا كل طائفة منهم الى رجل من الاكابر ضمنوهم له ثم أذنوا لهم فى العود الى البلد واحاطو بها فلم يمكنوا احدا من الخروج منها و لا يدخل اليها (٢) و اقاموا كذلك اربعة اشهر وكانت الوقعة و ملتقى الفريقين يوم الجمعة خامس المحرم سنة تسع وخمسين و ستمائة نصر الله المسلمين على التتر الملاعين و حصل بعد هروب التتر غلاء عظيم بحلب فغلت الاسعار و قلّت الاقوات و بلغ رطل اللحم سبعة عشر درهما و رطل السمك ثلاثين درهما و رطل اللبن خمسة عشر درهما و رطل الكمثرى سبعين درهما [و رطل الخل ثلاثين درهما] (١) و رطل الأرز عشرين درهما و رطل الحب رمان ثلاثين درهما و رطل السكر خمسين درهما و الحلوى كذلك و رطل العسل ثلاثين درهما و رطل الشراب ستين درهما و الجدى الرضيع اربعين درهما و الدجاجة خمسة دراهم و البيضه ﴿٢٣٦ الف﴾ درهما و نصفا والبصلة نصف درهم و الخسة (٣) نصف درهم و باقة البقل (٤) درهما و البطيخة اربعين درهما و التفاحة

(١) ليس فى اكسفورد (٢) كذا و فى اكسفود « و لا من الدخول اليها »
(٣) كذا والخس نبات من الفصيلة المركبة من القسم الهندى كما فى دائرة المعارف للبستانى وفى اكسفورد الجسد واصلحه كاتبه المستشرق كرنكو بالخسك والله اعلم (٤) فى اكسفورد « البصل » .

Marfat.com

خمسة دراهم حتّى أكلت الميتة من شدة الغلاء .

حكى لى الشيخ تقى الدين ابوبكربن عامر الصرصرى، التاجر قال كنت مقيما بحلب و عندى اربع بقرات حلابات قال كنت استغلّ منهم فى كل يوم فوق كفايتى من اللبن مائة و اربعين درهما و جابوا لى ستة آلاف درهم كل بقرة الف و خمس مائة فلم اسمح ببيعهم لأنه لم يكن بقى لى شئ أتقوّت به و عائلتى سوى لبنهم وما استغله منهم و ابعت لى خمس نعاج و ثلاث خراف بتسع مائة درهم و الذى اشتراهم منى كسب فيهم خمسين درهما وحكى لى اشياء يستحى الانسان ان ينقلها و قال لى يا ولدى و مع هذا كله من كثرة القتل و قلّة الناس و قطع الطرقات و كانت المكاسب كثيرة متيسرة ما نعلم كيف يسهّل الله تعالى بالدراهم ولا كيف تخرج و البركة من الله زائدة ، وكان اجتماعى به فى دمشق وحكايته لى عن الغلاء فى شهور سنة خمس و ثمانين و ستمائة .

و فيها فى سابع صفر (١) يوم الاثنين ركب السلطان الملك الظاهر بآبهة الملك من القلعة المحروسة [و نزل](٢) من وراء القاهرة و دخل من باب النصروشقّ البلد وخرج من باب زويلة عائدا الى القلعة و الامراء و اعيان الاجناد ﴿ ٢٣٦ ب ﴾ مشاة بين يديه وكان هذا اوّل ركوبه بعد أن قضى من توطيد الملك اربه (٣) ثم استمرّ على الركوب بعد ذلك الى اللعب بالكرة فى كل جمعة المرة و المرتين .

(١) فى اكسفورد « فى يوم الاثنين رابع صفر » (٢) من اكسفورد (٣) كذا وفى اكسفورد « وكان هذا اول ركوبه فى دست السلطنة ثم »

Marfat.com

وكانت(١) الامراء الذين كانوا بدمشق مع الامير علم الدين سنجر الحلبي يستميلهم اليه و يحضّهم على منابذة علم الدين و القبض عليه فاجابوه الى ذلك وخرجوا عن دمشق منابذين له و فيهم الامير علاء الدين ايدكين البندقداري الصالحي و الامير بهاء الدين بغدى الاشرفي فتبعهم [الامير علم الدين](٢) بمن بقي معه من الامراء و الاجناد و حاربهم فهزموه و الجأوه الى القلعة فاغلقها دونهم ، و ذلك يوم السبت حادي عشر صفر فحمله الخوف على ان خرج منها تلك الليلة و قصد بعلبك فدخل علاء الدين ايدكين البندقداري الى دمشق واستولى عليها و على مايجاورها من القلاع واعلن بشعار الملك الظاهر و حكم فيها نيابة عن السلطان [مدة شهر ثم صرف عنها و وليها الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري](٣) ، ولما وصل الامير علم الدين الحلبي الى بعلبك قبض عليه و بعث به مع الامير بدر الدين بن رحال الى القاهرة فادخل على السلطان الملك الظاهر ليلا بقلعة الجبل فقام اليه و اعتنقه و ادنى مجلسه و عاتبه عتابا لطيفا ثم عفا عنه وخلع عليه واستماله و رسم له بخيل و بغال و جمال و ثياب .

(١) كذا والصواب « وكاتب الامراء » ففي اكسفورد « كان الملك الظاهر قد كتب الى الامراء الذين بدمشق يستميلهم »(٢) سقط من اكسفورد(٣) كذا وفي اكسفورد بعد قوله سابقا نيابة عن السلطان « وجهز الى بعلبك لمحاصرة الامير علم الدين الحلبي بدر الدين محمد بن رجال والامير ..... التركماني فلما وصولها دخلا المدينة ونزلا المدرسة النورية ..... ووصل الى دمشق وسار منها الى الديار المصرية فادخل على الملك » .

Marfat.com

و فيها فى يوم الاثنين ثامن ربيع الاول ﴿٢٣٧ الف﴾ فوّض الملك الظاهر أمر الوزارة و تدبير الدولة الى الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنّا و امر الجيوش و جميع الامور و خلع عليه و ركب وفى خدمته جميع رؤساء مصر و القاهرة، و الامير سيف الدين الدويدار الرومى و جماعة من الامراء و المقدمين و اعيان الدولة و حكم من يوه و امرونهى .

و فيها قبض الملك الظاهر على جماعة من الامراء المعزية فى شهر ربيع الاول حضر بين يديه احد اجناد الامير عزالدين الصقلى (١) و انهى اليه انه فرق ذهبا على جماعة من حاشيته و قررمعهم الوثوب على السلطان و اتفق معه الامير علم الدين الغتمى و بهادر و الشجاع بكتوت فقبض عليهم و على جماعة ممن اتفق معهم .

و فيها فى شهر ربيع الآخر بعث الملك الظاهر عسكرا فتسلّم الشوبك من نواب الملك المغيث فتح الدين عمر بباطن كان بينهم و بين السلطان .

و فيها فى ربيع الآخر قبض على الامير بهاء الدين البغدى الاشرفى و حمل الى القاهرة و حبس بالقلعة و لم يزل محبوسا بها الى ان مات، رحمه الله و ايانا .

و فيها رحلوا التتار من حلب كان السبب فى ذلك ان الملك الظاهر جهّز فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر الامير فخرالدين الطنبا الحمصى و الامير حسام الدين لاجين [الجوكندارى و الامير حسام الدين] (٢) العينتابى ﴿٢٣٧ ب﴾ فى عسكر لترحيل التتر عن حلب ، فلما وصلوا

(١) اكسفورد « الصيقلى » (٢) ليس فى اكسفورد وهو مطابق لما سيأتى قريبا.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى غزّة كتب الفرنج من عكا الى التتر يخبرونهم بخروج العسكر لقصد الشام من مصر فرحلوا عنها فى اوائل جمادى الاولى فتغلب عليها جماعة من احداثها و شطّارها منهم نجم الدين ابوعبد الله بن المنذر و على بن الانصارى و ابوالفتح و يوسف بن معالى فقتلوا و نهبوا و نالوا اغراضهم ممن كان فى صدورهم منهم (١) ثم وصل اليها الامير فخر الدين الحمصى و الامير حسام الدين العينتابى و من معهما من العسكر فخرجوا هولائك المذكورون منها هاربين ، ولما دخلها الامير (٢) صادر اهلها و عذبهم حتى استخرج منهم الف الف و ستمائة الف درهما بيرونية و اقام بها الى ان وصل الامير شمس الدين آقوش البرلى فى شهر جمادى الآخرى فخرج لتلقيه ظنا انه جاء نجدة له وكان قد خرج من دمشق هاربا لما استشعر من الملك الظاهر القبض عليه حين قبض على بهاء الدين بغدى، فلما دخلها جنحت نفسه الى التغلب عليها فخافه الامير فخر الدين على نفسه فاعمل الحيلة عليه فى الخلاص منه بأن طلب السفر الى السلطان ليتوسط له عنده و يستميله اليه فمكنه من الخروج، فلما توجه اخذ الامير شمس الدين فى مصادرة اهل حلب و عقوبتهم و القبض عليهم ممن كان فى صحبة الامير فخر الدين و ابقى على حسام الدين و امر و اقطع ﴿٢٣٨ الف﴾ و وفد عليه الامير زامل بن على بن حذيفة فى اصحابه ففرق عليهم تسعة آلاف مكوكا مما احتاط عليه من الغلال التى كانت مطمورة بحلب و فرّق فى التركمان اربعة آلاف مكوكا أخرى .

(١) كذا و لعله سقط حقد او نحوه (٢) كذا و فى الكسفورد «ولما دخلها العينتابى»

Marfat.com

و فيها فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الاولى استدعى السلطان الملك الظاهر اليه القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى الأعز ابى القاسم خلف (١) بن القاضى رشيد الدين ابى الثناء محمود بن بدر العلامى (٢) المعروف بابن بنت الأعز وعرض عليه القضاء بالديار المصرية وشرط شروطا اغلظ فيها و كان قصده بذلك التنصل، فحملت السلطان رغبته فيه و ثقته به على اجابته الى ما شرط و صلى بالسلطان الظهر و حكم بقية النهار و عزل القاضى بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن على السنجارى و عرق عشرة ايام ثم افرج عنه، و فيها وصل المستنصر بالله الى القاهرة .

ذكر مبايعته :

كان المستنصر بالله هذا و هو ابو القاسم احمد بن الامام الظاهر بامر الله ابى نصر محمد بن الامام الناصر لدين الله ابى العباس احمد بن الامام المستنصر بالله العباسى محبوسا ببغداد مع جماعة من بنى العباس، فلما ملكت التتر بغداد اطلقوهم فصار هذا المستنصر الى عرب العراق و اختلط بهم فلما ملك الملك الظاهر وفد عليه مع جماعة من بنى مهارش ﴿ ٢٣٨ ب ﴾ وهم عشرة امراء و كان وصوله الى ظاهر القاهرة فى الثامن من شهر رجب فركب السلطان للقائه و معه الوزير بهاء الدين و قاضى القضاة و الشهود و القراء و المؤذنون و الأئمة و اعيان الدولة و اليهود بالتوارة والنصارى بالانجيل يوم الخميس

(١) مثله فى اكسفورد و فى ذيل الروضتين « بن خلف » و وقع فى الفوات « خليفة » كذا (٢) بالفتح و التخفيف نسبة الى قبيلة من لخم كما فى الفوات .

Marfat.com

ثامن رجب، فدخل من باب النصر و شق القاهرة و خرج من باب زويلة عائدين الى القلعة وكان يوما مشهودا .

فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب جلس السلطان الملك الظاهر و الخليفة بقلعة الجبل و حضر الصاحب بهاء الدين و ولده فخرالدين و قاضى القضاة تاج الدين و الامراء و الناس على طبقاتهم و قرئ نسب الخليفة على القاضى تاج الدين و شهد عنده بصحته فسجل عليه بذلك و حكم به ثم مد يده اليه و بايعه ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم الامراء على طبقاتهم ثم الناس و نعت بالمستنصر بالله ابو القاسم احمد ابن الامام الظاهر (١) و ركب من يومه و شق القاهره فى وجوه الدولة و اعيانها .

و لما كان يوم الجمعة ركب الخليفة من البرج المقيم به فى القلعة و عليه ثياب سود الى الجامع بالقلعة للصلاة فصعد المنبر و خطب خطبة ذكر فيها شرف بنى العباس ثم استفتح و قرأ سورة الانعام حتى بلغ قوله: (و لا تموتن الا و انتم مسلمون) ثم صلى على النبى صلى الله عليه

(١) بهامش نزج ٧ ص ١١٠ « يستفاد من السلوك ان الظاهر هو الذى كان يبحث عن مثل هذا الخليفة لان مصر كانت محاطة بالاعداء من كل جانب وكان يخشى ان ينجم له ناجم فى الداخل من بنى ايوب يسمو الى السلطنة فيجد على دعوته انصارا على ايسر وجه فرأى ان يبايع لاحد ذرية بنى العباس بالخلافة بعد ان قرضها المغول فى بغداد .... على ان الخليفة فى مصر لم يكن له امر و لا نهى و لا نفوذ بل يتردد الى ابواب الامراء و اعيان الكتاب و القضاة لتهنئتهم بالاعياد و الشهور » .

و سلم

و سلم و ترضّىٰ عن الصحابة و دعا للسلطان ثم نزل و صلّى بالناس ﴿ ٢٣٩ الف ﴾ صلاة الجمعة .

و فى مستهل شعبان المكرم تقدم الخليفة بتفصيل خلعة سوداء و بعمل طوق و قيد من ذهب و بكتب تقليد السلطنة[للملك الظاهر] (١) و نصبت خيمة ظاهر القاهرة ، و لما كان يوم الاثنين رابع الشهر ركب الخليفة و السلطان و الوزير و وجوه الدولة من الامراء و القضاة و الشهود الى الخيمة [بقبة النصر] (٢) فالبس الخليفة السلطان الخلعة بيده و طوّقه و قيّده و صعد فخر الدين ابراهيم بن لقمان رئيس الكتّاب منبرا نصب له فقرأ التقليد و هو بخطه و انشائه ، ثم ركب السلطان الملك الظاهر بالخلعة و الطوق و القيد و دخل من باب النصر و شق القاهرة و قد زينت له و حمل الصاحب الوزير بهاء الدين التقليد على رأسه راكبا و الامراء يمشون بين يديه وكان يوما يقصر اللسان عن وصفه .

نسخة التقليد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أضفى(٣) علىّ الاسلام ملابس الشرف، و اظهر بهجة درره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف ، وشيّد ما وهى من علائه حتى انسى ذكر ما (٤) سلف، و قيّض لنصره ملوكا اتفق عليهم من اختلف ، احمده على نعمه التى تسرح (٥) الاعين منها فى الروض الأنف،

(١) من اكسفورد (٢) من نز (٣) كذا فى نز و وقع فى الأصل و اكسفورد «اصفى» كذا (٤) اكسفورد و نز «من» (٥) اكسفورد «رتعت».

Marfat.com

و الطافه التى وقف الشكر (١) عليها فليس له عنها منصرف ، و اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من ﴿٢٣٩ ب﴾ المخاوف أمنا ، و تسهّل من الامور ما كان حزنا ، و اشهد ان محمدا عبده و رسوله الذى جبر من الدين وهنا ، و رسوله الذى اظهر من المكارم فنونا لا فنّا ، صلّى الله عليه و على آله الذين اصبحت مناقبهم باقية لا تفنى ، و اصحابه الذين احسنوا فى الدين فاستحقوا الزيادة و الحسنى و سلّم تسليما ، و بعد فان اولى الاولياء بتقديم ذكره ، و احقهم ان يصبح القلم راكعا و ساجدا فى تسطير مناقبه و برّه ، من سعى فاضحى بسعيه الحميد متقدما ، و دعا الى طاعته فاجابه من كان منجدا و متهما ، و ما بدت [يد] (٢) من المكرمات الّا كان لها زندا و معصما ، و لا استباح بسيفه حمى و غى الّا اضرمه نارا و اجراه دما .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى شرفه الله وأعلاه ذكرها الديوان العزيز النبوى [الامامى المستنصرى أعز الله سلطانه] (٢) تنويها بشريف قدره ، واعترافا بصنيعه الذى تنفد العبارة [المسهبة] (٢) ولا تقوم بشكره ، وكيف لا وقد اقام الدولة العباسية بعد ان اقعدتها زمانة الزمان ، و اذهبت ما كان لها من محاسن و إحسان وعتب دهرها المسئ لها فاعتب ، و ارضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب ، فاعاده لها سلما بعد ان كان عليها حربا ، و صرف اليها اهتمامه فرجع كل مضيق من امرها واسعا رحبا ، ومنح ﴿٢٤٠ ألف﴾

(١) بهامش اكسفورد عن حسن المحاضرة « الشاكر » (٢) من اكسفورد ونز .

امير

امير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا و عطفا، و اظهر من الولاء رغبة فى ثواب الله ما لايخفى، و ابدى من الاحتفال بامر الشريعة و البيعة امرا لو رامه غيره لامتنع عليه، و لوتمسّك بحبله متمسك لانقطع به قبل الوصول اليه، لكن الله ادّخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه، و يخفّف بها يوم القيامة حسابه، و السعيد من خفف من حسابه، فهذه منقبة ابى الله الّا ان يخلّدها فى صحف، صنعه، و مكرمة [قضت] (١) لهذا البيت الشريف النبوى بجمع شمله، بعدان حصل الاياس من جمعه، و امير المؤمنين يشكرالآن (٢) هذه الصنائع، و يعترف انه لولا اهتمامك بامره لا تسع الخرق على الراقع، و قد قلّدك الديار المصرية و البلاد الشامية و الديار الجزيرية (٣) والحجازية واليمنية [و الفراتية] (١) وما يتجدد من الفتوحات غورا و نجدا، وفوض امر جندها و رعاياها اليك حين اصبحت بالمكارم فردا، و ما جعل منها بلدا من البلاد و لاحصنا من الحصون مستثنى، و لاجهة من الجهات تعدّ فى الاعلى ولاالادنى، فلاحظ امور الأمّة فقد اصبحت لثقلها (٤) حاملا، وخلص نفسك اليوم من التبعات ففى غد تكون مسئولاعنها لاسائلا، و دع الاغترار بامرالدينا فما نال احد منها طائلا، و مالحظها ﴿ ٢٤٠ ب ﴾ احد بعين الحق الارآها خيالا زائلا. فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة، و قدم لنفسه زاد التقوى، فتقدمة غير (٥) التقوى مردودة لامقبولة، و ابسط يدك

(١) من اكسفورد ونز (٢) بهامش اكسفورد «لك» (٣) اكسفورد ونز «البكرية» (٤) اكسفورد «لها» (٥) كذا فى اكسفورد و وقع فى الاصل «عن» خطأ.

Marfat.com

بالاحسان و العدل فقد امر الله بالعدل و الاحسان؛ وكرر ذكره فى مواضع من القرآن ، و كفّر به عن المرء ذنوبا كتبت عليه و آثاما ، و جعل يوما واحدا منه كعبادة ستين عاما ، و ما سلك سبيل العدل الا و اجتنبت ثماره من افنان (١) ، و رجع الأمن (٢) بعد تداعى اركانه مشيّد الاركان، و تحصّن به من حوادث الزمان، فكانت ايامه فى الايّام ابهى من الاعياد و أحسن [فى العيون] (٣) من الغرر فى اوجه الجياد ، و احلى من العقود اذا حلى بها عطل (٤) الاجياد، و هذه الاقاليم المنوطة بنظرك تحتاج الى حكّام و اصحاب رأى من ارباب السيوف و الاقلام ، فاذا استعنت باحد منهم فى امرك فنقّب عليه تنقيبا ، و اجعل عليه فى تصرفاته رقيبا ، وسل عن احواله ففى يوم القيامة تكون عنه مسئولا و بما اجترم مطلوبا، و لا تولّ منهم الا من تكون مساعيه حسنات لا ذنوبا ، و أمرهم بالأناة فى الامور و الرفق ، و مخالفة الهوى اذا ظهرت لهم ادلّة الحق، و ان يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم و الوجه الطلق ، و ان لا يعاملوا احدا على الاحسان و الاساءة الّا بما ﴿٢٤١ انف﴾ يستحق ، و ان يكونوا لمن تحت ايديهم من الرعية اخوانا، و ان يوسعوهم برا وا حسانا، و ان لا يستحلوا حرماتهم اذا استحل لهم الزمان حرمانا ، فالمسلم اخو المسلم و ان كان اميرا عليه و سلطانا ، و السعيد من نسج و لاته فى الخير على منواله ،

---

(١) كذا فى اكسفورد و فى الاصل «اقبل» خطأ (٢) كذا فى الاصل و اكسفورد وبهامش اكسفورد عن حسن المحاضرة «الامر» (٣) من اكسفورد (٤) بهامش اكسفورد عن حسن المحاضرة « عاطل »

Marfat.com

واستنوا (١) بسنته فى تصرفاته واحواله، وتحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل اثقاله، وعما يؤمرون به ان يمحى ما أحدث من سيء السنن، وجدّد من المظالم التى هى على الخلائق من اعظم المحن، وان يشترى بابطالها المحامد فان المحامد رخيصة باغلى الثمن، ومهما جبى منها من الاموال، فانها باقية فى الذمم، وان كانت حاصلة، واجياد الخزائن ان اضحت بها خالية، فانما هى على الحقيقة عاطلة، وهل اشقى ممن احتقب إثما، واكتسب بالمساعى الذميمة ذمّا، وجعل السواد الأعظم يوم القيامة له خصما، وتحمل ظلم الناس عما (٢) صدر عنه من اعماله وقد خاب من حمل ظلما، وحقيق بالمقام السلطانى الملكى الظاهرى الركنى ان تكون ظلامات الأنام مردودة بعدله، وعزائمه تخفف عن الخلائق ثقلا لاطاقة لهم بحمله، فقد اضحى على الاحسان قادرا وصنعت له الايّام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وان جاء آخرا، فاحمد الله على ان وصل الى جنابك إمام هدى اوجب لك ﴿٢٤١ ب﴾ مزية التعظيم، ونبه الخلائق على ماخصك الله به من هذا الفضل العميم، وهذه امور ينبغى ان تلاحظ وترعى، وان يوالى عليها حمد الله فان الحمد لله يجب عليها عقلاوشرعا وقدتبين انك صرت فى الامور اصلا، وصارغيرك فرعا.

ومما يجب تقديم ذكره الجهاد الذى اضحى على الامة فرضا، وهو العمل الذى يرجع به مسودّ الصحائف مبيضّا، وقد وعد الله المجاهدين

(١) بهامش اكسفورد عن حسن المحاضرة «استسنوا» (٢) حسن المحاضرة «فيما».

Marfat.com

بالاجر العظيم ، واعدّلهم عنده المقام الكريم ، وخصّهم بالجنة التى لالغو فيها ولاتأثيم ، وقد تقدمت لك فى الجهاد، يد بيضاء اسرعت فى سواد الحساد ، وعرفت منك عزمة هى امضى مما تجّنه (١) ضمائر الاغماد؛ واشتهرت لك مواقف فى القتال هى ابهى واشهى الى القلوب من الاعياد ، وبك صان الله حمى الإسلام من أن يبتذل، [وبعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ، وسيفك الذى اثّر فى قلوب الكافرين قروحا لاتندمل ،] (٢) وبك يرجى ان يرجع مقرّ الخلافة المعظّمة الى ماكان عليه فى الايّام الاول ، فايقظ لنضرة الاسلام جفنا ماكان [غافيا ولا] (٢) هاجعا ، وكن فى مجاهدة [اعداء] (٢) الله إماما متبوعا لاتابعا ، وايدّ كلمة التوحيد فما تجد فى تأييدها الّامطيعا سامعا ولاتخل الثغور من اهتمام بأمرها تبتسم له الثغور ، واحتفال يبدل ما دجا من ظلماتها بالنور ، واجعل امرها على الامور مقدما، وشيّد منها ما غادره العدو متداعيا متهدما ، فهذه حصون ﴿٢٤٢ الف﴾ بها يحصل الانتفاع ، وبها تحسم الاطماع ، وهى على العدو داعية افتراق لا اجتماع واولاها بالاهتمام ماكان البحر له مجاورا، والعدو اليه ملتفتا ناظرا ، لاسيما ثغور الديار المصرية فان العدو وصل اليها رابحا ورجع خاسرا ، واستأصلهم الله فيها حتى ما اقال منهم عاثرا ، وكذلك الاسطول الذى ترى خيله كالأهلة ، وركائبه بغير سائق [مستقلة] (٢) ، وهواخو الجيش السليمانى فان ذاك غدت له الرياح حاملة ، وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة ، واذا

(١) كذا فى اكسفورد وفى الاصل « تحت » كذا (٢) من اكسفورد .

Marfat.com

لحظها الطرف سائرة فى البحر كانت كالأعلام، واذا شبهها قال هـــذه ليال تطلع فى ايام، وقد سنّى الله لك من السعادة كل مطلب، واتاك من أصالة الرأى الذى يريك المغيّب، وبسط بعد (١) القبض منك الأمل ونشط بالسعادة ما كان من كسل، وهداك الى مناهج الحق وما زلت مهتديا اليها، والهمك المراشد فلا تحتاج الى تنبيه عليها، والله تعالى يؤيدك باسباب نصره، ويوزعك شكر نعمه فان النعم تستتم شكره (٢) بمنّه وكرمه.

ولما تمّت البيعة اخذ السلطان فى تسيير الخليفة الى بغداد ورتب له الطواشى بهاء الدين صندل الصالحى شرابيا والامير سابق الدين بوزيا (٣) الصيرمى اتابكا والشريف الامير شهاب ﴿٢٤٢ ب﴾ الدين (٤) جعفر استاذ الدار والامير فتح الدين بن الشهاب احمد امير جاندار والامير ناصر الدين [محمد] (٥) بن صيرم خازن دار والامير سيف الدين بلبان الشمسى وفارس الدين احمد بن ازدمر اليغمورى دويدارية والقاضى كمال الدين [محمد] (٦) بن عزيز(٧) الدين السنجارى وزيرا وشرف الدين [ابا حامد] (٦) محمد بن على بن ابى جراده كاتبا وعيّن له خزانة وسلاح خاناة ومماليك كبارا وصغارا عدّتهم اربعون مملوكا رتب منهم جمدارية وسلاح دارية وزرد كاشية، ورمح دارية وأمر له بمائة فرس

(١) كذا فى اكسفورد وفى الاصل «بعد له» كذا (٢) كذا ومثله فى حسن المحاضرة وفى اكسفورد «تستثمر بشكره» (٣) اكسفوزد «بوزبا» وفى نز «بوزنا» (٤) اكسفوردونز «نجم الدين جعفر» (٥) من اكسفورد (٦) سقط من اكسفورد (٧) اكسفورد «عز».

و عشرة قطر بغال و عشر قطر جمال و فراش خاناة و طبل خاناة و طشت خاناة [وشراب خانات] (١) و حوائج خاناة و إماما و مؤذنا وكتبا لمن وفد معه من العراق تواقيع باقطاعات و أذن له فى التصرف و الركوب و الحركة حيث اختار و اتى اراد و استتب له هذا الحال الى ان تجهز السلطان الملك الظاهر الى الشام لسبب يذكر فيما بعد فبرز فى تاسع عشر شهر رمضان الى بركة الجب فاخرجه معه و رغب اليه فى البسه سراويل الفتوة فالبسه ثم سافرا .

و نسبة (٢) الفتوة البس مولانا وسيدنا الامام المستنصر بالله ابو القاسم احمد للسلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لباس الفتوّة و هو اللبسة (٣) و الده الامام الظاهر و ابوه لجده ﴿٢٤٣الف﴾ الناصر لدين الله رضوان الله عليهما لعبد الجبار لعلى بن دغيم لعبيد بن القير لعمر بن الرصاص لابى بكر بن الجحيش لحسن بن السارياً لبقاء بن الطباخ لنفيس العلوى لأبى القاسم بن حية لمعمر بن النن لابى على الصوفى لمهنّا العلوى القائد عيسى للامير وهران لروزبة الفارسى للملك ابى كيجبا لابى الحسن النجار للفضل الرقاشى لابى الفضل القرشى للامير خسان لجوشن الفزارى للامير هلال النبهانى لأبى مسلم الخراسانى لابى العزّ النقيب لعوف القنانى للحافظ الكندي لأبى على البوى لسلمانُ الفارسى صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: سلمان من اهل

(١) من اكسفورد (٢) قد سقطت هذه القصة من اكسفورد (٣) كذا و لعله « البسه » .

Marfat.com

البيت للامام الطاهر التقى النقى امير المؤمنين على بن ابى طالب رضوان الله عليه و على آله الطيبين الطاهرين .

و فيها فى تاسع عشر رجب الفرد قرئ بدمشق بالمدرسة العادلية كتاب و رد الى قاضى القضاة نجم الدين بن سنّى الدولة ماصورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المكاتبة الى المجلس السامى المولوى النجمى نجم الدين ادام الله ايامه نعلمه بما تجدّد من امر بهج الامـة و نستدعى الرحمة، (١) و يأخذ الثأر، ممن هتك للاسلام حرمه ، و هو انه لما ورد علينا الامام ابوالقاسم احمد ﴿ ٢٤٣ ب ﴾ ولد الامام الظاهر بن الامام الناصر لدين الله سلام الله عليه اكرمنا و فادته اكرام مثله، و تلقّيناه باحسان يقتضى لقاصده باجتماع شمله، و جمعنا العلماء و الائمة و الفقهاء و الامراء و الاكابر و التجّار و من يشار اليه من اهل المدينتين و فاوضناهم بحضور الامام سلام الله عليه فى امر نسبه و أخذ البيعة له فحضر جماعة شهدوا بالاستفاضة أنه ولد الامام سلام الله عليه الظاهر بامر الله فثبت ذلك عند قاضى القضاه لدينا ثبوتا شرعيا و اسجل عليه بحضور العـالم عند ذلك بسطنا لمبايعته راحتنا و اقتفى اثرنا الامراء و الحلقة و الناس كافّة فى مبايعته و الرضى بخلافته ، و ذلك فى رابعة (٢) يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب و تقدمنا له بان يخطب له و يتوّج مفرق الدينار و الدرهم باسمه الشريف و نحن

(١) كذا و فى ذيل الروضتين يبهج ... ويستدعى (٢) وفى الذيل المذكور « رابع ساعة من » .

Marfat.com

بصدد اهتمام نصرة الاسلام على يديه ، و اهداء كرايم الا موال و الذخائر اليه ، فليستند من منصبه الشريف الى امام صحيح النسب ، شريف الحسب و يجعل استناد احكامه الى و لايته الصحيحة ، و مبايعته الصريحة ، و ليعلن بهذا الخبر السارّ فى [البادين و الحاضر] (١) .

و فيها فى العشر الأخر من شهر رجب الفرد خرج الملك الصالح [ركن الدين] (٢) اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل منها و استخلف فيها ﴿٢٤٤ الف﴾ زوجته التترية ولم يستصحب معه شيئا من المال ، وكان السبب فى خروجه خوفه من التتر فانهم كانو شرعوا يخلقون له ذنوبا يريدون بذلك القبض عليه فاستشعر منهم الغدر فلما وصل الى قرقيسيا كتب الى اخيه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق وكان بالجزيرة يعرفه بحركته ويشير عليه بقصد الملك الظاهر ثم سار حتى وصل الى القاهرة فى اواخر رجب فخرج السلطان الى لقائه و اكرمه و احترمه و امر له بمال و ثياب و انزله فى دار بناها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى خارج باب القنطرة بمصر ، ثم وصل اخوه الملك المجاهد فى الثانى من شهر رمضان فخرج ايضا السلطان للقائه و فعل معه كما فعل مع اخيه و انزله بجواره فى دار انشأها الصاحب معين الدين بن الشيخ و رتب لمن وصل معهما من الحريم راتبا مجرى عليهم فى كل شهر [لا يقطع ولا يمنع] (٣) .

و فيها فى ثالث عشر شوال استدعى اولاد بدر الدين صاحب الموصل

---

(١) كذا فى ذيل الروضتين و وقع فى الاصل « النأذين » خطأ (٢) من اكسفورد

(٣) ليس فى اكسفورد .

و عرفهم ،

Marfat.com

وعرفهم مكانة الامير بدرالدين بيليك الخزندار عنده ومحله منه وطلب منهم ان يزوجوه باختهم فبذلوا جهد الاستطاعة فى السمع والطاعة فعقد عقده، وملكه باياس و الصبيبة ﴿٢٤٤ ب﴾ بعقد البيع الشرعى (١) [و جعل ذلك مكافاة لخدمته له و مصابرته معه فى حالتى الشدة و الرخاء وذكر هذه الموات بمحضر من اكابر دولته يوم العقد] (٢) .

و فيها فى تاسع عشر شهر رمضان خرج الملك الظاهر و الخليفة من القاهرة و برز الى بركة الجب و ترك نائبا للسلطنة بقلعة الجبل الامير عز الدين ايدمر الحلّى و الصاحب بهاء الدين على بن محمد فاحسنوا التدبير فى غيبته و ساسوا المملك احسن سياسة و ذلك بهمة الصاحب، ثم رحل منها فوصل الى الشام، فدخل الى دمشق يوم الاثنين سابع ذى القعدة ودخل الخليفة معه و الامراء و العساكر المصرية فنزل الملك الظاهر بقلعة دمشق ونزل الخليفة بالتربة السلطانية الناصرية بقاسيون، و فى يوم الجمعة عاشر ذى القعدة دخل الخليفة الى جامع دمشق من باب البريد و دخل السلطان من باب الزيادة (٣) ودخلا مقصورة الخطابة فسبق الخليفة و بعده جاء السلطان و حضرا الخطبة و الصلاة وخرجا بعد الصلاة و مشى السلطان فى خدمته ثم رجع السلطان الى باب الزياده (٣) و الناس يدعون لهما بالنصر و الاعانة على قمع الكفرة اعداء الدين، ثم قدم عليه الملك الاشرف صاحب حمص وكذلك الملك المنصور صاحب حماة فاعطى كل واحد

(١) اكسفورد « والشراء » (٢) من الاصل و قد سقط من اكسفورد
(٣) ذيل الروضتين « الزيارة»

Marfat.com

﴿٢٤٥ الف﴾ منهما ثمانين الف درهم وحملين ثيابا وكتب لهما تواقيع بما فى ايديهم و زاد صاحب حمص تل باشر، وكان المظفر قطزقد حلّها عنه،

و فى ثالث عشرين (١) ذى القعدة سافر الخليفة بمن تبعه من العساكر الى نحو العراق وكذلك اولاد صاحب الموصل طلبوا من السلطان العود الى بلادهم فأذن لهم فنزلوا على الرحبة فوافوا عليها الامير [بُريد بْن] (٢) على بن حذيفة من آل فضل وأخاه الاخرس فى اربعمائة فارس من العرب و فارق الصالح الخليفة [اولاد صاحب الموصل من الرحبة] (٣) وكان قد التمس منهم المسير معه فابوا و قالوا ما معنا مرسوم بذلك فاستمال جماعة من مماليك و الدهم نحو ستين نفرا [فانفردوا عنهم] (٤) و انضافوا اليه و لحقهم بالرحبة الامير عزالدين ابن كر (٥) من حماة ومعه ثلاثون فارسا ثم رحلوا عن الرحبة بعد مقام ثلاثة ايام فنزلوا مشهد على عليه السلام ثم رحلوا الى زاوية الشيخ برى ثم الى قائم عنقه (٦) ثم الى عانة فوافوا الامام الحاكم بالله على عانة من ناحية الشرق و معه نحو سبعمائة فارس من التركمان، كان الامير شمس الدين آقوش البرلى (٧) قد جهزهم من حلب فبعث الخليفه المستنصر بالله الى التركمان و استمالهم، فلما جاوزوا الفرات فارقوا الحاكم بامر الله فبعث اليه المستنصر بالله يطلبه ﴿٢٤٥ ب﴾ اليه و يؤمنه على نفسه

---

(١) كذا وفى اكسفورد « فى الحادى والعشرين ». (٢) من اكسفورد وفى نز « يزيد بن على بن حديثة (٣) من اكسفورد (٤) سقط من اكسفورد (٥) بهامش اكسفورد بضم الكاف وتشديد الراء» ك وفى نز « ايدكين» (٦) مثله فى نز وبهامشه « كذا فى الاصلين و فى تقوم البلدان « قائم عنقا » وهى بلدة بجانب الفرات (٧) كذا فى الاصل واكسفورد وفى نز « البرنلى والبرنلو »

ويرغب

Marfat.com

و يرغب اليه في اجتماع الكلمة على اقامة دولة بني العباس و ما زال يلاطفه الى ان اجاب و رحل اليه فوفى له بما وعده و انزله معه في الدهليز، وكان الحاكم لما نزل على عانة امتنع اهلها منه [و ابوا أن يسلموها اليه و ذكروا أنه قد اتصل بهم ان السلطان الملك الظاهر صاحب الديار المصرية و الشامية] (١) قد بايع خليفة (٢) وهو و اصل فما نسلمها الا اليه فلما وصل المستنصر بالله نزل اليه و اليها وكريم الدين ناظرها و سلماها اليه و حملا له اقامة فاقطعها للامير ناصر الدين اغلش اخي الامير علم الدين الحلبي احد من كان معه من الامراء ثم رحل عنها الى الحديثة، فلما وصلها فتحها اهلها له و دانوه بالسمع و الطاعة فجعلها خاصة له ثم رحل عنها ونزل على شطّ قرية تسمى الناووسة ثم رحل عنها قاصدا هيت .

ذكر ما اعتمده نواب التتر الذين كانوا ببغداد لما بلغهم قصد المستنصر بالله العراق: كان قد اتصل بقرابغا مقدم عسكر المغل بالعراق و بهادر على الخوارزمية شحنة بغداد [خروج قرابغا] (٣) بخمسة آلاف من المغل على الشط العراقي و قصد الانبار فدخلها غارة وقتل جميع من فيها ثم ردفه بهادر بمن بقي ببغداد من العساكر و كان قد بعث ولده الى هيت متشوفا ﴿٢٤٦ الف﴾ لما يرد من اخبار المستنصر بالله و قرر معه انه اذا اتصل به قربه منه بعث بالمراكب الى الشط الآخر و احرقها، فلما وصل الخليفة الى هيت اغلق اهلها الباب دونه فنزل عليها و حاصرها حتى فتحها و دخلها

(١) سقط من اكسفورد ونز (٢) في اكسفود ونز «وقالوا قد بايع الملك الظاهر خليفة» (٣) من اكسفورد ونز .

Marfat.com

فى التاسع و العشرين من ذى الحجة و نهب من فيها من اليهود و النصارى ثم رحل عنها و نزل الدور و بعث طليعة من عسكره مقدمها الامير اسد الدين محمود بن الملك المفضل موسى نائبا عن الا مير سابق الدين بوزيا (١) الصير فى فبات تجاه الانبار تلك الليلة و هى ليلة اليوم الثالث من المحرم سنة ستين [و كان ينبغى ذكرتمة هذه الواقعة فى حوادث سنة ستين وانما لارتباط الحديث ذكرتها فى هذه السنة] (٢) فلما رأى قرابغا الطليعة امر من معه من العساكر بالعبور اليها فى المخائض و المراكب ليلا فلما اسفر الصبح و تكاشف بعضهم لبعض افرد قرابغا من كان معه من عسكر بغداد مسلما ناحية [خوفا منهم ان يكونوا عونا عليهم؟](٣) و رتّب الامام المستنصر بالله اثنى عشر طلبا فجعل التركمان [و العربان] (٢) ميمنة و ميسرة و باقى العسكر قلبا ، ثم حمل بنفسه مبادرا و حمل من كان معه خلا التركمان و العرب فانكسر بهادر و وقع معظم عسكره فى الفرات ثم خرج كمين من التتر فلما رآه التركمان و العرب هربا و احاط الكمين بعسكر الخليفة و التحم القتال و صدق عسكر الخليفة الحملة فافرج لهم التتر ﴿٢٤٦ ب﴾ فنجا من العسكر من مدّ الله فى اجله و هرب (٤) الامام الحاكم بامر الله و الامير ناصر الدين بن مهنّا و الامير ناصر الدين بن ضيرم و الامير سابق بوزيا(١) الصيرمى و الامير سيف الدين بلبان الشمسى و الا مير اسد الدين محمود و جماعة من الاجناد نحو الخمسين نفرا و قتل السيد الشريف .

(١) اكسفورد « بوزبا » (٢) من اكسفورد(٣) سقط من اكسفورد (٤) كذا وفى اكسفورد « فنجا الحاكم وناصر الدين » وفى نز « وشرف الدين ».

نجم الدين[استاذ الدار](١) و فتح الدين بن الشهاب احمد و فارس الدين(٢) احمد ابن ازدمر اليغمورى ولم يوقع للخليفة على خبر ولا وقف له على اثر فمن الناس من يقول قتل فى الوقعة و عُفِّى اثره ومنهم من يقول نجا مجروحا فى طائفة من العرب فمات عندهم و منهم من يقول سلم واضمرته البلاد.

وفيها توجه الملك المظفر قرا ارسلان صاحب ماردين فى شهر رمضان الى هولاكو واستصحب معه هدية سنية من تحف آدخرها ابوه و جده من جملتها باطية مجوهرة قيمتها على ما ذكر اربعة و ثمانون الف دينار فاجتمع به على صحراء درنة (٣) بنهر يقال له ماء الباع من اعمال سلماس فاقبل عليه و اكرمه ثم قال له بلغنى ان اولاد صاحب الموصل هربوا من البلاد الى مصر و انا اعلم ان اصحابهم كانوا السبب فى خروجهم فاترك اصحابك الذين وصلوا معك عندى فانى لا آمن منهم أن يحرفوك عنى ويرغبوك فى النزوح عن بلادك الى مصر واذا دخلت انا البلاد استصحبتهم ﴿ ٢٤٧ الف ﴾ معى فأجابه الى ذلك ثم انفصل عنه عائدا الى بلده، فلما كان فى اثناء الطريق لحقته رسل من هولاكو تأمره بالعود اليه فعاد و فرائصه ترجف خوفا و النوم لا يطرق له طرفا، فلما اجتمع به قال له [هلاكو] (٤) ان اصحابك اخبرونى ان لك باطنا مع صاحب مصر و قد رأيت ان يكون عندك من جهتى من

(١) من اكسفورد وفى نز «استادار» وقع فى مواضع كثيرة منها خطأ (٢) مثله فى نزوبهامشه «فى النهج السديد» وفتح الدين اليغمورى» (٣) اكسفورد «ادرنة» (٤) من اكسفورد.

Marfat.com

يمنعك التسحب اليه ، ثم عيّن له اميرا يدعى احمد بغا و ردّه الى ماردين و زاده نصيبين و الخابور و أمره بهدم شواريف القلعة ، و لما فارقه ضرب رقاب الجماعة الذين تركهم صاحب ماردين عند هولاكو و كانوا سبعين رجلا منهم الملك المنصور ناصر الدين ارتق بن الملك السعيد و نور الدين محمد و اسد الدين النحتى (١) و حسام الدين عزيز و فخر الدين الحاجرى (٢) و علاء الدين و الى القلعة و علم الدين بن جندر (٣) ولم يكن لأحد منهم ذنب و انما قصد بقتلهم ان يقصّ جناح الملك المظفّر صاحب ماردين ، وكان ذلك من جملة سعادته و استمراره فى المملكة الى حيث توفى.

و فيها وقع الخلف بين السلطان عزّ الدين و اخيه السلطان ركن الدين اصحاب (٤) بلاد الروم بحيث انهم اقتتلوا و قتل بينهم جمع كثير كما سيأتى اخبار ماجرى لهم فى سنة ستين و ستمائة ان شاء الله تعالى .

و فيها ارسل (٥) رضى الدين ﴿٢٤٧ ب﴾ ابى المعالى المنصور و نجم الدين اسماعيل بن المشغرانى(٦)الى المستوليين على حصون الاسماعيلية الى الملك الظاهر بدمشق و على يده (٧) هدية و معه (٨) رسالة مضمونها التهديد و الوعيد و طلب ما كان لهما من الاقطاعات فى الدولة الناصرية

(١) اكسفورد غير منقوط (٢) اكسفورد « بن جاجرى » (٣) اكسفورد « حيدر » (٤) اكسفورد « صاحبى » (٥) كذا وفى اكسفورد « وفيها وصل رسول رضى الدين ابى المعالى .. بن الشعرانى المستوليين » فما فى الاصل خطأ واضح (٦) اكسفورد «الشعرانى»(٧) كذا فى اكسفورد وفى الاصل« أيديهم» خطأ (٨) كذا فى اكسفورد وفى الاصل « معهم » خطأ .

Marfat.com

و الرسوم فأجابهما الى ذلك ، فلما عزم على التوجه الى مرسلاه (١) و حضر لوداع السلطان قال له بلغنى ان الرضى قد مات و قد رأيت ان أوليك مكانه و لم يكن اتصل به شيء مما اخبره به فكان ذلك سببا لاستنزاله له عن سريره(٢) [وجائا على الاسماعيلية عليه] (٣) ثم كتب له توقيعا بالولاية فتوجه المذكور فوجد الرضى فى عافية فكتم التوقيع و لم يلبث الا عشرة ايام حتى مرض الرضى اياما قلائل ثم مات فولى مكانه فلم ترض به الاسماعيلية فقتلوه ، فكان ذلك السبب فى اخراج البلاد عنهم لانه نقم عليهم السلطان بسبب قتله و شرع السلطان الملك الظاهر فى اعمال الحيلة عليهم الى ان استأصل شأفتهم و احتوى على بلادهم (٤) كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى .

و فيها تولى قاضى القضاة برهان الدين الخضر بن الحسن بن على السنجارى قضاء مصر (٥) و عزل عنها تاج الدين بن بنت الأعز و بقى بالقاهرة و اعمالها .

و فيها فى ثامن ذى الحجة عزل عن قضاء دمشق نجم الدين بن

(١) كذا فى الاصل و اكسفورد و الظاهر مرسليه (٢) كذا فى الاصل و اكسفورد ولعله عن سريره (٣) كذا وليس فى اكسفورد (٤) اكسفورد زيادة « قلت هذا خلاصة ما كان على خاطرى وما نقلته من مسودات كانت عندى من حوادث هذه السنة و قد ذكر القاضى جمال الدين محمد بن واصل بعض الحوادث المتقدمة على وجه آخر بما هو اتم من ذلك فذكرت ما قاله واثبته هنا والله اعلم ، قال القاضى جمال الدين ابو عبد الله محمد بن و اصل فى حوادث هذه السنة لما وصل عسكر حلب الخ (٥) اكسفورد « وعمالها و هو الوجه القبلى » .

سنى الدولة و تولّى ﴿ ٢٤٨ الف ﴾ عوضه قاضى القضاة شمس الدين احمد ابن خلكان البرمكى الشافعى وكان ينوب فى الحكم عن السناجرة (١) بالقاهرة سنين كثيرة و جلس مكان نجم الدين و ابيه بالمدرسة العادلية ثم وكلوا بنجم الدين و امروه بالسفر الى الديار المصرية، قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة وكان نجمُ الدين حاكما جابرا ظالما لنفسه احمق رقيعا (٢) فاستراح الناس منه و عملوا فيه ابياتا كثيرة هجوه بها ومايليق ذكرها هاهنا، و قد ذكرها ابو شامة فى ذيل تاريخه الذى جمعه بعد تاريخ الروضتين (٣) قال و فى الغد من يوم الجمعة قرئ بالشباك الكمالى بجامع دمشق [وانا حاضر فيه] (٤) تقليد ابن خلكان وهو يتضمّن انه فوض اليه الحكم فى جميع بلاد الشام من العريش الى سلمية يستنيب فيها من يراه لذلك اهلا و فوض اليه النظر فى اوقاف الجامع و المصالح و البيمارستان و المدارس و جميع اوقاف الشام ظاهرا و باطنا و فوض اليه تدريس سبع مدارس كانت تحت يد المعزول ايضا و هى العادلية و العذراوية و الناصرية، و الفلكية، و الركنية، و الاقبالية، و البهنسية .

و فيها بعد العيد سافر السلطان الملك الظاهر من دمشق الى الديار المصرية هو وجميع الامراء والعساكر المنصورة المصرية و فى صحبته القاضى نجمُ الدين ﴿ ٢٤٨ ب ﴾ بن سنى الدولة المنفصّل عن القضاء بدمشق .

---

(١) اكسفورد « السنجارى » (٢) كذا وفى ذيل الروضتين « جابرا فاجرا ظالما متعديا » (٣) راجع ذيل الروضتين ص ٢١٤، ٢١٥ (٤) من الذيل .

و فيها

وفيها فى سابع جمادى الاولى عقد مجلس للعزاء بالجامع المعمور بدمشق للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر شهاب الدين غازى بن السلطان الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شاذى، مولده فى يوم الاربعاء تاسع رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة بقلعة حلب وتوفى والده الملك العزيز وله من العمر سبع سنين وقام بتدبير مملكته الامير شمس الدين لؤلؤ [الخاتونى] (١) الامينى والامير عز الدين عمر بن مجلى والوزير جمال الدين ابن القفطى (٢) ويحضر معهم جمال الدولة اقبال الخاتونى فى المشورة، فاذا اتفق رأيهم على امر دخل جمال الدولة الى الصاحبة ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين ابى بكر محمد بن ايوب والدة الملك العزيز وعرفها ما اتفق برأى الجماعة عليه فكان جميع الامور اليها، وتوفيت الصاحبة خاتون المذكورة فى سنة اربعين وستمائه واستقل ابن ابنها الملك الناصر بالسلطنة واشهد على نفسه بالبلوغ وله نحو ثلاث عشرة سنة وامر ونهى وقطع ووصل وجلس فى دار العدل وحكم والاشارة للامير شمس الدين لؤلؤ وجمال الدولة اقبال الخاتونى وابن القفطى .

وفى سنة ست واربعين ﴿ ٢٤٩ الف ﴾ تسلم عسكره حمص وعوضوا صاحبها تل باشر كما تقدم ذكره .

---

(١) سقط من اكسفورد (٢) بهامش اكسفورد « هو على بن يوسف توفى سنة ٦٤٦ » ك وفى اكسفورد هنا وفيما سيأتى القفطى بدون ابن .

Marfat.com

وفى يوم الاثنين عاشر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستمائة تسلم [الملك الناصر صلاح الدين يوسف] (١) دمشق بغير ممانعة ولا قتال وتسلم سائر قلاع الشام وبلادها .

وفى سنة اثنتين وخمسين قدمت ابنة السلطان علاء الدين كيقباذ ابن كيخسرو الى دمشق وفى خدمتها الشريف عزّ الدين المرتضى وهو الذى عقد عليها عقد الملك الناصر فى بلاد الروم وكانت فى تجمل عظيم وامها ابنة الملك العادل سيف الدين ابى بكر محمد بن ايوب .

وفى سنة ثلاث وخمسين اولدها الملك الناصر ولده علاء الدين وكان ملكا جليلا جواد سمحا كريما حليما كثير الاحسان جميل الاخلاق قريبا من الرعية يحب العدل ويعمل به ويكره الظلم وزاد ملكه على ملك ابيهِ وجدّه فانه ملك بلاد الجزيرة كحران والرها والرقة ورأس عين وما معها من البلاد وملك حمص ثم ملك الشام كما ذكرنا وصفا له الشام والبلاد المشرقية واطاعه صاحب الموصل وصاحب ماردين وعظم شأنه ثم دخل بعساكره الى الديار المصرية سنة ثمان واربعين فكسر عساكرها وخُطب له بمصر وقلعة الجبل وكاد يملك الاقليم ويستولى على المملكة الصلاحية لولا ما قدّر الله (٢) ﴿٢٤٩ ب﴾ وأقام بدمشق عشر سنين حاكما على الشام والشرق الى حيث استولى هولاكو على البلاد

(١) من اكسفورد (٢) اكسفورد زيادة « من ظهور طائفة من عسكر مصر وانهزامه الى الشام ومقتل مدبر دولته الامير شمس الدين لؤلؤ وقد اشرنا الى ذلك فى ترجمة الملك المعز عز الدين ايبك التركمانى فيما تقدم » .

ولم

Marfat.com

ولم يكن لاحد من الملوك قبله مثل ماكان له من التجمل بكثرة الطعام وغيره فانه كان يذبح فى مطبخه كل يوم اربع مائة رأس من الغنم خارجا عن الدجاج و فراخ الحمام و الخراف الرضع و الاجدية، فانها لاتحصى فكان تنزل فضلات السماط و يبيعها الفراشون و الطباخون و ارباب النوالات [و الجرايات] (١) عند باب القلعة بدمشق بابخس الأثمان فكانت تعم اهل دمشق وكان اكثر الناس بدمشق بغنيهم مايشترونه منهاعن الطبائخ (١) فى بيوتهم .

حكى علاء الدين على بن نصر الله قال جاء السلطان الى دارى بغتة و معه جماعة كثيرة من اصحابه فمدّيت له فى الوقت سماطا من الاطعمة الفاخرة و من انواع الدجاج المحشو بالسكر و القلوبات (٢) شيئا كثيرا فبقى متعجباً و قال فى اىّ وقت تهيأ لك عمل هذا كله فقلت و الله هذا كله من نعمتك و من سماطك ما صنعت لك شيئا منه و انما اشتريته من عند باب القلعة و حكيت له ما يباع من ذلك ، و مثل هـــذا لم يتفق لملك قبله .

و حكى لى بهاء الدين السنجارى (٣) و جمال الدين المشطوب و الرشيد فرج الله اوحشتنى متولين ديوان البيوت بدمشق ان نفقه مطابخ الملك الناصر و ما يتعلق بها فى كل يوم فوق العشرين الف درهم ﴿ ٢٥٠ الف ﴾ وكان رحمه الله حليما عظيم العفو عن الزلّات لا يرى المؤاخذة بل سجيته

(١) من اكسفورد (٢) اكسفورد «الطبخ» (٣) كذا وفى اكسفورد «المقلوبات» ولعله المقلوات (٤) اكسفورد « حكى لى عبدالله بن محبوب ان نفقة»

Marfat.com

العفو و الصفح و التجاوز ، و كان فى خدمته جماعة كثيرة من الفضلاء و العلماء و الادباء و الشعراء و غيرهم و لهم عليه الرواتب الجليلة وكان حسن العقيدة بالصالحين و الفقراء يكرمهم و يبرّهم و يزورهم و يجرى عليهم الرواتب(١) ، وكان اذا مات من له راتب او و لاية او وظيفة لا يخرج به عن ولده و من مات من ارباب المناصب وله ولد فان كان كافيا رتبه عوضه و ان كان صغيرا استناب عنه الى حيث ما يتأهل للمباشرة ، وكان من امره ما تقدم ذكره من الهروب و عوده الى هولاكو و كان هولاكو قد كتب له فرمان بعوده الى بلاده و جهز معه عسكرا حتى يفتح له مصر و توجه من عنده فلما كان فى اثناء الطريق بلغ هولاكو قتل صهره كتبغانوين و هلاك عساكره على عين جالوت و ان اكثر من فعل بعسكره من القتل هم عسكر الملك الناصر الذين هم يومئذ فى خدمة صاحب مصر الملك المظفر فرسم بعوده و عود اقاربه صحبته اليه فلما حضر عنده امر بضرب عنقه وكذلك جميع اقاربه و اتباعه فقتلوا اجمعين رحمهم الله ، و من جملتهم اخوه الملك الظاهر و قتل ولده العزيز و غيرهم و هذا هو آخر ملوك بنى ايوب و آخر من ملك من اولاد الشهيد صلاح الدين يوسف لأن صلاح الدين ﴿٢٥٠ ب﴾ ولد له تسعة عشر ذكرا لم يملك سوى ثلاثة وهم الملك الافضل ابوالحسن على و الملك العزيز عثمان و الملك

(١) زاد اكسفورد «ولما توجه والدى رحمه الله الى دمشق سنة خمس وخمسين قصد زيارته الى جبل الصالحية بزاوية الشيخ على القرشى ... ولما دخل عليه بالغ فى التأدب منه» الخ .

Marfat.com

الظاهر غازى جد هذا الملك الناصر ، وكانت وفاة الشهيد صلاح الدين فى صبيحة يوم الاربعاء سابع عشر صفر سنة تسع و ثمانين و خمسمائة و هو الذى ازال ملك خلفاء مصر العلويين و خطب للامام الناصر لدين أللّه ، كان سعيدا خيّرا حسن السيرة جميل الإخلاق متواضعا صبورا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه كريما جوادا لايقف فى شىء يسأله والذى يشهد لذلك انه لما مات لم يخلف فى خزائنه غير دينار واحد صورىّ و اربعين درهما ، وخرج منه فى مدة مقامه على عكا لقتال الفرنج ثمانية عشر الف دابة من فرس و بغل سوى الجمال واما الثياب والسلاح فلا ينحصر ، و لما ازال الدولة المصرية اخذ من ذخائرهم من سائر الانواع ما يفوت الاحصاء ففرقه جميعه ، وكان ينظم الشعر فمن نظمه :

القى المنية فى ثوبين قد نسجا من المنيّة لا من نسج داود
ان الذى صوّر الاشياء صوّرنى ، نارا من البأس فى بحر من الجود

و انشد لغيره :

يا سادتى انفقت عمرى عندكم فمتى اعوّض بعض ما انفقته
أأروم بعدكم صديقا صادقا ، هيهات ضاق الوقت عمّا رمته

﴿٢٥١ الف﴾ و من سيرة صلاح الدين الشهيد رحمه الله و حسن صنيعه وكثرة غزواته و صدقاته ما هو مشهور و لا يكاد ينحصر ، و بعد هذا انتقل الملك من اولاد الشهيد صلاح الدين الى اخيه الملك العادل سيف الدين ابى بكر محمد بن ايوب و اولاده .

و قد اعتبرت كثيرا من التواريخ التى لم يمكن ضبطها فرأيت كثيرا

Marfat.com

من التواريخ ممن يكون تابعه (١) فى الملك ان ينتقل عن صلبه الى بعض اهله و اقاربه فاوّلهم فى الملّة الاسلامية معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه هو اول من ملك من اهل بيته ثم انتقل الملك من اعقابه الى بنى مروان من بنى عمه، ثم اول من ولى الخلافة من بنى العباس ابو العباس عبد الله السفاح ثم انتقلت عن اعقابه الى اخيه ابى جعفر المنصور ثم صارت الى اولاده، ثم اول من تبع من بنى بويه و ملك عماد الدولة ثم انتقل الملك عنه الى اخويه ركن الدولة و معزالدولة فخلص الملك فى اعقاب ركن الدولة، ثم اول من تبع من الملوك السلجوقية طغرلبك ثم انتقل الملك عنه الى اولاد اخيه داود، ثم هذا شيركوه اول من ملك من اهله ثم انتقل الملك عنه الى ابن أخيه الشهيد صلاح الدين يوسف ثم انتقل الملك عن اولاده الى اخيه العادل سيف الدين و اولاده، و الذى اظنه ان السبب فى ذلك ان الذى يكون فى اول الدولة يكثر القتل و الفتك ﴿٢٥١ ب﴾ ليستقيم له الملك ثم يأخذ الملك و قلوب من كان فيه معلقة به وهممهم مصروفة اليه فلذلك يحرمه الله اعقابهم و الله أعلم بذلك، والملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز المذكور له نظم حسن، فمن ذلك قوله يتشوّق الى حلب:

سقى حلب الشهباء فى كل تربة سحابة غيث نوءها ليس يقلع
فتلك ربوعى لا العقيق و لا الحمى و تلك ديارى لا زرود و لعلع

و قال:

ألا هل يعيد الله وصل الحبائب فقد طال حزنى من دموعى السواكب

(١) كذا و لعله له تابع .

كحمر

كحمر(١) جرت فى حلبة الشوق من دمى وجرت(٢) دموعى الشهب مثل الجنائب
يروم اللواحى من سواى تصبّرا وكم خاب منى من عدوّ وصاحب
قضى الصبر فى توديع بعض ترائبى و اودع نارا فى سويدا ترائبى
جفا النوم عنى حين فاضت مدامعى و خاف هلاكا فى خلال السحائب
و كيف ارجّى النوم بعد بعادكم و فى قلبى الاشواق من كل جانب
دمى قد اظلته (٣) نواظر غادة هى الشمس تجلى فى سجوف الغياهب
رمتنى بسهم من كنانة سحرها فصار علىّ الوجد ضربة لازب
و أصبحت عبدا بعد ما كنت مالكا كذلك ربّ السجن يوسف صاحبى

و انشد قول الشاعر : ﴿ ٢٥٢ الف ﴾ .

اتانى هواها قبل إن اعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكّنا

فعمل الملك الناصر تمامه :

فُطرت على حبى (٤) لها و الفئه و لا بدّ أن القى به الله معلنا
و لم يخلُ منهم قلبى هواها بقدر ما اقول اتاها فارغا فتمكّنا

و له ايضا مخمسا :

اقول و قد غنّت على باب لعلعٍ مطوّقة ما نوحها من تفجّع
و قد اضرمت فى القلب نار التوجع حمامة غصن البان إن كنت تدعى
فراق حبيب بان من غير مرجع
فهلا اذبت الجسم من بعده غنا(٥) و كان لكى(٦) بالحزن عن ذا الغنا غنا

(١) اكسفورد « بحمر » (٢) اكسفورد « وحرث » كذا (٣) كذا و الصواب اطلته (٤) وقع فى الأصل « جنبى » خطأ (٥) كذا و لعله غنى (٦) كذا و لعله ... لها بالحزن عن ذا الغنى غنى».

Marfat.com

أورقاء ان كان اهوى منك ينتسى فاين البكا والوجد والشوق والضنا

ولون محب مستهام موجّع

الم تنظرى لى مهجة قد تحرّقت (١) عـــلى جيرة كانت بهم قد تعلقت

ولى مقلة من بعدهم قد تحرقت تفرحت على جيرة كانت بهم قد تولقت (٢)

لك الله لو ذقت الهوى لتدفّقت عيونك ان تسعدنهـا (٣) بادمع

فؤادى فى بحر من الشوق قد طما ولكنه قد مات من دونه ظمأ

ايا بنت ايك قد تغنّت على الحمى خذى من فنون الوجد عنى فانما

بدمعى يروّى بانُ سفح طويلع

تسلّى بانفاسى واسقى بعبرتى فما ريحه الاّ تصعّد زفرتى.

﴿٢٥٢ ب﴾ وماماؤه الاّ تقطر دمعتى ولا تحسبى نيرانه غير مهجتى

ولا ترعمى (٤) غدرانه غير ادمعى

وقال ايضا :

البدر يحنح للغروب ومهجتى بفراق مشبهه اسىً تتقطّـــع

والشرّب قد خلط (٥) النعاس جفونهم والصبح من جلبابه يتطلع

ومن المنسوب اليه :

يعزّ علينا ان نرى ربعكم يبلى وكانت به آيات حسنكم تتلى

---

(١) كذا ولعله تخرقت (٢) كذا وفى البيت تحريف وزيادة ولعل صوابـــه « ولى مقلة من بعدهم قـد تقرحت : على جيرة كانت بهم قد تعلقت » (٣) كذا ولعله ان لم تسعديها (٤) كذا ولعله « ولا تزعمى » (٥) كذا ولعله خاط .

وواها

Marfat.com

وواهاً لأيام تولت حميدة فما كان اهنى العيش فيها و ما احلى
ادور بعينى نحوكم فى دياركم و اكثر فيها النوح كالفاقد الثكلى
أاحبابنا و الله ما قلت بعدكم لنائبة الايّام رفقا ولا مهلا،

و له انشاء كثير اختصرت (١) منه على هذا القدر، فلقد كان من حسنات الزمان رحمه الله تعالى .

الامير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس بن بدر الدين خمردكين(٢) عتيق الامير مجاهد الدين برأن (٣) صاحب صرخد توفى فى ثانى عشر ربيع الاول سنة تسع و خمسين ببلده بصهيون و ولى ولده سيف الدين محمد مكانه وكان قد نيف على تسعين سنة و دفن بقلعة صهيون عند والده ، كان حازما يقظا ولى صهيون بعد وفاة والده ناصر الدين منكورس فى جمادى الاولى من سنة ست و عشرين و خلف من الاموال ﴿ ٢٥٣ الف ﴾ ما لايحصى كثرة .

حكى(٤) لى الصاحب مجد الدين ابو الفدا اسمعيل المعروف بابن كسيرات الموصلى رحمه الله قال كان مظفر الدين صاحب صهيون يقعد فى كل يوم فى باب قلعته و يأخذ شمعا و يختم عليه بخاتمه ، فكل من كان له دعوى على خصم اومحاكمة جاء و جاب معه من المأكول شيئا فيضعه فى الدركاه قدام مظفر الدين و يأخذ من ذلك الشمع ختم و يذهب به الى خصمه

(١) كذا ولعله اقتصرت (٢) كذا فى الاصل واكسفورد وفى نز «خمار تكين»
(٣) اكسفورد «برأن» (٤) من هنا الى آخر الحكاية غير موجود فى اكسفورد وهى كما تراها ولها اخوات ركيكة المعانى مختلة المبانى .

Marfat.com

فيقول هذا ختم السلطان فيأخذ خصمه معه شيئا بحسب حاله و يحضروا الى بين يديه فيحكم بينهم بنفسه فسألته و قلت له ايش كان يجيبون له يا مجد الدين قال كل انسان على مقداره من الرأس الغنم الى خمس بيضات و كل انسان على مقداره من قليل و كثير و جليل و حقير يحضره و يهاديه به ، قال مجد الدين و لما كنت مباشر نظر نابلس خدم بالديوان شيخ من اهل صهيون جاندار فدخل بعض الايام معي الى الحمام ليغتسل فوجدت فى جنبه اثر ضربة و هى مخيطة و فيها بخش صغير فسألته عن ذلك فقال لى لما كنت شابّا سافرت فوقع علىّ حراميــة فجرحونى و شقّوا جوفى و خيطوه فالحم الجميع و بقى هذا البخش على حاله ثم بعد ذلك انسد علىّ المخرج المعتاد و بقيت اتغوط من هذا البخش مدة سنين ثم اشده بخرقة و اربط عليه فاذا اردت اتبرز يتحرّك على جوفى فاحل الرباط و أشيل الخرقة و اميل ﴿٢٥٣ب﴾ على جنبى لحظة فيخرج الخبث فاذا فرغت اعود اشده و اشد عليه الخرقة كما كان ، فاتفق أن جاء الخميس الكبير و انا يومئذ فى خدمة الامير مظفر الدين ضاحب صهيون و قد جاءه بيض كثير من جميع ضياع صهيون بحيث اجتمع فى دركاه القلعة فوق عشرين الف بيضة ، فقال مظفر الدين ترى يقدر احد أن يأكل من هذا البيض مائة بيضة نيّة ، فقال واحد نعم انا اشرق (١) مأتين فقال احد انا اشرق (١) ثلاث مائه فقلت انا إنّا اشرق (١) اربعمائة بيضة قال الامير مظفر الدين ان فعلت هذا اعطيتك خمسين درهما ثم انهم عدّوا لى اربعمائه بيضة

(١) كذا و لعله « اشرب » .

وسلموها

Marfat.com

وسلّموها الى فشرقتها (١) جميعها وازددت فوقها عشرين بيضة اخرى فوهبنى خمسين درهما وبقيت ذلك اليوم لم اتبرز فلما كان آخر الليل تحرك علّى جوفى وقمت حتى اتبرز على عادتى فجاءنى الطبع من المخرج المعتاد اولا وها انا على حالى الى الآن على ذلك ، قال مجد الدين رأيت ذلك المخرج والبخش وقد الحم من داخل وكان البيض له جبار وقال مجد الدين وذكر لى ان فى كل سنة لابدّ له ان يشرق (٢) مائتين بيضة قال واجد بها راحة كثيرة عند استعمالها ، رحمهم الله وايانا اجمعين .

، الشيخ العارف صائن الدين ولد سلخ شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمائة وسمع من جده لامه هبة الله والزبيرى وجماعة وكان من اعيان من بقى اسناذ (٣) وكان مشهورا ﴿ ٢٥٤ الف ﴾ بالصلاح من أعيان الصوفية ابو الحسن محمد بن الانجب بن ابى عبد الله البغدادى النعال بالقاهرة المعزية برباط سعيد السعداء رابع عشر رجب الفرد ودفن بسفح المقطم جوار الشيخ ابى السعود ، روى حديثا يرفعه الى جابر رضى الله عنه قال بعثنا النبى صلى الله عليه وسلم مع ابى عبيدة بن الجراح فنفد زادنا فمررنا بحوت قد قذفه البحر فاردنا ان نأكل منه فنهانا ابوعبيدة وقال نحن جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله فكلوا (٤) فأكلنا منه اياما ، فلما رجعنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرناه فقال ان كان بقى معكم منه شىء فابعثوا به الينا رحمه الله وايانا .

(١) كذا ولعله « نشربتها » (٢) كذا ولعله « يشرب » (٣) كذا (٤) كذا ومقتضى السياق فلا تأكلوا .

Marfat.com

محمد (١) الحافظ ابن قاضى القضاة ابى القاسم عبد الملك بن عيسى ابن درباس المارانى الضرير توفى سحر يوم السبت فى شوال و دفن من يومه بسفح المقطم مولده ليلة الثلثاء الثانى و العشرين (٢) ربيع الاول سنة ست و سبعين و خمسمائة، روى حديثا يرفعه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم قال مثلى و مثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الفراش و الجنادب يقعن فيها و هو يذبّهن عنها و انا آخذ بحجزكم و انتم تفلتون منى رحمه الله و ايانا .

صفى الدين ابراهيم بن عبدالله بن احمد بن مرزوق[ابواسحاق](٣) العسقلانى الكاتب التاجر ﴿٢٥٤ ب﴾ مولده فى شهر رجب سنة سبع و سبعين و خمسمائة و كان اوحد الرؤساء المعروفين بالثروة وتوزر للملك الاشرف بن العادل الكبير مدة ، حكى (٤) عن نفسه قال سيّرنى والدى حتى اشترى له قمحا من القاهرة و كان له طاحون بمصر فمشيت الى بعض دور الامراء فكالوا على الف اردب و بت تلك الليلة بالقاهرة فاصبحت فتحسن سعرها فابعتها و اوفيت الثمن ثم انى اصرفت بالمكسب مائة و ثلاثين دينارا و جئت الى والدى فقال اين القمح قلت ابعته فقال و لم لاجبته معك فقلت له ما ارسلت معى ما لا و لا غلاما ولا دابة وكان عندك اكثر من عشرين دابة ما هان عليك ان تركبنى منها على واحدة ثم

---

(١) اكسفورد « محمد بن عبد الملك بن درباس ابو حامد كمال الدين الضرير المارانى الشافعى » (٢) اكسفورد « ثانى عشر » (٣) من اكسفورد (٤) لم يذكر اكسفورد هذه الحكاية وهى كاخواتها .

Marfat.com

بعد ذلك اتجرت و ابعت و اشتريت بذلك الذهب فبارك الله لى حتى ربطت على ستمائة كيس كل كيس فيه الف دينار خارج عن عقار واثاث ودواب و غلمان و جوار وغيره ، و كانت وفاته بداره بمصر ثانى عشر ذى القعدة ودفن بتربته بسفح المقطم ، رحمه الله و ايانا .

مخلص الدين اسماعيل بن عمر بن قرناص [ابوالعرب] (١) الحموى كان فقيها عالما فاضلا وله نظم حسن ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

فقد الاحبّة مؤلم و بنا اذا ماغاب شخصك فوق ذاك المؤلم
اذا نت من بين الاحبّة منعم و احقّهم بالشوق وجه المنعم

﴿٢٥٥ الف﴾ و له ايضا :

اما و الله لو شقّت قلوب ليعلم ما بها من فرط حبّى
لأرضاك الذى لك فى فؤادى و ارضانى رضاك بشقّ قلبى

نور الدولة (٢) على بن يوسف بن ابى المكارم بن ابى عبدالله بن عبد الجليل أبوالحسن الانصارى المصرى العطّار ، كان فاضلا اديبا وشاعرا مجيدا ، و له نظم حسن فمن ذلك قوله لغزا فى كوز [الزير] (١) :

و ذى أذن بلا سمع له قلب بلا لبّ
مدى الايّام فى خفض و فى رفع و فى نصب
اذا استولى على الحبّ فقل ما شئت فى الحبّ

رحمه الله و ايانا .

القاضى محمد بن صالح بن محمد بن على التنوخى الفقيه الشافعى لقى

(١) من أكسفورد (٢) كذا وفى أكسفورد « الدين » .

Marfat.com

بدمشق [عمر] (١) بن طبرزد و الكندى و [عبد الصمد] (١) ، الحرستانى و تولّى ثغر الاسكندرية ناظرا وكان فاضلا اديبا ، و من نظمه ما انشده لنفسه :

سلام على ذاك المقرّ فانه مقرّ نعيم و هو روحى و راحتى
فان تسمح الايّام منى بنظرة إليه فقد اوتيت مأمول منيتى

و له مكاتبة :

لو بقدر الحنين ارسل كتبى كنت افنى الاوراق و الانقاسا(٢)
غـــير انى ارجو اللقاء قريبا فى سرور وتبتدى (٣) الأعراسا

﴿٢٥٥ب﴾ وانشد [نا](١) لنفسه [فى و لايته الثالثة بالثغر] (١) :

اصبحت من اسعد البرايا فى نعم الله بالقناعـــه
مع بلغة من كفاف عيش وخدمة العلم كل ساعه
طلقت دنياهم ثلاثا بلا رجوع و لا شناعه (٤).
و ارتجى مـــن ثواب ربى حشرى مع صاحب الشفاعـــه

و له ايضا رحمه الله :

اقول لمن يلوم على انقطاعى و ايثارى ملازمة الزوايا
أاطمع ان تجدّد لى حيـاة و قد جاوزت معترك المنايـا

توفى القاضى تاج الدين المذكور بالثغر فى ليلة الاحد خامس صفر ، ودفن

(١) من اكسفورد (٢) هكذا فى اكسفورد، جمع نقس وهو المداد ووقع فى الاصل « انقاسا » خطأ (٣) كذا فى الاصل و فى اكسفورد « يبتدى » و لعله نبتدى (٤) كذا فى اكسفورد و فى الاصل « شفاعه » خطأ .

فى

Marfat.com

فى محرس[سوار] (١) جوار الشيخ ابى العباس [الرائس] (١) رحمه الله.

ووصل الخبر بوفاة الشيخ الامام العلامة محى الدين ابو محمد الطاهر ابن محمد بن على الجزرى بالجزيرة العمرية و قيل كانت وفاته متقدمة على هذا التاريخ بمدة كثيرة كذا اخبرنى والدى رحمهما الله و ايانا، كان فاضلا اديبا كيّسا و له ثروة و بزّة و له مكانة من الدولة وكان يكاتب الديوان العزيز، و له نظم حسن فمن ذلك قوله:

افسدتم نظرى غــلّى فلم أر مذ غبتم حسنا الى ان تقدموا
و دعوا غرامى ليس يمكن ان ترى عين الرضا و السخط احسن منكم

﴿ ٢٥٦ الف ﴾ و قال ايضا:

و حياة من اضحت لدىّ حياته اشهى الىّ من اتصال حياتى
ما سافرت لحظات عينى بعدكم الاّ على جيش من العبرات

وقال ايضا:

ارح براحك روحى فهى راحتها فالراح و الروح معنى غير مختلف
الراح قد ابدلت من و اوها الفا و الروح قد ابدلت واوا من الالف

و قال ايضا:

يا هــذه إن رحت فى حلق فما فى ذاك عار
هذى المدام هى الحيا ذ قميصها خزف و قار

و قال ايضا:

كأنما الكأس عــلى ثغرها قد وسطت، بالأنمل الخمس

(١) من اكسفورد.

Marfat.com

ياقوتة صفراء قد صيّرت واسطة للبدر و الشمس ،

وله ديوان شعر ولم اظفر من نظمه بسوى هـذا القدر ؛ رحمه الله و ايانا .

ابراهيم بن سهل اليهودى الاشبيلى الاسلامى كان شاعرا مجيدا واكثر شعره يتغزل فيه بغلام يهودى ايضا اسمه موسى بن اسمٰعيل بن سليمان الاشبيلى ، و من نظمه قوله :

سلْ (١) فى الظلام اخاك البدر عن سهرى
يدرى النجوم كما يدرى الورى خبرى

﴿٢٥٦ ب﴾ ابيت اهتف بالشكوى واشرب من
دمعى و انشق ريّا ذكرك العطر .

حتى اخيل انى شارب ثمـل بين الرياض و بين الكأس والوتر
من لى به اختلفت فيه المحاسن اذ اومت الى غيره ايماء مختصر(٢)
معطل فالحلى فيه معطلة تغنى الدرارى عن التقليد بالدرر
لخدّه بفؤادى نسبة عجب كلاهما ابدا يدمى من النظر
و خاله نقطة من غنج مقلته اتى به الحسن من آياته الكبر
جاءت به العين نحو الخدّ زائرة و راقها الورد فاستغنت عن الصدر
بعض المحاسن يهوى بعضها عجبا تأملوا كيف هام الغنج (٣) بالخفر
جرى القضاء بان اشقى عليك لقد اتيت قلبى يا موسى عـلى قدر .

---

(١) كذا فى الفوات ووقع فى الاصل «سبك» خطأ (٢) كذا و لعله مختصر (٣) كذا فى الفوات ووقع فى الاصل « الصبح » خطأ .

ان

Marfat.com

ان تُقصنى فنفار جاء من رشأ او تضننى فحاق جاء من قمر
قدْ مُتُّ فيك ولكن ادعى شططا انى سقيم و من للعمى بالعور
برزت فى النظم لكنى اقصّرعن قول اعاتب فيه الليل بالقصر
انا الفقير الى نيل تجود بـــه لويطرد الفقر بالاسجاع و الفقر

و قال ايضا:

يمثّل لى نهج الصراط بوعده رَشاُجنة الفردوس فى طّى برده
تغص بمرآه النجوم و ربما تموت غصون الروض غمّا بقدّه
﴿٢٥٧الف﴾ علقت ببدر السعد لوتلت فى الذى
تؤمل فيـــه مهجتي بعض سعده
حكى لحظه فى السقم جسمى واغتدى لنا ثالثا فى ذاك ميثاق عهده
و اركبنى طِرف الهوى غنجُ طَرفه و اشرقنى بالعذب اشراقُ خدّه
و اغرى فؤادى بالأسى روض أنسه و اوردنى ماء الردى غُضّ وَرده
يعارض قلبي بالخفوق وشاحه ويحكى امتدادا زفرتى ليل صـــدّه
وما المسك خال من هوى خاله وإن غدا النّد منه مستهاما بندّه
فما وجد اعرابيّة بان الفها فحنّت الى بان الحجاز و رنده
اذا أنست ركبا تكفّل شوقها بنار قراه والـــدموع بورده
وإن اوقد المصباح ظنّته بارقا يُحيي فهشّت بالسلام و ردّه
باعظم من وجدى بموسى وانما يرى انى اذنبت ذنبا بودّه
محب يرى فى الموت امنية عسى يخف على موسى زياره لحده (١)

(١) وقع فى الاصل «زيادة لحده» خطأ.

Marfat.com

و قال ايضا :

ضمان على عينيك انى اعانى تركت الى ايدى العناء عنانى
وقدكنت ارجو الوصل فيك غنيمة فحسبى منك اليوم نيل امانى
فمن لى بجسم اشتكى منه بالضنا ، و قلب فاشكو منه بالخفقان
﴿ ٢٥٧ ب ﴾ وماعشت حتى اليوم الّا لاننى
خفيت فما يدرى الحِمام مكانى
و لو انّ عمرى عمر نوح و بعته بساعة وصل منك قلت كفانى
و ما ماء ذاك الريق عندى غاليا بماء شبابى و اقبال زمانى

و قال ايضا :

يقولون لو قبّلته لاشتفى الجوى أيطمع فى التقبيل من يعشق البدرا
و لو عقل الواشى لقبّلت نعله ، انزّهه ان اذكر الجيد و الثغرا
وما انا(١) من يستجمل الريح سرّه أغار حفاظا ان اذيع له السرّا
اذا فتّة العذال جاءت بسحرها ففى وجه موسى آية تبطل السحرا

و قال من ابيات :

فى خدّ موسى نقطة(٢) خال رائق نون العذار محلّلا من دونه
فترى صحيفة كاتب متماجن ، قد خطّ قبل النون نقطة نونه
يجرى بفيه كوثر فى جوهر ارخصت جوهر أدمعى لثمينه
آها للؤلؤ ثغره هل يشتفى مكنون هذا الشوق من مكنونه

(١) كذا فى الفوات وفى الاصل «ان» خطأ (٢) كذا ولعله نقط .

ان

Marfat.com

ان رمت منه الوصل فعلا حاضرا او مت للا ستئناف (١) سين جبينه

و قال ايضا :

صبّ تحكّم كيف شاء حبيبه فغدا و سهم النائبات يصيبه
معنى الهوى مهجوره و حريصه ممنوعه و بريه معتوبه
يا نجم حسن فى جفونى نوءه و بأضلعى خفقانه و لهيبه
او ما ترقّ على رهين بلابل رقت (٢) عليك دموعه و نسيبه
﴿ ٢٥٨ الف ﴾ وَلِهٌ يحنّ الى كلامك سمعه

و لو انه عتب تشبّ حروبه
و يودّ لو (٣) ذاب من فرط الضنا ليعوده فى العائدين مذيبه
مهما رنا ليراك حجب عينه دمع تحدّر وسطها مسكوبه
و اذا تناوم للخيال يصيده ساق السهاد سياقه ، و نجيبه
فالدمع فيك مع النهار خصيمه و السهد فيك مع الظلام رقيبه
فمتى يفوز ، و من عداه بعضه و متى يفيق و من ضناه طبيبه
ان طاف شيطان السلوّ بخاطرى فشهاب شوقى فى المكان يصيبه
من لى به حلى الدمى عطل له و محاسن القمر المنير عيوبه
منهوب ما تحت النقاب عفيفه نهّاب ما بين الجفون مريبه
قاسى الذى بين الجوانح فظّه لدن الذى بين البرود رطيبه
خدّ ارق من النسيم يغيرنى مرّ النسيم بحسنه و هبوبه
وجه يفضّ عرى التقى بقضيضه منى و يذهب عفّتى بذهيبه

(١) كذا ولعله الى التسويف (٢) كذا (٣) كذا ولعله « لو قد »

يذكى الحياء بوجنتيه جمره فيكاد ندّ الحال يعبق طيبه
غفرت جرائم لحظه لسقامه فسطا و لم تكتب عليه ذنوبه
ما ضرّ موسى ان يشقّ مدامعى بحرا فيغرق عاذلى و رقيبه

و قال ايضا:

مضى الوصل الا منّية تبعث الأسى اذارى بها همى اذا الليل عسعسا
اتانى حديث الوصل زورا على النوى اعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
﴿ ٢٥٨ ب ﴾ و يا ايها الشوق الذى جاء زائرا اصبت الأمانى خذ قلوبا و انفسا
و يا ارق الهجران بالله خلّ لى من النوم ما اقرى الخيال المعرّسا
كسانى موسى من سقام جفونه رداء و سقّانى من الحبّ أكؤسا

و له ايضا من قصيدة:

و انى لثوب السقم أجدر لابس و موسى لثوب الحسن احسن مرتد
تأمل لظى شوقى و موسى يشبه تجد خير نار عندها خير موقد
اذا ما رنا شزرا فقل لحظ احور و ان يلو اعراضا فصفحة اغيد
شكوت فجاؤا بالطبيب و انما طبيب سقامى (١) فى لواحظ مبعدى
فقال على التأنيس طبّك حاضر فقلت نعم لو انه بعض عوّدى
فقال شكى سوء المزاج و انما به سوء بخت من هوى غير مسعدى
فجاء لتوديعى و قال ائذ فقد (٢) مشت لك نفسى فى الزفير المصعّد

(١) كذا فى الفوات و فى الاصل « طبيبى سقام » خطأ (٢) كذا و فى الفوات « فقلت له ائذ » .

Marfat.com

جعلت يميني كالنطاق لخصره (١) و صارت (٢)جفونى حلى ذاك المقلّد
فيا آفة العقل الحصيف(٣) وصبوة ال عفيف و غىّ الناسك المتعبّد
عليك فطمت العين من لذّة الكرى و اخرجت قلبى طيّب النفس من يدى

و قال ايضًا :

طويت شغاف القلب موسى على الأسى ،و اغريت بالتسكاب جفنى المسهّد
فما انت الّا فتنة تغلب النهى و تفعل بالألحاظ فعل المهنّد
﴿٢٥٩الف﴾ هو البدر قد القى عقود ردائه
لترفل منه فى قميص مورّد
له الطول ان وفّى ولا لوم ان جفا على كل حال فهو غير مفنّد

وقال ايضا:

كأنّ الخال فى وجنات موسى سواد العتب فى نور الوداد
لواحظه محيّرة و لكن بها اهتدت الشجون الى فؤادى

وله من ابيات:

انى له عن دمى المسفوك معتذر اقول حمّلته فى سفكه تعبا
نفسى تلذ الأسى فيه و تألفه هل تعلمون لنفسى فى الهوى نسبا
قالوا عهدناك من اهل الرشاد فما اغواك قلت اطلبوا فى لحظه السببا
من صاغه الله من ماء الحياة و قد جرت بقيّته فى ثغره شنبا
يا غائبا مقلتى تهمى لفرقته و المزن إن حجبت شمس الضحى انسكبا

(١) كذا فى الفوات، ووقع فى الاصل « لحضره » خطأ (٢) كذا وفى الفوات « وصاغت »ولعله الصواب (٣) وقع فى الاصل« الخصيف» خطأ .

Marfat.com

التى بمرآة فكرى شمس صورته فعكسها شبّ فى احشائى اللهبا
كم ليلة بتّها والنجم يشهد لى رهين شوق اذا غالبته غلبا
مردّدا فى الدجى لهفا فلو نطقت نجومها رددت(١) من حالتى العجبا
نهبت فيك عقيق الدمع من أسف حتى رأيت جمان الشهب قد نهبا
هل تشتفى منك عين انت ناظرها قد نال منها سهاد الليل ما طلبا
ما ذا ترى فى محبّ ما ذكرت له الّا شكا او بكى او حنّ او طربا
يرى خيالك فى الماء الزلال اذا رام الشراب فيروى وهو ما شربا

﴿ ٢٥٩ ب ﴾ هذا ما كتبته من شعر المذكور واخبرنى شيخنا الحافظ العلامة العدل الرضا المرتضى اثيرالدين ابو حيان رضى الله عنه بالقاهرة المحروسة فى ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وقد ذكره فى كتاب جمعه فى شعراء الزمان وفضلائهم ممن رآهم واخذ عنهم، قال ابراهيم بن سهل الاسلامى الاشبيلى اديب ماهر دوّن شعره فى مجلد وكان يهوديا فأسلم وله قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم، واكثر شعره فى يهودى اسمه موسى كان يهواه وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم الى ان اسلم وتوفّى شهيدا بالغرق رحمه الله، قال اخبرنا قاضى الجماعة بالاندلس ابوبكر محمد بن ابى نصر بن على الانصارى الاشبيلى رحمه الله قال كان ابراهيم بن سهل يهوى يهوديا اسمه موسى فتركه وهوى شابا اسمه محمد فقيل له فى ذلك فانشد:

تركت هوى موسى لحبّ محمد ولولا هدى الرحمن ما كنت اهتدى

(١) كذا فى الفوات ووقع فى الاصل « زدت » خطأ.

وما

Marfat.com

وما عن قلى، منى تركت وانّما شريعة موسى عطّلت (١) بمحمد

السنة الستون والمبتهائة

دخلت هـذه السنة وخليفـة المسلمين المستنصر بالله المتوجّه الى العراق وسلطان مصر والشام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى وملوك الاطراف على القاعدة فى السنة الخالية .

﴿٢٦٠ انب﴾ وفيها فى ثالث وعشرين المحرم اعرس الامير بدرالدين بيليـك الخزندار على بنت بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل، وعمل العرس بديار مصر بالميدان الاسود تحت القلعة واحتفل السلطان به احتفالا لم ير مثله (٢) وفوّض اليه بعد ايام قلائل النظر فى أمر الجيوش يقطع الاقطاعات ويزيد فيها وينقص منها ويؤدب من الجند من استحق التأديب اقامه فى ذلك مقام نفسه وفوّض اليه النظر فى أمر الرعية وكشف ظلامتها وكف الايدى العادية عنها ثقة بدينه وعدله وفعل الخير الذى هو من اهله وعلماً بيقظته فكان كذلك الى ان توفّى، رحمه الله وايانا .

وفيها فى يوم الاحد ثانى وعشرين صفر دخل الى دمشق الخليفة الامام الحاكم بامر الله ثم سافر الى مصر يوم الخميس سادس وعشرين صفر فوصل القاهرة فى السابع والعشرين من شهر ربيع الاول وصحبته زين الدين صالح بن محمد بن ابى الرشيد الاسدى الحاكمى المعروف

(١) كذا فى الفوات ووقع فى الاصل « عظمت » خطأ (٢) من هنا الى قوله وايانا « ليست فى اكسفورد وانما فيها بدلها ما نصه « وبسط يده بعد ايام فى الجيوش والاقطاعات والنظر فى امر الرعية » .

Marfat.com

بابن البناء و اخوه شمس الدين محمد و نجم (١) الدين [محمد] (٢) بن المشاء (٣) ، و احتفل السلطان بلقائه و انزله بالبرج الكبير داخل القلعة غربيّ باب القرافة و رتّب له ما تدعو حاجته اليه و زيادة و وصل معه ولده .

ذكر نبذة من احوالهما (٤)

لما استولت التتر على بغداد في ثامن و عشرين المحرم من سنة ﴿ ٢٦٠ ب ﴾ ست و خمسين و ستمائة اختفى المذكور ببغداد الى اوائل سنة سبع و خمسين و ستمائة ثم خرج منها و صحبته الثلاثة النفر المذكورون الذين وصلوا معه الى القاهرة و قصد حسين بن فلاح امير خفاجة فاقام عنده مدة .

ذكر زين الدين بن البناء الذى كان صحبة الامام الحاكم انه لما قتل الامام المستعصم بالله اختفى كوكب الصبح فلم يظهر الى ان ظهر الامام الحاكم فضجّت العرب لظهوره و عجبوا من ذلك ، ثم انه بعد ايام وصل اليهم من بغداد جمال الدين مختار المعروف بالشرابى فعند وصوله قال له ابن فلاح المذكور نجمع بينك و بين الحاكم فقال ما هو مصلحة بل المصلحة تجهيزه الى الشام ، فتوجّه الحاكم الى الشام و صحبته المقدم ذكرهم و رجل آخر من مشايخ عبادة يقال له نعيم فنزلوا على الامير نور الدين

(١) مثله في نز و في اكسفورد « محمد بن نجم الدين » وهو موافق لقوله بعد «ذكر نبذة من احوالهما» غير ان قوله بعد اسطر «وصحبته الثلاثة نفر المذكورون» يخالف ذلك (٢) من اكسفورد و نز (٣) كذا في اكسفورد وفي الاصل «المسا»

(٤) هذه النبذة ساقطة من اكسفورد .

Marfat.com

زامل بن الامير سيف الدين على بن حذيفة (١) ثم خرجوا عنه و نزلوا على الشيخ برى ثم على عامر بن صقر ثم على الامير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع امير آل فضل ، فما منهم احد نزلوا عليه الّا أكرمه و احتفل به و بقى عند الامير عيسى بن مهنا فطالع به الملك الناصر صاحب الشام فكتب اليه يأمره باحضاره اليه، فاتفق وصول التتر الى بلاد الجزيرة ثم الى الشام فحصل الاشتغال عنه فلم يزل عند الامير عيسى ابن مهنا إلى أن خرج الملك المظفر ﴿٢٦١ الف﴾ سيف الدين قطز وكسر التتر على عين جالوت و ملك الشام و ذلك فى العشر الاخر من شهر رمضان فقصده الامير عيسى المذكور الى دمشق فاقبل عليه و انعم عليه بخبزه الذي كان له فى الايام الناصرية ثم ان الملك المظفر سير الامير سيف الدين قليج البغدادى الى نحو بغداد و امره باستصحاب الحاكم معه فاجتمع به و بايعه على الخلافة و توجه فى خدمة الامير شرف الدين عيسى بن مهنا و الامير سيف الدين على بن صقر بن مخلول و عمر بن مخلول و جميع آل فضل خلا اولاد حذيفة (١) ففتحوا عانة و الحديثة و هيت و الانبار وضربوا مع التتار مصافّا على الفلّوجة من ارض بغداد فى اواخر ذى الحجة من سنة ثمان و خمسين و قتلوا من التتر نحوا من الف و خمسمائة فارس ولم يقتل من المسلمين غير ستة أنفس وكان من جملة من قتل من التتر انكهورك و ثمانية امراء ثم وصل قرابغا بجمع كبير فعلموا به المسلمون انهم ليس لهم بهم طاقة فعادوا على حميه فتبعتهم التتر ثم عادوا وعاد الحاكم

(١) ز « حديثة »

Marfat.com

الى عند الامير شرف الدين عيسى بن مهنا وكاتبه الامير علاء الدين طيبرس ، الوزيرى نائب السلطنة يومئذ بدمشق يستدعيه فوصل اليه و اجتمع به فسيره الى مصر صحبة الامير بدر الدين يونس دلدم الياروقى وكان الامام المستنصر بالله ﴿٢٦١ ب﴾ الاسود قد تقدمه بثلاثة ايام الى مصر فما رأى ان يدخل معه خوفا من ان يقبض على احدهما و يبايع الآخر و ان يكون هو المقبوض عليه فتسحب راجعا وصحبته زين الدين صالح الاسدى المعروف بابن البناء وقصدا دمشق وصحبهما رجل من عرب غزية واختفوا بالعقيبة الى ان حصل لهم مراكيب فقصدوا سلمية و صحبهم جماعة من الترك فوجدوا اهل سلمية متحصنين خوفا من الامير شمس الدين آقوش البرلى (١) العزيزى وكان قد ورد مرسوم بمسك من تسحب من دمشق فوقع بينهم مناوشة ونجا الحاكم و صاحبه و قبضت الترك الذين كانوا صحبتهم ثم قصد الأمير شمس الدين البرلى فبايعه على الخلافة وكذلك جميع من بحلب و توجهوا الى حران فاتصل بهم ان المستنصر بالله الاسود خرج من دمشق فى التاريخ المقدم ذكره، فجمع الامير شمس الدين البرلى (١) الحاكم جمعا كثيرا من التركمان وكان فيمن انضم اليه منهم الامير ان كرجل بن صميرى و شرف الدين عيسى بن صيمرى ومعهما نحو من الف فارس وقصدوا عانة فوافاهم المستنصر بالله على عانة فلم يزل يوسع الحيلة الى ان افسد من معه و قد تقدم ذكر ذلك عند توجه المستنصر الى العراق ولما وقع المصاف بين الخليفة المستنصر وبين التتر واتفقت الكسرة كما تقدم خرج الحاكم فى جماعة و قصد الرحبة ليقصد الملك الظاهر فقصد ﴿٢٦٢ الف﴾ الامير

(١) ز « البرنلى و البرناو » و قد تقدم التنبيه عليه .

Marfat.com

شرف الدين عيسى بن مهنا فبلغ الملك الظاهر فسيّر اليه يستدعيه اليه فوفد عليه فى التاريخ المذكور .

و فيها ورد الخبر الى دمشق بان الخلف وقع بين التتر الذين ببلاد العجم وموت ملكهم الاكبر و تفرّق كلمتهم و انتصار ملك بركة على هولاكو لعنه الله ، فلما كان النصف من شهر رمضان وقع بدمشق ارجاف عظيم من جهة التتار و تجهّزوا اكثر الناس للهروب للديار المصرية و باع الامراء حواصلهم و كذلك حواصل القلعـــة و تهيئوا للهرب و الزم نواب البلد لكبراء دمشق بالرحيل الى مصر بامو الهم و اهاليهم و رسموا عليهم بذلك و ضيقوا عليهم و الزموا ارباب الدواوين و المتصرفين (١) بارسال نسائهم الى مصر و بقـائهم فى خدمتهم بدمشق سواء فى ذلك القادر والعاجز و الزموا [جمعا كبيرا بذلك من] (٢) اهـــل الاسواق [الذين بالقيسارية] (٣) و طلبوا (٤) اصحاب الفرامين وكل من كان بينه وبين التتار معاملة ام تعلق و اخرجوهم الى مصر كرها منهم القاضى كمال الدين التفليسى و الشرف بن عنتر و قيدوا جماعة منهم مثل النجم بن اللبودى و ابن مسلمة وابنى الارزنى (٥) و جفل الناس من حمص وحماة و عبروا الى دمشق و فى نصف شوال رحل من دمشق قفل كبير الى مصر وكل يوم يرحل قفل بعد قفل و اخذوا (٦) بعضهم فى الطريق وجرح بعض

(١) كذا وفى ذيل الروضتين « الدواوين المتصرفين لهم »(٢) من الذيل المذكور ووقع فى الاصل « جميعا و كذلك » (٣) من الذيل (٤) فى الذيل « واطلقوا »
(٥) كذا وفى الذيل « ابن المسلم و ابن الاردنى » (٦) فيه ايضا « واخذ » .

Marfat.com

وكان الماء عليهم فى الطريق قليلا والحر شديدا وذكروا ﴿٢٦٢ ب﴾ ان مثل هذا الارجاف وقع ايضا ببلاد العدو من التتار وفى بلاد الفرنج ايضا وفى الديار المصرية .

وفيها فى يوم الثلاثاء تاسع رجب الفرد حضر السلطان الملك الظاهر فى محاكمة الى قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز بدار العدل وسبب ذلك انه قبل خروجه الى الشام فيمن خرج من مصر من الامراء الصالحية عند قتل الامير فارس الدين اقطاى قد حفر بئرا عند زاوية الشيخ ابى السعود وبنى بعضها ثم اتفق الخروج فاستولى عليها جمال الدين محمود استاذ دار بهادر واتمها وبنى حوضا يأتى اليه الماء من البئر، فلما كانت ايام دولته اتفق موت بعض مماليكه فدفنه قريبا من البئر والزاوية وذكر امر البئر فاخبر ان جمال الدين المذكور استولى عليها واتم بناءها فاستدعاه وقال له البئر ملكى وانا انشأتها فقال ياخوند انى اتممتها وبنيت الى جانبها حوضا ووقفتهما ولا يمكننى افعل الا ما يراه الشرع المطهر، فراح معه الى دار العدل لمحاكمة المذكور فلما دخلها قام اليه من فيها واراد القاضى القيام فقال له لا تقم فانى جئت محاكما ووقف مع الغريم وادعى بالبئر وذكر له حفرها وبناء بعضها منذ زمان فسأل القاضى الغريم عما ادعاه السلطان فانكر فطلب القاضى من السلطان البينة فاحضر من شهد له بماذكر فتقدم القاضى ﴿٢٦٣ الف﴾ للغريم بتسليم البئر له .

وفيها فى شوال سير الملك الظاهر الامير عز الدين الدمياطى والحاج علاء الدين

Marfat.com

علاءالدين الركنى و صحبتهم عسكر فوصلا الى دمشق ثالث ذى القعدة و بكّروا لدخولهم الى دمشق فخرج الناس يتلقّونهم و فيهم نائب السلطنة الحاج علاء الدين طيبرس الوزيرى، فلما وصل الى الامير عزّالدين الدمياطى و اهوى ليكارشه على ما جرت به العادة للملتقين قبض الدمياطى بيده الواحدة عضد طيبرس و بيده الاخرى سيفه و انزله عن فرسه و اركبه بغـــلا و شدّه عليه ثم قيّده و تركه بمصلى العيدين (١)، فلما ان دخل البلد (٢) وكّل به جماعة و سيّره الى مصر و كان القبض عند ذيل عقبة شحورا (٣) و هرب من خرج معه من اصحابه ثم استخرجت امواله التى تبقت له بدمشق بعد ما كان قد سيّر منها اكثرها مـع العرب و قبضت حواصله، و كان طيبرس المذكور قد اهلك اهل دمشق باخراجهم من بلدهم و الترسيم على اكابرهم باخراج عيالهم و انفسهم و اهانتهم و ضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلال من دمشق و تخويف الناس من التتر و كان البدوى يجلب الجمل فيبيعه باضعـاف قيمته و يشترى به الغلة رخيصة لأن الناس بين خائف يبيع حاصله ليتجهّز به و محتاج الى الجمال لسفره و بين من هو موكل عليه ليسافر بلابد فهو مضطر الى بيع ذلك و بلغ كراء الجمل [بالمحارة] (٤) ﴿ ٢٦٣ ب ﴾ الى مصر مائتى درهم، و من اعجب ما سمعت فى مسك هذا الامير علاء الدين طيبرس ما حكى لى الرشيد فرج الله المعروف باوحشتى كاتب ديوان البيوتات بدمشق قال لما وصلوا

(١) كذا و فى ذيل الروضتين لابى شامة « العيد» (٢) كذا و فى الذيل «الليل» كذا (٣) فى « الشحورة » و بهامشه « بلدة بين الكسوة و دمشق فى جنوبها (٤) من الذيل

Marfat.com

الامراء المذكورين و العسكر الى الكسوة طلبنى الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى نائب السلطنة و قال لى اعمل سماطا جيدا لاجل هولاء الامراء. و احضره انت بنفسك و احترز و ابصر كيف يكون بحيث لايحصل لك اذى فانا ما با احضر السماط فقلت ياخوندلأى سبب ما تحضر فالزق فمه بأذنى و قال قدجاؤا هؤلاء حتى يمسكونى قبل ما يدخلوا دمشق فقلت يكفيك الله شرهم و دمعت عينى و بست ركبتـــه و يده فقال هذا امر لابدّ منه فابصر انت كيف تكون قال فطلعت من عنده و عملت السماط كما رسم لى و كان من امره ما تقدم ذكره و اقاموا عوضه الامير علاء الدين الركنى الى حيث قدم الامير جمال الدين آقوش النجيبى (١) .

قال الشيخ الرشيد فرج الله و دخلت يوما الى الامير علاء الدين الركنى وهو نائب السلطنة بدمشق فسألنى عن اشياء تتعلق بالديوان و السماط الى ان ذكر الامير علاء الدين طيبرس و اثنى عليه خيرا ثم انى وجدت للكلام مجـالا و هو خلوه و هو طيّب النفس فحكيت له ما قال لى الامير علاء الدين يوم و صولهم الى الكسوة فقال لى يارشيد ﴿٢٦٤ الف﴾ انا احكى لك اعجب من هذا وكيف كان السبب فى ذلك لاشك انى كنت فى وقت القائلة فى بيتى بالقاهرة و اذا برسل السلطان الملك الظـاهر قد حضروا يطلبونى طلبا حثيثا فما شككت انه يريد مسكى لان الطلب كان فى غير وقت العادة قال فودّعت اهلى و اوصيت

(١) قصة القبض على علاء الدين طيبرس المذكورة لم يتعرض لها فى اكسفورد الا فى ثلاثة اسطر وهى هنا كما تراها .

Marfat.com

استاذداری و اهلی بما تلجیء الیه الضرورة و رکبت الی القلعة فبینما انا فی طریق القلعة و اذا بالامیر عزّ الدین الدمیاطی قد طلبوه الی السلطان کما قد طلبت قال فتحققنا اننا ممسوکین و کل واحد منا اوصی الآخر علی اولاده و اهله ان حصلت له السلامة ثم اننا صعدنا الی قلعة الجبل فلما ان و صلنا الی القلعة انقطعت ظهورنا ثم انهم تشاوروا علینا فخرج المرسوم بالدخول فدخلنا علی السلطان و اذا به وحده لیس عنده احد سوی خمس ستة مماليك لا غير فلما رآنا قام لنا و ترحّب بنا فبسنا الارض و دعونا له و طابت نفوسنا و قویت قلوبنا ثم انه امرنا بالدنو و القرب منه، فما زال یدنینا حتی الصق رکبنا برکبتیه ثم انه اخرج من جیبه ختمة صغیرة ثم انه استحلفنا الیمین المستوفاة اننا لا نذیع له سرا واننا نفعل ما یأمرنا به فحلفنا له فلما فرغت الیمین قال تطلعوا الساعة الی دمشق و تأخذوا من غرة العسکر المقیم بها و تمسکوا الامیر علاء الدین طیبرس نائب الشام و یبقی الامیر علاء الدین ﴿٢٦٤ ب﴾ موضعه و ان سمعت هذا الحدیث من احد من خلق الله تعالی قبل ان تفعلوه شنقتکم، قال فخرجنا من عنده فبینما نحن سائرین تحت القلعة و اذا بواحد من حرافیش(١) مصر یقول لآخر تدري این یروحوا هؤلاء الامراء قال له رفیقه لا قال هؤلاء رائحین الی دمشق حتی انهم یمسکوا علاء الدین طیبرس نائب السلطنة بها قال فلما سمعنا قوله اصفرّ لون کل واحد منا و قلنا لبعضنا بعض و الك من حرافیش(١) مصر و الله لادخلك الی بیتی بل من هونی

(١) ز: «الحرافشة» وبهامشه «جمع حرفوش ذمیم الخلق و الخلق».

Marfat.com

اسافر و قلت لاستاذ دارى هات لى جنيب وهجين واوصيته بجميع ما احتاج اليه و ان يلحقنى به الى بئر البيضة فقال الامير عزالدين الدمياطى وانا كذلك و اوصى لاستاذداره بجميع ما يحتاج اليه و ان يلحقه به الى بئر البيضة فتوجّهنا من ساعتنا الى بئر البيضة ، فلما كان وقت العصر وصلوا الينا غلماننا و معهم جميع ما نحتاج اليه سافرنا خوفا من الملك الظاهر وسطوته بحيث لايشيع الخبر فيقول لنا انتم اظهرتم سرّى لنسائكم و غلمانكم حتى شاع الخبر فى مصر و القاهرة قبل خروجكم قلت فسبحان من لايخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم .

وفيها فى اوائل المحرم قصدت التتر الموصل و مقدمهم صندغون وكان معهم الملك المظفر صاحب ماردين بعسكره ﴿٢٦٥ الف﴾ وشمس الدين يونس المشد وشمس [illegible] بيبرس امير شكار البدرى وكان فى الموصل مع الملك الصالح ركن [illegible] ن اسماعيل سبع مائة فارس و نصب عليها التتار اربعة و عشرين منجنيقا فضايقوها اشد مضايقة ولم يكن فيها سلاح يقاتلون به و لا قوت يمسك رمق من فيها و غلا فيها السعر حتى بلغ المكوك بها و مقداره ربع اردب مصرى اربعة وعشرين دينارا فاستصرخ الملك الصالح بالامير شمس الدين البرلى(١) فخرج البرلى(١) اليه من حلب و سار الى أن وصل الى سنجار فلما اتصل بالتتر وصوله عزموا على الهرب و اتفق وصول الزين الحافظى اليهم من عند هولاكو و يعرفهم ان الجماعة التى مع شمس الدين البرلى(٢) قليلة و المصلحة ان تلاقوهم لئلا توصفوا بالعجز

(١) تقدم فى غير ما موضع عن نز « البرنلى و البرنلو » .

فيطمع

فيطمع فيكم فقوى عزمهم على ملاقاة البرلى فسار صندغون بطائفة ممن كان على الموصل عدتها عشرة آلاف فارس و قصد سنجار و كان بها الاميرشمس الدين البرلى و معه سبعمائة (١) فارس غزا و اربعمائة من التركمان و مائة من العرب فخرج اليهم بعدان تردد فى ملتقاهم يوم الاحد رابع عشر جمادى الآخرة فكانت الكرّة عليه فانهزم جريحا فى رجله قتل من كان معه منهم الامير علم الدين الو باش و الامير عزّالدين ايبك السليمانى من العزيزية و الأمير بهاء الدين يوسف بن الاميرحسام الدين طرمطاى(٢) ﴿٢٦٥ ب﴾ اميرجاندار الظاهرى وسيف الدين كيكلدى الحلبى الناصرى و الاميرعلم الدين سنجر الناصرى و غيرهم و نجا الامير شمس الدين البرلى فى جماعة يسيرة من العزيزية و الناصرية منهم الامير بدر الدين ازدمر الدويدارى العزيزى و علاء الدين آق سنقر الدويدارى الناصرى ، صلوا الى البيرة ففارقه اكثرهم و دخلوا الى الديار المصرية و لما حل بها (٣) وصلت اليه رسل هولاكو وكان بن خال شمس الدين البرلى و زين الدين قراجا الناصرى الجمدار وكان اخذ اسيرا من حلب لما اخذها التتر فيمن اخذ يطلبونه اليه ليقطعه البلاد ، ثم طلب الأذن من الملك الظاهر فى دخوله الى الشام فأذن له فتوجه من البيرة تاسع عشر شهر رمضان و دخل الى مصر يوم الاثنين غرة ذى القعده فانعم عليه الملك الظاهر بالمال

(١) اكسفورد « تسعمائة » (٢) نز و اكسفورد « طرنطاى » (٣) كذا وفى اكسفورد و لما حل بالبيرة وصله قونو بن خاله و زين الدين قراجا الجمدار الناصرى وكان اخذ اسيرا من حلب رسلا » .

و الخلع و اقطعه سبعين فارسا .

و لما انهزم البرلى و ظفر التتر بمرادهم من كسره عاد صندغون الى الموصل بالاسرى فادخلهم من النقوب الى الملك للصالح ليعرفوه انهزام البرلى و كسر عسكره و يشيروا عليه بالدخول فى طاعتهم ثم استمر الحصار و القتال الى مستهل شعبان فطلبوا علاء الملك ابن الملك الصالح و اوهموا انه و صل اليهم كتاب من هولاكو مضمونه ان علاء الملك ماله عندنا ذنب و قد وهبناله ذنب ابيه فسيّره الينا لنصلح امرك ﴿٢٦٦الف﴾ معه و كان الملك الصالح قد ضعف و عجز و غلبت المماليك على رأيه فاخرج اليهم علاء الملك و لده فلما ان وصل اليهم بقى عندهم اثنى عشر يوما واعتقد الصالح انهم سيّروه الى هولاكو ثم كاتبوه بعد ايام يامروه بتسليم البلد و ان لم يفعل فلا يلوم الا نفسه اذا دخلنا البلد بالسيف و قتلنا من فيه فجمع الصالح اهل البلد و الاجناد و شاورهم فاشاروا عليه بالخروج فقال انكم تقتلون لامحالة و اقتل بعدكم فصمموا على خروجه ، فخرج اليهم يوم الجمعة خامس عشر شعبان بعد الصلاة وقد ودّع الناس و لبس البياض فلما وصل اليهم احتاطوا به و وكلوا عليه و على من معه و حملوه الى الجوسق و رسم(١) عليه من كان معه شمس الدين الباعشيقى بالدخول الى البلد فدخل و معه الفرمان و نادى فى الناس بالامان فظهر الناس بعد اختفائهم و شرع الناس و التتر فى خراب الاسوار .

فلما اطمأن الناس و اشتروا و باعوا دخلوا التتر البلد و اجالوا السيف

(١) اكسفورد « و امروا شمس » .

على

على من فيه تسعة ايام وكان دخولهم فى اليوم السادس و العشرين من شعبان وهدموا السور و وسطوا علاء الملك و علق على باب الجسر ثم رحلوا فى سلخ شوال فقتلوا الملك الصالح فى طريقهم وهم متوجهون الى بيوت هولاكو وكان الملك ﴿٢٦٦ ب﴾ المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة و الملك المظفر علاء الدين على صاحب سنجار لما نزلوا التتر على الموصل خرجوا من سنجار و توجهوا الى عند الملك الظاهر بمصر، فلما وصلوا احسن اليهم و اقطع المجاهد لخاصه فوق المائة الف درهم و لأولاده كل واحد منهم على انفراده اقطاعا جزيلا وكذلك لاخيه الملك المظفر علاء الدين لخاصه و مماليكه ايضا و انقضت دولة بدرالدين لؤلؤ الاتابكى من الموصل و اعمالها .

ذكر الموصل و رساتيقها و اعمالها نصيبين و ولاياتها و قلاعها

بالوصا (١) و الجزيرة مدينة ابنى عمر(٢) و البوازيج - و عقرسوس - و دارا واعمالها والقلاع العماديه وبلدها كواشى(٣) و بلدها اهروز(١) و بلدها حاصورا و بلدها الّتِي و بلدها توزر و بلدها شوش و بلدها - كنكور و بلدها - الملاشى (١) و بلدها - سنجار مدينة كبيرة قلعة الهيثم و انقضت دولة بنى اتابك و ذكرهم و ذكر غلمانهم و من كان السبب فى ذكرهم و الرحمة عليهم :

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأننا وكأنهم(٤) كانوا على ميعاد

(١) كذا (٢) كذا وفى معجم ياقوت « جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة ايام.... واحسب ان اول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبى » (٣) من معجم البلدان ووقع فى الاصل « كواسى »(٤) كذا وهذا بيت شعر فيما احسب ولعل الصواب « فكأنها وكأنهم».

Marfat.com

وفيها اغار عسكر سيس ورجاله من انطاكيه على الفوعة من بلد حلب وسلمين وجبل بيلون (١) والحقة ونهبوا وافسدوا فركب اليهم الامير علاء الدين الشهابى نائب السلطنة يومئذ بحلب ﴿ ٢٦٧ الف ﴾ وصحبته عسكر فكسرهم واخذ منهم جماعة فسيرهم الى مصر فوسطوهم .

وفيها فى ذى القعدة خرج مرسوم السلطان الملك الظاهر الى قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الاعز أن يستنيب نوابا يرتضيهم من المذاهب الثلاثة فاستناب صدر الدين سليمان الحنفى (٢) والشيخ شمس الدين محمد الحنبلى (٣) وشرف الدين عمر السبكى المالكى (٤) .

وفيها فى سابع وعشرين ذى القعدة ذكر الشيخ شهاب الدين ابو شامة فى ذيل تاريخه انه وصل الى دمشق من عسكر التتر نحو مائتى فارس وراجل بنسائهم وصغارهم هاربين الى المسلمين وذكروا ان عسكر هولاكو كسروهم عساكر ابن عمه الملك بركة (٥) فهرب جماعة هولاكو وتشتتوا فى البلاد فقصد كل طائفة جهة وتوجهت هذه الطائفة الى بلاد الشام ففرح المسلمون بهذا الخبر وزال عنهم ما كانوا فيه من الغم بسبب الاخبار السابقة التى اوجبت جفلة اهل دمشق الى مصر واخبروا

---

(١) اكسفورد «ليلون» بغير نقط (٢) بهامش اكسفورد «هو سليمان بن ابى العز ابن وهيب توفى سنة ٦٧٧» ك (٣) بهامش اكسفورد «هو محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد توفى سنة ٦٧٦» ك (٤) بهامش اكسفورد «هو عمر بن عبد الله بن صالح توفى سنة ٦٦٩» ك (٥) بهامش ذيل الروضتين «الملك المغولى المسلم حاكم ما وراء القوقاس وصديق الظاهر بيبرس (ز) .

Marfat.com

هؤلاء القادمين(١) ان ملك التتار الاعظم منكو قان (٢) توفى و قام بالملك بعده اخوه الاصغر غرى (٣) بكو وكان الاخ الاكبر قبلية (٤) خان غائبا بالهندفأنف وقصدا خاه بعسكره فتقاتلا ونصرالملك بركة لغرى بكوفكسروا عسكر قبليه خان فلما سمع هولاكو عزّ عليه ذلك ﴿ ٢٦٧ ب ﴾ وكره ملك غرى بكو وجمع العساكر وقصد بركة وسار بركة اليه فنزل فى ارض الكرج ونزل هولاكو وسار بركة اليه ونزل هولاكو بصحراء سلماس وخوى ثم كان الملتقى بناحية شروان فقتل من الفريقين خلق عظيم ووقعت الكرة على عسكر هولاكو فبقى السيف يعمل فيهم اياما وهرب هولاكو الى قلعة تلاوهى فى وسط بحيرة اذربيجان فدخلها وقطع الطريق اليها، فبقى، كالمحبوس فيها اخزاه الله ولعنه .

قلت واما ما ذكره الصاحب عز الدين بن شداد (٥) فى سيرة الملك الظاهر قال كان سبب الخلف الواقع بين هولاكو والملك بركة قال حكى لى علاء الدين علـــى بن عبد الله البغدادى احد اصحاب الامير سيف الدين بلبان الرومى الدويدار قال اخذت اسيرا من بغداد لما ملكوها التتر وكنت معهم مختلطا بهم مطلعا على اخبارهم فلما كانت سنة ستين ورد من عند بركة رسولان احدهما يدعى بلاغا والآخر ططر برسالة مضمونها ما جرت به العادة من حمل ما كان يحمل الى بيت

(١) ذيل الروضتين « و اخبر بعض هؤلاء المنهزمين » (٢) فى الذيل « منكو خان » (٣) فى الذيل « غزى » (٤) فى الذيل « قبلاى » هنا وفيما بعد .
(٥) بهامش اكسفورد هو محمد بن ابراهيم بن علـى « توفى سنة ٦٨٤ » لك

Marfat.com

باتوا (١) مما كان يفتح من البلاد و كانت العادة ان يجمع ما يتحصل فى البلاد التى يملكونها و يستولون عليها من نهر جيحون مغربا يقسم خمسة اقسام قسمان للقان (٢) و هو الملك الاعظم و قسمان للعسكر و قسم لبيت باتوا (١) فلما مات ﴿٢٦٨ الف﴾ باتوا (١) و جلس بركة على التخت بدلا منه لم يوصل اليه هولاكو مما اخذه من العراق و لا من الشام شيئا مما كان يوصله الى باتوا (١) و لما بعث بركة رسله بعث معهم سحرة ليفسدوا سحرة هولاكو وكان عند هولاكو ساحر يسمى تكتا فاعطوه هدية ارسلها بركة اليه معهم ليوا فقهم على غرضهم فاتفق معهم فلما وصلت الرسل بعث اليهم هولاكو من يخدمهم و ساحرة من الخطا تسمى كسا (٣) لتطلعه على احوالهم و ما جاؤا فيه فلما علمت حالهم اخبرته به فامر بالقبض عليهم و حبسهم فى قلعة تلا ثم تآمر هو و امراؤه فى امرهم فاشاروا عليه بقتلهم بعد خمسة عشر يوما وقتل ساحره تكتا معهم فلما بلغ بركة قتل رسله و سحرته اظهر العداوة لهولاكو و بعث رسله الى الملك الظاهر يحرضه على اجتماع الكلمة و سياتى ذكر وصولهم ان شاء الله تعالى .

و فيها وقع الغلاء بالشام بحيث بيع رطل اللحم بستة دراهم و بسبعة و الغرارة القمح باربعة مائة و خمسين درهما و الشعير بمأتين و خمسين درهما و بيع المكوك القمح بحماة و بحلب باربعة مائة درهم و رطل اللحم

(١) اكسفوزد « باتو » (٢) فى الاصل واكسفورد « لاقان » (٣) كذا ، و فى اكسفورد « كشتا » .

Marfat.com

بالحلبى بثمانية دراهم و رطل الخبز بثلاثة دراهم ثم بلغ خمسة ثم اشتد الغلاء فى جميع الاصناف [بحيث اكل الناس بعضهم بعضا] (١) و مات خلق كثير من الجوع ﴿ ٢٦٨ب ﴾ بحلب و حماة و تصدق الطواشى مرشد عتيق صاحب حماة بصدقة كثيره و كفن عالما عظيما من الاموات فوق الثلاثة الآف نفس .

و فيها قدم الامير جمال الدين آقوش النجيبى الصالحى الى دمشق المحروسة نائب سلطنتها وسافر الامير علاء الدين الركنى الى مصر فتولى عز الدين بن و داعة الوزارة بدمشق و نظر الدواوين الصدر شمس الدين ابن علان و فى آخر السنة طابت قلوب الناس من جهة التتر .

و فيها فى شهر ذى الحجة ظهر باب بين القصرين عند الركن المخلق بالقرب من رحبة العيد بالقاهرة و فيه حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى بن عمران عليه [الصلاة و] (٢) السلام فجددت عمارته و هو اليوم يعرف بمعبد موسى عليه السلام [و فى سنة احدى و سبع مائة لما كنت بالقاهرة مشيت الى هذا المعبد و زرته و صليت فيه و رايت فيه انسا كثيرا] (١) .

و فيها ذكر قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله ان فى اثنائها توجه عسكر الشام الى أنطاكية فاقاموا عليها ثم رجعوا فاخبرنى بعضهم بغريبة و هى انهم نزلوا على جرود و هى بين دمشق و حمص فاصطادوا حمر وحش كثيرة فذبح رجل حمارا و طبخ لحمه فبقى يوما يوقد و لا ينضج

(١) ليس فى اكسفورد (٢) من اكسفورد .

Marfat.com

ولا يتغير ولا قارب النضج فقام جندى فاخذ الرأس فوجد على اذنه وسما فقرأه فاذا هو بهرام جور فلما اتوا احضروا ﴿٢٦٩الف﴾ تلك الأذن الى فوجدت الوسم ظاهرا وقدرق شعر الاذن وموضع الوسم اسود وهو بالقلم الكوفى وبهرام جور من ملوك الفرس كان اذا كثر عليه الوحش وسمه واطلقه وحمر الوحش من الحيوانات المعمرة وهذا لعله عاش ثمان مائة سنة اواكثر والله اعلم بذلك .

وفيها قتل الامام المستنصر بالله امير المومنين ابو القاسم احمد ابن الامام الظاهر بامر الله ابى نصر محمد بن الامام الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضئ بامر الله امير المومنين العباسى المعروف بالاسود على هيت وذلك فى اليوم الثالث من المحرم سنة ستين وست مائة نقله الله تعالى الى رضوانه ووفر حظه من غفرانه (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) مدة خلافته خمسة شهور وعشرون يوما لانه بويع فى ثالث عشر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة رحمه الله وايانا وقتل معه القاضى كمال الدين ابو عبد الله محمد بن القاضى عزيز الدين السنجارى الحنفى وزيره كان مدرس الخاتونيه والصادرية بدمشق كان فاضلا عالما بمذهب ابى حنيفة رضى الله عنه وكان كريما سمحا جوادا نهابا وهابا لايبقى شيئا وكان هو اول من اهتم بالهزيمة من اهل دمشق الى مصر وذلك فى سنة ست وخمسين وستمائة لما اخذوا التتر بغداد وذلك من تحصيل ﴿٢٦٩ب﴾ الجمال والدواب ومن جميع ما يحتاج اليه من امور السفر وكان من اول الجفال

Marfat.com

الى الديار المصرية فلما بويع المستنصر بالله عرضوا عليه و زارته فسارع الى ذلك وسافر صحبته و استشهد معه و ما افاده هروبه اولاولانجاه سفره آخرا ، فسبحان الحيّ القيوم ذى الجلال و الاكرام لامفرّمن قضائه سبحانه و تعالى عمايقول الظالمون علواكبيرا ، وكذلك من تقدم ذكرهم رحمهم الله تعالى .

و فيها توفى الشيخ الفاضل الكامل العالم الامام عزالدين الحسن بن محمد بن نجا (١) الغنوى (٢) الاربلى الضرير بدمشق فى اواخر ربيع الآخر مولده فى سنة ست و ثمانين و خمسمائة بقرية تسمى اقسا (٣) من اعمال نصيبين و اقام باربل مدة طويلة فعرف بها كان يقرئ الناس علوم الاوائل فى بيته لمن يتردد اليه من اهل الملل جميعها مسلمها و مبتدعها من السنة و الشيعة و اليهود و النصارى و السامرة وغيرهم وكان ذكيا فصيحا حسن المحاضرة و العبارة أديبا (٤) فاضلا فى سائرالعلوم جميعها و له ذهن خارق فى كل فن وكان الملك الناصر صاحب دمشق و حلب يكرمه و له عليه راتب جيد وفى كل وقت يبعث له شيئا و شفاعته عنده مقبولة لاترد وكان يبعث اليه ما ينظمه من الشعر فيصلحه له ، و له نظم حسن جيد فمن ذلك قوله رحمه الله :

﴿٢٧٠الف﴾ هذاالوجود مكدر فانهض الى اصفى وجود

(١) كذا فى الفوات واكسفورد وفى الاصل « نحبا » خطأ (٢) هكذا فيهما وفى الاصل « العنوى » (٣) كذا فى اكسفورد « افشا » (٤) فى الاصل « ادميا » وفى الفوات « كان بارعا فى الفنون الادبية ».

Marfat.com

و اطلب مقرك فى العلى ان كنت من اهل السعود
قرب الرحيل اليهم فمزارهم غـــير البعيد
فاذا رحلت اليهم صيرت ذلك يوم عيد

و له ايضا :

توهم واشينا بليل مزاره ، وهمّ ليسعى بيننا بالتبـاعد
فعانقته حتى اتحدنا (١) تعانقا فلما اتانا ما رأى غـــير واحد

الّم بهذا المعنى الشيخ غرس الدين ابو بكر الاربلى الآتى ذكره :

همّ الرقيب ليسعى فى تفرّقنا ليلا و قد بات من اهواه معتنقى
عانقته فاتحدنا و الرقيب اتى فمذ رأى واحدا ولى على حنق(٢)

و لعز الدين الضرير دوبيت :

لوكان لى الصبر من الانصار ما كان عليك هتكت استارى
ما ضرّك يا اسمر لوكنت انـا مع طيفك (٣) ليلة من السمارى

و حكى الامير عز الدين محمد بن ابى الهيجاء متولى دمشق الآتى ذكره وكان بينهما صحبة من طريق بلدهم اربل ما معناه قال لازمت العز الضرير يوم وفاته فقال للاطباء آكل أرزابلبن فقال الاطباء مانوافق فقال هذه البنية التى قد تحللت (٤) و مابقى يرجى بقاؤها فدعونى آكل ما اشتهى ﴿٢٧٠ب﴾ فعمل له الأرز (٥) و أكل منه ولما احس بشروع

(١) كذا فى الفوات وفى الاصل «التحدنا» (٢) كذا فى الفوات و اكسفورد فى الاصل «حتفى» خطأ (٣) كذا و فى الفوات و اكسفورد «لو بت لنا فى دهرك» (٤) الفوات «انحلت» (٥) الفوات «اشتهى أرزا بلبن».

خروج روحه منه قال قد خرجت الروح من رجلى ثم قال قد وصلت الى صدرى فلما ارادت المفارقة بالكلية تلا قوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) صدق الله العظيم - كذب ابن سينا كذب ثم خرجت روحه وكان هذا آخر كلامه رحمه الله ولعز الدين الضرير قوله فى السلو :

ذهبت بشاشة ما عهدت من الجوى وتغـــيرت احواله وتنـكرا
وسلوت حتى لو سرى من نحوكم طيف لما حياه طيفى فى الكرا

قلت وقد الم بهذا المعنى محمد بن ابراهيم الجزرى بقوله :

يا من رضاى حياته ووصاله ابدا وقتلى بالصدود رضاه
ها قد سلوتك واسترحت من الذى قد كنت من فرط الجوى القاه
فلو ان طيفا منك وافى فى الكرى طيفى و حيّاه لما حيّاه

ولعزالدين ايضا قوله :

كمّل حقيقتك التى لم تكمل والجسم دعه فى الحضيض الاسفل
اتكمل الفانى وتترك باقيا هملا وانت بامره لم تحفـــل
الجسم للنفس النفيسة آلة ما لم تحصلها به لم تحصل
يفنى وتبقى بعده فى غبطة ابدية او شقوة لاتنجلى
شرك كثيف انت خلقا (١) به بادر الى وجه الخلاص وعجل
﴿ ٢٧١ الف ﴾ لا يعقب التقصير غير ندامة
ما دام يمكنك الخلاص فافعل
اعطيت جسمك خادما فخدمته وتسيت عهدك فى الزمان الاول

(١) كذا .

Marfat.com

ملكت رقّك مع كمالك ناقصا أيملك المفضول رق الفاضل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل ما باله يرضى بادنى منزل

و لعزالدين ايضا ما انشدنا شيخنا الحافظ شرف الدين الدمياطى قال: انشدنا الحسن بن محمد الضرير لنفسه:

تذللتُ لو ان التذلل ينفع وافرطت فى الشكوى لو انك تسمع
و امسى خضوعى للحبيب سجيتى و هل نافعى للحبّ انى اخضع
و من عجب انى بحبك مولع و انت ببغضى و القطيعة مولع
نصيبك منى الحب و الوصل كله و منك نصيبى البغض والهجر اجمع
فؤادك عابى من الشوق فارغ و قلبى ملآن من الحزن موجع
و وجدى وصبرى فى هواك تحالفا فوجدى مقيم و اصطبارى مودع
و قد كنت لاارضى بوصلك غاية و قد عدت مالى فى خيالك مطمع

و فيها توفى الشيخ علاء الدين عثمان بن ابراهيم بن خالد بن محمد بن المسلم القرشى النابلسى المحتد المصرى الدار و الوفاة و المولد الشافعى الكاتب الاديب مولده تاسع عشر ذى الحجة سنة ثمان و ثلاثين و ستمائة بالقاهرة و توفى بها خامس عشرين جمادى الاولى سنة ستين و ستمائة انشدنا شيخنا شرف الدين ﴿٢٧١ ب﴾ الدمياطى قال انشدنا عثمان بن ابراهيم النابلسى لنفسه:

مقام الشافعى كما علمتم صحيح و هو فتوى فى القضايا
اطاب اذا الاسافل و الاعالى تساووا (١) مركأساة الرزايا

(١) كذا ولعله تساقوا.

Marfat.com

وقال وقوله فصـــل وحقّ يشفّ لسامعيه كالمرايا
اذا استوت الأسافل والأعالى فقد طابت منادمة المنايا
وكيف به اذا استقل (١) الأعالى بان جعل الأسافل فى العلايا
رحمه الله وايانا .

وفيها توفى الشيخ الامام العلامـــة شيخ الاسلام عزّ الدين ابى محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن ابى القاسم بن (٢) الحسن السلمى الشافعى رضى الله عنه بالقاهرة يوم الاحد عـاشر جمادى الاولى وكان يوما مشهودا وجنازته حضرها الخاص والعـام من اهل القاهرة ومصر ولم يتخلّف احد من اهل البلدين عن حضور الجنازة ونزل السلطان الملك الظاهر الى جنازته وصلّى عليه فى سوق الخيل وشيّعه راكبا الى القرافة والعالم صحبة الجنازة ولولا مما ليك السلطان ما وصل الى التربة من كثرة الزحام لاجل التبرك ، ثم صلّى عليه صلاة الغـائب بدمشق خامس عشر جمادى الاولى وكذلك فى جميع ديار مصر وبلادها والبلاد الشامية الى قاطع الفرات والبيرة والرحبة ثم بالمدينة النبوية وبمكّة شرّفها الله تعالى وكذلك فى بلاد اليمن ، كذا ﴿٢٧٢ الف﴾ اخبرنى صدرالدين عبدالغنى الجزرى قال صلّينا على الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام بمدينة زبيد من بلاد اليمن فى شهور سنة احـدى وستين وستمائـة قال وصلّوا عليه فى جميع اقليم اليمن وكان قد انتهت اليه الرياسة وصار شيخ الدنيا وكان

(١) كذا ولعله استفل (٢) هكذا فى اكسفورد وطبقات الشافعية ووقع فى الاصل « ابن ابى » .

Marfat.com

يفتى فى الاربعة المذاهب ، و له مصنفات عديدة و سماع كثير عالى الاسناد .

اخبرنى الصاحب فخرالدين الخليلى على منزله بالغوار فى شهور سنة ست و تسعين وستمائة قال ان الصاحب بهاء الدين على بن محمدالمعروف بابن حنازا (١) وكنت معه قال له السلطان الملك الظاهر يسلم عليك و رسم ان يكون ولدك مكانك بعد وفاتك قال ولدى مايصلح لذلك قال له فمن اين يعيش ؟ قال من عند الله تعالى ! قال له نجعل له راتبا ! قال هذا اليكم : رحمه الله تعالى .

و فيها توفى عبدالرحمن بن المعلم الموصلى الاديب كان ينشد فى الاسواق و ينظم حسنا و يؤدى ما ينظمه حلوا بصوت شجى حنين مطرب مبك و له كلام فى ارباب الطريق و التصوف و عبارته حلوة و على ذهنه شىء من العلوم غير انه فقير ، و من نظمه ما انشدنى الشيخ على السنجارى قال انشدنى الاديب عبد الرحمن لنفسه فى سنة اربعين و ستمائة وكان انشاده لى فى ﴿٢٧٢ ب﴾ شهور سنة ثمانين و ستمائة :

ايها الظبى الغريرى كن من البلوى مجيرى
و اطف نيران زفيرى بوصالٍ غير زور
كم الى كم تتجنّى ارحم الصبّ المعنّى
مستهاما مات غبنا صار من اهل القبور
ظلهم ليلى و نهارى غارقا فى افتكارى(٣) .
مدمعى كالسيل جارى فيضه شبه الغدير

(١) كذا و فى ز « حنا » (٢) كذا .

يا امير الحسن رفقا بنحيل الجسم ملقى
ما له يا بدر عتقا معك اضحى كالأسير
ذا بنى طول ملالك واسر قبلى جمالك
آه لو بات خيالك فى دجى ليلى سميرى
ساحر الطرف مقرطق ناحل الخصر ممنطق
من جميع الناس اليق اثبتوه فى السطور
علّنى شُدَّ قباه وسلب عقلى هواه
شادنا روحى فداه حبّه حشو ضميرى
قلت لما أن تبدّى وعلى ضعفى تعدّى
ما إرى لى عنك بدّا يا هلالا مستنير
يوسف الحسن كعبدك والسها والبدر جندك
لو تمعنا حسن قدّك عاذلى اضحى عذيرى
قم بنا نسعى نديمى تتهد (١) بنت الكروم
قهوة تنفى همومى ﴿٢٧٣الف﴾ فى غبوقى وبكورى
ما ترى عصر التصابى فرّق الشيب كتابى
وذهب منى شبابى وذوى غصنى النضير (٢)
فانتهل كأس مدامك واجعل الدن أمامك
ثم حيى فى صلاتك بمقامات الحريرى
واسقنيها بالكبار وتبدّى بالصغار

(١) كذا ولعله ننتهل (٢) وقع فى الاصل «النظيرى»

واطرّح قول البخارى وجدائ الشهرزورى
واذا ما متّ سكرا لا تقيما لى عذرا
واتبعا نعشى جهرا بطبول و زمور
وبخمرى غسّلانى وبدلتى كفنانى
وبشعرى لقنانى هكذا موت الفقير
وادفنانى وسط قبرى خضرة من كل زهر
وملاه غير نكرى منهم بم وزيرى (١)
واذا ما حاسبانى واتا (٢) وامتحنانى
... (٣) سائلانى منكر ثم نكير
فاغنيّهم بعود يا ليال الوصل عودي
ومقامى و خلودى بين ولدان و حور
واقولُ الله ربى وُ النبى الطهر حسبى
فعسى يغفر ذنبى جابر العظم الكسير
فاقلعى يا نفس جهرا جزت خمسين وعشرا
قبل ان تلقين وزرا ودعى عنك الغرور
وتولى حبّ حيدر من لدين الله اظهر
ولجيش الشرك طهّر ﴿٢٧٣ب﴾ بظبا البيض الذكور
من دنا من باب خيبر ودحاه ثم كبّر
ولجيش الله عبّر (١) فوق زند كالحرير

(١) كذا (٢) كذا ولعله واتيا (٣) بياض .

من

من عن الاسلام حامى ولدين الله قاما
فى الورى غير الاماما صاحب الحوض النميرى(١)
من على الريح العقيمى سار الى اهل الرقيمى
فى الورى غير القسيم حرّ نيران السعير
سُل به فى يوم بدر والظبا للهام تفرى
كم له فى كل قفر (٢) من قتيل و اسير
سل لاربّاب الملوك عنه فى يوم تبوك
والظبا تفرى التروك و بسلع و النضير
سل لطوق بن الصباح حين وافى فى الصباح
بفلاح و نجاح و سرور و حبور
فالتقاه بحسام مرهفا يبرى العظام
جفلوا شبه النعام جفلا عند النفور
يا أمير النحل جرنى لاتخيّب فيك ظنى
والملا تعلم انى فى الولا غير ضجور
هاك منى اىّ بدره من قريض فيه عبره
تركت فى القلب حسره فى مماتى و حضورى
صاغها ابن المعلم مذ بدا للشعر ينظم
يجتليها (٣) كل مسلم فهى نور للبصير

(١) وقع فى الاصل «الميرى» خطأ (٢) وقع فى الاصل «فقرى» خطأ (٣) وقع فى الاصل «يحتليها».

Marfat.com

صنتها عن كل نغلى فاسقا من نسل نغلى
وزن من قد قال قبلى ﴿٢٧٤الف﴾ لاو اشراق البدور
رحمه الله و ايانا .

وفيها توفى الصاحب كمال الدين ابوحفص عمر بن احمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن احمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن ابى جرادة الحنفى المعروف بابن العديم الحلبى ، كان اوحد الفضلاء و سيد النبلاء و رئيس الروساء وسيّد الوزراء سفير الخلافة المعظمة كان مع فضيلته و علوّ منزلته و رتبته متواضعا ليّنا حسن المحاضرة كثير الافادة ، و سوّد تاريخا لحلب و بيّض بعضه و كان اوحد فى الكتابة و حسن الخط و ارسله الملك الناصر صاحب حلب و دمشق الى الخليفة اظنه مرتين فلما قدم الى بغداد خرج الموكب كجارىَ العادة ، فلما حضر الى باب النوبى كجارى العادة فى تقبيل العتبة خرج له سجادة و بسطت و امروه ان يصلى ركعتين زيادة فى اكرامه و علوا لقدره و فضيلته ثم قيل له نحن نعظّم الرسل لاجل مرسليها و نحن نعظم مرسلك لاجلك ، و كان جليل المقدار كثير العلوم ولم يكن فى رؤساء حلب مثله روى حديثا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم آية المنافق ثلاث اذا حدّث كذب و اذا وعد اخلف و اذا ائتمن خان ، و له نظم فمنه قوله لما وصل الى الديار ﴿٢٧٤ ب﴾ المصرية حمل اليه الشيخ ايدمر مولى وزير الجزيرة المسمى فيما بعد ابراهيم الصوفى ديوان شعره ليطالعه

Marfat.com

فتصفحه و طالعه وكتب عليه من نظمه :

وكنت اظن الترك تختص اعين لهم ان رنت بالسحر منها واجفان
الى ان اتانى من بديع قريضهم قواف هى السحر الحلال وديوان
فايقنت أن السحر اجمعه لهم يقرّلهم هاروت فيه و سحبان (١)

وله ايضا :

قلبى وطرفى منزلاه لانه قمر و تلك منازل الاقمار
يا ساكن الجفن القريح وليته يرعى لجارى الدمع حق الجار

، مولده فى العشر الاول من ذى الحجة سنة ثمان و ثمانين (٢) و خمسمائة بمدينة حلب و توفى فى العشرين من جمادى الاولى سنة ستين (٣) و ستمائة، بظاهر مصر و دفن من يومه بسفح المقطم رحمه الله و ايا نا .

و له ايضا :

نزلنا بسرّ من رأى فازدهتنا محاسنها الدوارس اذ نزلنا
وخاطبنا لهان الحال منها حللنا قبلكم ثم ارتحلنا

و له ايضا :

يا من له همّة تسمو الى الرتب و رغبة فى بديع الخط و الادب

---

(١) ذكر هذه الابيات فى اكسفورد ثم قال « فكتب اليه ايدمر يشكره و يسأله ان يكتب اسمه تحت الشعر الذى كتبه على الديوان (لك الفضل اولى الناس بالحمد منهم : تعرف بالاحسان اذ رث عرفان) وساق احد عشر بيتا (٢) مثله فى اكسفورد وفى الفوات و نز «ست و ثمانين» (٣) مثله فى نز و اكسفورد وذيل الروضتين وفى الفوات «ست وستين وستمائة » ولعله سبق قلم :

Marfat.com

اسهرت ليلك في تحرير احرفه وفي نهارك لاتصبو الى لعب
طلبت مني مثالا تستعين به على اجادة ما تبقيه في الكتب
﴿٢٧٥ الف﴾ فلم اجد نحو ما حاولته حسنا
اذ كنت اهلا لنيل النجح والطلب
فهاك خطا كزهر الروض باكره طلّ الندا وسقته اعين السحب
يبدي لنا غرس بغداد به ثمرا جناه في الحسن منسوب الى حلب
اقلامه سبعة تزري كرؤيتها وحسن منظرها بالسبعة الشهب
رحمه الله وايانا .

وفي هـذه السنة بعث هولاكو الى مقدم عساكر المغل المقيم بالروم يأمره بقتل من ارتابوا من التركمان فقصد عسكر المغل والروم طائفة من التركمان فقتلوا منهم خلقا كثيرا وكان هذا سببا في انحياز من انحاز منهم الى الشام وانقيادهم الى طاعة الملك الظاهر .

الشيخ عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر توفي بمكة شرفها الله تعالى يوم الاثنين حادي عشرين جمادى الاولى (١) ودفن بالحجون مولده بدمشق في ليلة عيد الفطر سنة احدى وتسعين وخمسمائة روى عن عبد الله بن ابي قاوص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال احدى عشرة مرة لااله الاالله وحده لاشريك له احدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد كتب الله له الفي الف حسنة ، رحمه الله وايانا .

(١) كذا وفي اكسفورد « حادي عشر جمادى الاولى » ولم يذكر الحديث الآتي.

Marfat.com

يوسف بن عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على بن ابى سعد البغدادى ثم الحلبى ثم المصرى (١) و دفن من الغد بسفح المقطم انشد لنفسه من لفظه :

﴿٢٧٥ ب﴾ ايا خير من تزجى (٢) اليه الركائب
واكرم من ترجى لديه المواهب
و اقرب مشفوع اليه و شافع وجيه اذا ضاقت علينا المذاهب
و افضل مبعوث الى الخلق هاديا و قد اظلمت بالعالمين الغياهب
ومن خصّ بالمعراج والقرب وحده و ما دونه ستر ولا ثمّ حاجب
له فى ذرى العلياء اشرف رتبة لعزّتها تنحطّ عنها المراتب
حوى معجزات الانبياء باسرها و زاد فهاتيك العلا و المناقب
فياطيب نشر مرّ من نحو طيبة عليك سلام كالنسيم مواظب
مهابط وحى شرفت عرصاتها لها شرف تنحطّ عنها الكواكب
ايا خاتم الرسل الكرام و من له الشفاعة من ربّ العلى و المواهب
عليك صلاة الله يا خير مرسل الى الناس لما عزّ للكفر جانب
عليك صلاة الله يا من تواترت لمولده فى العالمين العجائب
عليك صلاة الله ما لاح بارق ، و ما طلعت شمس وما سار راكب

رحمه الله و ايانا .

الصدر العالم محى الدين ابو المحاسن يوسف بن سلامة الهاشمى

(١) كذا و لعله سقط لفظ مات او نحوه (٢) وقع فى الاصل « ترجى» خطأ .

Marfat.com

العباسي الموصلي المعروف بابن ذبلاق (١) الكاتب للانشاء بالموصل مولده في احد الربيعين سنة ثلاث وستمائة وقتلوه التتر حين ملكوا الموصل في عاشر شعبان وكان سيدا كبيرا من الفضلاء الشعراء المجيدين حسن الكتابة ونظمه حسن المعاني فمن ذلك قوله :

﴿٢٧٦ الف﴾ يريك قوام السمهريّ قوامها
ويحلو عليك النيّرين لثامها
ويفتننا منها جفون تضمّنت لواحظها إن لا تطيش سهامها
وليلة اعطينا المنى من وصالها وعهدي لا يهدي الينا سلامها
توقّد نارا خدّها وحليّها وخمرتها فانجاب عنها ظلامها
وطافت بكأسات الرحيق كأنما يفضّ عن المسك السحيق ختامها
اذا ماضللنا في غياهب شعرها هدانا الى صبح الغرام ابتسامها
سألتكما ايّ الثلاثة درّها أمبسمها امرعقدها ام كلامها
وايّ الثلاث المسكرات سلبنني اريقها (٢) ام لحظها ام مدامها

وقال ايضا :

ما وجه عذرك والكؤوس تدار ضاقت بمن جهل الصبا الاعذار
سفرت لك اللذّات واتسعت بها الاوقات واجتمعت بها (٣) الاوطار
ساق يسوق لك السرور ومطرب حسن الغناء ورُوضة وعقار

---

(١) كذا وفي اكسفورد «يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن ابراهيم بن الحسن الفافا الزينبي المعروف بابن زيلاق» وفي النوادر «يوسف بن زيلاق» فقط (٢) كذا ومثله في اكسفورد ولعله اريقتها (٣) الفوات «لك».

اوما

Marfat.com

اوما ترى حسن الربيع وقد بدا(١) يختال فى حبراته آذار
روض كما ترضى العيون يزينه زهر تسرّ بحسنه الاسرار
وجداول نشأت بهن حدائق ضحكت خلال فروعها الانوار
فكأنما اشجارهن عرائس تجلى ومن در السحاب نثار
تشدو حمائمها ويرقص دوحها غبّ (٢) الصبا وتصفق الانهار
فادم لنا افراحنا بمدامة لم تتصل بصفائها الاكدار
حمراء تبدو فى الكؤوس كأنها ذهب عليه من اللجين ازار
﴿ ٢٧٦ ب ﴾ يسعى عليك بها غرير أهيف
نوم المحبّ اذا، جفاه غرار
وسنان فيه من الغزالة وابنها وجه وطرف فاتر ونفار
رشأ ولكن فى القلوب كناسه قمر ولكن افقه الازرار
ظهرت غدائره فزادت وجهه نورا وتشرق فى الدجى الاقمار
وافاك يحمل مثل مافى خدّه ما عبه تروى القلوب ونار
فى مجلس تمّت لساكنه المنى وتكفلت بسعوده الاقدار

وله ايضا :

سل عن فؤاد بنار الشوق تحرقه وناظر بتجنيّه يؤرقه
ولاترجّ سلوا من غريم هوى موكل بحديد الصبر يخلقه
أهواه معتدل الاعطاف مائلها يجور فىّ اذا ما اهتزّ مورقه
غصن ولكن بماء الحسن منبته بدر ولكن من الازرار مشرقه

(١) الفوات « غدا »(٢) هكذا فى الفوات وفى الاصل «عبث » خطأ .

Marfat.com

يحلو الظلام محياه ويعذب مجـ ناه وتحلو (١) ثناياه ومنطقه
ملاحة تسترق القلب رقتها ونظم ثغر يروق العين رونقه
ثلاثة منه اعدانى السقام بها مجرى الوشاح وجفناه (٢) وموثقه
ألقى الرماح بقلب غير مكترث واتقى طرفه الساجى وافرقه
فالابيض العضب ما تبديه مقلته والاسمر اللدن ما يخفيه قرطقه

وقال ايضا :

الى الله اشكو هاجرى ومعنفى عليه فكل جائر فى احتكامه
حبيب نأى عنى الكرى بملاله وواشٍ دنا منى الأسى بملامه
﴿ ٢٧٧ الف ﴾ غريب المعانى قام عذر صبابتى بحسن عذاريه ولين قوامه
له هيف الغصن الرطيب ولينه وانى من تجنيه بكاء حمامه
تفرد قلبى دونه بهمومه وشارك جسمى خصره فى سقامه
سقى الله ليلاحين جاد بوصله وقد كان لا يسخو برد سلامه
فطاف كمثل الظبى عند التفاته بحمراء مثل الجمر عند اضطرامه
كسا المزج اعلاها حبابا كأنه ثناياه ابدا هن حسن ابتسامه
شككنا فلم نعرف أمنظوم عقده من الدر أم من ثغره ام كلامه (٣)
ولم ندر هذا السكر من سحر طرفه ومن خده والريق ام من مدامه

(١) وقع فى الاصل « تجاو » (٢) كذا وفى الفوات «مجناه» (٣) كذا فى الفوات ووقع فى الاصل « أم من كلامه » خطأ .

وقال

و قال ايضا :

حتام تدعوك الوشاة فتسمع وإلام تغرب فى الصدود و تبدع
او ما ترق لعاشق لاينثنى فى عذله ولناظر لايهجع
ولقد جزعت من الفراق ولم اكن لولا فراقك من عظيم اجزع
ولقد بذلت لك المحبّة جاهدا فى بذلها لوكان حبّ ينفـــع
وتوقعت روحى ثواب ودادها فاثبتها بخلاف ما تتوقع
واذا الفتى قلّت عناية حظه كانت محبته ذنوبا اجمع

و قال ايضا :

يفديك جفن بمائه شرق جار عليه البكاء و الأرق
﴿٢٧٧ب﴾ومهجة لم تزل حشاشتها منك بنار الجفاء تحترق
يا قمر (١) أصبحت محاسنه تنهب البابنا و تسترق
تجمعت فيك للورى فتن على تلاف النفوس تتفق
[طرف كحيل، و وجنة كسيت حمرة دمعى (٢) و مبسم يقق] (٣)
جالت على عطفه ذوائبه كالغصن زانت فروعه الورق
رأوك (٤) لى جنة معجلة ما وجدوا مثلها ولارزقوا
هم حسدونى عليك فاختلفوا بكل زور اليك (٥) واختلقوا

(١) مثله فى الفوات وفى اكسفورد « رشأ »(٢) كذا ولعله « دمع » (٣)من اكسفورد وقدسقط من الاصل واثبتناه ليرتبط الكلام بعضه ببعض(٤) اكسفورد « رأوه» ووقع فى الفوات المطبوع حديثا « نـــداك » خطأ (٥) كذا وفى الفوات « عليك »

Marfat.com

سعوا بتفريقنا فـــلا اجتمعوا على وصال يوماً ولا اتفقوا
فإن كانوا وادمعي بدد تركض في وجنتي وتستبق
ومقلتي حشوها السهاد وا حـ ـناء ضلوعي يعتادها الحرق
ماذا يضرّ الوشاة انهم رقوا لقلبي الموجوع او رفقوا
بمن كسا وجنتيك من حلل الحـــسن رياضا نسيمها عبق
واطلع البدر من جبينك محـــفوفا بصدغ كأنه الغسق
لا تثن عطفا الى الوشاة فما سلاك قلبي لكنهم عشقوا
انت بحالي ادرى وحالهم قد وضحت في حديثنا الطرق
ما كنت يوما اليك معتذرا لو انهم في مقالهم صدقوا

قلت وهذه مأخوذة من قصيدة الشيخ ابي الحسن احمد بن مفلح الطرابلسي التي اولها قوله :

احلى الهوى ما تحلّه التهم باح به العاشقون ام كتموا
اغرى المحبّون (١) بالاحبّة فالـــعدل كلاها سماؤها كلم (٢)
﴿٢٧٨ الف﴾ وليس بقضي بك الملام الى
تغيير حـــكم جرى به القـــلم
ومعرض صرّح الوشاة له فعلموه قتلي وما علموا
القاه بعد الاقبال منحرفا لا عن قلىً مطرقا لما وسموا
سعوا بنا لا سعت بهم قدم فلا لنا اصلحوا ولا لهم
ضرّوا بهجر اننا وما انتفعوا وفرّقوا شملنا وما التأموا

(١) كذا ولعله المحبين (٢) كذا .

Marfat.com

بالله يا هاجرى بلا سبب الا لقاك الوشاة او زعموا (١)
بحق من زان بالدجى فلق الصـــــبح على الرمح انه قسم (١)
وقال للماء قف بوجنته فمازج النار وهى تضطرم
هل قلت للطيف لا يعاودنى بعدك ام قد وفى لك الحلم
ام قلت لليل طل فافرط فى الطـــاعة حتى اصباحه عتم
يا قمر اصبحت محاسنه تنهب البابنا و تقتسم
فيكم معان لو انها جمعت فى الشمس لم يغش نورها ظلم
تمشى فتؤذى القضيب من أسف و تكسف البدر حين تبتسم
وتخجل الراح منك اربعة خدّ و ثغر و مقلة و فم
مولاى ان الذى قذفت به زور فزد لايرعك قولهم
عندى لهم مقلة يحجبها الـــ دمع و اذن شعارها الصمم
ان يحسدونى فلا الومهم مثلك تسمو بحبه الهمم
رأوك لى جنّة مزخرفة ما وجدوا مثلها بلى عدموا
فاختلقوا و افتروا فليتهم حين رأوا ما رايت فيك عموا
﴿٢٧٨ ب﴾ فاين كان الممّوهون وقد وجدوا قلبى هواك قبلهم
كنتُ نبّى الهوى و انت له ربّ فدانت بعدى لك الامم
لى حرمة الصابر الشكور و ما احدثت ذنبا يلق له الحرم
احلم عندى لك الوفاء (١) ما ضرّه، ما بنوا و ما هدموا
خبرك بى شاهد بزورهم و انت خصمى و حكمك الحكم،

(١) كذا.

Marfat.com

يا ربّ خذ لى من الوشاة اذا قاموا وقمنا اليك نختصم

ولمحى الدين رحمه الله :

اعنه عـلى ليل الجفاء وطوله فقد اضرمت بالعذل نار غليله
واصبح لا يدرى ملال حبيبه اشدّ عليه ام ملام عذوله
هوى سلب الجفن الرقاد ولوعة من الوجد اغرت دمعه بمسيله
وبى شمل الاعطاف تحسب قدّه كسته رداء السكر كأس شموله
حكى طول ليلى شعره فى امتداده واشبه جسمى خصره فى نحوله
اذا ما جنى ذنب (١) تعرض شافع من القلب لا يلقى بغير قبوله
فلا تسألوا عن قتلتى غير خدّه فهذا دمى المحمرّ فوق اسيله

وله ايضا :

لك السلامة من وجدى ومن حرقى وما تعانيه اجفانى من الحرق
ادرت فيناً كؤوس الشوق مترعة واسكرتنا حميّاها فلم نفق
يا مظهرا بمحيّاه وطرّته فضيلة الجمع بين الصبح والغسق
﴿ ٢٧٩ الف ﴾ حمّلت مهجتى الاسقام فاحتملت
وزدتها بعده بعدا فلم تطق
مهما نسيت فلا انسى زيارته فى خفية لابسا ثوبا من الفرق
نشوان تستر عطفيه ذؤابته كما اكتسى الغصن الميّال بالورق
يسعى الّى براح من مقبله يلذّ مصطبحى فيها ومغتبقى
لا اسأل الليل عن بدر السماء اذا رقدت فيه وبدر الارض معتنقى

(١) كذا ولعله ذنبا .

Marfat.com

و قال ايضا :

ثنى مثل قــدّ السمهرىّ و لِينه وجرّد عضبا مرهَفا من جفونه
و بات يُرينا كيف يجتمع الدجى مع الصبح فى اصداغه و جبينه
و كيف قِران الشمس و البدر كلّما غدا يلثم الكأس التي (١) بيمينه
و بتُّ افديه بنفس بذلتها غراما لمحفوظ الجمال مصونه
و أرخص دمع العين وجداً بمبسم يقابله من درّه بثمينه
سقى ذلكْ الوادى و ان فتكت بنا نحور حواريه و اعين عِينه
و لازال مبيّض الاقاحىّ ضاحكا به كل منهل الغمام هتونه

و قال ايضا :

ألم تر بهجة الروض الأنيق و قد ارضته سارية البروق
﴿ ٢٧٩ ب ﴾ و ميّلت الصبا نَور الاقاحى فقبّل ثغره خــدّ الشقيق
فايقظ راقد الافراح واصرف حديث الهمّ بالصِرف العتيق
كُميت تركض اللذّات منها بميدان المفاصل و العروق
تضوع اذا نزلناها كأنا فضضنا الختم عن مسك سحيق
بدت كدم الغزال و بات يسعى بها مثل الغزالة فى الشروق
جليل محاسن الاوصاف جالت و شاحاه على خصر دقيق
بدا فاراك من قدّ و خدّ و واضح مبسم و شهىّ ريق

(١) من الفوات، و فى الاصل « الذى » .

Marfat.com

قضيبا مطلعا وردا جنيا وسمطا من حباب فى رحيق

وقال ايضا:

المَّ واعينُ الرقباء وسنى كما تمّ الهلال سنى وسنا (٢)
ومالٍ بعطفه مرح التصابى كما عطفت نسيم الروض غصنا
وخصّ رياض خديه شقيق يلوح عليه خال عمّ حُسنا
وطاف بقهوة لم تبق فيها مصاحبة الليالى غير معنى
فخلنا الشمس طالعةً علينا وقد برزت من الراووق وهنا
فلا تحفل بأعلام المصلى ولا تسأل بها طللا ومغنى (١)
ومل نحو الخلاعة والتصابى اذا فنّ مضى جددت فنّا
وعاط الكأس احور ذا دلال اغنّ يناسب الظبى الأغنّا
يظنّ حمامة تشدو بغصن اذا ما مال معتدلا وغنّى

وقال ايضا:

﴿٢٨٠ الف﴾ وفى ذلك الحىّ الذى سكن الحمى

غزال ربيب تتقى لحظه الاسد
له الخمر ريق والاقاحىُّ مبسم وبدرالدجى وجه وغصن النقا قدُّ

وقال وقد سئل ان ينظم على بيتين قالهما بهاء الدين زهير وهما هذان:

كأن عذاره لام وفاه من الخطّ البديع الحسن صادُ

(١) مثله فى الفوات والسنى بالقصر ضوء البرق وبالمدّ الرفعة والله اعلم
(٢) كذا فى الفوات وفى الاصل «معنى».

وطرّة

وطرّة شعره ليل بهيم فلا عجب اذ سرق الرقاد

فقال محى الدين :

وليلة زارنى فيها الحبيب فلى شمل به وبجمع النوم ملتئم
طورا اعانقه فيها وآونة اشكو اليه فابكى وهو يبتسم
حتى اذا غاب عنى بدر طلعته وقد دجت من ليالى شعره الظلم
فقدت نومى لكن من محاسنه علمت من بلذيذ النوم أتّهم
ان يسرق النوم من عينى فلا عجب اللام والصاد منه عارض وفم
ولو علقت بواو الصدغ تمّ به للقلب وصل وزالت بيننا التهم

قلت وقد زاد على بهاء الدين زهير قوله بواو الصدغ فان زهيرا اقتصر على ذكر اللام والصاد ومحى الدين نحا نحوه وزاد واذا (١) اخرج به المعنى من لص (٢) الى وصل ، ولمحى الدين :

كذب الواشون قلبى ما سلا وفؤادى من هواكم ما خلا
لا تظنونى (٣) إن طال المدى ناسيا ذاك الغرام الأوّلا
لست ممن إن نأت دار به اسخط الشوق وارضى العذّلا
﴿٢٨٠ب﴾ يا ولاة الحسن ما آن لمن جار فى عشاقه ان يعدلا
اخذ الاشراق عن بدر الدجى وروى النفرة عن ظبى الفلا
إىّ شهد ، ريقه لو يجتنى وهلال وجهه ، لو يجتلى
يحمد الليل اذا ولّى ولا يعدم (٤) الصبح اذا ما اقبلا

---

(١) كذا (٢) كذا ولعله فصل (٣) كذا فى اكسفورد وفى الاصل «لا تظنوا بى»
(٤) كذا ومثله فى اكسفورد ولعله يعذل .

Marfat.com

ناعم الاطراف ما اسعد من ضمّــه معتنقا ، او قبّلا
ليس تأتى نعم فى لفظه قوله فى جدّه والمزح لا

أحياة أترجّى بعد ما حكمت الحاظه أن أقتلا

و قال ايضا :

انى لا قضى نهارى بعدكم أسفا ، وطول ليلى بتسهيد و تعذيب
جفن قريح و قلب حشوه حرق فمن رأى يوسفا فى حزن يعقوب

و قال ايضا :

اريقته فى الكأس أم صرف خمره و هذا حباب المزج ام سمط ثغره
تضوع نادينا (١) و قد قام ساقيا بصنفين من نسر(٢) المدام و نشره
لنا جنّة من وجنتيه وانما تعارضنا من دونها نار هجره
وصبح جبين نهتدى بضيائه اذا ما ضللنا فى غياهب شعره
لئن كان دمعى مطلقا بجفائه فقد اسره قلبى المعنّى باسره
وليل طويل العمر احوى كأنه غدائر من اهواه او يوم غدره
اذا خشيت (٣) فيه المنى من ضلالها هدانا (٤) إلى مطلوبها نور بدره

﴿ ٢٨١ الف ﴾ هذا ما تيسر من نظمه ، رحمه الله و ايانا .

محمد بن على بن سعيد بن ابى جرادة الحلبى المنعوت بالشرف انشدنا شيخنا الدمياطى قال انشدنا المذكور لنفسه بفسطاط مصر :

تحلّ ياذا النهى بالفضل والادب وارفض لما قد حوى الجهّال من نشب

(١) كذا وفى الفوات «بأيدينا» (٢) كذا والصواب نشر ونى الفوات «بشر» خطأ (٣) كذا وفى الفوات «حسنت» كذا (٤) كذا ولعله هداها .

Marfat.com

فالعلم يبقى ويفنى المال اجمعه فسد بفضلك لا بالمال و النسب

و قال ايضا :

و لما رأيت الناس اصبح ودّهم نفاقا و ميناً ما تعدّيت منزلى
و نزّهت نفسى ثم قلت لها اصبرى ألا كلّ شىء لا محالة ينجلى

و قال ايضا :

مسرف فى الذنوب طول حياتى فاعفُ عنى يا ربّ عند وفاتى
و تجاوز عنى باسمائك الحسنى فانى عارٍ من الحسنات

استشهد المذكور مع الخليفة الاسود رحمه الله تعالى :

الشيخ ابواسحاق ابراهيم بن محمد بن ميمون الواعظ و يعرف بابن ميمون ، كان فاضلا اديبا و من نظمه ما ذكره لنا شيخنا الدمياطى قوله :

و مالى لا انوح على خطائى و قد بارزت جبّار السماء
قرأت كتابه و عصيت جهلا فيا بؤس القراءة و القراء
و اسدلت الستور على خناء ألا ساء التستر بالخناء
﴿٢٨١ ب﴾ أرى للناس انى ذو عفاف و انسى ما يبوء به الرئاء
اوالى كل بطّال جهولٍ و اطمع فى الفلاح مع الولاء
فلا و الله ما دنت اهتداء على نهج الكرام الاولياء
و ماذا لى من الهفوات اربت على ضعف النجوم مع الحصاء
و اخشى أن اموت بها مصرّا فيورثنى الهوى الى لظاء
سوى انى محبٌّ فى نبىّ جليل القدر منتشر الثناء
به ختم الرسالة جلّ ربّى و اعطاه الشفاعة باللواء

Marfat.com

فيغبطه بها موسى ونوح وابراهيم فى ذلك العطاء

توفى فى تاسع عشر رمضان سنة ستين وستمائة رحمه الله وايانا.

شرف الدين الحسن بن المعلم الدمشقى المشهور وكان والده من اعيان اهل دمشق وارباب الاموال بها وكان هذا ولده يدعو بتعجيل وفاته ليتصرّف فى ماله تصرّفا غير حميد فاتفق موت والده فى ايام الملك الصالح اسماعيل وهو يومئذ محصور بدمشق بصادر اهلها فأخذ جميع موجوده. وكان له حجج على الناس فرسم عليهم واقعدوا شرف الدين عند نقيب القلعة فيحضر كل غريم ما فى حجته ويسلمه الى شرف الدين المستحق الارث ويسلم الحجة لربها فاذا راح اخذت الدراهم منه للسلطان ولم يتركوا له شيئا واخذت دمشق من الصالح وأقام ببعلبك فنظم شرف الدين المذكور:

﴿٢٨٢ الف﴾ افقرنا الصالح فى مالنا وضيّع المغنى بلا معنى
وراح من جلّق هذا جزاء من افقر الناس وما استغنى
فالخرأ فى لحيته دائما إن ذكر الاوطان اوحنا

فبلغته وعاد الى دمشق وقال قد ذكرنا الاوطان وحنينا

وكان شرف الدين المذكور يصحب لمجد الدين حمزة المعروف بابن المرناطى الشاعر النديم وكان لمجد الدين صورة فى الدولة المعظمية والاشرفية والصالحية وغيرهم وهما مواظبين على الاجتماع والصحبة وجرى لهم فنون فى البلاد وغرائب كثيرة لا تحصر من الخلاعة والمجون والمزح وغير ذلك، وتوفى شرف الدين ابن المعلم فى سنة ستين وستمائة بطريق

Marfat.com

بطريق حوران، و بقى مجد الدين ابن المرناطى متوقف الحال و كان بمفرده مغرى بالقصف و اتفق (١) فى اول الربيع و الزهر و القصيل (٢) بدمشق فى عنفوانه ولم يكن معه شىء فخلع شيئا من لباسه و رهنه على مأكول و مشروب كفايته و شخص آخر احتمال وجود من يصحبه فخرج من باب السلامة الى ارض سطرا (٣) بغير تعيين مكان يقصده قال فرأيت باب بستان مردود و قد اينع بالزهر و القصيل (٢) فدخلت و مشيت فلم اجد احدا فلم البث لحظة و لا قعدت حتى سمعت وطء خيول فواريت ما كان معى فى حشيش و تطلعت فاذا بعض الامراء قد دخل لمشترى ﴿ ٢٨٦ ب ﴾ قصيل فسلم و قال يا شيخ هذا القصيل لمك؟ قلت نعم يا خوند وكان كثيرا الى الغاية فقال كم ثمنه؟ و لا بد قلت ستمائة درهم فاشار الى بعض مماليكه باخراج كيس معه و قال لى هذه خمس مائة درهم ما نزيدك عليها شيئا فقلت مرسومك و ناولنى الدراهم وخرج لوقته، فلم البث فى المكان و لا قعدت و اخذت ما كان معى و خرجت من ثغرة خوفا ان يتفق حضور من يرانى بالباب و سافرت لوقتى واقمت بحماة شهورا لا اعلم ما جرى بعدى و نفدت الدراهم وعدت الى دمشق، وحكى لى الرشيد هارون كاتب الامير جمال الدين الشمسى وكان يهوديا واسلم على يد الشمسى و جعله كاتبه وكان اولا حكيما فبقى عند الامير المذكور مثل الوزير تارة حكيما له و لغلمانه وكاتبه

(١) كذا وهذه القصة كما خواتها كما لا يخفى على العارف بالاساليب العربية
(٢) هو الشعير يجز أخضر لعلف الدواب كما فى الاقرب (٣) كذا.

و نديمه و وكيله و بقى عند الامير هو عبارة عنه فى إمرته ، قال اتفق ان مجد الدين ابن المرناطى و شرف الدين بن المعلم خرجا من بعض مجالس الشراب فى الليل فتلقاهما شابين حسنين (١) و حلفا عليهما و دخلا بهما الى قاعة حسنة قد اعد (٢) فيها من انواع المآكل و المشارب شيئا كثيرا فاكلا و شربا و عملا شغلهما من النظم و النثر و الهزل و الحكايات و غير ذلك فسكرا ذلك و الشابين (٣) و ناما فقال احدهما لصاحبه ما قعودنا فائدة ثم انهما اخذا عمامتين و خرجا ﴿ ٢٨٣ الف ﴾ من القاعة فلما كان بعد ايام افلسا فقالا نروح نبيع العمائم فذهبا بها إلى السوق فبينما الدلال بينادى على العمامتين عرفاهما اصحابهما و كانا تاجرين بالسوق فقال الدلال هؤلاء الذين أعطونى اياها ناس محتشمين فجاء اليهما الدلال و عرفهما ما وقع فقاما و جاؤا الى عند الشابين فسألاهما عن العمائم فقالا كنا فى مجلس السلطان و خرجنا من عنده فى الليل فلقينا اثنين و بهما ابنة يعنى بغا فادخلانا اليهما و سألانا ان نعمل بهما ذلك الشغل فقضينا اربنا و اعطونا كرانا هذه العمامتين فقال الشاب الواحد لرفيقه انا كان لى فى عمامتى علامة حتى ابصرها ثم انه افتقد اطراف العمامة صورة نفى المظنة عنه فقال ما رأيتها و ما هذى عمامتى فقال رفيقه مثل ذلك فاخذهما الدلال و باعهما و احضر الثمن اليهما فقبضاه فى دكان اصحابهما و ضمنوهم عليهما و اكلوا و شربوا بالثمن اياما .

وحكى لى السيد الشريف العدل عماد الدين ابى زكريا يحيى بن

(١) كذا و الظاهر شابان حسنان (٢) كذا و لعله اعدا (٣) كذا و لعله ذانك الشابان .

Marfat.com

السراج الحسنى البصراوى قال كان قاضى القضاة شمس الدين بن الخوى يبلغه عن ابن المرناطى و عن ابن المعلم اشياء كثيرة ظريفة و وقائع لطيفة وكان يشتهى ان يراهما و لم يمكن ان يبعث خلفهما بسبب المنصب و القضاء قال فاتفق ان بعض السبوت جاء عليهما و مامعهما شيئا فقالوا نمشى الى عند قاضى القضاة ﴿٢٨٣ ب﴾ الخوى فحضروا عنده وهو قاعد فى دهليز القاعة التى له بالمدرسة العادلية و هو يحكم بين الناس فتقدّما اليه و ادّعى احدهما على الآخر ان له عليه ثلاثين درهما فرفع رأسه فرآهما متجمّلى الحال بيقائر و أكمام واسعة كالعدول و فيهما الصفات التى تبلغه عنهما فقال لهما ما كان هذه الدعوى الّا علىّ، ثم لبس سرموزته ليدخل الى داره يحضر لهما الثلاثين درهما فتبعه احدهما إلى الباب و قال له يا مولانا اقسمها من جوانصفين فضحك منه ثم اخرج لهما الدراهم فى كفتى الميزان كل واحدة خمسة عشر درهما فأخذاها و شكرا له و انصرفا داعيين له بعد ما غلق باب الدهليز و عرضا عليه شيئا من هزلهما و جدّهما و حرافهما (١) شيئا لطيفا استحسنه منهما، و قيل كانت و فاتهما فى سنة واحدة و قيل كانت و فاتهما متقدمة على سنة ستين وستمائة رحمهما الله تعالى .

و فيها و لد شيخنا القدوة برهان الدين ابراهيم بن شيخنا تاج الدين عبدالرحمن الفزارى شيخ الطائفة الشافعية بدمشق .

---

(١) كذا و لعله و خرافاتهما .

Marfat.com

السنة الحادية والستون وستمائة

دخلت هذه السنة وليس للناس خليفة وسلطان الديار المصرية والشامية والحلبية الى الفرات السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس والملوك على حالهم كما تقدّم ﴿٢٨٤ الف﴾ فى ممالكهم والنائب بدمشق الامير جمال الدين آقوش النجيبي وقاضيها قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان .

ذكر مبايعة الامام الحاكم بامر الله ابوالعباس احمد بن الامير [ابى] (١) على القبّى (٢) بن الامير [ابى الحسن] (٣) على بن الامير ابى بكر بن الامام المسترشد بالله بن الامام المستظهر بالله [ابى العباس](١) العباسى وقد تقدم القول بوصوله الى القاهرة وانزاله فى قلعة الجبل فى السنة الخالية، فلما كان يوم الخميس تاسع المحرم منها (٤) حضر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بالايوان بالقلعة وحضر الصاحب بهاء الدين على بن محمد وولده الصاحب فخر الدين وقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعزّ واعيان الامراء للبايعة الامام الحاكم بامر الله فقرئ نسبه على قاضى القضاة وشهد به فلما ثبت عنده مدّ يده وبايعه ثم بايعه السلطان ثم الصاحب وولده ثم الامراء والاعيان على طبقاتهم وخطب له على المنابر من الغد بجوامع الديار المصرية وفى سادس عشر المحرم خطب بجامع دمشق وبسائر الجوامع للامام الحاكم بامر الله .

(١) من اكسفورد (٢) هكذا فى اكسفورد ونز وفى الاصل « الفيى » خطأ
(٣) سقط من اكسفورد (٤) اكسفورد « سنة احدى وستين وستمائة ».

وفيها

وفيها فى العشر الاول من شهر صفر جمع تكفور صاحب بلاد سيس جماعة كبيرة خيلا ورجلا وخرج من سيس واغار على بلد الجومة الى بلد العمق وجبل ليلون(١)ومعرة مصرين وسرمين والفوعة ﴿ ٢٨٤ ب ﴾ وكان دليله رجلا من اهل الفوعة يعرف بابن ماجد الفوعى فاخذ من الفوعة ثلثمائة وثمانين نفرا وكبس سرمين وكان بها من الامراء المجردين بهاء الدين الخضر الحميدى والامير ركن الدين عيسى السروى والامير علم الدين قيصر الظاهرى فانحازوا الى دار الدعوة بسرمين واجتمع عليهم خلق وحاصروهم بها، ثم ان الامير ركن الدين عيسى السروى ركب واركب الامراء المذكورين وفتح باب دار الدعوة وخرج ثم حمل فيهم فصادف فى حملته صاحب سيس ولم يعرفه فرماه عن جواده فتفلّت لأجله عزائم اصحابه فولّوا منهزمين لا يلوى احدمنهم على صاحبه وتخلّص ممن كان معهم من الاسرى جماعة كثيرة.

وفيها توجّه الملك الظاهر من مصر قاصدا الشام برز من قلعة الجبل يوم السبت سابع ربيع الآخر الى مسجد التبن(٢)واقام به الى يوم الاربعاء عاشر الشهر المذكور ورحل منه يوم الخميس حادى عشر الشهر، ولما حلّ ركابه بغزّة وفد عليه فى اليوم السابع والعشرين منه والدة الملك المغيث فتح الدين عمر صاحب الكرك شافعة فى ولدها فاقبل عليها واكرمها ثم أذن لها فى العود فعادت ثم رحل الى الطور يوم الاثنين

(١) بلا نقط ومثله فى اكسفوردو بهامشه «بلا نقط فى الاصل» ك (٢) بهامش اكسفورد «ذكره المقريزى فى الخطط ٢/٤١٣ ك.

حادى عشر جمادى الاولى فارسل الله تعالى من الامطار عند حلوله مامنعت السابلة وقطعت المواد فغلّت الاسعار و لحق العسكر مشقّة عظيمة وأخذ السلطان ﴿٢٨٥ الف﴾ فى ارسال الرسل الى الملك المغيث يطلبه وهو يسوف فى الوصول اليه خوفا من القبض عليه لما كان قد اسلفه من الافعال الذميمة و الاساءة القديمة من زمان الملك الناصر وكان قد وصله كتب من بعض امراء مصر يقولون له ان السلطان قد عزم على مسكك فسيرها الى السلطان فسيّر السلطان يقول له انأ امرتهم بذلك لأتحقّق ما فى نفسك، فخرج من الكرك خائفا يترقب، فلما وصل [بالقرب من العسكر] (١) ركب السلطان لتلقيه فى جماعة من الامراء و الاجناد، فلما اجتمعا امر السلطان بالقبض عليه و بعث به الى قلعة الجبل بالقاهرة صحبة الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى [السلحدار يومئذ] (١) فوصل به ليلة الاحد خامس عشر جمادى الآخرة فحبس بالقلعة و كان آخر العهد به، و لما قبض عليه ظهر فى وجوه بعض الامراء تغيّر و كراهة ما وقع لأنه كان قد حلف اربعين يمينا من جملتها بالطلاق من ام الملك السعيد بالثلاث فيقال انها استحلت بمملوك و قتل ذلك المملوك، فاحضر السلطان الامراء و الملك الأشرف صاحب حمص و كان قد وفد عليه و اخرج اليهم كتب الملك المغيث الى التتر يحرضهم على قصد البلاد و كتب التتر اليه بما يعتمده و بمواعيدهم له اذا هو أعانهم، ثم اخرج فتاوى الفقهاء بأنه لايحلّ ابقاء المذكور بحكم أنه ﴿٢٨٥ ب﴾ كاتب التتر و حرّضهم على محاربة المسلمين فعذروه

(١) ليس فى اكسفورد .

حينئذ

حينئذ و الله اعلم ان كان هذا الامر صحيحا ، و اخرج خطوط الفقهاء في فسخ اليمين التى حلفها له فافتوه انه اذا صحّ انه كاتب العدو وجب قتاله و فسخت اليمين التى حلفها له ثم انه توجه السلطان إلى الكرك و كتب الى من فيه فى تسليمه فشرطوا و اقترحوا و ترددت الرسل بينه و بينهم حتى وقع الاتفاق على ان يؤمر ولده الاكبر الملك العزيز عثمان على مائة فارس فتسلّمه يوم الخميس ثالث و عشرين جمادى الآخره و دخل القلعة فى الساعة الثالثة من يوم الجمعة رابع و عشرين و انعم على من بها من حاشية الملك المغيث و سير البشائر بذلك الى البلاد ، فكان وصول البشارة الى القاهرة يوم الثلثاء ثامن و عشرين جمادى الأخرى ثم خرج منها قاصدا مصر و استصحب معه اولاد الملك المغيث و حريمه فلما حلّ بمصر امر ولده الملك العزيز عثمان و انزله فى دار القطبية بين القصرين و كان دخوله الى مصر من عوده من الكرك يوم السبت سادس عشر رجب .

و فيها فى ثامن و عشرين رجب قبض الملك الظاهر على الامير سيف الدين بلبان الرشيدى و الأمير عز الدين ايبك الدمياطى و الامير شمس الدين ﴿٢٨٦ الف﴾ [آقوش] (١) البرلى و حبسهم بقلعة الجبل .

و فيها فى حادى عشر رجب وصل الى القاهرة رسولان من عند الملك بركة احدهما جلال الدين قاضى (٢) دوقات و الآخر الشيخ على التركمانى فى البحر من الاسكندرية وصلا من بلاد الاشكرى ، و ذلك انهما

(١) من اكسفورد (٢) اكسفورد « ابن قاضى » .

Marfat.com

خرجا من سقسين مدينة بركة فى نهر اتل الى بحر السوداق و ركبوا الى ان دخلا خليج القسطنطينية فركبا فيه الى ان خرجا الى البحر الكبير فسلكاه الى ثغر الاسكندرية و كان مضمون الرسالة انت تعلم انى محبّ لهذا الدين و ان هذا العدو يعنى هولاكو قد تعدّى على المسلمين و استولى على بلادهم و قد رأيت ان تقصده من جهتك و اقصده من جهتى و نصدمه صدمة واحدة فنقتله او نطرده عن البلاد و متى كانت واحدة من هاتين اعطيتك ماكان فى يده من البلاد التى استولى عليها فشكرله ذلك الملك الظاهر وبعث له هدية سنية مع رسول يستصوّب هذا الرأى .

و فيها فى شهر رجب وصلت طائفة من التتر و هى الطائفة الثانية فركب السلطان الى لقائهم و عاملهم بما عامل به من تقدّمهم من الاحترام و اجرى لهم الاقطاعات .

و فيها فى شهر رجب الفرد وصل كرمون فى طائفة ﴿ ٢٨٦ب ﴾ من التتر كثيرة و هى الطائفة الثالثة فخرج السلطان الى لقائهم و اخرج جميع رعيّته من مصر و القاهرة وكان يوما مشهودا ، و لما دخلوا انعم عليهم و اقطعهم الاقطاعات و خلطهم بنفسه و سيأتى زواج السلطان ببنت كرمون .

و فيها جهّز الملك الظاهر من القاهرة الى المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة و السلام لاجل عمارة الحرم النبوى صناع بنائين و نجارين و عتالين

Marfat.com

[و عتالين] (١) و الآت و اخشاب و حمل ذلك فى البحر وكذلك كسوة البيت الحرام ، وكانت قد انتهت فى الشهر المعظّم فحملت على البغال و طيف بها البلدين مصر و القاهرة و ركب معها الخواص وارباب الدولة و ذوى المناصب و القضاة و الفقهاء و المدرسين و الصوفيّة و القرّاء و سافروا فى العشر الاوسط من شوال وكان المتولّى للعمائر شرف الدين ابن اللبورى .

و فيها فى شهر رمضان المعظم حدثت زلزلة عظيمة بالموصل بحيث انه انشقّ الشطّ الذى يمرّ بضيعة داربتيا (٢) نصفين و خربت اكثر دورها.

و فيها ذكر الصاحب عزالدين بن شداد فى سيرة الملك الظاهر قال لما قتل هولاكو رسل الملك بركة و سحرته جمع عسكرا من ﴿٢٨٧ الف﴾ سائر الآفاق التى استولى عليها و حشد و رحل من علا دار و وصل الى دمرقابو و قطرنهركوبا (٣) فصادف عسكرا لبركة فاوقع به و اقام مكانه خمسة عشر يوما فلما بلغ بركة ذلك جمع عساكره و قصده فالتقى به و تقاتلا وكانت الدائرة على هولاكو و قتل من اصحابه خلق كثير و غرق منهم فى النهر المذكور اكثر مما قتل ، و نجا هولاكو بنفسه فى شرذمة قليلة ، فلما رأى بركة كثرة القتلى بكى و قال يعزّ علىّ ان أرى المغل تقتل بسيوف بعضهم بعضا لكن كيف الحيلة فى من غير ياسه (٤) جنكيزخان

(١) ليس فى اكسفورد (٢) كذا و فى اكسفورد «داربشا» و بهامشه «كذا فى الاصل» ك . (٣) كذا و فى اكسفورد «دمر قانو و قطر نهر كوثا» (٤) فى اكسفورد «آهنة» .

Marfat.com

و لما عاد هولاكو مهزوما مرّ ببلاد اران فوجد طائفة من اصحاب بركة بنواحي شروان و شماخى فاوقع بهم [الفتك] (١) و شفى غيظه منهم فلما وصل اردوه استشار كبراء دولته فى جمع عسكر ليقصد به بركة فلم يشيروا عليه بذلك وثبطوه عن الحركة خوفا عليه من غائلته .

ذكر عصيان شاه ملك على البرواناه

و لما عاد هولاكو مهزوما الى اردوه بعث الى معين الدين سليمان البرواناه يطلبه إليه فخاف على نفسه من الايقاع به فاجتمع بامير الامراء شاه ملك وكان مصافيا له و خصيصا به و استشاره فاتفقا على أن ﴿٢٨٧ ب﴾ شاه ملك يعصى فى قلعة غرا مظهرا للمنابذة و شق العصا وان معين الدين يحاصره فيها ليوهم هولاكو أن تأخره بسبب اشتغاله بالحصار فأخذ شاه ملك الى فارس من الترك و دخل القلعة و اغلق ابوابها و اظهر العصيان فنزل عليه البرواناه بمن كان معه ممن فى البلاد من عسكر الروم و المغل و قاتله اشد قتال و آل بينهما الامر الى المجاهرة بالعداوة لما وقع من الانكار ولم يرقب كل واحد منهما صاحبه الاولاذمة و تفاقم الامر فخاف معين الدين على من معه من العساكر فبعث إليه يطلب الاجتماع به سرافاجابه الى ذلك و وقف على سور القلعة فأخذ معين الدين يعتبه على ما صدر منه فقال له انت امرتنى بالعصيان و فعل ما لا يليق فعله بانسان ولا بدلى ان اعرف هولاكو بذلك فقال له ان انت نزلت عن القلعة و دخلت فى الطاعة كتبت الى هولاكو استوهبك منه و اطلب لك منه

(١) ليس فى اكسفورد «

Marfat.com

بغلغا(١) فلم يقع كلامه منه بموقع فخاف معين الدين من شاه ملك ان يخرج من القلعة و يذهب الى هولا كو يعرفه بمادار بينهما من العصيان والمحاصرة فاوسع الحيلة عليه بضروب من المواعيد حتى سلم له القلعة و خرج اليه فلما اجتمع به قتله و احسن الى ولده و قدمه ﴿٢٨٨ الف﴾ .

وفيها فى شهر رمضان من هذه السنة جهز الملك الظاهر رسل الملك بركة الواردين اليه فى رجب كما تقدم ذكره و بعث معهم رسلا من جهته، وهو السيد الشريف الامام العالم مفتى المسلمين عماد الدين عبدالرحيم الهاشمى العباسى والامير فارس الدين آقوش المسعودى الى الملك بركة مع رسله الذين كانوا قد وصلوا و استصحبوا رسل الملك الظاهر هدية سنية جليلة المقدار فيها من الحيوان الغريب و جوده فى تلك البلاد خدام حبش و جوارى طباخات و زرافة و قرود و هجن وخيل عربية و حمير مصرية و حمير وحشية و ماسوى ذلك من المصنوع ومشاعل فضة و شمعدانات فضة و حصر عبدانية و امتعة اسكندرانى و ثياب من عمل الطراز (٢) و سكر نبات و بياض ما لا يحصى كثرة و كان ضمن الرسالة الدخول فى الايلمية و الطاعة فطلب [إلصلح] (٣) و المعاضدة على هولاكو على ان يكون له البلاد التى تؤخذ من يده مما يلى الشام نصيب فلما وصلوا الى القسطنطينية وجدوا الباسلوس كرمخائيل صاحبها غائبا فى حرب كانت بينه و بين الفرنج فلما بلغه وصولهم طلبهم اليه فسازوا اليه عشرين يوما فى عمائر متصلة واجتمعوا به فى قلعة

(١) كذا (٢) اكسفورد « دار الطراز » (٣) ليس فى اكسفورد .

Marfat.com

اكسانا (١) فاقبل عليهم و سربهم و ضاعف فى اكرامهم ﴿ ٢٨٨ ب ﴾ و وعدهم بالمساعدة على التوجه و لقوا عنده رسلا من جهة هولاكو فاعتذر عن تاخير توجههم لخوفه من اطلاع هولاكو على ما وصلوا بسببه ثم امرهم بالرجوع إلى القسطنطينية و ان يقيموا بها حتى يعود و يجهزهم و لم يزل يمطلهم سنة و ثلاثة اشهر فلما طالت المدة عليهم بعثوا اليه يقولون له ان لم يمكنك المساعدة على توجهنا فلتأذن لنا فى الرجوع فأذن للسيد فى الرجوع بمفرده و اعتذر من منعهم من التوجه لكونه بعيدا عن بلاده المجاورة لمملكة السلطان ركن الدين و انه متى سمع انى مكنت [رسل](٢) صاحب مصر من التوجه الى بركة توهم انتقاض الصلح بينى و بين هولاكو فيسارع إلى نهب ما جاوره من بلادى و ما انا قريب منها حتى اذب عنها فعاد السيد الشريف عماد الدين و تأخر فارس الدين مدة سنتين حتى هلك اكثر ما كان معه من الحيوان و فسد غيرها .

و فى اثناء هذه [السنة او](٢) المدة قصدت عساكر بركة القسطنطينية و اغارت على اطرافها و هرب الباسلوس [من القلعة التى] (٣) كان فيها الى القسطنطينية و بعث بالفارس إلى مقدم عسكر بركة يعلمه ان البلاد فى عهد الملك الظاهر و صلحه و ان بركة فى صلح من صالحه و عهد من عاهد فطلب منه ﴿ ٢٨٩ ألف ﴾ ان يكتب له خطه بذلك فكتب وكتب ايضا

(١) كذا وفى اكسفورد « اكشاثا » (٢) ليس فى اكسفورد (٣) من اكسفورد وفى الاصل « الباسلوس الذى كان » .

انه مقيم باختياره و انه لم يمنع من التوجه لانه انكر عليه طول المقام فذكر أن مقامه كان عن غير اختيار منه فرحل العسكر و استصحب معه السلطان عزّ الدين و كان محبوسا فى قلعة من قـــلاع القسطنطينية فاخرجوه منها ثم ان الباسلوس جهز الفارس إلى بركة و بعث معه رسولا من جهته برسالة مضمونها ان يقرر على نفسه مما يحمله فى كل سنة ثلثمائة ثوب اطلس على أن يكون معاهدا و مصالحـا له و مدافعا عن بلاده صاحب زعورا ، فتوجّه الفارس الى بركة فلما اجتمع به سأله عن تأخرة حتى هلك اكثرما كان معه [من الحيوانات و فسد مافيها من غيرها] (١) فاعتذر أن صاحب القسطنطينية منعه من الحركة فاخرج له خطه بما كتب لمقدم عسكره ثم قال انا ما أواخذك لاجل الملك الظاهر و هو أولى من و اخذك على كذبك و افساد ما بعثه معك [و لما انكر الملك بركة على الفارس] (١) كتب السلطان عز الدين إلى الملك الظاهر [يعرفه] (٢) بما صدر من الفارس من التقصير و كونه رحل عسكر الملك بركة عن صاحب القسطنطينية بما أوهمه من كون البلاد فى عهد الملك الظاهر وكان قادرا على ﴿٢٨٩ب﴾ ان ياخذ منه فى مقابلة ترحيله عنه قيمة مافسد من الهدية لا ضطراره إلى ذلك فلما قفل الفارس إلى مصر و اجتمع بالسلطان نقم عليه ما فعل و قبض عليه و اخذ منه ما كان وصل معه من البضائع و قيمتها اربعون الف دينار مصرية ، وكان و صوله فى جمادى الآخرة سنة خمس و ستين و ستمائة .

(١) ليس فى اكسفورد (٢) من اكسفورد .

Marfat.com

و أما(١) ما ذكره المولى محى الدين بن عبد الظاهر فى (الفضل الباهر من اخبار السلطان الملك الظاهر) قال كان اجتماع الرسل بالملك الاشكرى فى مدينة اينة ثم رحلوا إلى القسطنطينية فى عشرين يوما و منها الى اسطنبول و منها إلى دفنسا و هى ساحل السوداق من جهة الاشكرى ثم ركبوا فى البحر الى البر الآخر مسيرة العشرة الايام إلى اليومين بالريح الطيبة ثم طلعوا الى جبل يعرف بسوداق فالتقاهم الوالى بتلك الناحية و اسمه طابوق قفشاق الاصل و عنده خيل البولاق يعنى البريد بمدينة اسمها القرم يسكنها عدة من القفشاق و الروس و العلان و من الساحل الى هذه القرية مسيرة يوم و احد ثم ساروا من القرية إلى بركة يوما واحدا فوجدوا مقدما اسمه طوق بغا مقدم عشرة الآف فارس و هو الحاكم على تلك الجهات جميعها ثم ساروا فى صحراء ﴿ ٢٩٠الف ﴾ عامرة بالخركاوات عشرين يوما و عندهم الاغنام الكثيرة إلى بحر ايتل و هو بحر حلو سعته سعة بحر النيل و فيه مراكب الروس و منزله الملك بركة الساحل الساحل منه (٢) و ما زالت الاقامات تحمل اليهم فى هذه الطرقات و لما قاربوا الاردوا التقاهم الوزير شرف الدين القزوينى و قزوين قرية من قرى الكرج تتحدث بالعربية و التركية و انزلوا فى منزلة حسنة وحملت اليهم الضيافة من اللحم و اللبن والسمك و غير ذلك واصبح الملك بركة راحلا إلى منزله قريبة فنزل وطلب الرسل فحضر الوزير فى خدمتهم فخدموه على العادة وكانوا قد فهموا آدابه التى

(١) لم يذكر فيما يأتى جواب أما ، و قصة سفر الرسل الى بركة و حليته الآتية ليست فى اكسفورد (٢) كذا و لعله و منزل الملك ..... فى الساحل منه .

تعتمد

Marfat.com

تعتمد معه و نهى الدخول من جهة اليسار فاذا اخذت الكتب منهم ينتقلون الى جهة اليمين و يكون القعود على الركبتين وان احدا لايدخل معه الى خركاته بسيف ولاعدة و لايدوس برجله عتبة الخركاة وإذا قلع الانسان عدّته لايقلعها الاّعلى الجانب الايسر و لايترك القوس فى القربان و لايخليه موتورا و لايحطّ فى قربانه نشابا ولايأكل الثلج و لايغتسل ثوبه فى الاردوا الذى له و ان اتفق غسله ينشره خفية حتى لايراه احد و وجدوه فى خركاة كبيرة تسع خمسمأئة ﴿ ٢٩٠ ب ﴾ رجل مكسوه لبادا ابيض و مسترة من داخلها صندان وخطاى و جواهر و لؤلؤ وهو جالس على تخت مرخى الرجلين على كرسى و على الكرسى مخدة لان به وجع النقرس والى جانبه الخاتون الكبرى و اسمها طغطغاى خاتون وله امرأتان غيرها وهما جيجل خاتون وكهار خاتون وليس له ولد والمشار اليه بولاية العهد ابن ابن اخيه يعرف بامير غلوا يعنى الامير الصغير و اسمه تمر ابن طغوان بن نشوقا ان ابن باتواغان و الملك بركة بشواقان اخوان و عمر الملك بركة الى هذا التاريخ ستة و خمسون سنة على ما اخبر به اصحابه .

و صفة الملك بركة انه خفيف اللحية كبير الوجه فى لونه اصفرار يلف شعره عند اذنيه فى أذنه حلقة فيها جوهرة ثمينة لبسه لباس باتوا ،وعليه قباء خطائى و على رأسه بسراقوج و حياصه من ذهب مجوهرة و فى وسطه سولق بلغارى اخضر و فى رجله خف احمر كيمخت بلباد ابيض وليس فى وسطه سيف و فى حياصته قرون معوجه مقمعة

Marfat.com

بذهب وعنده خمسون اميرا اوستون على كراسى فى الخركاة ولما دخلوا وادوا الرسالة اعجبه ذلك اعجابا عظيما واخذ الكتاب منهم وامر الوزير بقراءته ثم نقلهم من عن يساره الى يمينه واسندهم مع جنب الخركاة ﴿٢٩١ الف﴾ خلف الامراء بين يديه واحضرلهم القمز (١) وبعده العسل المطبوخ ثم احضرلهم لحما وسمكا فاكلوا ثم امر بانزالهم عند زوجته جنجل (٢) خاتون ولما اصبحوا ضيفتهم الخاتون فى خركاتها ثم انصرفوا فى آخر النهار الى مواضعهم واقام يطلبهم فى اكثر اوقاته ويسألهم فسالهم فسأل عن الفيل والزرافة وسأل عن النيل وعن مطر مصر وقال سمعت ان عظما لابن آدم ممتدا على النيل يعبر الناس عليه فقيل له ما راينا هذا واقاموا عنده ستة وعشرين يوما واعطاهم ذهب بربرة من الذهب الذى يتعاملون به فى بلاد الاشكرى ثم خلعت عليهم زوجته المذكورة فاعطاهم الجوبة وسيّر معهم الرؤساوهم اربوقا واربتور وارتماش ومعه ولد خشه اشه جرى اعنى اربوقا (٣) وعند بركة رجل فقير من اهل الفيوم اسمه الشيخ احمد المصرىّ شيخ طوال له حرمة ومنزلة ولكل امير عنده مؤذن وامام ولكل خاتون مؤذن وامام والصغار يتلقّنون القرآن واقاموا الرسل فى بلاد الاشكرى الى سنة خمس وستين كما سياتى ذكره .

وفيها فى يوم الاثنين سادس شوال توجّه السلطان الملك الظاهر الى الاسكندرية والى الصيد فى الحمامات ودخلها يوم الخميس تاسع

(١) القمز نبيذ يصنع من لبن الخيل كما فى هامش الفوات فى ترجمة بيبرس

(٢) تقدم آنفا جيجل (٣) كذا .

Marfat.com

وعشرين ﴿٢٩١ ب﴾ شوال وحضر صلاة الجمعة فى سلخه فى الجامع وكان الخطيب يومئذ القاضى زين الدين ابوالفرج محمد بن على المعروف بابن ابى الفرج فخطب خطبة حسنة بليغة فلما كان عند دعائة للسلطان استدعى السلطان للامير سيف الدين بكجرى الحاجب واسر اليه ان يأمر الخطيب بان يدعو لولده الملك السعيد بولاية العهد ولم يتقدم ذلك لاحد من الخطباء وصعد الامير سيف الدين بكجرى المنبر وامره بذلك فارتج عليه وحصر ثم قعد وقام واتى بما امره به واسترسل الى ان تمت الخطبة وصلى الجمعة فاستعجزه السلطان فصرفه وولى الفقيه الامام الفاضل ناصر الدين محمد (١) بن المنير الخطابة مضافة الى القضاء فصنع فيها امر السلطان وذكر احتياج العالم اليه والزمان ليبلغ بها مرادا كان فى نفسه كان سبب الصرفه وذلك ان السلطان قال هذا أمرؤ اشتغل بمدحى عن ماينفع الناس من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاعذار والانذار واسرها فى نفسه الى ان عاد الى مصر فى ثامن عشر ذى القعدة ولما عاد ثارت الفتنة بالاسكندرية بين العوام بعصبيتهم طائفة لابى الفرج وطائفة لابن المنير وتبعوا السلطان الى مصر ووقفوا له فى الطريق فرأى الصاحب ﴿٢٩٢ الف﴾ بهاء الدين حسم المادة بان اشار بتولية غيرهما فولى القاضى الفقيه برهان الدين ابراهيم بن محمد بن على البوشى(٢)

(١) اكسفورد «احمد» وبهامشه «هو احمد بن محمد بن المنصور الجذامى توفى سنة ٦٨٣» ك (٢) فى اكسفورد بلا نقط وبهامشه «كذا فى الاصل بلا نقط ولم اقف على ترجمته» ك.

Marfat.com

[الربانى] (١) المالكى وكان خاملا بمصر ليس له غير العادة فى مدرسة واقامة بمسجد ليس له به ما يكنّه من الحرو البرد يقمّه بنفسه و يؤذن فيه و يؤم و يحمل طبق العجين الى الفرن تارة على يده و تارة على رأسه و ولاه قاضى القضاة صدر الدين موهوب الجوزى نيابة القضاء عنه بمصر و ولاّه القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعزّ الفروض ولم يتغيّر بهذه الولايات عما ذكرناه من حاله آنفا ولما ولى خطابة الاسكندرية خلع عليه و اعطى بغلة وكتب له الى الاسكندرية كتاب يؤمر فيه اعيانها وكبراؤها بالخروج لتلقيه اذا وصل اليهم حتى من صرف فكان يوم دخوله الى الاسكندرية يوما مشهودا واستمرت ولايته .

وفيها توفى الامـــير مجير الدين ابو الهيجاء بن عيسى بن خشترين الازكشى الكردى الاموى كان شجاعا بطلا مقداما أبان يوم وقعة التتر على عين جالوت عن شجاعة و فروسيّة وكان له فى ذلك اليوم اليد البيضاء و ابوه هو الذى حبسه الملك الاشرف فى جبّ حرّان و مات مع عماد الدين احمد بن على بن احمد بن المشطوب ، رحمهم الله و إيانا .

﴿٢٩٢ ب﴾ و فيها توفى ابو عبد الله محمـــد بن الضيـاء الملقب شهاب الدين المعروف باجير البهاء (٢) كاتب الشروط بدمشق كان قد فاق على كتاب عصره فى سابع و عشرين شهر رجب ولم يكن يشهد على الحكام ولا يتعاطى ذلك لاستغنائه بصناعته و بما يتحصل له من الاجور الكثيرة ذكر لى جماعة من اهل دمشق انّ اقل يوم كان يحصل له من ذلك

(١) ليس فى اكسفورد (٢) له ترجمة فى ذيل الروضتين ص (٢٢٧).

Marfat.com

مائة درهم و غالب الايام اكثر، و مات وهو فى عشر الستين رحمه الله وايانا.

عبد الرزاق بن رزق الله بن ابى بكر بن خلف الملقب عزّ الدين ابو محمد المحدث الرسعنى (١) مولده يوم الاحد الثالث و العشرين من رجب سنة تسع و ثمانين و خمسمائة برأس العين و توفى ليلة الجمعة المسفرة عن ثانى عشر ربيع الآخر بسنبجار و دفن بظاهرها شرقىّ البلد، سمع الكثير و حدث وكان فاضلا اديبا شاعرا صدرا رئيسا و له المكانة العلية من الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل و عند الملك السعيد صاحب ماردين و غيرهما ، و من نظمه قوله رحمه الله :

يا من يرينا كل وقت وجهه بشرا و يبدى كفه معروفا
اصبحت فى الدنيا سريّا بعد ما امسيت فيها بالتقى معروفا

و قال ايضا :

﴿ ٢٩٣ الف ﴾ نعب الغراب فدلّنا بنعيبه أن الحبيب دنا اوانُ مغيبه
يا سائلى عن طيب عيشى بعدهم جدّلى بعيش ثم سلّ عن طيبه

و قال :

تقول عرسى و بى اضعاف ما وجدت يوم الفراق ودمعُ العين منحدر
اتترك ابنك ابراهيم منفردا طفلا و تؤتمه طفلا وتصطبر
فكدت اصغى إليها ثم راجعنى رشدى و ناشدتها بيتا له خطر
ليس ارتحالك ترتاد العلى سفرا بل المقام على ضيم هو السفر

(١) ترجم له فى الشذرات .

وفيها توفى الاديب الفاضل صفى الدين المعروف بقنابرباحد شعراء الملك الناصر وصلاح الدين يوسف بن العزيز صاحب حلب ودمشق. له شعر جيد فيه رقة ومن نظمه قصيدة يمدح بها الملك الناصر.

قلبٌ بمياس المعاطف مغرم رهن الصبابة والغرام متيم
لا يستفيق من التعلّل بالهوى يبدى الذى يخفى العذول ويكتم
من لى بمعسول المراشف كلّما مرّ النسيم بخده يتألم
ما انكرت عيناه قتل محبّه الا وفى خديه من اثر دم
فالبدر يطلع من خلال جيوبه والغصن من حركاته يتعلم
وعلى قناة قوامه من لحظه للطعن فى المهج الابيّة لهذم
يجنى فاصفح عن جناية دلّه كرما واكتمها لدى ويعلم
﴿٢٩٣ ب﴾ وانا الجريح بمشرفىّ جفونه
ولى الرعاية وهو فىّ محكّم.

أغضى على برح الجوى فى حبّه فيصح(١) من حرق الغرام وأسقم
كيف السبيل إلى ارتشاف(٢) مقبّل من دون لذته الذعاف العلقم
رشأ اغار عليه من اعطافه ولها فاصمت والجوى يتكلّم
يسدى الىّ اذا وصلت قطيعة وقلًى ويبخل بالسلام فانعم
ملك الفؤاد فراح وهو له حمًى وكذا يذبّ عن العرين الضيغم
يا لائمى فى حبّه ومعنّفى خفض علىّ فان لومك مؤلم
لا تعذلنّ على الصبابة مغرما رقّ الحسود لحاله واللوّم

(١) وقع فى الاصل «فيصبح» خطأ (٢) وقع فى الاصل «ان يشاف» خطأ.

لله ايام القصور ونحن فى ال لذات فى شرفاتها نتنعّم
والروض يبسم والغمام معبّس والطير فى باناته (١) يترنم
لولا مكارم يوسف بن محمد ما كان فى الدنيا جوادٌ منعم
ملك تدين له الملوك مهابةً وانوفها فيما يحاول ترغم
أنّى (٢) استقر تثلمت (٣) اعتابه مما تصافح بالثغور وتلثم
هاد الى طرق السماح فقل لمن يتطلّب العلياء لايتجشم
سبق الكرام السابقين الى العلا يوم الفخار وحين أقدم احجموا (٤)
قل للملوك استنجدوا بجماله انّا بذا إن شئتم أن تسلموا
هذا الذى نصر الهدى بقواضب بيض لأعناق الحوادث تحسم
وعوائل سُمُر تفلّ اسنة من ظهر كل قريع حرب ينجم
بسلاهب قُبّ البطون كأنها والنقعُ قد كفر الغزالة اسهم
﴿٢٩٤ب﴾ نشأ الرماح الى العدو نفيته (٥)
والبيض تنثر والاسنة تنظم
من كل معتقل القناة لنفسه بالمشرفىّ على المنيّة تحكم
قوم إذا اشتجر القنا فى معرك يقفو سيوفهم القضاءُ المبرم
حكموا بعزم الناصر بن محمد شرفاً على صرف الزمان فاقدموا
ملك علا ظهر السماك بهمّة لأقلّها السبع الكواكب تخدم
لولاه شفار سيوفه ورماحه لم يبق فى اقصى الاماكن مسلم

(١) وقع فى الاصل « ناباته » خطأ (٢) وقع فى الاصل « انا » خطأ (٣) وقع فى الاصل « تظلمت » خطأ (٤) فى الاصل « احجم » (٥) كذا فى الاصل بلا نقط .

Marfat.com

لا تهدم الايّام ما يبنى ولا يبنى الزمان وصرفه ما يهدم
نسخت وقائعه الوقائع مثلما انسى القديم حديثه المستعظم
بحر يعوم البحر فى آذيّه بدر وسادات القبائل انجم
واذا تصاولت القروم بمعرك فيه الفوارس حاسر وملثم
لم تلق فى رهج صدور رماحه فى غير جائشة الصدور تحطّم
يا واهب الدنيا ومخترم العدى والجوّ من نقع الصوافن ادهم
زعم الخوارج ان يزورك كبشها حنقا يخبّ به كميت صلدم
وراءه لجبٌ يكاد لوقعه شمّ الجبال الراسيات تدمدم
فصدمته باشدّ منه عزيمة والخيل تسرج للطعان وتلجم
فاتاك يسعى هامه لاهمه (١) وجياده لجنود سعدك مغنم
غادرت جثته (٢) بضربة فيصل عوضا(٣) تغادرها(٤) النسور الحوّم
ونصبته عرض النواظر فهو من عجب باحداق العيون مجسم
واطلت وقفته على ساق بلا قدم وجسم ما جرى فيه دم
﴿٢٩٤ ب﴾ من رام حربك يعتبرها وقفة
من قبل ان يعرى الحسام المخذم
يا راكبا يفلى الفلا بشملّة اخفافها يحصى الأماعز ترثم(٥)
ان كنت تلتمس المسرة والغنى وعداك فى جوب البلاد المغنم
هاجر الى حلب ولذ بمليكها فالعز فى ذاك الجناب مخيم

(١) كذا (٢) فى الاصل جنته خطأ (٣) كذا ولعله خرضا (٤) كذا ولعله تعاورها
(٥) وقع فى الاصل «ترنم» خطأ .

Marfat.com

فى ظل أروع لم يحلّ ببابه فى الكربة اللأواء من لا يغنم
يردى به و النقع ادهمُ اشهب شخت الجزارة (١) كالعقاب مطهّم
تكبوا الرياج الهوج فى غاياته قيد الظليم طريده لا يسلم
يا ايها الملك الذى بيمينه ارزاق ابناء الزمان تقسم
هاجرت نحوك و اتّركت عشائرى و سواك فى الآفاق لا اتوسم
اجلو عليك من المديح عرائسا بعلاك تزهو فى البلاد و تعظم
فاستجلها يا ابن الملوك عقيلة و احكم فانك فى الزمان محكّم
لا زلت فى نعم تروح و تغتدى جذ لان ترزق من تشاء و تحرم
رحمه الله و ايانا .

ريدا فرانس (٢) و اسمه بولس (٣) و هو من اجل ملوك الفرنج و اعظمهم قدرا و اوسعهم مملكة و اكثرهم عساكر و اموالا و بلادا و كان قد قصد الديار المصرية و استولى على طرف منها و ملك دمياط فى سنة سبع و اربعين و ستمائة كما تقدم ذكره ثم خذله الله تعالى و امكن المسلمين منه و اطلق و توجه الى بلاده و فى قلبه [النار] (٤) مما جرى عليه من ذهاب امواله و رجاله و اسره فبقى فى بلاده و نفسه ﴿٢٩٥ الف﴾ تحدثه بالعود الى الديار المصرية و اخذ ثأره فجمع جموعا كثيرة و اهتم لذلك

(١) وقع فى الاصل سحت الحرارة » خطأ (٢) ترجمته هنا قصيرة جدا بالنسبة لما فى اكسفورد وقد عقد لها هناك فصلا (٣) اكسفورد « لويس » وله ترجمة فى الفوات (ج ١ ص ١٥٦) وبهامشه « ويقال له الفرنسيس واسمه لويش بن لويس و ريدا فرانس لقب بلغة الفرنج معناه ملك فرانس »(٤) من الفوات .

فى مدة سنين إلى سنة ستين و ستمائة فعزم على التوجه الى الديار المصرية فقيل له ان قصدت ديار مصر ربما يجرى لك مثل ما جرى فى المرة الاولى و الأولى ان تقصد تونس من بلاد افريقية وكان ملكها يومئذ محمد بن يحيى بن عبد الوهاب (١) و يلقب بالمستنصر بالله و يدعى له على منابر افريقية بالخلافة فانك ان ظهرت عليه وملكت افريقية تمكنت من قصد الديار المصرية فى البر و البحر فاصغى الى هذا الحال و قصد تونس فى عالم عظيم و جماعة من الملوك فاوقع الله تعالى فى عسكره و باء عظيما فهلك ريدا فرانس و جماعة من الملوك الذين معه بظاهر تونس فى هذه السنة و رجع من بقى منهم إلى بلادهم بالخيبة و وصلت البشرى بذلك الى السلطان الملك الظاهر فكتب إلى سائر بلاده بها والحمد لله .

السنة الثانية والستون والستمائه

دخلت هذه السنة و خليفة المسلمين الامام الحاكم بامر الله ابو العباس احمد العباسى امير المؤمنين و سلطان مصر و الكرك و الشام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس و صاحب المدينة الشريف عز الدين احمد بن حماز بن شيحة الحسينى ﴿٢٩٥ب﴾ و صاحب مكة شرفها الله تعالى الامير نجم الدين ابو نمى محمد بن ابى سعد و عمه ادريس بن علي الحسينى و نائب السلطنة بدمشق الامير جمال الدين النجيبى و قاضيها شمس الدين ابن خلكان .

و فيها بخزت مدرسة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بين القصرين [بالقاهرة] (٢) كان ابتداء عمارتها فى اوائل سنة ستين و ستمائة و انتهت

(١) كذا . وفى اكسفورد « عبد الواحد » (٢) من اكسفورد .

Marfat.com

فى اول هذه السنة رتب فى الايوان القبلى لتدريس مذهب الامام محمد ابن ادريس الشافعى رضى الله عنه القاضى الامام العالم قاضى القضاة تقى الدين ابو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين الشافعى رضى الله عنه ورتب فى الايوان الذى يواجهه لتدريس مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه القاضى مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر ابن العديم الحلبى (١) و عين الشيخ الحافظ شيخنا شرف الدين(٢) عبد المؤمن ابن الشيخ بن ابى الحسن بن شرف الدين خضر بن موسى الدمياطى (٣) لتدريس علم الحديث فى الايوان الشرقى، و عين الشيخ المتقن كمال الدين المحلى المقرئ (٤) فى الايوان الذى يقابله لإقراء القرآن بالروايات والطرق و جعل فى هذا الايوان جماعة يقرؤن بالسبع بعد صلاة الصبح و وقف بها خزانة كتب حمل اليها الأمّهات فى سائر العلوم والمذاهب وبنى الى جوارها مكتبا لتعليم الأيتام و اجرى عليهم الخبز فى كل يوم وكسوة الفصلين و سقاية تعين على الطهارة ينتفع بها الناس و جلس ﴿ ٢٩٦ الف ﴾ للتدريس فى هذه المدرسة يوم الاحد سادس عشر صفر بالمذهبين و حضر الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف بابن حنّا و الامير جمال الدين موسى بن يغمور و هو يومئذ

(١) بهامش اكسفورد « هو عبد الرحمن بن عمر بن احمد توفى سنة ٦٧٧ » ك
(٢) كذا، وفى الشذرات « فخر الدين » (٣) بهامش اكسفورد « هو عبد المؤمن بن خلف توفى سنة ٧٠٥ » ك (٤) بهامش اكسفورد « هو احمد بن على بن ابراهيم الضرير توفى سنة ٦٧٢ » ك .

Marfat.com

استاذ الدار و الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى و غيرهم وكان يوما مشهودا .

و فيها ظهرت قتلى فى الخليج و فقد جماعة من الناس أتهم بهم مغارفهم و التبس امرهم و دام ذلك مدة اشهر حتى علم ان امرأة حسناء وضيئة تسمى غازية (١) كانت تتبهرج فى زينة فاخرة و تطمع من يراها من الاحداث المتجملين فيها و معها امرأة عجوز فاذا رأت احدا قد مال اليها بالنظر و تبعها تعرضت له و خاطبته فى امرها و قالت له انه لا يمكنها ان تجتمع باحد الاّ فى منزلها خوفا على نفسها فمنهم من يحماه الغرض على موافقتها فينطلق معها فاذا حصل عندها خرج اليه رجلان غيلظان فيقتلانه و يأخذان لباسه و ما معه فكانوا ينتقلون من مكان إلى مكان خوف الشعور بهم إلى ان سكنوا خارج باب الشعرية على الخليج فاتفق ان كان بالقاهرة ماشطة مشهورة فجاءتها العجوز و قالت لها عندنا امرأة قد زوجناها و نريد منك ان تدبرى امرها و تزينيها احسن زينة و تجمليها بماتقدرين عليه من الثياب و الحلى ونحن نعطيك مهما احببت ﴿٢٩٦ ب﴾ و واعدتها على ان تسيراليها ليلا فحملت الماشطة ما تيسر عندها من الحلى و الثياب مع جارية لها و خرجت اليهم فدخلت عندهم و انصرفت الجارية فلما دخلت قتلت و ابطأ خبرها على الجارية فجاءت الى الدار و طلبتها فانكروها فوشت بهم الى الوالى بالقاهرة فركب

(١) لم تذكر هذه القصة فى اكسفورد و قد ذكر فى ذيل الروضتين فى حوادث سنة ٦٦١ ص(٢٢١) نظيرها .

Marfat.com

الى الدار وهجمها فوجد فيها الصبيّة والعجوز فاخذهما وتوعدهما فاقرا على انفسهما وعلى رجلين آخرين فحبسهما فسمع بهما احد الرجلين فأتى الى الحبس يتفقد امرهما فشعر به فقبض عليه وعوقب كثيرا حتّى اقر ودل على رفيقيه وكان احد رفيقيه رجلا فى جوارهم له قمين يحرق فيه الطوب فكان يلقى فيه من يقتلوه فيحترق ولا يشعر به احد، واظهروا من الدار حفيرة مملوءة قتلى منهم من اضمحل واختلط برفيقه ومنهم من هو حديث العهد بالقتل (١) فاخذوا فطالعوا السلطان على امرهم فامرهم بتسميرهم تحت القلعة فسمروا الخمسة فى يوم واحد وشفع عند السلطان فى المرأة بعد تسميرها بيومين بعض الامراء ممن لايمكن ردّه فامر باطلاقها ففكت مساميرها واطلقت فلم تقم إلا اياما وماتت .

ومن عجيب النوادر المستظرفة أنهم كانوا قد اخذوا طبيبا مشهورا بالقاهرة ليبصرلهم مريضا فلما دخل اليهم قتلوه فلما سمّر احدهم قال للنجار ارفق بى فانى مريض فقال له فآتيك بطبيب آخر ولما سمّروا ﴿٢٩٧ الف﴾ عمد بعض عوام البلد الى دارهم التى فيها القتلى فهدمها وبنى مكانها مسجدا حسنا له صومعة .

وفيها فى يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الآخر جاءت زلزلة عظيمة جدا ازعجت وهدمت دورا .

وفيها استدعى الملك الظاهر لنائبه من حلب الامير علاء الدين [ايدكين] (٢) الشهابى اليه وامره ان يستنيب عنه الامير نور الدين على

(١) فى الشذرات «فحسب الذين قتلوا فكانوا خمسمائة نسمة» (٢) من اكسفورد .

Marfat.com

ابن مجلى فلما وصل علاء الدين الى القاهرة عزله عن حلب و اقر الامير نور الدين فى نيابة السلطنة بها فاحسن السيرة و عمر البلاد و اعاد الفلاحين الى مواطنهم و افرد الخاص على ما كان عليه فى الايام الناصرية .

و فيها امر السلطان الملك الظاهر بانشاء خان بالقدس الشريف لابن السبيل و فوض بناءه للا مير جمال الدين محمد بن نهار و نقل اليه من القاهرة باباكان على دهليز بعض قصور الخلفاء بمصر و لما تم وقف عليه قيراطا و نصفا بالطرة (١) من اعمال دمشق و ثلث و ربع قرية المشيرفة من بلد بصرى (٢) و نصف قرية كيفا (٣) من اعمال القدس يصرف ريع ذلك فى خبز و فلوس و اصلاح نعال من يرد اليه من المسافرين المشاة و بنى بالخان طاحونا و فرنا و جعل النظر فيه للا مير جمال الدين بن نهار .

و فيها اشتد الغلاء بمصر و اعمالها فبلغ الاردب القمح بمصر مائة و خمسة دراهم نقرة و الشعير سبعين درهما ﴿ ٢٩٧ب ﴾ و ثلاثة ارطال خبز بدرهم نقرة و رطل اللحم بالمصرى و هو مائة و اربعة و اربعون درهما بدرهم [و ثلث نقرة](٤) و اشتد الحال بالناس الى ان اكلوا ورق اللفت و ورق الكرنب و خرجوا الى البرفا كلوا عروق الفول

---

(١) مثله فى اكسفورد و فى نز « بالمطر » و بهامشه « فى عيون التواريخ من الطرة » وهذه الواقعة ذكرها نز فى حوادث سنة احدى وستين ج ٧ ص ١٢١

(٢) مثله فى اكسفورد ونز و بهامشه « هى قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا (عن معجم البلدان لياقوت) »

(٣) اكسفورد « لفيا » ونز « لبنى » وبهامشه « فى عيون التواريخ قرية لفتا »

(٤) ليس فى نز.

Marfat.com

الاخضر فاحسن الملك الظاهر السياسة بان فرق الصغاليك على الاغنياء والامراء والزمهم باطعامهم وفرق من شونة (١) القمح على ارباب الزوايا ورسم ان يفرق فى كل يوم فى الفقراء مائة اردبّ مخبوزة بجامع ابن طولون ودام ذلك الى ان دخل شهر رمضان المعظم ودخلت الغلال الجديدة وبيع بالاسكندرية القمح الاردبّ بثلاثمائة وعشرين درهما ورقا عن ستة دنانير وسدس مصرى، ومن اعجب ما يحكى ان السعر انحط فى يوم واحد من الثمن المذكور الى اربعين درهما ورقا .

وفيها نقل الصاحب عز الدين بن شداد ومحى الدين بن عبد الظاهر كلاهما فى سيرتهما انه أحضر الى بين يدى السلطان الملك الظاهر طفل صغير ميت وله رأسان واربع اعين واربع ايدى واربع ارجل ذكر انه وجد فى ساحل المقس (٢) بديار مصر فامر بدفنه .

وفيها توفى الملك الاشرف صاحب حمص وتسلمت نواب السلطان الملك الظاهر قلعة حمص تسلمها الامير بدر الدين بيليك [وقيل ازبك] (٣) العلائى عشية يوم الاثنين الرابع وعشرين (٤) ﴿٢٩٨ الف﴾ صفر ثم وصل بعده بيومين بدر الدين يونس بن دلدرم الياروقى متوليا لها ومعه كمال الدين ابراهيم بن شيث (٥) .

---

(١) الشونة مخزن الغلة المصرية كما فى اقرب الموارد (٢) فى نز (رمز) (النجوم الزاهرة) « المكس» وراجع منه ج ٧ ص ٣٠٨ بتعليقاتها (٣) ليس فى اكسفورد (٤) اكسفورد « رابع عشره» (٥) بهامش اكسفورد «هو ابراهيم بن عبد الرحيم بن على توفى سنة ٦٧٤ » ك .

و فى هذه السنة اتفق ثانى عشر ربيع الاول ليلة الاثنين موافقا لمولد النبى صلى الله عليه و سلم بقول الاكثرين انه كان مولده ليلة الاثنين ثانى عشر ربيع الاول فاتفق فى هذه السنة كذلك .

و فيها فى اواخر شهر رمضان ظهر بالمشرق كوكب له ذؤابة فى الافق نحو المغرب و بقى يطلع كل يوم قبيل الفجر خلف النجم المعروف بكوكب الصبح ثم صار يتقدم كل يوم قليلا الى ان صار يبدو مرتفعا عن كوكب الصبح و يبقى ضوء ذنبه ظاهرا و لم يتغير موضعه من منزلة الهنعة بعده منها الى جهة المشرق نحو رمح طويل و يبقى ظاهرا ثم صار يرتفع بارتفاعها و يسير بسيرها ثم يقرب من منزلة الهعقه(١) ثم بقى الى اوائل ذى القعدة الى ان يغلب عليه ضوء الصباح فيغيب وكان يظهر له قبل بروزه شعاع كبير فى جو السماء وظهر ايضا من قبل المغرب بالشمال بعد العشاء الآخرة ليالى عدة فى اواخر شهر رمضان و اوائل شوال خطوط مضيئة كهيئة الاصابع مرتفعة فى جو السماء و احمرت الشمس فى اواخر الرابع من شوال قبيل المغرب و ذهب ضوء الشمس بحيث توهم كثير من الناس انها كسفت وغربت وهى كذلك و لما كان عند ﴿٢٩٨ ب﴾ العشاء الآخرة اصاب القمر مثل ذلك ليلة الخامس من شوال بحيث توهم انه خسف .

و فيها ذكر محى الدين بن عبد الظاهر (فى الفضل الباهر من سيرة السلطان الملك الظاهر) ان فى شهر رمضان احضرت الى قلعة الجبل بالقاهرة فلوس كثيرة من جهة قوص وجدت مدفونة فى بعض الجهات

(١) وفى ذيل الروضتين « الهنعة »

Marfat.com

فأخذ منها فلس فاذا عليه صورة ملك واقف فى يده اليمنى ميزان و فى يده الشمال سيف و فى الوجه الآخر رأس مصور بآذان كبيرة(١) مصورة مفتوحة و بدائر الفلس سطور، و اتفق حضور جماعة من الرهبان و من جملتهم راهب فيلسوف يونانى عالم بلسان الروم لايحسن العربية فقرأ هذا الراهب ما على الفلس فكان تاريخه الى هذا الوقت الفين و ثلاث مائة سنة، و فيه مكتوب انا غلبات الملك ميزان العدل و الكرم فى يمينى لمن اطاع و السيف فى يسارى لمن عصى و فى الوجه الآخر انا غلبات الملك أذنى مفتوحة لسماع كلمة المظلوم و عينى مفتوحة انظر بها مصالح ملكى .

نجز المجلد [الاول] و يتلوه فى الذى
بعده ذكر ما وجد بخزانة حمص
بعد وفاة صاحبها .

و الحمد لله وحده و صلّى الله
على محمد و آله و سلم تسليما

وقع الفراغ من طبع هذا المجلد لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٧٤ بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن (الهند) .

(١) كذا و فى الشذرات « بآذان و عيون كثيرة مفتوحة » .

Marfat.com

ذيل مرآة الزمان

المجلد الاول

من وقائع سنة ٦٥٤ﻫ الى اثناء سنة ٦٦٢ ﻫ

للشيخ قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد بن احمد بن قطب الدين

اليونيني البعلبكي الحنبلي

المتوفى سنة ٧٢٦ ﻫ = ١٣٢٦ م

عن نسختين قديمتين محفوظتين فى مكتبة ايا صوفيا باستنبول

رقم [٣١٤٦] و [٣١٩٩]

الطبعة الأولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند

١٣٧٤ ﻫ = ١٩٥٤ م

Marfat.com